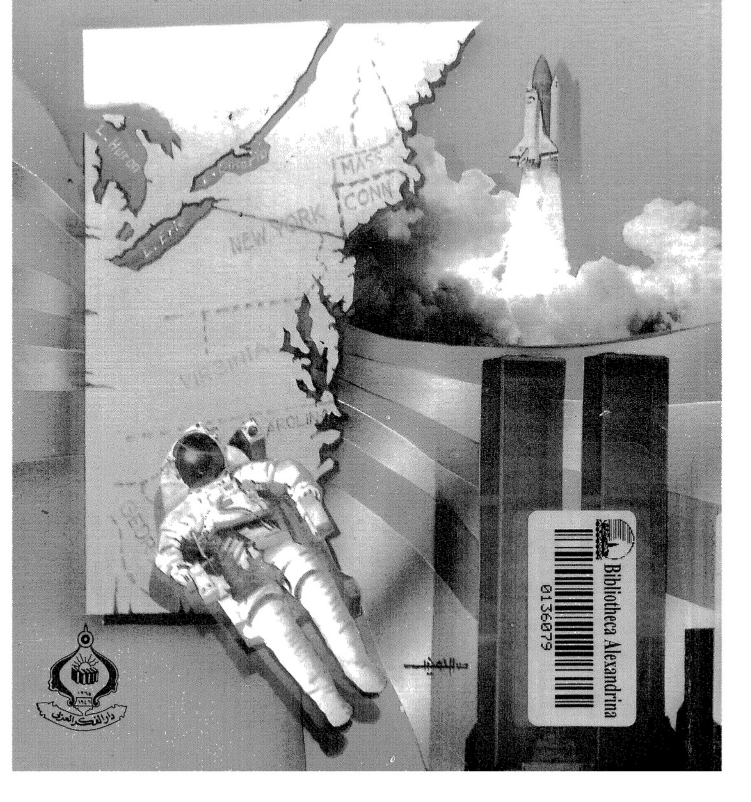
تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية

من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين

الدكتور/ عبد العزيز سليمان نوار
الدكتور/ محمود محمد جمال الدين



تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية

من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز سليمان نوار

أستاذ التاريخ الحديث

كلية الآداب - جامعة عين شمس

دكتور

محمود محمد جمال الدين

كلية الآداب - جامعة أسيوط

١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٩٧٣ عبد العزيز سليمان نوار.

ع ز ت ا تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية: من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين/ عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين - القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٩.

٤٢٠ص: خ؛ ٢٤سم .

ببليوجرافية: ص [٣٩١] -٤١٧

يشتمل على ملاحق.

تدمك: ٦ - ١١٧٦ - ١٠ - ٩٧٧.

١ - الولايات المتحدة الأمريكية - تاريخ - العصر الحديث. أ- محمود محمد جمال الدين، مؤلف مشارك. ب- العنوان.

إعداد وإخراج فنى

عادل أحمد العزب الدغيدي



حورس للطباعة والنشر (مهندس / هشام الشربينى وشركاه)

١ ش المدق - خلف رقم ١٨٤ ش بورسعيد - السيدة زينب ت : ٣٩٥٧٦١٤

مقدمة

الولايات المتحدة الأمريكية امتداد للحضارة الأوربية، ولكن الأهم من ذلك، هو أنها أخذت آخر ما وصلت إليه الحضارة الأوربية، تنطلق منها نحو حضارة أمريكية قيادية ليس للمصدر الأم (أوربا) فقط بل للعالم ابتداء من النصف الثانى من القرن العشرين بصفة خاصة.

البداية مع حركة الكشوف الأوربية، والهجرات المتتالية الأوربية إلى العالم الجديد، وعمليات الإزالة والإزاحة للبشر أصحاب الأرض من الهنود الحمر حتى أصبح هؤلاء فى مناطق محاصرة أقرب إلى المتاحف البشرية. وآخر صورة لحضارات مندثرة (الانكا والازتك).

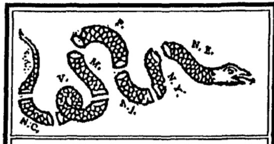
ومع انتشار حركة الاستعمار الأوربى إلى العالم الجديد، انتقلت الصراعات الأوربية إلى هذا العالم، وخاصة الصراعات بين إنجلترا وفرنسا وأسبانيا، حتى تفوقت إنجلترا على فرنسا، وخلص لإنجلترا الغالبية العظمى من أمريكا الشمالية باستثناء بعض المساحات فى الجنوب بصفة خاصة (المكسيك). وأصبح الأمريكى من بعد وجها لوجه مع الدولة الأم المسيطرة (انجلترا). فكان أن حرر الأمريكيون أنفسهم. وظهرت دولة جديدة (الولايات المتحدة الأمريكية) وانشغلت بوضع نظام حكم حديث ديمقراطى وتوحيد بقية المناطق (الأمريكية) وتصفية الرق والاسترقاق (الحرب الأهلية)، والانطلاقة الاقتصادية.

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية منذ الاستقلال بعيدة عن الصراعات الأوربية، بل أبعدت هذه الدول الأوربية المتصارعة عن العالم الجديد بما أصدرته

من قرار حاسم (مبدأ مونرو) الذى طالب بامتناع الدول الأوربية عن التدخل فى شئون العالم الجديد، وإلا تصدت الولايات المتحدة لأى تدخل فى هذا العالم الجديد.

ومع النمو الاقتصادى الأمريكى وارتباكاته بالعلاقات مع مختلف دول العالم وخاصة مع أوربا أخذت المسافة بين أمريكا وأوربا فى المجال السياسى والإستراتيجى تقترب، حتى أصبحت التطورات الأوربية فى أعقاب ظهور ألمانيا وإيطاليا والتوسعات الاستعمارية الأوربية فى العالمين القديم فى آسيا وأفريقيا تحث الولايات المتحدة على اتباع سياسية معينة إزاء ذلك وهى ألا تظهر دولة واحدة أو تحالف يسيطر على أوربا على اعتبار أن ذلك يخل بالتوازن الدولى وضد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية. وخاصة إذا كانت الدول الساعية إلى السيطرة على أوربا دول دكتاتورية. وكان هذا هو أحد الأسباب الرئيسية التى أدت إلى تدخل الولايات المتحدة فى أوربا ضد دول الوسط خلال الحرب العالمية الأولى، وضد دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية، وضد الاتحاد السوفيتى خلال الحرب الباردة التى تمخضت عن انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالقطبية.

هذه هى مسيرة هذا الكتاب مع تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية عبرالقرون من السادس عشر حتى نهاية القرن العشرين.



JOIN, or DIE

الفصل الأول

اكتشاف أمريكا

من المسلم به الآن أن كـولومبـوس لم يكن بالفـعل أول رجل أوربى وطأت قـدماه أرض القـارة الأمريكيـة، بل إن كثـيرين غـيره سـبقـوه إلى ذلك ووصلوا الشواطئ الأمريكية الشمالية فى ظروف عارضة مما جعل آثارهم هناك شبه معدومة وأخبار رحلاتهم أشبه بالأساطير منها بالواقع التاريخى. هناك دلائل كثيرة على أن السكندنافيين وهم من الشعـوب العريقة فى الملاحة، قد سبقوا كـولومبوس بقرون عدة، فـقد قذفت العواصف والأنواء البـحار النروجى (ندود) Naddod فى القرن التـاسع إلى شواطئ أيسلندا ثـم وصل بحارة آخـرون إلى جزيرة جـرينلاند، (أى الأرض الخضـراء) وكان ذلك سنة ٩٨٦. وبعد ذلك بسنوات قـليلة، أى فى نهاية القـرن العاشـر كان السكـندنافيـون قد وصلوا حـتى شـواطئ لابرادور وأسكتلندا الجديدة على الشاطئ الشرقى لأمريكا الشـمالية، إلا أن هذا الاكتشاف لم يكن له أثر كبير لأسـباب عديدة: أهمها أن المكتشـفين أنفسهم لم يدركوا حـقيقة الأرض التى وصلوا إليهـا، كما أنهم لم يحـاولوا استعمـارها أو السكن فيها. ولذا فـقد اندثرت أخبـارها إلا القليل الذى نجـده فى بعض القصـائد والأغانى السكندنافـية القديمة أو بـعض النصوص اللاتينية العائدة إلى القـرون الوسطى. وعلى كل فإن هذه الإشارات غامضة ولا تساعد على معرفة الحقيقة بصورة واضحة.

أما جـرينلاند فقـد بقيت هناك جـالية إسكندنافـية حاولت أن تعـيش فيـها وتستعمر أرضها وقد بنى هؤلاء مدينة لاتزال آثارها باقية حتى الآن، كما خلفوا لنا آثار كنيـسة تعـود على الأرجح إلى القرن الثـانى عشـر، إلا أن هؤلاء السكان لم يلبثـوا أن انقرضوا تماما بـعد أن هاجر قسم منهم إلـى أيسلندا واندمج آخرون مع سكانهـا الأصليين (الإسكيـمو). ويعـود السبب فى ذلك إلى انقطاع المـواصلات بصورة تدريجية بين إسكندنافية وكل من أيسلندا وجرينلاند.

السكان الأصليين:

بالطبع لم تكن القارة الجديدة خالية من السكان ولا من الحضارات إنما كان القسم الأكبر من سكانها قد تجمع فى المناطق الوسطى من القارة. وقد أثبتت أكثر الدراسات على أن هؤلاء السكان الذين أسماهم كولومبوس بالهنود إنما هم من سكان العالم القديم على الأرجح؛ ذلك أنه حتى الآن لم يعثر فى أميركا على آثار إنسان قديم كإنسان نياندرتال فى أوروبا. والأرجح أن هؤلاء قد عبروا مضيق يرينغ بعد نهاية العصر الجليدى ويرجح أنهم ينتمون إلى العنصر المونغولى الذى ينتمى إليه الصينيون. أتوا من شمال آسيا إلى شمال أمريكا ومن ثم أخذوا بالاتجاه جنوبا مع الزمن بحثا عن أسباب الحياة؛ ذلك أنهم ظلوا ولفترة طويلة شعوبا رحل تعيش من الصيد والقنص. ونحن نجهل متى بدأت بعض هذه الشعوب بالانتقال إلى مرحلة الزراعة، وهذا الانتقال يعتبر خطوة مهمة فى تطورهم الحضارى؛ ذلك أن ممارستهم للزراعة هى التى أجبرتهم على الاستقرار. وبالتالى هى التى أدت إلى قيام حضارات زاهية فى تلك القارة، حتى أن بعض هذه الشعوب توصلت إلى معرفة بعض المعادن وإلى استعمالها، إلا أنها لم تصل إلى اكتشاف الحديد واستخدامه.

هنا أشير إلى أن هذه الحضارات تطورت بصورة منعزلة تماما عن حضارات آسيا وبالتالى فليس بينهما تشابه مهم، يضاف إلى ذلك أن هذه الحضارات الأمريكية كانت تختلف اختلافا جذريا عن الحضارات السائدة فى أوربا زمن الاكتشاف، أى فى القرن الخامس عشر والسادس عشر. وأهم هذه الحضارات ثلاثة: حضارة الأزتيك وحضارة الأنكاس وحضارة الماياس.

الأزتيك Les Azteques

فى القرن الثالث عشر نزلت فى سهول المكسيك شعوب رحل تعتاش من الصيد والقنص واشتبكت فى صراع طويل مع السكان الأصليين تمكنت فى نهايته من تثبيت أقدامها هناك ومن بناء عاصمتها الشهيرة Tenochtitlan (مكسيكو

الحالية) فى سنة ١٣٢٥ كما تقول الروايات القديمة حتى القرن الخامس عشر لم يكن الأزتيك قد بنوا لأنفسهم مكانة كبيرة بين سكان أمريكا الوسطى، إلا أنهم بعد ذلك تحالفوا مع بعض القبائل المجاورة مما سمح لهم تدريجيا بالسيطرة على كل الشعوب المجاورة لهم وإقامة دولة كبيرة شملت القسم الأكبر من بلاد المكسيك الحالية. فى هذه المرحلة تطورت عاصمتهم وكثر سكانها حتى أن الرواد الأسبان الأوائل دهشوا لكبرها وتنظيمها وازدهارها وكثرة سكانها. والواقع أن وصول الأسبان إلى البلاد قد صادف أعلى مراحل ازدهار حضارة هذا الشعب. وأبرز مظاهر هذه الحضارة:

١- الدين:

كان للأزتيك آلهة كثر ورثوا الاعتقاد بهم عن أجدادهم وكان بعض هذه الآلهة يتصف بالشراسة وحب الدماء البشرية، بينما بعضها كان أكثر مسالمة. إلا أن أبرز ما فى الأمر كان هناك ميل واضح نحو فكرة التوحيد، والفضل فى ذلك يعود إلى رجال الدين المثقفين، إلا أن هذا التفكير بقى محصورا فى إطار ضيق ولم يصل إلى الجماهير.

كانت معابدهم تبنى فوق أهرامات إما من الحجارة الصلبة أو من الطين المجفف والنيران تبقى مشتعلة فيها ليلا نهارا إرضاء للآلهة؛ ذلك أن أبناء الأزتيك كانوا يعيشون فى قلق دائم خائفين من غضب آلهتهم ولذا فكانوا يكثرون من الاحتفالات الدينية ويبالغون فى خدمة المعابد والهياكل وفى بعض الأعياد والمناسبات كانوا يقدمون القرابين والذبائح البشرية لها.

٢- الجيش:

كانت لأفراد الجيش مكانة كبيرة فى مجتمعهم تعادل مكانة الكهنة ورجال الدين. إن هذا الشعب كله بطبعه مشاكسا وميالا للقتال فهو إذا بحاجة دائمة لجيش قوى منظم، ولذا فقد عرف بعض التنظيمات التى تتبعها الجيوش الحديثة فى أيامنا.

قسموا جيشهم إلى محترفين يرسلون إلى المدارس العسكرية، حيث يدربون لعدة سنوات على تمارين قاسية. وكان يشترط للدخول إلى هذه المدارس مستوى محدد من الثقافة. وتفرض الخدمة العسكرية العادية على الجميع إلا أن هؤلاء كانوا يدعون فقط أثناء الحروب.

وبفضل هذا التنظيم أصبحت لهم شهرة فائقة وباتوا مرهوبى الجانب فى أمريكا الوسطى. وهنا تجدر الإشارة إلى أنهم رغم قوتهم وميلهم للمشاكسة لم يكونوا ميالين لسفك الدماء بل كانوا دائما يفضلون فى حروبهم الحصول على الأسرى لتقديمهم للمعابد والهياكل فكانوا يتجنبون ما أمكن قتل أخصامهم.

النظام السياسى:

لقد ثبت من الدراسات الحديثة أن الأزتيك قد مارسوا نظاما سياسيا متطورا فتعيين الحاكم كان يتم بالاختبار وليس بالوراثة وإن كان هذا الاختبار يجب أن يتم فى عائلة واحدة. وكان يساعده فى شئون الحكم مجلس يتولى هو دراسة وتقرير الأمور المهمة فى اجتماعات دورية منتظمة.

المایاس Les Mayas

أصلهم: يعود شعوب المایاس فى أصلهم إلى بلاد غواتيمالا وجنوب الهندوراس، حيث أقاموا لهم مدنا بعضها بلغ درجة عالية جدا من الازدهار والتقدم كمدينة Palenque Copan ، إلا أنهم فى القرن السادس هجروا مدنهم وقراهم لأسباب لاتزال مجهولة ربما كانت خوفهم من وباء الحمى الصفراء التى اجتاحت المنطقة أو بسبب استنفاد طاقات التربة بأساليبهم الزراعية البدائية. لجأوا إلى شبه جزيرة يوكاتان حيث حلوا وجعلوا Chichen Itza مركزا سياسيا ودينيا لهم. ومنها نشروا حضارتهم وثقافتهم فى كل أرجاء شبه الجزيرة. ثم تخلى السكان عن المدينة لأسباب مجهولة فى القرن السابع ليعودوا إليها فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر حين أصبحت أزهى مدن المكسيك وأكثرها عمرانا وتقدما. وقبل أن يهجرها سكانها نهائيا هذه المرة فى القرن الخامس عشر كانت قد

بلغت أعلى مـراحل تطورها العمراني، فـالدراسات التي أجراهـا علماء الآثار في غابات أمريكا الوسطى مـؤخرا كشفت بقايا مدينة تتسـع لآلاف السكان، شوارعها عريضة تحفهـا على جانبيها أشجار النخـيل، وساحاتها فسيحة تقوم حـولها معابد ضخـمة وقـصور جـميلة البنيـان. ويشرف على المدينة أهرام كـبيـر ومعـبد الإله (كوكولكان).

الدين:

لقد عرف هذا الشعب الازدواجية في الدين والتي تتلخص في الصراع الدائم بين قوى الخيـر وقوى الشر. وقد سـاعدت ديانتهم إلى حد كبـير على تطور فني العمـارة والتصـوير. إذ إنهم كانوا يغـالون في تزيين مـعابدهم بالرسـوم والصور ويغلب على فنهـم الطابع الرمزي الديـني. والثعـبـان يظهر في أكـثـر رسومـهم وصورهم لأنه كان بالنسبة إليهم حيوان مقدس. أكبر معابد المايا هو ذلك القائم في مدينة Chichen Itza والذي لا تزال آثاره باقية حتى اليـوم. شمالي هذا المعبد يوجد ينبوع كان يلعب دورا كبيرا في احتفالاتهم الدينية؛ ذلك أنهم كانوا يعتبرونه مقدسا وفيه تقدم القـرابين إلى إله المطر الذي يتمتع بمكانة كبيرة عندهم؛ نظرا لأن الزراعة كانت مصدر رزقهم الأساسي.

وفي احتفال كـبير يحضره مندوبون من جميع مـدن وقرى البلاد كان الكهنة يختارون أجمل فتاة في المدينة ويلقون بها في احتفال صاخب في الماء لتكون قربانا للآلهة وهذا الاحتـفال كان يجري مـرة كل سنة وكانت الفتيات يتـهافتن لنيل هذا الشرف الكبير.

العلوم الثقافية:

لقد بلغ هذا الشعب درجة عالية من الحضارة والتنظيم الاجتماعي فقد عرف هؤلاء علم الفلك وأقاموا مرصـدا فلكيا جاءت أعماله على درجة كـبيرة من الدقة ذلك أن أعمـال هؤلاء أدت إلى وضع تقويم أرفع مـن أي تقويم عرفـته شـعوب أخرى بنـفس المستوى الحـضاري. بل ربما أمكنـنا أن نقارنه بالتـقويم الغـريغوري

الغربـي. وانطلاقا من دراسـاتهم الفلكية والرياضـية توصلوا إلى نوع من الكـتابة سجلوا به كل ما عـرفوه من تاريخهم ومن حركـات النجوم. إلا أنه لم يصل من هذه الكتابات سـوى مخطوطات ثلاثة صعب على العلماء حـتى الآن فك رموزها وقراءة مـا فيهـا. إن لغتهم المحليـة لاتزال موجـودة حتى الآن وهى أكثـر اللغات المحلية انتشارا فى أمريـكا الوسطى غير أنها فقدت الكثير من مصطـلحاتها القديمة بسبب مادخلها من كلمات وأفعال أخذت من الأسبانية.

حضارة الأنكا Incas:

حوالى القـرن العاشـر الميلادى انطلقت هذه الشـعوب من ضـفاف بحـيرة تيتيكاكا الواقـعة فى مرتفعات جبال الأنديز فى بلاد البـيرو وقضت على نفوذ كل من كان قبلها من شعـوب وحضارات وجعلت مدينة كوزكو عاصـمة ومركزا لها. فـهم بالتالى ورثة الحـضارات القـديمـة التى قبلهم فـى تلك المنطقة كـحضـارتى Aymaras Quechuas اللتان قامـتا فى مرتفعات جبال الأنديـز وحضارات شواطئ البيـرو التى كان ازدهارها كـما يرجح العـالم الأمريكى مـيتز فى القرون المـيلادية الخمسة الأولى.

وقد امتـد نفوذهم تدريجيا حـتى شمل فى مطلع القرن السـادس عشر بلاد البـيرو كلهـا وبوليـفيـا والإكـوادور وقسـما من بلاد الـشيلى. وكـان ذلك زمن إمبراطورهم هويناكاباك الذى عرفت البلاد فى أيامه ذروة قوتها العسكرية واتساعها الجغرافى إلا أن وفـاته فى السنة ١٥٢٥، أى قبل وصول الغـزاة الأسبان إلى بلاده بخمس عشرة سنة أدت إلى تقسيم البلاد بين ولديه.

التنظيم السياسى:

لقد سيطرت فـكرة الدولة على الحياة الاجتمـاعية لهذه الشـعوب، فالمواطن يعتـبر نفسه فى خـدمة الدولة. وبالتالى فهـو مجبر على إظهـار الولاء المطلق لها وللحكومـة. يقف على رأس الهرم الحـكومى الأنكا المقدس وهو الحـاكم الأعلى للبلاد وسلطته على البلاد والمواطنين لا حد لها لما له من طابع القداسة. ومن هذه

الناحيـة من الصعب مـقارنة سلطاته مع أى من حكـام العالم القديم حـتى أولئك الأباطرة المستـبدين الذين عـرفتهم شـعوب الشـرق القديم. يليـه مباشـرة رؤساء الوحدات الإدارية وأهمهم حكام المقـاطعات وعددهم أربعة. ويقيم هؤلاء جـميعا فى العاصمة ويشكلون مجلسا خاصا يساعد الحاكم.

التنظيم الإدارى:

تنظيـمهم الإدارى كان مـركزيا لدرجـة كبيـرة ولعل سبـبه السلطات الغـير محـدودة التى كان يتـمتع بها الأنكا، فـقد ركزت جـميع الإدارات الحكومـية فى العاصمة لتكون له القدرة على إدارة شئون البـلاد كلها بنفسه. ولتسهل هذه المهمة ربطت العاصمة بجميع أنحاء الإمبراطورية بشبكة واسعة من الطرق.

التنظيم الاجتماعى:

الوحدة الأساسـية للسكان هى الأيولو أو بعبـارة أصح القبيلة. ومجـموعة القبـائل هى التى تشكل الدولة التى يرأسهـا الملك أو الإمبراطور، لقـد عرف هذا المجتمع نظام الطبقات الذى شاع فى العالم القديم.

١- الأنكا وله المقام الأول نظرا لكونه الحاكم ولما له من طابع القداسة.

٢- طبقـة الأشراف وهؤلاء لهم امتـيازاتهم القـديمة وأبرزها حصـر المراكز القيادية فيهم وجعل التعليم والثقافة احتكارا لهم.

٣- رجال الدين وكهـان المعابد وهؤلاء يشكلون طبقة خـاصة لها امتـيازاتها وهى متساوية فى المرتبة مع طبقة النبلاء ورجال الحكم ويرأسهـم الكاهن الأكبر «كاهن معبد الإله الشمس» ويكون عادة شقيق أو عم الإمبراطور. وينضم إلى هذه الفـئة «عـذارى الإلة الشمس». وهؤلاء فـتيـات يهبن أنفـسهن لخـدمة الإله، يسكن فـى أديرة خاصـة وينذرن العفـة. وأهم أعمالهن حياكة ملابس الإمـبراطور، وصنع المشروبات التى تستعمل فى الأعياد والمناسبات الدينية.

٤- طبقة عامة الشعب ومهمتهم الأساسية خدمة الدولة. إلا أن هذه الخدمة يقابلها حقوق على الدولة، فالدولة ملزمة فى أيام السلم بتأمين لرعاياها وحمايتهم من الجوع كما تلتزم بإعالتهم فى حالات المرض والشيخوخة.

الملكية:

لم يعرف هذا الشعب ملكية الأرض بالشكل المألوف، فالأرض الزراعية عندهم تقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم خاص بإله الشمس يستثمره ويديره الكهنة ورجال الدين، وقسم يخص الإمبراطور الأنكا، والقسم الثالث موزع بين القبائل (أيولو) أما داخل القبيلة فلم تكن هناك ملكية خاصة إنما الأرض للجماعة يوزعها فى كل عام زعيم القبيلة بين العائلات حسب حاجاتها بحيث يحصل كل فرد على الأرض اللازمة لإعالته.

الدين:

عبادة إله الشمس كانت الدين الرسمى للدولة؛ ولذا فمعابد البلاد كانت مخصصة لعبادته. وأهم هذه المعابد هو معبد إله الشمس القائم فى العاصمة كوزكو. وكان يحيط به حائط كبير من الحجارة الضخمة وفى داخله كانت الجوانب والسقوف مزينة بالذهب. أما فى داخله أى فى قدس الأقداس فكان هناك قرص من الذهب له شكل وجه إنسان تحيط به نجوم بشكل تاج صنعت من الذهب أيضا، يرمز إلى وجه إله الشمس. وعلى جانبيه مقاعد من الذهب صنعت عليها مومياء الأباطرة القدماء.

ومرة فى العام فى عيد الشمس، يحضر الوجهاء وممثلو المناطق من كل أرجاء الإمبراطورية ليحضروا حفلات خاصة تقام بهذه المناسبة وتقدم فيها للإله القرابين الحيوانية.

الكتابة:

مارس هذا العشب نوعا خاصا من الكتابة، فقد وجدت فى بعض القبور حبال ذات عقد كثيرة، وقد اختلف العلماء فى مدلولها إلا أن علماء الآثار يرجحون أن هذه العقد تمثل إحرفا وكتابات، بينما يرى آخرون أنها تمثل أرقاما استعملت فى حساباتهم.

فى البناء والعمران:

عرف فن العمران تطورا كبيرا عند شعوب الأنكا لاتزال الكثير من آثاره بادية حتى اليوم فى مابقى من مدنيتهم، فالأبنية الضخمة والقصور تزين الساحات العامة

والشوارع، والمعابد الضخمة تكاد لاتخلو منها مدينة كبيرة، ولعل أبرز مظاهر العمران تتجلى فى تلك الشبكة الواسعة من الطرق التى تربط العاصمة بجميع أنحاء الإمبراطورية رغم كثرة الأودية والمرتفعات الشاهقة ورغم الطبيعة الجغرافية الجبلية حتى أن كثيرا من هذه الطرق قد شقت على محاذاة أودية سحيقة أو فوق جبل صعب المسالك، وكثيرا ما كانت هذه الطرق تخترق جبالا صلبة عبر ممرات شقها الإنسان أو تمر فوق واد عميق عبر جسر بنى بدقة متناهية. هذه الطرق أدهشت المغامرين الأسبان لدى رؤيتها فى القرن السادس عشر. وإلى جانب ذلك برعوا أيضا فى مختلف الحرف وخاصة فى صناعة الحلى والمجوهرات وفى صناعة الحياكة والنسيج والصباغ والسيراميك وصناعة الفخار التى تعتبر متممة لصناعة البناء والعمران.

وهكذا عندما وصل الأوربيون إلى العالم الجديد مكتشفين ومستعمرين له. كانت شعوب هذا العالم فى حالة حضارية عاجزة تماما عن مقاومة المكتشفين مقاومة ناجحة وبالتالى دخلت أمريكا بالكشوف الجغرافية عصرا جديدا.

ولا يمكن فهم الأسباب والدوافع التى أدت إلى اكتشاف القارة الأمريكية دون أن نستعرض - ولو بصورة موجزة نشوء - حركة الاكتشافات التى بدأت فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر والتى استمرت مدة طويلة مما سمح لإنسان العالم القديم بالتعرف على جميع بقاع الأرض التى كان يجهل وجودها حتى ذلك الحين. ولقد تضافرت عوامل عديدة ومتفرقة فأدت إلى ظهور تلك الحركة وأهمها:

١- تطور الحياة الاقتصادية:

ففى أوروبا ازدادت العلاقات الاقتصادية بين دول القارة مما أدى إلى ازدياد الطلب على المعادن الثمينة وبصورة خاصة الذهب والفضة باعتبارهما وسيلتا التبادل التجارى الوحيدتان المتعارف عليهما والمقبولتان فى العالم آنذاك. ولما كانت موارد الذهب والفضة فى العالم القديم محددة وقليلة ولم تعد تفى بحاجات التجارة الدولية أصبح البحث عن مصادر جديدة لهذه المعادن أمرا ملحا وضروريا.

٢- تطور صناعة السفن:

إذ بات من الميسور بناء سفن أكبر وأسرع وأكثر قدرة على مواجهة الأنواء والعواصف وعلى تحمل السفر الطويل، مما فتح أمام العاملين فى صناعة النقل آفاقا جديدة وسمح لهم بالتوغل كثيرا فى البحار والابتعاد ولمدة طويلة ولمسافات أكبر عن الشواطئ وعن المناطق المسكونة والمعروفة.

٣- مع انتشارأفكار جديدة حول كروية الأرض:

وخصوصا بعد أن ظهر كتاب Imago Mundi لمؤلفه الفرنسى D'Ailly فى بلجيكا فى العام ١٤٨٥ أخذ الناس يميلون إلى الاعتقاد بأن بحرا واحدا يصل بين شواطئ أوربا وأفريقيا وآسيا، وإذا كان هذا صحيحا فليس ما يمنع من الوصول بحرا إلى شواطئ آسيا من شواطئ أوربا متجهين غربا، وهذه الفكرة بذاتها كانت نقطة انطلاق لكثير من المغامرات.

٤- سيطرة العثمانيين على الشرق الأوسط:

منذ أقدم الأزمان كانت تجارة أوربا مع الشرق بصورة خاصة مع الهند تتم عبر بلدان الشرق الأوسط. فبضائع الهند وخصوصا الأفاويه والبهارات المعتبرة فى أوربا من أسباب الرفاه المطلوبة والمتخذة من قبل التجار كمصدر أساسى من مصادر الربح الوفير، كانت تصل إلى أوروبا عن طريق الخليج العربى، فالمرافئ السورية ومن سوريا كان تجار جنوى والبندقية يتولون نقلها إلى أوربا بحرا محققين بذلك أرباحا كبيرة. ومع ظهور الإمبراطورية العثمانية ونمو قوتها المتزايد أخذت تضع العواقيل أمام تجارة أوربا مع الشرق الأقصى حتى قضت عليها تقريبا فى أواخر القرن الخامس عشر فضلا عن الضرائب الجمركية المتصاعدة التى كان يفرضها مماليك مصر ومن هنا بدء الناس فى أوربا يتساءلون عن إمكانية الوصول إلى الهند والاتجار معها مباشرة للتخلص من سيطرة العثمانيين المتزايدة على تجارتهم.

٥- الرغبة فى نشر الدين المسيحى:

كانت هناك رغبة ملحة لدى الكثيرين وخاصة فى الأوساط المتدينة فى العمل على نشر الدين المسيحى فى تلك البلدان التى كانوا يفترضونها وثنية.

اكتشاف الطرق البحرية

بدأت أولى مساعى الاكتشاف فى شبه الجزيرة الإيبرية وبصورة خاصة فى البرتغال وهذا أمر طبيعى نظرا لموقع أسبانيا والبرتغال الجغرافى على المحيط الأطلسى ولإشرافهما على أهم طرق المواصلات البحرية الدولية، فى ذلك الحين يضاف إلى ذلك استعداد ورغبة شعبى البلدين فى الانطلاق نحو آفاق جديدة واكتشاف بلدان مجهولة، وربما أمكننا أن نضيف إلى ذلك رغبة الشعبين فى العمل على نشر المسيحية فى أصقاع جديدة نظرا لما عرف عنهما فى ذلك الحين من تدين ومن تمسك بالمسيحية.

هنرى الملاح:

كان من أبرز الرجال الذين اهتموا بأعمال الاكتشاف الأمير هنرى ابن الملك جان الأول ملك البرتغال، والذى عرف فيما بعد بهنرى الملاح. بدأ هذا الأمير حياته كقائد من قواد الأسطول البرتغالى وهو الذى احتل فى سنة ١٤١٥ مدينة سبتا على شاطئ المغرف محققا بذلك أول خطوة استعمارية فى أفريقيا. ومنذ ذلك الوقت بدء يهتم بأفريقيا بصورة خاصة. فقد جعل مقره فيما بعد فى قرية برتغالية اسمها Sagres فى أقصى الطرف الجنوبى الغربى من قارة أوربا وهناك بنى قصرا لإقامته وبجانبه مرصدا وبسرعة كبيرة تحول قصره إلى مركز للدراسات الجغرافية والبحرية يؤمه العلماء من مختلف البلدان. وقد تركز قسم كبير من جهود هؤلاء فى محاولة تطوير صناعة السفن وجعلها قادرة على مواجهة المحيط الأطلسى والإبحار فيه لمسافات طويلة وبعيدا عن الشواطئ.

وقد أرسل هنرى الملاح الحملة الأولى فى سنة ١٤١٨ فقطعت مسافة طويلة على محاذاة الشاطئ الأفريقى ثم تلتها حملات أخرى سارت فى نفس الاتجاه، أى من الشمال إلى الجنوب على محاذاة الشاطئ الأفريقى الغربى حتى وصل البرتغاليون إلى مصب نهر السنجال. وبفضل هذه الحملات تمكن البرتغاليون من نقل عدد كبير من الزنوج إلى بلادهم حتى أن ليشبونة أصبحت أهم أسواق الرقيق فى أوربا. وفى سنة ١٤٤٥ حقق البرتغاليون نصرا كبيرا باجتيازهم الرأس الأخضر.

ومع تقدم البرتغاليين على الشاطئ الأفـريقى أخذ هنرى الملاح يفكر بتحقيق كسب سياسى لبلاده محاولا حمـايتها من مزاحمة البلدان الأخرى فى هذه المناطق وجـعل الاكتشاف فى الـشرق على شواطئ أفريقيا احتكارا للبـرتغال بواسطة رقيق يحصل عليـه من البابا ولابد من الإشارة إلى أن مـحاولته هذه قد أدت إلى قـيام صراع عنيف بين أسبـانيا والبرتغال للحـصول على تأييد البابوية فى أعـمال الفتح والاستعمار.

كانت وفاة هنرى الملاح فى السنة ١٤٦٠ قد حالت دون رؤيته لنتائج أعماله الباهرة، إلا أن العمل الذى بدأ به لم يتوقف بموته بل تولاه ابن شـقيقه حنا الثانى ملك البرتغال، ففى العام ١٤٨٢ تمكن البحارة البرتغاليون من اجتياز خط الاستواء ووصلوا حتى مصب نهر الكونجو. وبعـد هذا التاريخ بخمس سنوات تمكن البحار دياز Diaz والذى سبق له أن اشـترك فى كثـير من الحمـلات البحرية السـابقة من الوصول إلى خليج Mosselbaai . وكان ينوى مواصلة السير على محاذاة الشاطئ الشرقى لأفـريقيـا لولا أن تمردا بين بحارته أجـبره على العودة. وقـد أطلق على الطرف الجنوبى للقـارة اسم «رأس الأنواء». المعـروف حالـيا باسم «رأس الرجـاء الصالح» وفى سنة ١٤٩٤ أنهت مـعاهدة Tordesillas النزاع بين أسبانيا والبرتغال حول أعمـال الكشف والاستعمـار بجعل جميع المناطق الواقعـة غربى خط الطول المار على بعد ٣٧٤ عقـدة غربا من جزر الرأس الأخضر من حق أسـبانيا والمناطق الواقـعة شـرقى الخط المذكـور مناطق نفـوذ برتغـالية. وبعـد هذا التـاريخ اندفع البرتغاليون بـحماس وقوة فى التوسع نحو الشرق فـجهزوا حملة كبيـرة تتم مهمة دياز وتصل بهم إلى هدفهم الأخير: الهند. وقد ترأس هذه الحملة البحار البرتغالى فاسكو دى جاما بأمر من الملك عـمانويل الأول الذى خلف الملك جان الثانى سنة ١٤٩٥. على العرش البـرتغالى. انطلقت هذه الحـملة فى سنة ١٤٩٧ فاجـتازت رأس الرجاء الصـالح متعرضـة لعواصف وأنواء مرعبـة نقل أوصافها إلينـا شاعر البرتغال Camoes فى ملحمته Les Lusiades . ثم وصلت إلى شـواطئ أفريقـيا الشرقية التى كـانت حتى ذلك التاريخ وقفا على التجـار والبحارة العرب. وهناك وجد البرتغـاليون الذهب والعاج اللذين ما دام سـعوا للحصول عليهـما. وبعدها اتجهـوا شرقا حتى وصلوا فى ايار سنة ١٤٩٨ إلـى شواطئ الهند فى آب من سنة

١٤٩٩ وصل دى جاما إلى ليشبونة عائدا من رحلتـه الطويلة معلنا للعالـم اكتشاف طريق جـديد يصل أوربا بالهند بحـرا وهو الحلم الكبيـر الذى طالما راود أوروبا. ومنذ ذلك اليوم أخـذ البرتغـاليون يعملون لوضع أسس إمـبراطورية برتغـالية فى الشرق.

اكتشاف أمريكا

ولـم يكن الأسبان أقل رغـبة من البرتغاليين فى اكتـشاف بلدان جديدة وفى التـعرف إلى طرق جـديدة للتـجارة مع الشـرق تحررهـم من سيطرة تجـار جنوى والبندقية ومماليك مصر من جهة والدولية العثمانية بأساطيلها القوية فى المتوسط من جهـة على خط التجارة مع الـشرق وبصورة خـاصة الهند. إلا أن الأسبـان كانت تشغلهـم طيلة القرن الخـامس عشر تقريبا سلسلة طويلة من الحـروب خاضوها ضد المسلمين للقضاء علـى آخر ما بقى لهم من معاقل فى شبه الجـزيرة الأسبانية دولة غرناطة. ولـم يتم ذلك نهائيا لعرش قـشتالة إلا فى سنة ١٤٩٢. وبعد هذا التاريخ فقط صار بمقدور فردناند وزوجته إيزابيل الاهتمام بأمور التوسع والاستعمار.

كريستوف كولومبوس:

كريستوف كولومبوس بحار من جنوى التى اشتهرت بتقاليدها البحرية وبأنها مدرسة العالـم البحـرية وبأنها أنجبت كثيرا من رواد عصر الاكتـشاف (كولومبوس، فسبـوتشى، كابوت وغيرهم). رغم شهرته العظـيمة فإننا نجهل الكثيـر عن حياته الخاصة، فالدراسـات والأبحاث الحديثة وخاصة فـى الوثائق القديمة لبلدية جنوى قد أظهرت أنه من مواليد سنة ١٤٥١ وأنه ينتمى لعـائلة متواضعة. كان أبوه يعمل حائكا فى مـدينة جنوى وكان دخله محدودا فـعرف أولاده الفقر والفـاقة وإن كان كولومـبوس يدعى عكس ذلك. وقد عـمل هو فى صغـره حائكا كأبيـه ثم جاب المتوسط مـرات عديدة كتاجـر على الأرجح وبين ١٤٧٠ و ١٤٨٠ قصد ليشـبونة على متن مركب تجارى واسـتقر فيهـا وكان أخوه Barthoiomeo الذى كان يـعمل كرسام خرائط وكبائع كتب قد سبقـه للاستقرار فيها. وعن طريق أخيه تعرف إلى الأوساط العامـلة فى البحر والمهتـمة بشئون صناعـة السفن والدراسات الجغـرافية والفلكية. وقد ورث عن حمـيه البرتغالى والذى كان من رجال حركة الاسـتعمار

مكتبة جغرافية ثمينة عـمل على دراسة ما فيها من مخطوطات وخرائط، ومنذ سنة ١٤٨٠ أخذ يقتنع بإمكانية الوصول إلى الهند عن طريق الإبحار غربا متأثرا بالآراء المعروفة فى أيامه والتى تقول بكروية الأرض. وقـد عرض مشروعه هذا على ملك البرتغـال فرفـضه بناء لتوصـية مسـتشـاريه الذين كانوا من جهـة لا يأمنون كثـيرا للمغامرين الأجانب المتهافتين على ليشبونة من كل حدب وصوب ومن جهة أخرى لايجـدون ضرورة للبـحث عن طرق جديـدة ما دامت لديهم طريق رأس الرجـاء الصالح. ولما كانت زوجـته البرتغالية قـد توفيت فى هذه الفترة فلم يعـد يجد ما يربطه بهذه البلد سافر إلى أسبانيا حيث عرض مشروعه على اثنين من كبار المقربين للعرض وهيآ له مقابلة مع فرديناند وإيزابيلا فى سنة ١٤٨٦ اللذان أحالا الأمر إلى لجنة خاصـة لدراسة نظرا لانشغـالهما فى الحـرب ضد المسلمـين وقد أعطت هذه اللجنة رأيهـا برفض المشـروع بعد خـمس سنوات. وفى هذه الأثناء كـان شقـيق كولومبوس قد عرض هذا المشروع على هنرى السابع ملك إنجلترا الذى رفضه نظرا لتكاليفه الشديدة.

إلا أن الرجل لم ييأس بل عاد ثانية إلى البـلاط الأسبانى بفضل تدخل أحد رجال الدين الأسـبان المقربين من الملكة إيزابيـلا، ليعرض مشـروعه مجددا ومـعه شروطه التى وجـدها الجمـيع غير مـعقـولة بل ومثيـرة للسخـرية. إلا أن البلاط الأسبانى بعد أن انتهى نهائيا من صراعه مع المسلمين عاد فوافق فى ٣٠ نيسان سنة ١٤٩٢ على مشروع كولومبوس وعلى شروطه التى تتلخص فيما يلى: إذا نجح فى مشروعه فيـعين نائبا للملك فى المقاطعات المكتشفة ويعطـى عشرة بالمائة مما ستدره التجارة على هذه المقاطعات من أرباح.

فى الثالث من آب سـنة ١٤٩٢ غادرت البعـثة التى كانت تـتألف من ثلاث سفن والتى كانت تحت قيادة كولومبوس مـتجهة إلى جزر الكنارى، حيث توقفت بعض الوقت. وفى ١٢ تشـرين أول سنة ١٩٤٢ وصل الأسبـان إلى إحـدى جزر الباهاما. ونزل كولومـبوس بنفسه يحمل علم أسبانيا ليـعلن استيلاءه على الأرض الجديدة باسم العرش الأسبانى. إلا أن أمـرا واحدا خيب أمله وهو أنه لاحظ حالة الفقر الشديد التى كانت سائدة بين سكانها أحسن حالا باعتبار أنهم كانوا يحملون فى آذانهم بعض الأقراط الـذهبية، يضـاف إلى ذلك أن طبيعـة هذه الأرض كانت

أكثر غنى لما فيها من أشجار ونباتات. وفي ٢٨ تشرين أول وصل إلى جزيرة كوبا حيث فقد سفينته الكبيرة (سانتا ماريا) التي غرقت في البحر.

وهناك أقام مستعمرة أسبانيولا على أرض جمهورية هايتي الحالية وبذلك أقام أول مؤسسة أوربية في العالم الجديد. وفي ١٥ آذار سنة ١٤٩٣ عاد كولومبوس إلى الشاطئ الأسباني من حيث انطلق ليعلن في البلاط وأمام كبار رجال المملكة اكتشافه الجديد.

وقام كولومبوس برحلته الثانية في أيلول سنة ١٤٩٣ وكان هذه المرة أحسن تجهيزا وأكثر عددا فتألفت حملته من سبع عشرة سفينة عليها ١٥٠٠ رجل. وجعل وجهته جزر الأنتيل أولا ثم توجه إلى هايتي ليكتشف أن السكان قد قضوا على الأسبان الذين أبقاهم في المستعمرة في المرة السابقة. فأقام مستعمرة جديدة لم يكن حظها بأحسن من سابقتها.

ثم قام برحلتين الأولى من سنة ١٤٩٨ إلى سنة ١٥٠٠ والثانية من ١٥٠٢ إلى ١٥٠٤ . وقد وصل خلالها إلى جزر ترينيداد، وإلى هوندوراس وهو لم يخرج على كل من أمريكا الوسطى وإن كان ظل يعتقد حتى وفاته أنه وقد وصل إلى شواطئ آسيا.

ومع الوقت كان نجمه في البلاط يأخذ في الأفول خاصة وأن حساده ومزاحميه كانوا في تزايد مستمر وقد وفقوا مع الأيام في تحريض الملك عليه خاصة حينما ظهر الاضطراب والتمرد في المستعمرة التي أنشأها في العالم الجديد فأرسل الملك أحد رجاله ليحقق في الخلاف بين كولومبوس وأخصامه. إلا أن رسول الملك بادر عند وصوله إلى اعتقال كولومبوس دون أي تحقيق وإرساله مكبلا بالحديد إلى أسبانيا.

وبالرغم من أن الملك أطلق سراحه إلا أنه لم يعد له شيئا من امتيازاته ولا إعاد إليه اعتباره السابق.

قضى السنوات الأخيرة من حياته فقيرا، ومعزولا، ومبعدا عن البلاط والشئون العامة، على الرغم من مطالبته المستمرة بالحقوق التي منحته إياها اتفاقية سنة ١٤٩٢ .

أميركوفسبوتشى Amerigo Vespucci

لم يحل أبعاد كولومبوس عن أعمال الفتح والاستعمار دون متابعة العمل الذى بدأه ذلك الرجل فكثرت رحلات المستكشفين وازداد عدد الباحثين عن المجد والثروة فى البحار، وكان من أبرز هؤلاء رجل إيطالى من عائلة فلورنسية عريقة هو أميريكو فسبوتشى، عمل فى أول حياته فى السلك الديبلوماسى ثم التحق بخدمة آل مديتشى الذين انتدبوه إلى أسبانيا ليشرف على مصالحهم التجارية هناك. وبفضل اتصاله التجارى مع رجال البحر، إذ كان يتولى تموين سفنهم بدأ يهتم بالعالم الجديد ويجمع المعلومات الكثيرة مما سمح له فيما بعد أن يلعب دورا خالدا فى هذا المجال.

والواقع أن دوره فى اكتشاف أمريكا هو فى الحقيقة أقل من دور سلفه كولومبوس. حتى وفاة هذا الأخير كان من المعتقد أن الأرض المكتشفة حديثا ليست إلا قسما من البر الآسيوى. إلا أن بعض معاصريه راودتهم الشكوك فى صحة هذا الاعتقاد وكان فسبوتشى من هذه الفئة من الناس. فقام بعدة رحلات إلى الأرض الجديدة لحساب أسبانيا والبرتغال. وقد توغل كثيرا على محاذاة الشاطئ الجنوبى الأمريكى وربما وصل بين عامى ١٥٠١ و ١٥٠٢ إلى مصب نهر لابلاتا فى الأرجنتين وبعده بلغ خط العرض ٥٢ جنوبا.

ولم يجد أى تشابه على طول الشواطئ التى اكتشفها مع الشواطئ الهندية، إذ كان لدى الأوربيين الكثير من المعلومات عن الهند بفضل ما كتبه رحالة القرون الوسطى الذين زاروا تلك البلاد. وهذا ما دفعه للاعتقاد بأنه أمام قارة جديدة غير متصلة بالعالم القديم. وقد نشرت فى أوربا بعناية العالم الالزاسى Waldseemuller عدة رسائل من فسبوتشى يثبت فيها نظريته وهذا ما دفع الناس بناء لاقتراح العالم المذكور لإطلاق اسم أميركا على القارة الجديدة.

وبعد وفاته بسنة وحدة، أى سنة ١٥١٣ أتى الرحالة الأسبانى Balboa بدليل جديد على صحة نظرية فسبوتشى، إذ إنه وصل فى اكتشافاته داخل الأرض الجديدة إلى المحيط الأطلسى فأثبت أن الأرض الجديدة أمامها بحر ووراءها بحر فجاء اكتشافه تصديقا لنظرية سلفه.

ثم جاءت رحلة ماجلان التى اكتشف فيها ممرا عبر القارة فى قسمها الجنوبى يصل البحر الأطلسى بالمحيط الهادئ ثم انطلق فى رحلة طويلة وصل فيها إلى جزر الفلبين، حيث توقفت بعثته مدة من الزمن. وقد توفى هو هناك إذ أصابه سهم مسموم فى إحدى المعارك التى دارت مع سكان البلاد الأصليين. وقد عادت البعثة أو بعبارة أصح ما بقى من رجالها وسفنها، إذ فقدت من هؤلاء الكثير نتيجة لما واجهته من أهوال ومصاعب فى مسيرتها الطويلة، إلى أسبانيا فى ٦ أيلول سنة ١٥٢٢ وقد استقبل رجالها استقبالا حارا على اعتبار أن الناس كانوا قد فقدوا الأمل بعودتهم. وهكذا ثبت للناس عمليا ولأول مرة كروية الأرض فى عودة رجال مجلان.

ولم يقف الأسبان عند حد الشواطئ بل اندفعوا فى محاولة جدية للتعرف بسرعة على أرجاء الأرض الجديدة واكتشاف معالمها الداخلية فى محاولة لاستعمارها واستثمار خيراتها. وسنذكر بإيجاز أهم المنجزات فى هذا المجال.

فتح المكسيك:

تولى هذه المهمة Cortez وهو مفكر أسبانى ينتمى لعائلة ميسورة بدأ حياته فى دراسة القانون فى جامعة سلمنغا، إلا أن روح المغامرة فيه دفعته لترك الجامعة والهجرة إلى كوبا حيث التحق بخدمة حاكمها. ولما كان هذا الأخير قد نظم عدة حملات إلى شبه جزيرة يوكاتان فقد أوكل مهمة أهداها إلى كورتيز وكانت تتألف من خمسمائة جندى وضابط ومائة بحار و١٤ مدفعا، إلا أن الخلاف لم يلبث أن دب بين الرجلين فاستقل كورتيز بالحملة وأخذ يعمل مستقلا عن حاكم كوبا. وعند وصوله إلى الشاطئ الغربى لشبه الجزيرة نزل هناك بعد مقاومة عنيفة من السكان الأصليين وأسس على الشاطئ مدينة أسماها Vera Cruz وأعلن استيلاءه على البلاد منذ نزوله على الشاطئ باسم ملك أسبانيا. ثم أخذ يتوغل فى البلاد بعد ذلك شيئا فشيئا حتى تمكن من احتلال المكسيك كلها بعد القضاء نهائيا على مقاومة سكانها الأصليين فى آب سنة ١٥٢١ عقب معارك دامية. وبذا قضى على إمبراطورية الأزتيك التى كانت تعتبر أقوى تجمع سياسى بين سكان أمريكا الأصليين.

احتل كورتيـز فيما بعد سنة ١٥٢٤ - ١٥٢٥ بلاد الهندوراس والتى ضـمها إلى املاك أسبانيا، كما أن رجاله احتلوا بلاد غواتيمالا وتوغلوا فى فتوحاتهم حتى وصلوا إلى كاليفورنيا.

فتح البيرو: Pizarro

وهو من سكان جنوب غـرب أسبـانيا من مـواليد سنة ١٤٦٨. وقـد تولى لحساب الملك شـارل الأول غزو بلاد البيرو وبوليـفيا والقضاء علـى إمبراطورية الـ Inca سكان البـلاد الأصليين، الذين كـانوا رغم ازدهار مـدينتهم وكـثرة عـددهم ضعفـاء بسبب حروبهم الأهليـة. ولـم يرافق بيزارو فى حملتـه سوى ١٨٠ رجلا تمكن هؤلاء من إشاعة الذعر بين السكان الأصليين على كثرتهم بفضل استعمالهم للخـيول وأسلحتـهم النارية. ولـم تلبث العـاصمـة كوزكو أن استـسلمت للـقائد الفاتح. وقد أخذ البلاد باسم العرش الأسبانى، وفى ١٨ كانون الثانى سنة ١٥٣٥ أسس على الشاطئ مدينة ليـما لتكون عاصمة لمـتلكاته. إلا أنه لـم يلبث أن قتل فى صراع مع Almagro وهو قائد أسبانى آخر كان يتولى غزو بلاد الشيلى.

جون كابوت Cabot

بالطبع لـم يكن من المقبول لدى الدول الأوربيـة أن تقف مكتوفة الأيدى أمام الاكتشافات الأسبانية فاندفعت الدول البحرية فى أوربا فى مزاحمة عنيفة لاكتشاف أراضى جديدة. وكان كابوت وهو بحار جنوى اغتنى من التجارة يقيم فى بريطانيا منذ سنة ١٤٩٠. وعـقب اكتشـاف كولومبـوس عرض على ملك بريطـانيا هنرى السابع تمويل حملة بحرية تتـجه نحو الغرب. وقد لاقت فكرته حماسـا كبيرا فى بريطانيا، إذ إن الفكرة لـم تكن غريبة عن أذهان الجمـاهير، ففى بريطانيا كان يسود اعتقاد قديم بأن هناك أرضا وراء المحـيط، يضاف إلى ذلك أن الملك نفسه كان قد ندم أشد الندم لرفضه تمويل رحلة كولومبوس حين عـرضها عليه شقيقه برتولومى قبل أن يتبناها الأسبان.

وصل كـابوت فى رحلتـه الأولى إلـى (نيـوفـوند لاند) و (لابرادور) على الشاطئ الشرقى لشمال القارة، وفى رحلة أخرى وصل إلى جزيرة جرنيلاند وعلى الرغم من أن كابوت لـم يحقق مكاسب مالية عاجلة إذ لـم يجـد شعوبا يتاجر معها

إلا أن رحلاته كانت ذات أهمية كبرى بالنسبة لبريطانيا، إذ أعطتها الحجة وربما السند القانونى لادعاء ملكية مساحات شاسعة من الأرض الجديدة ستكون فيما بعد مستقرا لحركة هائلة من الهجرة البشرية من بريطانيا للعالم الجديد. وفى سنة ١٦٠٧ أسس الإنجليز أولى مستعمراتهم هناك وهى مدينة جيمستون فى ولاية فرجينيا الحالية.

وقد أصابت حمى الاكتشاف الفرنسيين فركزوا جهودهم منذ مطلع القرن السادس عشر فى منطقة السان لوران فى شمالى القارة، وفى سنة ١٥٣٦ تمكن كارتييه من التوغل فى منطقة السان لوران حتى وصل إلى حيث تقوم حاليا مدينة منتريال وهو الذى أعطى هذه البلاد اسم كندا وهو الذى أسس فى سنة ١٥٤٠ أول مركز تجارى فرنسى هناك، إلا أن أول محاولة جديدة للاستقرار فى كندا واستعمارها وقعت سنة ١٦٠٨ حين أسس شامبلين مدينة كويبك.

وقد جرفت أيضا هذه الحركة الهولنديين الذين أسسوا مدينة أمستردام الجديدة على جزيرة صغيرة أسمها اليوم مانهاتن فى مدينة نيويورك الحالية اشتروها من الهنود وجعلوها مركزا لتجارة الفراء، إلا أن الإنجليز بادروا فى سنة ١٦٦٤ إلى ضم أراضى المستعمرة لإمبراطوريتهم.

فى سنة ١٦٣٢ أسس السويديون شركة لجزر الهند الغربية. وتمكن هؤلاء فى سنة ١٦٣٨ بعد أن اشتروا قطعة أرض واسعة من الهنود من أن يؤسسوا مستعمرة، كما بنوا حصنا سموه باسم ابنة مليكهم كريستينا. إلا أن الهولنديين اعترضوا على نزول السويديين فى أراضى كانوا يعتبرون أنفسهم أصحابها. وقد أدى هذا إلى نزاع استمر حتى سنة ١٦٦٥ حين احتل الهولنديون الحصن وقضوا على محاولة السويد الاستقرار فى العالم الجديد.



الفصل الثاني

تكوين المستعمرات
والصراع الإنجليزى الفرنسى

منذ أوائل القرن السادس عشر بدأت هجرات متتالية من الأوربيين إلى أمريكا الشمالية، وقد بدأت بمئات من المغامرين، حتى أصبحت هجرات جماعية ضخمة، بدأت بالإنجليز، واستمرت بهم وبغيرهم على مدى ثلاثة قرون، حتى تحولت تلك القارة الموحشة إلى دولة ذات حضارة جديدة، غير أنه - ومن الجدير بالذكر أنه - وقبل ذلك بوقت طويل كانت هناك رحلات كشفية إلى تلك القارة إما لدوافع علمية أو لدوافع اقتصادية.

فقد وصل الأسبان إلى جزيرة كوبا وأصبحت قاعدة لرحلاتهم الكشفية فيما بعد، فاكتشفوا مناطق عديدة فى أمريكا الجنوبية، وكان أهم تلك المناطق: المكسيك، ومدوا تحركاتهم إلى فلوريدا، ثم إلى كاليفورنيا. وبذلك امتد الوجود الأسبانى من المكسيك إلى كاليفورنيا، أما البرتغاليون فقد تركزوا فى البرازيل فى مستعمرة كبيرة، وقد دعم من توسعهم هناك ممارسة زراعة القصب وكانت ناجحة.

على أن الأمر لم يخل من نزاع بين الجانبين من أجل السيطرة وفرض النفوذ، فبدأت أسبانيا بإعلان امتلاكها للعالم الجديد، ورفضت البرتغال هذا الإعلان، لكنه ووفقا لمعاهدة «تورديسيلاس» فى يونية سنة ١٤٩٤م بين أسبانيا والبرتغال، والتى استمدت شروطها من واقع الوجود البرتغالى غير المستقر فى مقابل وجود أسبانى فى مستعمرات ثابتة أكثر استقرارا، وبعد أن آل حكم البرتغال لأسبانيا سنة ١٥٨٠م، ومع توحد الإمبراطوريتين الأسبانية والبرتغالية، ضمت الإمبراطورية الأسبانية أملاك البرتغال فى أمريكا، وأصبحت تلك الأملاك تابعة للإمبراطورية الأسبانية.

لكنه ومن جانب آخر لم يرض الأوربيون بذلك التقسيم الذى أعطى للأسبان والبرتغاليين وحدهم حق الوجود فى تلك الأراضى، وكما سبق القول كان الإنجليز أول من نقض تلك الأحكام البابوية وبدأوا ـ كما هى عادتهم دائما - البحث عن تعاملات تجارية، أو كانت هجراتهم فيما بعد لأسباب دينية أو لأسباب اقتصادية، ومن ثم كانت اكتشافات «چون كابوت» ـ وهو من أهل جنوه والذى موَّل رحلته ملك الإنجليز، وذلك فى أواخر القرن الخامس عشر ـ للأرض الجديدة دليلا لمن تلاه من المغامرين الإنجليز للاستيطان على الساحل الشرقى لتلك الأرض، ومن جانب آخر فقد استند على اكتشافات «چون كابوت» فى ادعاءات ملك إنجلترا بالحق فى ملكية تلك الأراضى الممتدة على ذلك الساحل.

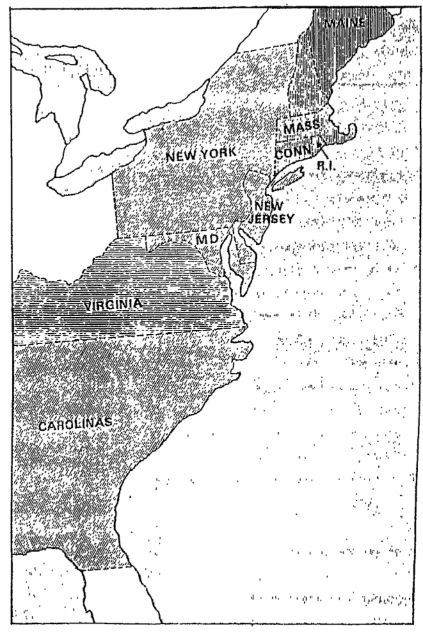
أما الفرنسيون فقد قاموا باكتشافاتهم شمال القارة فتمكن «كارتييه» فى سنة ١٥٣٦م من التوغل فى منطقة «سانت لورانس»، وقد أعطى هذه المنطقة اسم «كندا»، وأسس فى سنة ١٥٤٠م مركزا تجاريا هناك، غير أن المحاولات الهامة للاستقرار فى كندا كانت فى سنة ١٦٠٨م، وذلك بتأسيس مدينة «كويبك».

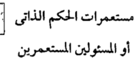
حاول بعد ذلك الهولنديون والسويديون تحقيق وجود لهم هناك، وإن كان الهولنديون قد نجحوا فى تثبيت وجودهم فى الأرض الجديدة؛ فإنهم نجحوا أيضا فى القضاء على محاولة السويديين فى التواجد هناك منفردين فى مستوطنة خاصة بهم.

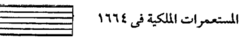
نعود إلى إحدى جانبى محاولات الاستيطان الضخمة، ونعنى المحاولات الإنجليزية، إذ يتضح أنهم استقروا بادئ الأمر فى المناطق الساحلية للشاطئ الشرقى لأمريكا الشمالية، وكانت أول مستوطنة إنجليزية دائمة هناك، ذلك المركز التجارى الذى أنشئ فى «چيمس تاون»، والذى كان نواة لمستعمرة فرچينيا، وذلك فى سنة ١٦٠٧م، ثم انتشرت المستعمرات على طول نهر چيمس، والواقع أن ذلك النهر ساعد كثيرا على انتشارها، وكما ساعد ذلك النهر، فقد كانت هناك أنهار عديدة دعمت ذلك الانتشار، وهى: هدسن، وديلاوير، وسكويهانا، وبوتومالك، وبى

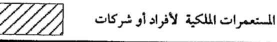
خريطة وقم (١)

المستعمرات الملكية سنة ١٦٦٤م




مستعمرات الحكم الذاتى
أو المسئولين المستعمرين


المستعمرات الملكية فى ١٦٦٤


المستعمرات الملكية لأفراد أو شركات

دى، وسانت لورانس. وبرغم كثرة تلك الأنهار، فإنها لم تيسر التوغل داخل القارة، حيث لم يكن يجرى منها إلى الغرب سوى نهر سانت لورانس، والذى كان تحت سيطرة الفرنسيين حينئذ، المهم أنه قد كونت فى النهاية ثلاث عشرة مستعمرة كانت هى الأساس فيما بعد لتكوين جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية.

تكونت إذن تلك المستوطنات بادئ الأمر بدافع المغامرة أو السعى وراء التجارة والربح، كذلك كان للعامل الدينى أثره فى الإسهام فى تكوين تلك المستعمرات، ثم كانت هناك العوامل السياسية فى إضافة لأسباب الهجرة وزيادة عدد المستوطنات.

كما سبق القول، تعددت أسباب الهجرات الإنجليزية للأرض الجديدة، كما تعددت وسائل وأساليب نقل المهاجرين، وأما فيما يتعلق بواحدة من أسباب الهجرة فقد كانت الهجرة - إما بسبب الاضطهاد الدينى، أو رغبة فى نشر مذهب معين - هى السبب وراء ذلك، ومن ثم كانت أولى الهجرات لأسباب دينية تلك التى جرت من جانب فقراء البيوريتان أو الحجاج من إنجلترا، وهم من كانوا مواطنين إنجليز ينتمون إلى الكنيسة الإنجليزية، ورغبوا فى إصلاح تعاليمها وتبسيط طقوس الصلاة والعبادات، وقد رؤى حينئذ أن أفكارهم تهدد بالانقسام الدينى، وهو الأمر الذى كان يمكن أن يؤدى إلى تقويض دعائم السلطة الملكية، ومن ثم فقد اضطهدوا، ومع ازدياد الاضطهاد لهم هاجر بعض من فقراءهم إلى ليدن بهولندا، ومن هناك ومعهم بعض الهولنديين هاجروا إلى الأرض الجديدة إلى منطقة أسموها باسم ميناء إقلاعهم من إنجلترا وهى «بليموث» وذلك سنة ١٦٢٠م، وإن كان لم يقدر لتلك البلدة النمو إلا فى حدود ضيقة[1].

---

(١) توضح مراجع أخرى أن أولى الهجرات كانت على يد أتباع كلفن، وهم من كانوا قد أنكروا على الملك السيادة على الكنيسة، ورغبوا فى إقامة كنيسة مستقلة، بالإضافة إلى أفكارهم الدينية المتنورة والمتحررة حينئذ، وقد رؤى أن أفكارهم تهدد بالانقسام الدينى مما =

وفى عـهد «شـارل الأول» وفى سنة ١٦٢٥م ولما زاد الاضطهـاد، وخاصـة لزعمـاء البيوريتـان، هاجر هؤلاء إلى الأرض الجـديدة وأسسوا مـستعـمرة خليج مساتشوسـتس، وذلك بدءا بتلك البلدة الصغيرة فى سالم، والتى كان قـد أسسها «چون أنديكوت» وبعض البيـوريتان سنة ١٦٢٨م، وقد اتخـذت مستعـمرة الخليج شكلها فى سنة ١٦٣٠م، استمرت هجرات البـيوريتان وغيرهم، حـتى أنه بنهاية العقد الثـالث استطاع البيوريـتان أن يطبّعوا سـتـة من المستعمـرات الإنجليزية بطابع المستعمرة الأم «خليج مساتشوستس» وذلك فى سنة ١٦٤٠م.

ثانى الجـمـاعات الأخـرى الإنجليـزية كـانت من الكويكرز، وكـانت لهم هجراتهم أيضـا إلى الأرض الجديدة، وأســسوا مـسـتعـمـرة «بنسلفانيـا» على وجه الخصـوص، علاوة على من هاجـروا أيضا لإحياء المذهب الكاثوليكى سواء فى «ماريلاند» و«كارولينا الشمالية»، وفى جزء من بنسلفانيا مشاركين الكويكرز هناك.

ثم كان لاعـتبارات سـياسيـة رحيل العديد إلى أمـريكا، ففى عـهد الحكم الفردى الجـائر «لشارل الثانى» فى سنة ١٦٣٠م رحل الكثيـر إلى الأرض الجديدة،

= يمكنه أن يؤدى إلى تقويض دعـائم السلطة الملكية، وهؤلاء كـانوا من قرية «سكروبى» فى مقـاطعة «نوتنجـهام» الإنجليـزية، وهؤلاء قد هاجـروا من هناك بعد أن ازداد الاضـطهاد لهم، ، هاجروا إلى ليدن فى هولندا، ومن هناك فى ١١ ديسمبر سنة ١٦٢٠م هاجروا إلى الأرض الجديدة، وقد جاءت رحلتهم على السفينة مايفلاور «Mayflower» أو زهرة الربيع» وكانوا مـائة واثنين فردا، مـات نصفـهم أثناء الرحلة، واسـتـقرت سـفينتهم عـلى ساحل مساتشوستس فى منطقة أسموها بليموث على اسم ميناء رحيلهم.
وإن كـانت مراجع اخـرى توضح أن أولى الرحـلات الدينيـة للأرض الجديدة كـانت من جانب البيوريتان، كما هو موضح فى المتن.
وربما جاء ذلك الخلط إما لسوء الترجمة فى الكتب المترجمة، أو للخلط التاريخى ربما غير مقصـود من جانب الأمريكيين، على أن الأهم أن سـاحل «مساتشوسـتـس» قد حوى فى الغالب مـستعمرات كـونتها هجرات دينيـة، كما جاءت هجراتهم تحت ضـغط واضطهاد النظام الملكى القائم فى إنجلترا، أو حتى تحت ضغط زعماء الكنيسـة الوطنية.

وفى عهد الثـورة ويفوزكروموبل ولقوة نفـوذه ونفوذ أتباعه رحل كثيـر من فرسان حزب الملك إلى هناك فى سنوات ١٦٩٠م، ١٧٠٠م، ١٧١٠م على التتالى.

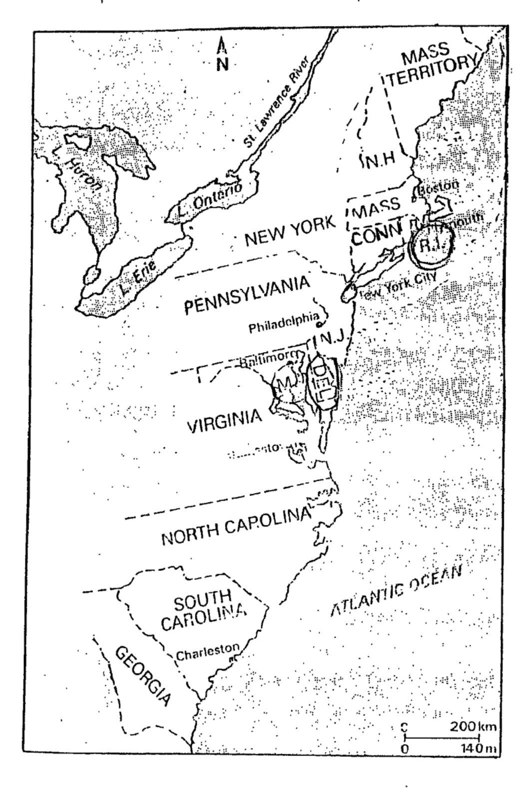
المهم أنه وبعد عام ١٦٨٠م لم تعد إنجلترا المصدر الرئيسى للمهاجرين، فقد وفد - ولأسـباب متـعددة سـياسيـة واقتصـادية واجتمـاعيـة، أو هربا من الحرب وويلاتها - كـثير من الألمـان، وكثيـر من أيرلندا الشماليـة بسبب الفـقر، ثم من أسكتلندا وسويسـرا، ومن فرنسا، حتى بلغ عـدد السكان سنة ١٦٩٠م ربع مليون نسمة، ثم أخـذ العدد يتضاعف مرة كل (٢٥ سنـة) حتى زاد على (٢,٥ مليون) نسمة سنة ١٧٧٥م، وقد صهروا جميعا فى ثقافة هى مزيج من الصفات الإنجليزية والأوربية تكيفت وفق الأحوال فى تلك الأرض الجديدة.

وبعد.. كيف كان يتم تكوين تلك المسـتعمرات، وخاصة أن نفقات الرحيل وإعداد المستـعمرة لم تكن فى مقـدور المهاجرين، والذين كانوا فـى الأغلب فقراء ويسـعون إلى التـربح، أو كانوا تحت ضـغوط دينيـة لم تسمح لهم بتـوفيـر تلك النفقات، والواقع أنه كان هناك عديد من الطرق:

أولا ـ تمثلت فى قيـام بعض الشركات التى أسست خصيـصا لذلك الغرض بتولى نفقات وعـمليات النقل، ثم تأسيس المستعمـرة، باعتبارها عملية اسـتثمارية صرف لتلك الشركات، ومن ثم فقد ترتب على ذلك وبعد إنشاء المستعمرة تبعيتها كلية لتلك الشركـات، وخالص ولائها للدولة الخارجة منها تلـك الشركات، وقد أسست شركة «لندن» والتى أسهمت فى إنشاء عدد من المستعمرات كانت تدار وفقا لنظم الشركة وتحت سيطرتها وفى ولاء كامل لملكتها إنجلترا.

ثم كانت هناك شركـة بليموث، كذلك شركة خليج مسـاتشوستس، والتى أسسهـا أثرياء البيوريتـان وذلك فى سنة ١٦٢٩م، ثم حولوها بأعضائهـا كلية إلى مستـعمرة بنفس الاسم،والتى أصبحت نـواة لتكوين عديد من المستعمـرات ـ كما سبق ذكره ـ ذات طابع دينى وذات حكم شعبى، وكانت نموذجا فى الحكم يحتذى

خريطة رقم (٢) المستعمرات الثلاث عشرة فى سنة ١٧٥٠م



به، ربما صاغ شكل الحكم فى الولايات المتحدة كلها فيما بعد على أسس ديمقراطية.

ثانيا - مسئولية الملك أو المتملكين فى إنشاء المستعمرات، وكانت هناك منحة الملك أو المتملكين، وكان المالك واحد ينتمى إلى طبقة النبلاء أو الطبقة الراقية فى إنجلترا، وهم إما أنهم كانوا يمنحون من الملك قطعة أرض كبيرة، أو أنهم كانوا يُملَّكونها إيفاء لدينه تجاههم، وهؤلاء كانوا مسئولين عن إعداد تلك الأرض للاستيطان بأموالهم الخاصة، مثال ذلك ما تلقاه لورد «بلتيمور» فى «ماريلاند» كمنحة عمل على تأسيسها وإعدادها، و«وليم بن» فى بنسلفانيا، ثم المقربون للملك تلقوا «كارولينا» كمنحة، وقد مُنح هؤلاء بالذات سلطات حكم واسعة منحتهم حكما مطلقا لتلك المستعمرات (انظر خريطة رقم ١).

على ذلك وحتى سنة ١٧٥٠م توطدت دعائم المستعمرات الثلاث عشرة، محتوية حوالى ١,٥ مليون نسمة تشكلت فى أربع قطاعات محددة، وقد تشكل القطاع الأول من مستعمرات «نيو إنجلند» والتى احتوت مستعمرات إقليم «خليج مساتشوستس، و«رود أيلاند Rohde Island»، و«كونكتيكت»، و«نيوهافن»، وقد اندمجت الأخيرة فى «كونكتيكت»، ثم «نيوهامبشاير»، واستمرت نيو إنجلند فى التوسع باضطراد حتى وصلت إلى المحيط الهادى.

كان سكان نيو إنجلند كلهم من أصل إنجليزى صرف، وهم من تسموا «باليانكى» وقد اعتزوا بأصلهم إلى حد كبير، ولم يشذ عنهم سوى رودأيلاند لكثرة المتطرفين السياسيين ورجال الدين المنشقين بها، عن تطرفات مستعمرات مساتشوستس الدينية فيما يتعلق بالانتخاب والترشيح وغيره، وكانت أغلبية السكان تقريبا من البيوريتان.

أما القطاع الثانى، فقد احتوى المستعمرات الوسطى وهى: نيويورك، ونيوجيرسى، وبنسلفانيا، رديلاوير، وماريلاند. وقد كانوا أكثر تسامحا، فيما يتعلق بالتعصب الدينى، غير أنهم كانوا أقل رقيا من مستعمرات نيو إنجلند، وقد

تكون السكان بـهـا من الكويكرز الإنجليـز، والألمان، والسـود، والأسـكتلنديين، والأيرلنديين، وكان سكان هذه المسـتعمرات شـديدى العداء لمبدأ الرق واسـتخدام الرقيق.

أما القطاع الثالث، فقد احتوى المستعمرات الجنوبية، والتى احتوت مستعمرة فرچينيـا وكارولينا الجنوبية والشمـالية وچورچيا. وكانوا هؤلاء يؤمنون كلـية بمبدأ اسـتخدام الرقـيق، فكان عدد العبـيد فى فـرچينيا يمثل نصف عـدد سكانها، أى حوالى (٢٢٥ ألف) مـن السود، أما فى كـارولينا الجنوبية فـقد تجـاوزت أعدادهم السكان البيض بمعدل (٢ : ١) وبسبب استخدامهم فى المزارع الشاسعة هناك.

أما الـقطاع الرابع، فقـد تكون من الشريط السـاحلى أو ما عـرف «بالريف الداخلى» أو «الحدود». وقـد عاش هناك قوم خـشنون بسطاء جسـورون ذو مظهر أمريكى قح، وقد امتد هذا القطاع من مين شمالا إلى چورچيا جنوبا.

وعلى ذلك استقرت المستوطنات فى النهاية على ثلاث عشرة كانت هى التى شكلت الولايـات المتـحـدة، وهى بعـد تحـول واندمـاج بعض المسـتـوطنات؛ مساتشـوستس، رود إيلاند، كونكتيكت، رديلاوير، نيـوهاميشاير، نيـوجيرسى، نيويورك، بنسلڤانيا، ماريلاند، كـارولينا الشمالية، وكـارولينا الجنوبية، فرجـينيا وجورجيا (انظر خريطة رقم ٢).

نظام الحكم:

وبعد.. لنا أن نتساءل، ومع طريقة تكوين المستعمرات سواء يدعم من أثرياء إنجلترا أم بواسطة الشـركات، والتى كـرست كلها الـولاء للمملكة الإنجليـزية من جانب تلك المستعمرات.. ما هو نظام الحكم الذى طُبق هناك حينئذ.

أولا: فيما يتعلق بمنطقة خليج مساتشوستس ومستعمراتها، وباعتبارها موطنا للبيوريتان، أنشأت فيها حكومـة دينية، وإن كان ظاهرا انفصال الدولة عن الكنيسة إلا أنهما فى حقيـقة الأمر كانتا شيئا واحدا، فكانت جـميع النظم خاضعة للدين،

وتمتع رجال الدين بالنفوذ والسلطان، فى نظام حكومى صمم لذلك، وأخذت مدن المستوطنة الأم بأهداب النظام الكنسى، ومع كل ذلك كـان الحكم شعبيا، إذ ناقش الأهالى المسائل العامة، وساهموا فيمـا تطلبه الدولة من التزامات، عامة وخاصة، ثورية وغيرها. واستمر ذلك الوضع زهاء نصف قرن فى جمهورية بيوريتانية، لقد كان ذلك نموذجا يحتذى به، ربما سارت على نهجه باقى مسـتوطنات نيو إنجلند، فكان الحكم أهليا من أعضاء مـنتخبين من أهلها، ومن ثم عندمـا حُولت إلى إقليم للتاج الإنجليزى سنة ١٦٩١م ظلت الهيئة التشريعـية بها قوية، كان الملك يعين فيها الحاكم فقط. أما أعضاء المجلس النيابى فكان يختارهم الأهالى (المستوطنون).

ومع ذلك كانت قد ظهرت آراء من بعض مسـتوطنيها ورجال الدين بضرورة انفصال الكنيسة عن الدولة، ومنهم «روجـر وليامز» وهو بروتستانتى من سالم فى منطقـة الخليج، أخـذ يدعو لفـصل الكنيـسة عـن الدولة، وتكون عن ذلك بلدة «بروفيـدنس» على يده كنواة فى بطاح «روديلاند» سنة ١٦٣٦م، بل إنه وفى نفس العام أيضا نزح الأب «توماس هوكر» بجزء كبير من أبرشـيته من كمبريدج مباشرة إلى كونكتيكت، وقد نظمت أيضا هجرات من المستـعمرة هربا من قيود الالتزامات الدينية، وشارك فيها المتحررون فكريا بيوريتان وغيرهم، وقد أدى ذلك إلى تكوين مستعمرات أخـرى، حيث أُلغى فيها شرط الانتماء للكنيسـة كمؤهل للتصويت أو الانتخاب، وخاصة فى روديلاند وكونكتيكت، وأخـذت تلك المستعمرات الفرعية فى الازدهار منذ سنة ١٦٥١م.

إذن فى حـالة خـاصة انـفردت روديلاند وكـونكتـيكت بممـارسـة نوع من الاستقلال الذاتى، وكانت قد قطعت شوطا طويلا من التطور والازدهار، حتى أنه لما جاء عام ١٧٠٠م كانت هاتان المستوطنتين أول من وضـعتا دستورا مكتوبا، هذا بعكس المسـتعـمرات الممـنوحة أو المملكة، والتى طـبق فيـها نظامـا صارمـا دون مشاركات شعبية فى الأغلب.

كانت أولى ممارسات الحكم فى تلك المستعمرات المؤسسة بشركات أو بتملك أو منح، فى مستعمرة فرچينيا، والتى جاء أول مجلس تشريعى لها فى ٣٠ يوليو سنة ١٦١٩م مكونا من حاكم وستة من أعضاء الكنيسة واثنين من الأهالى كل واحد منهم يمثل (١٠ مزارع)، لكن مع إلغاء تفويض شركة لندن، قام ذلك المجلس التشريعى أو كما سمى حينئذ «مجلس مندوبى المواطنين» بدور أكبر ومهام أوسع، وقوى موقف ذلك المجلس مع الوقت إلى حد أن وقف فى موقف مضاد للحاكم.

على العموم كان الإطار السياسى المعمول به للحكم واحدا فى جميع المستوطنات، فقد كان الملك أو المالك يُعين الحاكم وغالبا ما كان إنجليزيا، ويساعده أيضا مجلس يتم تعيينه، بينما كان الحاكم بريطانيا باستمرار، **فإن أعضاء المجلس كانوا من المستوطنين فى الأغلب**، ظهر ذلك جليا فى مستعمرات الوسط والجنوب فى نيويورك ونيو چيرسى وفرچينيا وكارولينا وچورچيا، ثم فى مستعمرات المالكين، فى ماريلاند وديلاوير وبنسلفانيا.. بالطبع كل هذا باستثناء مستعمرات البيوريتان والمستعمرتين المنشقتين عنهم: ردوايلاند وكونكتيكت.

كان للحاكم سلطة واسعة، فهو الذى يدعو المجلس التمثيلى للمستعمرة، ويتولى الإشراف على شئون الأمن وإدارة القوات المحلية، وكان يساعد الحاكم مجلس استشارى يضم (١٢ عضوا) معينون من قِبَل السلطة التى عينت الحاكم وهو الملك أو المالك، وسلطة هذا المجلس استشارية، وفى بعض الأحيان كان يقوم بدور السلطة القضائية العليا فى المستعمرة، وكان هذا المجلس مواليا للسلطة، أما السلطة التشريعية الأساسية، فكانت بيد المجلس التمثيلى الذى يجرى اختيار أعضائه بالانتخاب العام من قِبَل سكان المستعمرة، وكان للملك فى بريطانيا، وللحاكم أيضا، سلطة النقض لقرارات هذا المجلس، ولم يكن ذلك ينطبق خاصة على الشئون المالية، وخاصة ما يتعلق بحق فرض الضرائب، **فقد كان للمجلس التمثيلى سلطات واسعة مالية**، وقد أدى ذلك مع الوقت إلى التقليل من سلطات

الحاكم، كما مكنت المجلس مع الوقت من السيطرة على كافة الشئون فى المستعمرة، ووسعت سلطاتهم، بل والقدرة على مناوأة السلطة الملكية فى إنجلترا ذاتها.

أما البرلمان الإنجليزى فكانت له السلطة العليا فى مجال التشريع فى المستعمرات، شأنها شأن باقى الممتلكات البريطانية، وذلك فيما عدا شئون الضرائب فى تلك المستعمرات، ومع ذلك كانت قرارات ذلك البرلمان مُعاقة عن التنفيذ إما لبعد المسافة بين جهتى التشريع والتنفيذ، (أو للنفوذ وعدم الانصياع الأمريكى) مع وضوح اختلاف المصالح بين الجانبين حكاما ومحكومين.

ورغم الولاء المعلن من جانب المستوطنات الأمريكية سياسيا للتاج البريطانى، فإنه وبمرور الوقت بدأت تظهر اتجاهات سياسية جديدة عند الأمريكيين، وخاصة بعد تبلور الشعور لديهم بالتفرقة بين الحكام والمحكومين من جانب الحكومة البريطانية، كما أن التاج مارس سلطاته هناك للحفاظ على استثمارات ومكاسب فئة من المقربين للملك الإنجليزى، وهو ما جعلهم يشعرون بأن الحكومة الإنجليزية لا تعاملهم من حيث الحقوق السياسية بنفس درجة معاملة الوافدين من المقربين، ولقد وسع من الفجوة بين الجانبين الإنجليزى والمستوطنين عدم الموافقة على تمثيلهم فى البرلمان الإنجليزى.

التخلص من الحكم الخارجى:

وبمرور الوقت كان لابد من أن يوضع حد لذلك الوضع السياسى، والذى كان معقدا، وخاصة مع أوجه الاختلاف السابق عرضها، وكان لابد من التخلص من تلك القوى الخارجية الحاكمة، رغم أن السياسة هناك لم تكن مقيدة بدرجة مماثلة لما كان يجرى فى باقى الممتلكات البريطانية، ومن ثم كانت الإرهاصة الأولى فى اتجاه الاستقلال عندما سمحت شركة «لندن» لمستعمرى فرچينيا بالحق فى التمثيل الحكومى، حيث وجهت الشركة سنة ١٦١٨م تعليمات بقرار إلى الحاكم

المعين «بأن من حق الأحرار من أهالى المزارع أن ينتخبوا ممثلين عنهم يشتركون مع الحاكم والمجلس المعين فى سن القوانين لصالح المستعمرة».

طبق ذلك التطور بشكل عام فى باقى المستعمرات، وكان دور المجالس المنتخبة محدودا فى بداية الأمر فى مسائل التشريع، لكن هذا الدور تضخم تدريجيا، حتى أصبح المستوطنون يمتلكون ناصية السلطة؛ ولقد تمسك المستوطنون بحقهم خاصة فى الإشراف المالى، والتشريع، وخاصة فيما يتعلق بحق فرض الضرائب، وباعتبارهم جمعية تشريعية ممولة للأنشطة التنفيذية الحكومية يمكنها إسهامها من ذلك الحق.

ويعد السماح لمستعمرة فرچينيا بحق تمثيل مواطنيها فى الحكومة منذ ١٦١٨م تلتها ماريلاند وبنسلڤانيا ثم كارولينا الشمالية والجنوبية ونيوچيرسى، ومن بعد نيويورك وچورچيا فى ممارسة هذا الحق ومن قبل كل هؤلاء كانت نيو إنجلند، والتى ـ كما أوردنا ـ تمتعت ولسنوات عديدة بحكومة ذات استقلال ذاتى، علاوة على البيوريتان منهم، وقد كانوا بعيدين عن أى سلطان حكومى فأسسوا لأنفسهم نظاما سياسيا أسلوبا للحكم كانوا قد اشتقوه مما أجملوه ببساطة فى ميثاق ماى فلاور ولسنوات عديدة لم يتدخل أحد فى شئونهم.

وعلى مر السنين استولت المجالس التمثيلية على صلاحيات الحكام وعلى صلاحيات هيئاتهم الاستشارية المؤلفة من جماعة من أهل المستعمرات فى الأغلب عرفوا بتأييدهم للسلطة الملكية، وانفصل مركز إدارة المستعمرات بالتدريج من لندن إلى عواصم المقاطعات الأمريكية.

كانت للحكومة البريطانية ردود أفعال إزاء هذا الذى يحدث، فكانت قد أقامت دعوى على الشركة التى تحمل ترخيص الإنشاء متجاوزة شركة لندن لتقيمه ضد الشركة التى أقامت مستعمرات مساتشوستس باعتبار منشئيها زعماء لتلك التطورات المضادة لبريطانيا، وباعتبارهم جمعية تشريعية شعبية ممولة لأنشطة

المستعمرة كلها، فألغى هذا الترخيص سنة ١٦٨٤م وبذلك أصبحت جميع مستعمرات نيو إنجلند تحت إشراف الملك ووضعت السلطة التامة فى يد حاكم معين من قِبَله، خلافا لما كان يجرى فى تلك المنطقة، ولقد باعد ذلك الإجراء كثيرا بين مستوطنى ماساتشوستسى وبين بريطانيا (انظر خريطة رقم ٣).

ولقد بذلت بريطانيا محاولة لتعديل العلاقة بين المستعمرات وإنجلترا تعديلا جوهريا، إذ إنه وفى مستهل القرن الثامن عشر ركزت بريطانيا على أن يكون من أهم أهداف تلك الحركة، حالة مناسبة الظروف لذلك، هو طرد الفرنسيين نهائيا من أمريكا الشمالية، مع إجراء التعديلات الجوهرية المطلوبة فى العلاقات لكل مستعمرات الساحل، والمستوطنات المتوقع إنشائها فى أراضى الغرب بعد ضمها.

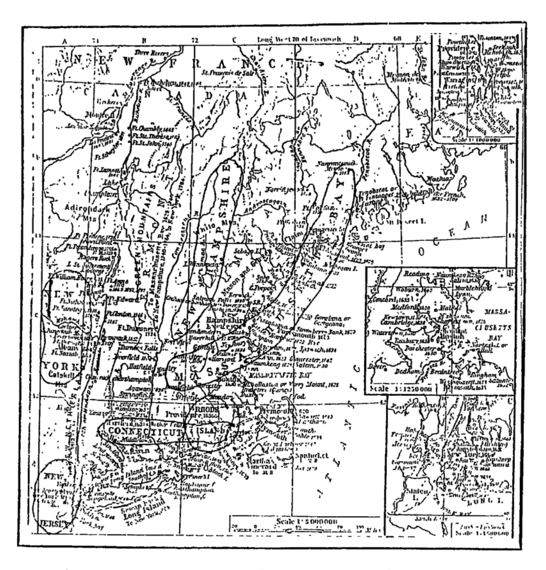
وكان ما شغل فكر صانعى القرار البريطانيين هو ازدياد عدد المستعمرات البريطانية وتطور مكانتها؛ وهو أمر دعى إلى ضرورة التوسع لإيجاد أراضى جديدة؛ وكان الفرنسيون خاصة قد شغلوا مساحة ضخمة بدون أن يتركوا الفرصة لإمكانية توسيع مستعمرات الساحل تجاهها، ومن هنا كان بحث مسألة المشكلة الاستعمارية أمرا ضروريا.

كان الفرنسيون قد استولوا على إمبراطورية ضخمة تمتد من كيبك شمالا إلى نيوأورليانز فى الجنوب، وهكذا عملوا على حصر البريطانيين فى ذلك الشريط الساحلى الضيق وهو أمر اعتبره الإنجليز تعديا عليهم؛ ولذلك وبهذا الصدد كانت قد دارت حروب متقطعة من سنة ١٦١٣م إلى سنة ١٧٦٣م بهدف إحراز السيطرة الفرنسية أو الإنجليزية فى القارة الأمريكية؛ وانتهت فى ذلك العام الأخير إلى التخلص من الوجود الفرنسى فى أمريكا الشمالية وتفصيل ذلك:

أنه فى واقع الأمر كان الفرنسيون قد قاموا بالعديد من الاكتشافات استمرت من سنة ١٦٣٤م إلى سنة ١٧٥٠م. وبعد عديد من تلك الاكتشافات من كندا شمالا إلى خليج المكسيك جنوبا، وعبر وادى المسيسبى العريض فى منطقة سمّيت بـ«لويزيانا» تيمّنا باسم الملك لويس الرابع عشر راعى تلك البعثات، أعلن

خريطة رقم (٣)

توضح مستعمرات نيو إنجلند ومن بينها ماساتشوستس سنوات ١٦٠٧م إلى ١٧٦٠م



يتضح من الخريطة أن مستعمرات نيو إنجلند هى خليج ماساتشوستس ثم بليموث الجديدة دينى ونيو هامشاير وكونيكتيك ورودايلاند، غير أنه وبين سنوات ١٦٨٦م إلى ١٦٨٩م تطورت لتشمل مستعمرة خليج ماساتشوستسى ومنطقة خاضعة لها فى مينى ثم نيو بليموث ونيو هامشير ورودايلاند وكونكتيك ونيويورك ونيو چيرسى الشرقية والغربية.

الفرنسيون استيلاءهم على تلك الأراضى؛ غير أنه كان استيلاءً نظريا لم تدعمه القوة أو التجهيزات، واستمر الفرنسيون طيلة النصف الأول من القرن الثامن عشر فى التعرف على الوادى الكبير وعلى روافد النهر حتى وصلوا إلى أولى مرتفعات جبال روكى فى الغرب.

ومن ثم وفى سنة ١٧٥٠م تقريبا كانت الممتلكات الفرنسية تشمل مساحة شاسعة من الشمال إلى الجنوب ضامة قسما كبيرا من كندا ووادى المسيسبى والقسم الغربى الأوسط من أراضى الولايات المتحدة حاليا؛ وهى أراضى شكلت كلها هلالا ضخما حول مستعمرات الساحل الإنجليزى الممتدة من كندا فى الشمال حتى فلوريدا جنوبا، والممتدة غربا حتى جبال الأليكانى؛ كانت الممتلكات الفرنسية أكبر كثيرا من أراضى المستعمرات الإنجليزية (انظر خريطة رقم ٤).

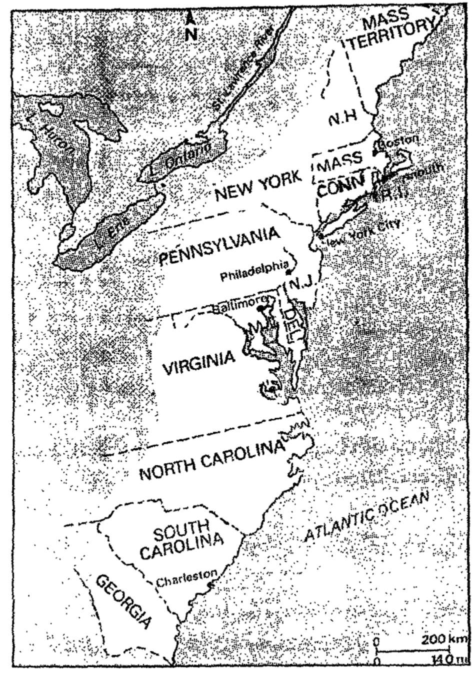
غير أن ذلك الوجود الفرنسى كان غير مستقر الأركان، فكان عدد المهاجرين الفرنسيين إلى تلك المناطق ضئيلا قياسا إلى مساحتها، ورغم أن الفرنسيين حاولوا تعويض ذلك بالتحالف مع الهنود والتزاوج مع كثير من قبائلهم، إلا أن ذلك لم يحل المشكلة؛ ومع تحرك الإنجليز لحسم مسألة أيلولة تلك الأراضى الشاسعة فى الشمال والجنوب وفى الغرب الأوسط؛ بات واضحا أن الحرب بين الفريقين الإنجليزى والفرنسى قادمة، بل كان ممكنا التنبوء بنتيجة ذلك الصراع.

والواقع أنه ومع الرغبة المحمومة للتاج البريطانى فى ضم تلك الممتلكات، كانت هناك أسباب أخرى قد بلورت أهمية توجيه ضربة للفرنسيين فى أية منطقة من العالم، انعكاسا لما كان يجرى من أحداث على المسرح الأوربى؛ فها هو الخلاف قد دب بين فرنسا وإنجلترا مع تأييد لويس الرابع عشر لجيمس الثانى ملك إنجلترا بعد فراره إثر تولى «وليام أوف أورانج» سنة ١٦٨٨؛ ومع اشتداد الصراع الفرنسى الإنجليزى فى أوربا طوال القرن الثامن عشر كان الاقتراب من الصراع المسلح بين المستعمرات الفرنسية والإنجليزية فى الأرض الجديدة وشيكا.

كما كان للصراع الدينى الدائر فى أوربا بين البروتستانت والكاثوليك أثره أيضا فى نقل حمى ذلك الصراع إلى أمريكا.

خريطة رقم (٤)

توضح اكتشافات المسيسبي الفرنسية بين ١٦٧٣م إلى ١٦٨٢م



طريق بير ماركيت ولويس جوليت ١٦٧٣

طريق روبرت كافلين دي لاسال ١٦٨٢

وأخيرا، وكما سبق القول كان للأهداف الاقتصادية دور أساسى فى حتمية ذلك الصراع فمسائل التجارة والملاحة والأراضى والزراعة، وموطن الفرار الأصلى فى سانت لورانس كمورد لتجارة رابحة، كلها كانت مسائل جذر الصراع حولها.

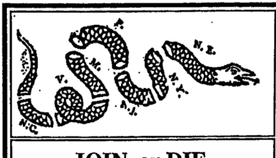
حاول الفرنسيون الاستعداد لمواجهة فرنسية إنجليزية وشيكة، وذلك بإقامة الحصون والقلاع فى امتداد من كيبك شمالا حتى مدينة أورليان على خليج المكسيك - والتى كانت قد وضعت نواة لتشكيلها فى مطلع القرن الثامن عشر؛ فى محاولة لتقييد التحركات الإنجليزية داخل ذلك الهلال، ومنع توسعهم نحو الغرب.

وكما سبق القول، فقد كانت نتيجة ذلك الصراع متوقعة، فقد اتضح أن عدد سكان المستعمرات الإنجليزية كان فى منتصف القرن السابع عشر حوالى (١,٥مليون) فرد؛ أما عدد سكان كندا من الفرنسيين فكان تقريبا (٨٠٠٠٠) فرد، ولم يهتم الفرنسون فى كندا بالزراعة، وإنما ركزوا على التجارة مما قلل من الهجرات إلى تلك الأرض؛ وقلل من فرص استقرارهم بها، علاوة على أن موقف القوات العسكرية الفرنسية مع الاهتمام الموجه لمشاكل القارة الأوربية، كان قد أضعف من موقفها فى الأرض الجديدة، كما أن ضيق مساحة المستعمرات الإنجليزية كان فى صالح الإنجليز مما أدى إلى ترابطها وتقوية وضعهم الدفاعى فى مواجهة الفرنسيين.

وأخيرا، كان لهزيمة الفرنسيين فى حرب السنوات السبع ١٧٥٦م - ١٧٦٣م فى أوربا أثره البالغ على المعارك التى دارت فى الأرض الجديدة بداية من سنة ١٧٥٥م والتى هزموا فيها أيضا، مما جعلهم يبدءون مفاوضات الصلح فى باريس ١٧٦٣م، وقد فُرضت عليهم شروط المنتصر، إذ تنازلوا لإنجلترا عن كل أراضى كندا وعن الأراضى المملوكة لهم على الضفة الشرقية لنهر المسيسبى، أما أراضى لويزيانا الواقعة بين جبال روكى والنهر فقد تنازلوا عنها لأسبانيا والتى تنازلت فى مقابلها عن فلوريدا لإنجلترا، وبذلك تكون فرنسا قد خسرت كل أراضيها فى شمال القارة الأمريكية.

وبذلك لم يعـد هناك من منافس فى الأرض الجديدة لإنجلتـرا إلا أسبـانيا؛ والتى لم يحـسب لها الإنجليـز كثـير حسـاب خاص بعـد غرق أسطولهـا العظيم الأرامادا؛ كما أن أسبانيا كانت قد ركزت اهتماماتها بتنظيم شئونها فى المكسيك.

وهكذا أصـبح الطريق مفـتوحـا إلى الغـرب الأمريكى وبلا حـدود، وهى مشكلة فى حد ذاتها كرست أعباءً ثقيلة على صانعى القرار البريطانيين فى مواجهة ذلك التوسع، بل إنها ربما كانت الشرارة الأساسية فى تحريك الأمريكيين نحو ثورة أدت إلى استقلال تـلك المستوطنات، وخاصة بعدمـا تبين لهم من قدرات عسكرية وإدارية وطنية برزت هنا أو هناك أثناء دعمهم للإنجليز فى مواجهة الفرنسيين.



الفصل الثالث

استقلال
الولايات المتحدة الأمريكية

التحرك نحو استقلال المستوطنات:

بعد ذلك النصر على الفرنسيين ومـع تحقيق الهـدف الأول للتاج الإنجليزى، حاولت الحكومة البريطانية تسوية العلاقات بين التاج والمستعمرات تسوية جوهرية؛ ولقـد تبلور ذلك الاتجاه بـشكل واضح فى عهـد «چورچ الثـالث» بداية من سنة ١٧٦٠م، والذى حـاول تقوية السلطة المركـزية فى بلاده؛ وبالتالـى ربط سيـاسة الإمبراطورية كلها بالنظام فى إنجلترا، كان حكم چورچ الثالث حكما دكتاتوريا فلم يأبه كثيـرا لآراء البرلمان والحكومة، ولقد تجـاوز ذلك الملك صلاحياته فى سـياسه واضحـة نحو المستعـمرات، مقويا مـركزه على حساب حـريتها؛ وخاصـة مع ما كشفته حرب السنوات السبع من ضعف الرابطة بين إنجلتـرا ومستعمراتها من حيث عدم اهتمام الأمريكيين كثيرا بتلك الحرب الدائرة على أراضيهم؛ لا بموقف الإنجليز ولا بموقف الفرنسيين، حتى إنهم أحيانا استمروا فى تجارتهم مع الفرنسيين هناك.

هذا من جانب، ومن جـانب آخر كان فى ضم تلك المسـاحة الشاسـعة من الأراضى ضرورة لاتباع تلك السياسة المتشـددة، وخاصة مع ضرورة حماية الحدود الغربية ضد كثير من الأخطار، منها هجمات الهنود؛ ثم ضرورة تحديد العلاقة بين سكان كندا الفرنسيين؛ وإحكام السيطرة على تحركاتهم باعـتبارهم جانبا كان معاديا لوقت قريب، ثم إدارة شئونهم؛ وقد ألقى ذلك كله على الحكومة البريطانية عبء توفير موارد مالية لتحقيق تلك الأهداف؛ ثم إعداد قوات عسكرية لحفظ الأمن فى مواجهة تلك الأخطار؛ ومن ثم ومع مـتطلبات إحكام الإدارة والسيطرة؛ كان لابد من إشراك سكان المستوطنات فى توفـير تلك الموارد عن طريق دفع الضرائب والتى لم يكن المتحصل منها فى الواقع ذا قيمة كبيرة قبل سنة ١٧٦٣م.

قوانين الضرائب:

رغم أن صلح باريس سنة ١٧٦٣م كان ينبئ باستقرار الأحوال فى السهل الساحلى وشمال وجنوب المسيسبى وفى الغرب الأوسط، لكن أمور أخرى نبأت بأحوال مغايرة، فحالة التباعد التى كانت آخذة فى النمو بين سكان المستوطنات والوطن الأم إنجلترا، وكذلك قرارات چورج الثالث والتى وصفها بعض الباحثين بأنها ذات طابع استبدادى، من حيث تركيز السلطة والتى تطلبتها فى الواقع تطورات الأحداث فى العالم الجديد، ومن ضمنها ضرورة توفير الموارد للسيطرة على الوضع فى تلك الأراضى، كذلك للإسهام فى التزامات الإمبراطورية كلها، والتى أصبحت فى حالة اقتصادية سيئة وخاصة بعد حرب السنوات السبع؛ إنما كلها أمور كانت تدفع دفعا نحو تغيير طبيعة العلاقات بين المستوطنين وبين إنجلترا؛ وخاصة وكما اتضح لضرورة إسهام المواطنين الأمريكيين بدخولهم، ومن ثم فقد فرضت الضرائب تباعا:

أولا - قانون السكر (١٧٦٤م):

كان الهدف من ذلك القانون هو زيادة دخل الخزانة من الضرائب، وبموجبه فرضت ضرائب جمركية على البضائع الواردة من غير المناطق الإنجليزية، كما كان يقضى بعدم استيراد العسل الأسود إلا من المناطق الواقعة تحت السيطرة الإنجليزية ومن ثم فقد فرضت الضرائب على العسل والنبيذ والحرير والبن وعديد من المنتجات الواردة من مناطق أخرى، ولقد حاولت السلطات المختصة إحكام تنفيذ القانون من حيث متابعة مقرراته بدقة ثم مكافحة أعمال التهريب؛ لم يكن فى هذا القانون ما يزعج الأمريكيين ماليا؛ غير أن ما أزعجهم أولا: فرض ضريبة من جانب التاج متعديا حقوق المجالس التشريعية للمستوطنات، والتى كان لها وحدها حق فرض الضرائب، وبذلك تم التعدى على حقوقهم الدستورية، وثانيا: لأنه كان واضحا أن القانون قد فُرض لزيادة الدخل دون تنظيم التجارة بين المستعمرات وغيرها، وكما جاء فى ديباجة القانون «لتنظيم دخل المملكة»؛ وذلك وفقا لقانون

الدخل الملحق فى سنة ١٧٦٤م؛ وكان لهـذا القانون وتلك الديباجة أثرهـا الفعال لتأليب المستوطنين ضد الحكومة الإنجليزية.

ثانيا - قانون العملة «١٧٦٤م»:

وقد سلب هذا القـانون الصفة القانونيـة المحققة للأوراق الماليـة المتداولة فى المستعـمرات، من حيث قانونيتهـا لسداد الديون، وهو أمر أثار ضغينة كـبيرة لدى جماعات المدينين فى كافة المستوطنات البريطانية.

ثالثا - قانون التمرد «١٧٦٤م»:

وهو قانون كان ساريا، وكان يتجدد كل ستة شهور، وقد جدد سنة ١٧٦٤م وطبق على المستعمرات كلها، وكان ذلك القانون مقصورا فيما سبق علي تقديم نجدة سـريعة بقـوات التـمـركز لجـهة الـتمـرد، وهو قـانون أسهم بالـفعل فى إذكـاء الاضطراب.

رابعا - قانون مساكن المستعمرات «١٧٦٥م»:

وقد قرر هذا الـقانون مسئوليـة المستوطنات عن إعداد أمـاكن لإيواء القوات الملكية، والتى فُـرض أن تكون مسئـولة عن حماية الحـدود الغربية ضد هجـمات الهنود ولحفظ الأمن، وكان قد تقرر مركزة حوالى عشرة آلاف جندى هناك، وكان مقر قيادته في نيويورك؛ وإضافة لذلك توفير وإمداد تلك القوات باحتياجاتها.

خامسا - قانون التمغة «١٧٦٥م»:

فرضت هذه الضريبة لموازنة الإنفاق على الدفاع الإنجليزى على المستعمرات، وقد عرفت هذه الضريبـة بضريبة التمغة، وقد أصـاب هذا القانون بالدرجة الأولى رجال الصحف والكتاب ورجال الأعمـال، وقد فرضت تلك الضريبة على أساس لصق طابع يتراوح ثمنه بين ستـة بنسات وستة جنيهـات على الصحف والبطاقات والكتيبـات والرخص والإيجارات والوثائق القانونية، و المستندات التـجارية وعقود البيع والرهن، وغيـرها، ولقد أثار هؤلاء ضجة كبيرة مـضادة لذلك القانون أثرت

فى الرأى العـام، وكان هذا القـانون هو آخـر التدابيـر الإنجليـزية فى تنفيـذ نظام السيطرة مـن جانب البرلمان الإنجليـزى، وبشكل عام أخـذت ولاية فرچينيـا زمام المبادرة فى مـعارضة هذه القوانين، إذ أعلن مـجلس المواطنين أو «مجلس مندوبى المواطنين» فيهـا أنه ما من أحد يحق له أن يفرض الضرائب على أهل فرچيـنيا غير مجلسها التمثيلى، ثم تلتها مساتشوستس فى الحملة على تلك القوانين، ولم تلبث روح المعارضة أن انتشرت فى كل أنحاء البلاد وتشكلت حينئذ جماعة أطلقت على نفسها اسـم «أبناء الحرية» وأخذت تدعو لمقاومة الضـرائب الجديدة ولقد لقى ذلك القانون مـقاومة منظمة وأعنف من كل المقـاومات التى سبقـتها،وقد انتـشرت فى جميع المستوطنات.

نتج عن قوانـين سنوات ١٧٦٤م إلى ١٧٦٥م أن عمت المظاهرات السلمـية بوسطن وغيرها، وبدأت أحـداث العنف تحت توجيه جمـاعة أبناء الحرية، وهبطت التعـاملات التجـارية بوضوح مع إنجلتـرا، من واقع اتفاقيـات عدم الاستـيراد من جانب المستوطنات، ولم توافق المجالس التشريعية للمستوطنات على الإطلاق على قانون التمغة، إلا حال صدوره عن تلك المجالس، وأبطلت المستوطنات العمل به من جانبها.

جاءت المعارضة القوية لقانون التمغة لسببين رئيسيين، الأول دستورى ومؤداه أن الأميريكيين يرون أنه لا يحق للبرلمان الإنجليزى أن يفرض عليهم ضرائب ما دام أنهم غيـر ممثلين فيه، وهو مـبدأ برلمانى إنجليزى قـديم ينص على أن الضرائب لا تفرض إلا بموافقة الشعب ممثلا بنوابه، والسـبب الثانى: كون تلك الضريبة لصالح الدفاع عن المستعمرات ومنها أحكام الرقابة على حركة الملاحة والتهريب، ومن ثم تقوية الرقـابة المالية والجمركـية: وهو أمر سيحـقق المبدأ التجارى القـاضى بجعل الاقتصاد الأمريكى متمما للاقتصاد الإنجليزى، وفى هذا إضرار كبير بمصالح رجال الأعـمال والتـجارة، والذين كـونوا ثروات بتجـاهلهم لقـوانين الملاحة الإنجليـزية مـسبـقا، وهو مـا سيـؤدى إلى ضـربة لهم فى الصـميم، المهم أنه ومع إصـرار الأمريكيين بقوة على آرائهم تنازل الإنجليز عن مـوقفهم وألغى ذلك القانون، وقد أسهم فى ذلك ضغط رجال التجارة الإنجليز لتوقف مصالحهم تقريبا مع المستوطنات

وذلك سنة ١٧٦٦م، ومن جانبهم أبطل التجار الأمريكيون العمل باتفاقية عدم الاستيراد التى كانوا قد أقروها، واستكانت جماعة أبناء الحرية، غير أنه وتحسبا للظروف كان البرلمان الإنجليزى قد أقر قانونا بصلاحيته لفرض ضرائب على المستوطنات.

حقيقة خضعت الحكومة البريطانية لصلابة الموقف الأمريكى، غير أن هدفها الثابت فى المنطقة كان السيطرة على المستوطنات، وعلى الأقل اقتصاديا، ناهيك عن الجوانب السياسية، ومن ثم اتضح أن الأهداف الإنجليزية إنما هى دائمة فى طريق تحقيقها، ومن ثم كان الهدف الملح حينئذ هو الدفاع وإحكام السيطرة على المسافات الشاسعة المنضمة على الساحل الشرقى وعلى الساحل ذاته والحدود؛ كانت الموارد المالية هامة، وعلى ذلك استمر البحث عن ضرائب جديدة لتحقيق ذلك الهدف، ولإشراك مستوطنى المستعمرات فى تلك المسئولية، ولتأكيد السيادة البريطانية هناك، ومن ثم فرضت ضرائب جديدة على الورق والشاى والزجاج والرصاص المستورد.

ولقد أصدر وزير المالية البريطانى تاونشند Townshend سلسلة من القرارات تقضى بفرض ضرائب على الورق والشاى والزجاج والرصاص المستورد إلى المستعمرات، على أن تستخدم حصيلة هذه الضرائب لدفع مرتبات الحكام والموظفين الإنجليز هناك.

ولم تلبث أن ارتفعت الصيحات فى جميع أنحاء البلاد ضد القوانين الجديدة وقام الزعيم الأمريكى «صمويل آدامز» بدعوة المستعمرات للعمل ضد القوانين الجديدة، ثم قامت حركة مقاطعة البضائع الإنجليزية، وكانت المعارضة لهذه القوانين عنيفة فى بوسطن وهى مركز تجارى مهم إذ هاجم السكان موظفى الجمارك حين تنفيذ القوانين الجديدة، مما جعل السلطات العسكرية تحرك قوات إلي المدينة.

وقد سبب وجود الجنود الإنجليز فى المدينة هياجا دائما انتهى بما يسمى «مذبحة بوسطن» التى وقعت فى ٥ مارس سنة ١٧٧٠م، والتى وقع فيها ثلاثة من القتلى الأمريكيين، إلا أن خصوم السياسة الإنجليزية استغلوا هذا الحادث بدرجة كبيرة فى كل أنحاء البلاد.

وأما تزايد معارضة الأمريكيين لهـذه الضرائب وبفضل تدخل رجال الأعمال الإنجليز الذيـن تأثرت تجارتهم بالمقاطـعة الأمريكيـة التى جعلت صـادرات إنجلترا للمستعمرات تنخفـض للنصف، تراجع برلمان لندن وألغى ضرائب (تاونـشند) ما عدا ضريبة واحدة هى ضريبة الشاى التى أصر الملك چورج الثالث على الاحتفاظ بها «ليبقى حق فرض الضرائب قائما».

وقـد ساد الهـدوء عـقب ذلك المستـعـمرات لمدة ثلاث سنوات، وأخـذت العلاقـات تتحسن تدريجـيا مع إنجلترا، كـما أفسح المجـال أمام العناصر المعـتدلة للعمل على إقرار السلام؛ ذلك أن المواطن العادى فى هذا التاريخ لم يكن قد اتجه نحو فكرة الانفصـال النهائى عن الإمبراطورية. كمـا أن فئة المتمولين كـانت ميالة للتفـاهم مع البريطانيين وكبح جـماح العناصر الثـورية والمتطرفة على أن لا يؤدى ذلك إلى الإضرار بمصالحها التجارية.

إلا أن فـئة الوطنيين ظـلت تناضل ضد بقـاء ضـريبة الشـاى وتعـمل على إلغـائها، وبالتـالى إلغـاء مبـدأ حق البـرلمان الإنجليـزى فى فرض ضـرائب على المستـعمرات. وقد تجـاوب الأمريكيون عامـة مع الدعوة لمقاطعة الشـاى الإنجليزى وأقبلوا على شراء الشاى المهرب من المستعمرات الهولندية رغم ارتفاع ثمنه، وذلك لإظهار إصرارهم على معارضة رغبة الملك فى التدخل فى شئون المستعمرات.

حفلة شاى بوسطن:

إن الهدنة فى الـعلاقات بين الأمـريكيين وحكومة لندن لم تلبـث أن انتهت بسبب سوء تصـرف لندن؛ ذلك أن شركة الهند الشرقية كـانت سنة ١٧٧٣م تجتاز أزمة مالية حادة فمنحتها الحكومة حق احتكار بيع الشاى فى المستعمرات، ولما كان أكثر الشـاى المستهلك فى أمريكا مهربـا فقد عمدت إلى تخفـيض أسعارها بشكل جعل التهريب غير مربح مما شل أعمـال التجار المحليين وجعلهم يثورون ضد مبدأ الاحتكار الجديد وينضمـون لفئة الناقمين الناشطة بقيادة آدامـز. وقد بادرت جميع المستعمرات لمقـاومة تدابير الشركة ورفض وكلاؤها تصريف بضائعهـا، كما أعيدت شحنات كثيرة من الشاى إلى المرافئ الإنجليزية.

وأمام إصرار حاكم بوسطن الإنجليزى على تفـريغ كمية الشاى وصلت على متن ثلاثة سفن، بادرت فرقة من الوطنيين متنكرين بزى الهنود تحت قيادة آدامز إلى دخول السفن وإلقاء حمولتها من الشاى فى البحر وكان ذلك ليل ١٦ ديسمبر سنة ١٧٧٣م. وتعرف هذه الحادثة فى التاريخ الأمريكى باسم «حفلة شاى بوسطن».

وقد أثار هذا العمل العنيف مـوجة عارمة من الاستيـاء البريطانى، حتى أن تلك الفـئات المتـحررة التى اعـتادت أن تقـف إلى جانب الأمـريكيين وتدافع عن قضيتهم من أمـثال الزعيم «وليم بن» ساءها هذا التصرف الذى وصفتـه بالهمجية. وبالطبع فإنه لم يكن بإمكـان الملك چورج الثالث وبرلمان لندن التساهل حـيال هذا الحادث، باعتبار أن شركة الهند الشرقيـة أرسلت بضائعها إلى أمريكا تنفيذا لقانون أقـره البرلمان وأى تراجع عنه يـبدو أمـام العالم بمثـابة اعـتراف بزوال سلطتـه من المستعمرات.

ولذا، فقـد عمل الملك على جعل البرلمان يقـرر خمسة قـوانين تعرف باسم القـوانين الجائرة للرد على تصـرفات سـكان بوسطن، ويقضى أول هذه القـوانين بإغلاق مـرفأ بوسطن حتى يدفع ثمن الشـاى، كما أعطى حق تعـيين مستـشارى مستعمرة مساتشوسـتس للملك بعد أن كانوا ينتخبون من قِبَل السكان، وأحد هذه القـوانين يعطى الجيش الإنجـليزى المرابط فى المسـتـعمـرات حق مصـادرة الفنادق والخانات والمنازل لإسكان جنوده.

قانون كويبك:

وفى هذه الفترة أى فى سنة ١٧٧٤م أصدر البرلمان البريطانى قانون «كويبك» الذى كـان له أسـوأ الوقع عند الأمـريكيين عامـة؛ ذلك أنه جـاء لتنظيم أوضـاع الأراضى التى غنمتها إنجلتـرا من فرنسا، والواقعة بين المستعـمرات الإنجليزية ونهر المسيـسبى. لقـد أظهرت بريطانيـا منذ سنة ١٧٦٣م رغبـتها فى تنظـيم أمور هذه الأراضى بطريقة أكثر حـزما وانضباطا مما أظهرته فى ذلك الوقت فى مسـتـعمراتها الأمريكية.

كمـا فرضت رقـابة قوية على التـوسع فى هذه المناطق وجعلـت شراء هذه الأراضى والإقامـة فيـها يخضع لإجـازة خاصة. وقـد هدفت من هذا وضع هذه الأراضى تحت سلطان حكومة لندن المباشر، وذلك من جـهة لكى لا تبقى سكانها من الهنود تحت رحمة الرواد الأمريكيين والمتاجرين بالأراضى، ومن جهة ثانية لكى تحول دون قيام سلسلـة من المنازعات بين المستعمرات حول السـيطرة عليها، إلا أن الإنجليز لم يوفـقوا فى أن يفرضـوا سلطانهم كما أرادوا ولم تمنـع قوانينهم سكان المستعمرات من امتلاك مساحات شاسعة فى الأراضى الداخلية.

لقد أعطى هـذا القانون أيضا أراضى كنـدا الفرنسيـة حكومة خـاصة لإدارة شئونها، وضمن لها احترام قانونهـا المدنى الفرنسى وكنيستها الكاثوليكية، كما أنه جعل حدودها تضم كل الأراضى الغربية الواقعة بين نهر أوهايو والبحيرات الكبرى مما أثار غضـب الأمريكيين لدرجـة كبيـرة، إذ أنه أقام بوجـههم سـدا يحول دون توسعـهم فى الغرب وأقام على حدودهم دولة فـرنسية للكنيـسة الكاثوليكية فيـها مركـز ممتاز. يضاف إلى ذلك أن هذا القانون قـد قضى على آمال الكثـيرين الذين كانوا يطمعون بالأراضى غربى جبال الليطانى والتى كانت قد وصلتهم أخبار غناها وخصبها.

مؤتمر فلادلفيا:

هذه الإجراءات، وخـاصة القوانين الجـائرة، أعطت نتائج مـعاكسـة لما كان يرجوه منها الإنجليز. فإن مسـتعمرة مساتشوستس لم تخـضع، بل إن المستعمرات الأخـرى هبت لمسـاعدتهـا وتأييـدها كمـا اقـتـرح نواب فرچينيـا دعـوة مندوبى المستعمرات للاجتمـاع فى ١٥ سبتمبر سنة ١٧٧٤م فى مدينة فيلادلفيا، ولما كانت قد تشكلت لجان دائمـة لكل مستعمرة، مـنذ سنة ١٧٧٣م مهمتها القـيام بالدعاية ضد القـوانين الإنجليزية والدعـوة للتعاون بين المسـتعـمرات دفاعـا من مصالحـها السياسية والاقتـصادية؛ فإن الشعب الأمريكى كان مهيأ للتعـاون مع مساتشوستس والدفاع عن قضيتـها. وقد لبت جميع المستعمـرات - ما عدا چورچيا - الدعوة، واجتمع ست وخمسون مندوبا يمثلون اثنتى عشرة مستعمرة.

وقد أقر المؤتمر منذ البداية مبدأ عدم الرضوخ للقوانين الجائرة، ثم وضعوا نص إعلان الحقوق والمظالم لشعب المستعمرات، كما وجهوا طلبا للملك لإلغاء الضرائب. وبانتظار تحقيق ذلك أقروا إعادة المقاطعة التجارية للبضائع البريطانية وتنظيم لجان فى كل المدن لتنظيم عملية المقاطعة والإشراف على الجمارك.

وهكذا نرى أن الكونجرس الأول للشعب الأمريكى قد خرج بعد مداولات دامت سبعة أسابيع بمقررات على درجة كبيرة من الاعتدال، كما أنكروا أنهم يريدن الاستقلال أو يفكرون فيه. إلا أن الملك چورچ الثالث لم يستطع أن يدرك التحولات التى كانت تطرأ تدريجيا على مفاهيم الأمريكيين ومصالحهم القومية والسياسية، كان تمسك ملك إنجلترا بموقف التعنت قد أدى إلى تصلب الفئات الوطنية فى أمريكا وجعلها تتجه نحو العنف لتحقيق مطالبها.

وأمام إصرار الحكومة الإنجليزية على تنفيذ مقرراتها الجائرة أخذ سكان ماتشوستس يستعدون للمقاومة المسلحة، فأقاموت معسكرا عند مدينة كونكورد، جمعوا فيه كميات من الأسلحة والبارود، كما أنهم أخذوا يعملون على تأليف ميليشيا للمستعمرة وتدريب أفرادها. ولما ترامت أخبار هذا المعسكر إلى جيدج Jage قائد الحامية البريطانية فى بوسطن أرسل فى ١٨ أبريل سنة ١٧٧٥م قسما من حاميته لمصادرة الأسلحة واعتقال صمويل آدامز الذى بات أبرز الزعماء الوطنيين، إلا أن الحملة وقعت فى كمين صغير نصبه لها رجال الميليشيا عند مدينة لكزنغتوت Lescington وفى عودتها أيضا من المعسكر إلى بوسطن تعرضت لهجمات من الفلاحين والميليشيا، كانت خسائر الإنجليز فيها ثلاثة أضعاف خسائر رجال المستعمرات. ولم يلبث الإنجليز أن وجدوا أنفسهم محاصرين بعد ذلك من قبل ١٦,٠٠٠ من رجال المستعمرات، وهكذا ظهر منذ البداية أن استجابة سكان المستعمرة لنداء الحرب كان قويا وعفويا وفعالا. ولم تلبث أخبار المعارك هذه أن انتشرت فى جميع المستعمرات، حيث بادر الوطنيون إلى طرد الحكومات الملكية واستلموا إدارة الأمور للدفاع عن بلدانهم. ومع هذا وحتى ذلك التاريخ فإن فكرة الاستقلال لم تكن قد طرحت، وإمكانية الوصول إلى حل سلمى ظلت موفورة لو أراد ذلك ملك الإنجليز چورچ الثالث.

مؤتمر فلادلفيا الثانى:

وفى ١٠ مايو سنة ١٧٧٥م اجتمع الكونجرس الثانى فى مدينة فيلادلفيا فى جو من الحيرة والقلق، وكان أكثر أعضائه من تلك الفئة التى كانت لا تزال تؤمن بضرورة الإبقاء على العلاقات مع التاج البريطانى. وكان يرأس المؤتمر «چون هانكوك» وهو تاجر من بوسطن. وقد حضره أيضا «بنيامين فرانكلين» و«جفرسون». وقد وجد المؤتمر نفسه مسوقا تحت وطأة الأحداث نحو مواقف عنيفة، فبالرغم من أن أعضاءه طالبوا الملك بإعادة السلم، إلا أنهم على كل حال اضطروا لتبنى الجيش المحارب حول بوسطن واعتبروه جيشا أمريكيا يخص كل المستعمرات لا واحدة منها. وقد عينوا لقيادته «چورچ واشنطن» وهو شاب من فرچينيا لمع اسمه فى حرب السبع سنوات، كما عرف بالشجاعة والاتزان والكفاية الإدارية.

ورغم تكوين الجيش الوطنى واستمرار الحرب الفعلية فإن أكثرية الأمريكيين ظلت معادية لفكرة الانفصال عن التاج البريطانى. وكان المعتدلون يجدون تنكيرا لتصرفاتهم المتناقضة بأنهم كانوا فى حرب مع الحكومة البريطانية وليس الملك، إلا أنهم مع الوقت أخذوا يجدون صعوبة فى الاستمرار فى وضعهم المتناقض، وخاصة أن إنجلترا لم تحاول أن تصل إلى اتفاق معهم، كما أن الملك أصدر فى ٢٣ أغسطس سنة ١٧٧٥م تصريحا أعلن فيه أن المستعمرات فى حالة عصيان. غير أن أبرز ما حدث خلال هذه الفترة هو أن الكونجرس كان يساق تدريجيا نحو القيام بوظائف الدولة، فأصدر أوراقا مالية ومنح المستعمرات سلطة تكوين حكومات محلية.

كما أن قوات المستعمرات أخذت تنشط فى عدة أماكن من البلاد وخاضت معركة «بانكرهيل»، وهو موقع يشرف على مدينة بوسطن. ومع أن الأمريكيين خسروا هذه المعركة، إلا أنهم أنزلوا بالقوات الإنجليزية خسائر فادحة مما رفع معنويات القوى الوطنية لدرجة كبيرة. وبعد ذلك استكان الوطنيون للهدوء والسكينة ليعطوا چورچ واشنطن الفرصة الكافية لإعادة تنظيم قواته، ولم يأت ربيع

سنة ١٧٧٦م حتى كانت قوات واشنطن تهدد مدينة بوسطن وتطرد قوات الاحتلال منها.

إعلان الاستقلال:

عندما بدأ الأمريكيون الحرب مارسوها كإنجليز يعملون للدفاع عن حقوق تقليدية لهم تحاول حكومة لندن سلبهم إياها. بل إنه فيما تسلم جورج واشنطن قيادة الجيوش الأمريكية كانت فكرة الاستقلال تبدو له «سريعة» كما كان يقول إلا أن أحداثا كبيرة جرت فى البلاد بعد سنة ١٧٧٥م أخذت تجعل زعماء البلاد يتجهون بها نحو الاستقلال بكثير من التردد والخوف؛ ذلك أن الفكرة الوطنية لم تكن قد شملت غير جزء من السكان وليس كل السكان الذين كانوا منقسمين حيال الموقف الواجب اتخاذه تجاه الإنجليز.

وبصورة عامة، نجد أن فئة الوطنيين كانت تضم على الأغلب أبناء الطبقات الدنيا والمثقفة، بينما كانت فئة الموالين لبريطانيا تضم القسم الأكبر من المالكين والأثرياء. وكان هناك فئة ثالثة تضم حوالى ثلث السكان لم تأخذ موقفا محددا وإنما كانت تفضل الانتظار قبل أن تحدد موقفها.

إن الفئة الوطنية والمؤيدة للانفصال عن أنجلترا كانت أقلية بين السكان، إلا أنها كانت تتميز بحيويتها ونشاطها، وبوجود نخبة من الزعماء المخلصين وذوى الأفكار الواضحة فى مقدمتها. وهذا ما ساعد فى أن تجز البلاد كلها إلى المصير الذى أرادته هى: لقد عمل هؤلاء الزعماء بعد مؤتمر الكونجرس الثانى بكثير من الحذر والحيطة على تهيئة الرأى العام لتقبل فكرة الانفصال وجعل الناس يفكرون فى الاستقلال كمخرج وحيد لأزمتهم. وقد ساعد هؤلاء فى مهمتهم عوامل كثيرة أبرزها:

١ - فى يناير سنة ١٧٧٦م أصدر باين T. Paine وهو تاجر أمريكى عرف بتأييده لفكرة الاستقلال كتابا اسمه الإدراك Common Sense حاول أن يظهر فيه للأمريكيين أن بإمكانهم أن يحكموا أنفسهم إذا استقلوا بأفضل

مما تفعله حكومة لندن. وإن بإمكانهم إقامة حكومة متحررة من ظلم ملك أوربى، ومن استغلال بلد معين، كما أظهر لهم أنه من العبث أن تحكم جزيرة صغيرة قارة كبيرة تبعد عنها آلاف الأميال. وقد لقى هذا الكتاب رواجا كبيرا، وبيع منه حوالى مائة ألف نسخة، وكان له تأثير كبير فى إقناع بعض المتمردين فى السير فى طريق الاستقلال.

٢ ـ بما أن الحرب الأمريكية لم تكن تلقى تأييدا من الشعب الإنجليزى، فإن حكومة لندن أخذت تجد صعوبة كبيرة فى جمع المتطوعين لإرسالهم إلى المستعمرات. مما جعل الملك چورچ الثالث يلجأ إلى جنود مرتزقة من الألمان فاستأجر من أمير مقاطعة هس Hesse حوالى عشرين ألف جندى أرسلهم لمحاربة الأمريكيين، وقد أساء هذا التصرف إلى سمعة الملك لدرجة كبيرة.

٣ ـ تصلب حكومة لندن المتزايد تجاه المستعمرات؛ ذلك أن آخر ملتمس للسلام أرسله الكونجرس إلى ملك لندن مع رسول خاص لقى هناك تجاهلا تاما، بل إن الملك رفض مقابلة الرسول.

هذه الأحداث مع ما سبقتها من تصرف السلطات الإنجليزية أفقد أصدقاء الحكومة البريطانية وفئة المتمردين كل مبرر لتمسكهم بولائهم للعرش الإنجليزى وأوجد فى الأشهر الأولى من سنة ١٧٧٦م فى المستعمرات استعدادا نفسيا لتقبل فكرة الانفصال بل والقتال دفاعا عنها.

وفى يوليو سنة ١٧٧٦م تقدم الزعيم لى Lee من فرچينيا إلى الكونجرس باقتراح يدعو المستعمرات لأن تكون دولا حرة مستقلة. وقد لقى هذا الاقتراح تأييدا عاما فشكلت لجنة من خمسة زعماء تضم: فرانكلين، جفرسون وآدامز، مهمتها إعداد وثيقة الاستقلال، وفى ٢ يوليو أقرت الوثيقة التى أعدها جفرسون بعد إدخال تعديلات عديدة عليها من قبل الكونجرس، ثم أعلنت بشكلها النهائى فى ٤ يوليو موضحة للعالم ولادة أمة جديدة مستقلة.

وقد أبرزت هذه الوثيقة للعالم الأسباب التى دعت الأمريكيين للانفصال عن العرش الإنجليزى، وحددت الخطوط الرئيسية للمعتقدات السياسية عند الأمريكيين:

- إن البشر خلقوا متساويين وأنهم منحوا من قبل خالقهم حقوقا ثابتة من بينها حق الحياة والحرية والبحث عن السعادة.

العلاقات الفرنسية الأمريكية:

كانت فرنسا تراقب باهتمام تطور الأحداث فى المستعمرات الأمريكية، إذ كان يسرها إلى حد كبير أن ترى عدوتها القديمة إنجلترا تواجه الحروب والمصاعب فى العالم الجديد، كما أنها كانت تنتظر الفرصة الملائمة لتحاول أن تثأر لهزيمتها فى حرب السبع سنوات، وأن تتخلص من بعض شروط معاهدة باريس القاسية. ولذا فإن وزارة الخارجية الفرنسية كانت على اتصال سرى مستمر ببعض رجال الثورة الأمريكية مقدمة لهم النصح أحيانا، والمساعدة أحيانا أخرى، وكثيرا ما أرسلت لهم فى غفلة عن أعين الأسطول البريطانى شحنات من الأسلحة والذخيرة، كما أنها استقبلت عددا من زعماء الكونجرس ورسله بصورة غير رسمية فى باريس. هذا بالنسبة للدولة الفرنسية، وأما بالنسبة للفرنسيين فكان حماس الأحرار منهم لها عظيما إذ رأوا فى انتصارها انتصاراً لمثلهم ومبادئهم فى الحرية والعدالة والمساواة. ومنذ أن بدأت الاصطدامات فى بوسطن أبحر كثير من المتطوعين الفرنسيين إلى العالم الجديد ليقدموا لثواره خدماتهم الحربية، وكان على رأس هؤلاء المركيز لافاييت وهو ضابط شاب فى الجيش الفرنسى، وقد التحق بجيش چورچ واشنطن جنرال وخدم القضية الأمريكية بإخلاص وتفان دون أجر مما جعله يتبوأ مكانة كبيرة عند الأمريكيين. وقد وفد على البلاد الأمريكية الأحرار من بلدان أوربية أخرى نذكر منهم الجنرال الألمانى الأصل J. De. Kalb، والجنرال الروسى البارون فون شتوبن Von Steuben، والنبيلين البولونيين يولاسكى وكوشيوزكو Kosciuzko & Pulaski. وكانت لهؤلاء خبرات كبيرة فى الشئون العسكرية أفاد منها الأمريكيون كثيرا.

إلا أن المساعدة الفرنسية فى سنة ١٧٧٧م بقيت محدودة وغير علنية، ذلك أن حكومة باريس لم تشأ أن تتخذ موقف العداء الصريح من إنجلترا قبل التأكد من استمرار الأمريكيين فى ثورتهم، ومن قدرتهم على الصمود، غير أنها بعد انتصار الأمريكيين فى معركة ساراتوغا سنة ١٧٧٧م، وصمودهم القوى أمام القوات

البريطانية المتفوقة فى العدد والكفاية اتخذت موقف التأييد الصريح للثورة واستقبل «بنيامين فرانكلين» عضو الكونجرس الأمريكى بصورة رسمية فى البلاط الفرنسى.. وفى سنة ١٧٧٨م اعترفت فرنسا رسميا باستقلال الولايات المتحدة وعقدت معها تحالفا تعهدت فيه الدولتان بمتابعة الحرب حتى تصير الدولة الأخرى مستعدة لتوقيع الصلح، وهكذا دخلت فرنسا الحرب بصورة علنية ضد إنجلترا، وبدأت الإمدادات الفرنسية تصل بصورة متتابعة للأمريكيين، كما أن الحكومة الفرنسية أمدت الكونجرس بقرض مالى كبير تبعته قروض أخرى، وأبحر الأسطول الفرنسى إلى الولايات المتحدة حاملا معه ستة آلاف جندى بقيادة المركيز روشامبو Rocham-beau، ثم إن الفرنسيين أعطوا بعض المغامرين الأمريكيين سفنا قاموا فيها بأعمال جريئة فى القنال الإنجليزى عرقلت مواصلات الإمبراطورية، ثم أعلن حينئذ الأسبان والهولنديون تأييدهم لقضية الثوار وأمدوهم بمساعدات هامة.

الحرب الإنجليزية الأمريكية:

فى بداية الحرب كانت تبدو كفة الإنجليز هى الراجحة؛ ذلك أن أسطولهم القوى فرض حصارا قويا على شواطئ المستعمرات فشل اقتصادها وجعل الاتصال فيما بينها وبين أوربا صعبا للغاية؛ ثم إن قواتهم كانت أكثر عددا وخبرة وكفاية، تضاف إلى ذلك أنها كانت تعتمد على الموارد الاقتصادية لدولة كبرى ولم يكن يضعف موقف الجيش الإنجليزى إلا انقسام الرأى العام فى بريطانيا حول هذه الحرب.

أما الأمريكيون فقد انطلقوا منذ البداية من الناحية العسكرية من موقف ضعيف للغاية وذلك للأسباب التالية:

١ ـ أن فئة من الأمريكيين بقيت موالية لإنجلترا، فأمدتها بحوالى ثلاثين ألف جندى وتعاونت معها وقدمت لها المعلومات، كما أن الجنود كانوا على الأغلب وخاصة فى الشمال يوالون الإنجليز ويساعدونهم.

٢ ـ أن القوات الأمريكية كانت سيئة التنظيم وعديمة الخبرة وكان ينقص جنودها روح الارتباط العسكرى.

٣ ـ عجز الحكومة الأمريكية عن مواجهة نفقات الحرب باعتبار أنه لم يكن للكونجرس حق فرض الضرائب، مما اضطره لإصدار سندات مالية لم تلبث أن تدهورت قيمتها مما أدى إلى إفلاس مؤسسات وأفراد كثيرين.

٤ ـ عدم ثقة المستعمرات ببعضها البعض وعدم استعداد أى منها للتنازل ولو عن جزء من سيادتها للكونجرس ليتمكن من الانتصار فى الحرب.

إلا أن القوات الأمريكية كانت تعوض عن ذلك بقيادتهم الحكيمة المخلصة التى يتولاها چورج واشنطن، وباتساع رقعة أراضيها ووفرة إمكانياتها مما كان يعرقل عمل القوات النظامية الإنجليزية.

مُسيَّر العمليات:

عقب إعلان الاستقلال حاول واشنطن طرد الجنرال «هاو» وجنوده من بوسطن، إلا أنه فشل فى المعركة التى جرت بين الجيشين فى نيويورك؛ من أجل السيطرة على هذه المدينة، وقد هزم الأمريكيون بفضل تعاون الجيش الإنجليزى وجيش« هس» التى جرت الألمانى وما تلقاه الجيشان من مساعدات وإمدادات مما اضطر واشنطن للتراجع نحو الجنوب عبر نيوچيرسى حتى وصل بنسلفانيا، وأخذ يعمل على إعادة تنظيم قواته ثم عاد ليلة عيد ميلاد ١٧٧٦م وباغت الجنود الألمان المأجورين فى ترنتون وهزمهم ثم أتبع نصره هذا بانتصار آخر فى برنستون واسترجع ولاية نيو چيرسى، وفى عام ١٧٧٧م قام الجنرال الإنجليزى هاو بهجوم بحرى على العاصمة فيلادلفيا واحتلها طاردا منها جيوش واشنطن، إلا أنه بينما كان واشنطن يتلقى هذه الضربة ويعانى مع جنوده من برد الشتاء القارس كانت تجرى معركة ساراتوجا شمال نيويورك، حيث حاصر الإنجليز جيشا كاملا من ستة آلاف جندى استسلم مع قائده بورجن فى نفس السنة إثر حصار قام به عشرين ألفا من المزارعين الأمريكيين ومن جنود المستعمرات.

وتعتبر معركة «ساراتوجا» المعركة الفاصلة فى حرب الاستقلال الأمريكية، ذلك أن خسارة إنجلترا شجعت فرنسا وأسبانيا على دخول الحرب إلى جانب

أقسامهـا، كما أنها أعطتهم المبادرة فى السيطرة على المناطق الشـمالية، وبعد هذه المعركة أخذت نتائج الحرب تتحول لصالح الوطنيين تدريجيا.

إن دخول فـرنسا الحرب بـأسطولها القوى زاد فى مـتاعب الإنجليـز وعرقل عملية تموين الجنود الذين يـقاتلون فى القارة الجديدة، كما أن امـتداد أجل الحرب عرقل التـجارة الإنجليزية رغم أن الإنجليـز تابعوا حربـهم بإصرار إلا أنهم اضطروا سنة ١٧٧٨م إلى إخــلاء فلادلفيا العاصــمة بسبب مـحاصرة الأسـطول الفرنسى وتهديده للمـدينة وتتابعت الهزائم فى وادى أوهايو مما كـرس سلطة الأمريكيين فى القسم الشمالى إلا أنهم لكن تابعوا الحرب فى الجنوب واحتلوا مرفأ شارلستون فى سنة ١٧٧٨م واسـتولوا على مـقاطعـة كارولينا الجنوبيـة، وفى سنة ١٧٨١م أرغم الإنجليـز على إخلاء كـارولينا وهناك عند مدينة يورك تاون وعـلى بعد أمـيال من چيمس تاون حدثت المعركة الأخيرة فى حرب الاستقلال الأمريكية.

إذ تعاونت القـوات الفرنسية والأمريكيـة يدعمها أسطول فـرنسى قوى على البحر لمحاصرة جيوش الجنرال الإنجليزى كورنو والبن، وأمام قوة الجيوش المحاصرة التى كان يقـودها چورج واشنطن ولافاييت قـام الجنرال الإنجليزى بعـملية جـريئة للخلاص من الحصـار لكنه فشل، وعند ذلك بادر إلى الاستسـلام فى ١٩ أكتوبر سنة ١٧٨١م، وقـد حقق ذلك الانتـصار للأمـريكيين السـيطرة على أكثـر المناطق الجنوبية.

وبالرغم من أن الشـعب الـبريـطانى إن كـان قـد مل هذه الحـرب الطويلة والمضنية، إلا أن الملك چـورج الثالث أصر على مـتابعتـها غيـر أن هزائم متتـالية للإنجليـز فى سنة ١٧٨٢م طـردوا على أثرها من كل المرافئ الأمـريكيـة مـا عـدا نيـويورك أقنعتـه بضرورة الجنوح إلـى السلام، وفى سنة ١٧٨٢م استـقـال رئيس الوزراء البريطانى اللورد «نورث» مفـسحا المجال أمام اللورد «روكنجهـام» ليبدأ مع الأمريكيين مفاوضات السلام(١).

(١) نيويورك كانت فى الأصل هى ولاية نيونيذرلاند والتى أسسها الهولنديون.

معاهدة باريس سنة ١٧٨٣م:

فى سنة ١٧٨٢م بدأت سلسلة من المفاوضات السرية بين الأمريكيين وحكومة لندن، وبالطبع لم يكن بدء مفاوضات رسمية، باعتبار أن شروط التحالف بين فرنسا وأمريكا الموقع سنة ١٧٧٨ تنص على ألا تعقد أى من الدولتين الصلح إلا متى أصبحت الأخرى مستعدة لذلك، وفى سنة ١٧٨٢م كان الفرنسيون لا يزالون يتابعون القتال فى محاولة لاستعادة جزء مما فقدوه عقب حرب السبع سنوات فى أمريكا.

لقد أظهر الإنجليز أثناء المفاوضات مرونة وكياسة إذ وافقوا على إنشاء دولة أمريكية تمتد حدودها من البحيرات الكبرى إلى فلوريدا ومن المحيط الأطلسى إلى نهر المسيسبى، كما وافقوا على منح الدولة الجديدة حق الصيد فى سواحل كندا والملاحة فى نهر المسيسبى، وفى مقابل ذلك تعهد الأمريكيون بحماية الأمريكيين الذين ظلوا حتى النهاية موالين للعرش البريطانى، إذ إن الكثيرين منهم أصابهم الأذى فى أرواحهم وأراضيهم ومؤسساتهم.

وفى سنة ١٧٨٣م وبعد أن يأس الفرنسيون من تحقيق انتصار كبير على الإنجليز وبعد أن أدرك الأسبان استحالة استعادة جبل طارق، وافق جميع الفرقاء على عقد مؤتمر لجميع الأطراف المتنازعة فى مدينة باريس، وقد تبنى الجميع فى هذا المؤتمر الشروط التى توصل إليها الإنجليز والأمريكيون فى مفاوضاتهم الثنائية سنة ١٧٨٢م، كما أضيف إليها شرط جديد يعطى أسبانيا مستعمرة فلوريدا، وفى ٣ سبتمبر سنة ١٧٨٣م وقع الجميع على المعاهدة النهائية وبانتهاء حرب الاستقلال بات الأمريكيون أحرارا فى أن يقيموا مجتمعا جديدا وفق الأفكار السياسية التى آمنوا بها، وقد استهل هؤلاء أعمال البناء فى محاولة إعطاء دولتهم الجديدة دستورا.

- إن الحكومات تنشأ للمحافظة على هذه الحقوق وهى تستمد سلطاتها العادلة من موافقة المحكومين. فعندما تسىء الدولة استعمال سلطاتها يحق

للشعب أن يبدلها أو يلغيها أو يستبدل بها حكومة أخرى تقوم على الأسس التى تبدو له أكثر موافقة لتأمين سلامته وسعادته.

وبصورة عامة فإن وثيقة إعلان الاستقلال حملت فى طياتها بذور الفكر الديمقراطى، وأكدت المبدأ الذى طالما نادى به أحرار أوربا، وهو أن الدولة وجدت لخدمة الشعب، وإنها إنما تستمد منه سلطاتها. وإن مبرر وجود السلطة يزول متى انحازت هى عن مهمتها الأساسية وهى العمل لخير محكوميها، ولعل أفكار لوك، وروسو، ومونتسكيو تبدو إلى حد كبير السند الأيديولوچى والفلسفى لكثير من مبادئ وثيقة إعلان الحقوق.



الفصل الرابع

الدستور الأمريكى

اتُخذ المؤتمر القارى الأول (الكونجرس) ١٧٧٤م ركيزة لتكوين حكومة فيدرالية سنة ١٧٨١؛ وكان هذا الكونجرس يضم مندوبى المستوطنات، كان لذلك المؤتمر قد عمل حتى سنة ١٧٨١م فى شكل هيئة عليا تتولى إدارة الحرب وتنسيق متطلباتها بين المستوطنات، لكن لم يكن لهذا المؤتمر صفة تمثيل الشعب الأمريكى، غير أنه مع إصرار بعض من بعيدى النظر من الوطنيين على استمرار هذا الشكل بعد الحرب وأثناء السلم؛ أتم هذا، رغم معارضة بعض المتشككين، فى تحويل ذلك الكونجرس المؤقت إلى مؤسسة دائمة لتحقيق تعاون مرجو بين الأمريكيين، وذلك فى نظام مُشكل من حكومة مركزية ذات سلطات محدودة، ولها استقلالها مع استقلال كل ولاية بنظمها السيادية والحكومية ، حيث كانت المستوطنات فى ذلك الحين تنظر إلى مسألة الاتحاد الكلى بكل حذر.

غير أن هذا الاقتراح لاقى فى البداية معارضة ولاية ماريلاند إلا حال الموافقة على اعتبار أراضى الغرب كلها ممتلكات عامة يقسمها الكونجرس إلى حكومات حرة مستقلة، وأمام هذا الإصرار قبلت جميع الدول التنازل عما لها من حقوق ومصالح فى الغرب وجعلت الأراضى الواقعة بين جبال الأبلاش ونهر المسيسبى ممتلكات وطنية تشرف عليها الحكومة الكونفدرالية[1].

---

(١) نظام الحكم الكونفدرالى (الاتحاد الاستقلال أو التعاهدى):

أولا: معناه إن دولتين أو أكثر تدخل معا فى اتحاد بقصد توحيد الجهود السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو العسكرية، تحقيقا بقصد التعاون فيما بينها للمحافظة على استقلالها ولمنع الحروب بينها ولتنسيق خطط الدفاع عن مصالحها المشتركة فى المجال الدولى ويتميز فى الغالب بإنشاء هيئة سياسية عليا فى شكل مؤتمر أو جمعية عمومية أو مجلس يشرف على تنفيذ الأهداف المشتركة (Congree - Droit - Conseil) بين الدول الأعضاء وهو يتكون من أعضاء لا تنتخبهم شعوب الدول، بل تختارهم الحكومات باعتبارهم ممثلين لها، يتلقون منها التعليمات ويأتمرون بأمرها، وهذا معناه أن المؤتمر ليس برلمانا ولا هيئة تشريعية كما أنه ليس دولة جديدة، ولا حكومة فوق حكومات الدول الأعضاء، وهو يصدر توصيات غير ملزمة=

وُضع نظام الحكم الجديد موضع التنفيذ منذ سنة ١٧٨١م مستندا على دستوره المعروف باسم «شروط الاتحاد التعاهدى«Article of Confederation» ضاما الولايات الأمريكية فيما سمى باسم «الدول الأمريكية المتحدة» وكان المؤتمر هو الهيئة التنفيذية العليا لهذا النظام؛ كان هذا الكونجرس يضم مندوبو الولايات الثلاثة عشر بنسبة ٢ على الأقل وسبعة على الأكثر لكل ولاية حسب مساحتها وعدد سكانها.

كانت صلاحيات ذلك الكونجرس تنحصر فى: حق إعلان الحرب والسلم، وعقد المحالفات، وإرسال واستقبال السفراء، ومعالجة الأمور الخارجية، والهندية، وإجراء القروض والصرف وتأليف الجيوش، وإنشاء وحدات الأسطول البحرى، وقبول مستعمرات جديدة فى الاتحاد. كانت المهمة الأساسية التى يتيحها ذلك

=للدول الأعضاء لا تنفذ إلا بموافقتها، وتحدد اختصاصاته معاهدة إنشاؤه ولا يتم التوسع فيها إلا باتفاق جديد بين كل الدول الأعضاء؛ وعلى ذلك ثبت باتفاق أن الاتحاد التعاهدى لا يكون دولة جديدة فوق الدول الأعضاء والمؤتمر المشترك ليس حكومة فوق حكومات الدول الأعضاء، لكن فريق من الشراح يذهب إلى الاعتراف للاتحاد التعاهدى بالشخصية الدولية بالرغم من عدم تمتعه بحق التمثيل السياسى المستقل؛ ولذلك بما أنه لا يؤثر على سياسة الدول الداخلية والخارجية ترتب عليه الآتى:

١ ـ الدول الأعضاء لها حق الدخول فى علاقات دولية سلمية أو حربية مع الدول الأخرى ومع الدول الأعضاء فى الاتحاد.

٢ ـ الحرب التى تقع بين الدول الأعضاء فى الاتحاد ليست حربا أهلية ولكن حرب دولية بمعنى الكلمة.

٣ ـ لكل دولة من الأعضاء استقلالها الكامل فى اختيار نظامها الدستورى ولا تقيدها عضويتها فى الاتحاد بأى قيود فى هذا المجال.

وهناك مثال لذلك الاتحاد المركزى السويسرى القائم منذ سنة ١٨٤٨م أنشئ على أنقاض نظام تعاهدى جمع سلفا مجموعة الولايات السويسرية، وكذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية التى يجمعها منذ سنة ١٧٨٧م نظام الاتحاد المركزى كانت قد ارتبطت وقبل ذلك وفى غضون حرب الاستقلال منذ سنة ١٧٧٦م بنوع من الاتحاد التعاهدى.

ثانيا ـ الاتحاد المركزى «الفيدرالى»: أقوى أنواع الاتحادات وآخر مراحل التطور فى اتجاه الاتحاد، وخطوة سابقة على الانتقال إلى شكل الدولة الموحدة، وفيه تفقد الدويلات الداخلة فى تكوينه استقلالها وسيادتها الخارجية فتفنى شخصياتها الدولية فى شخص دولى جديد هو دولة الاتحاد.

النظام هى الدفاع عن سلامة الولايات والعلاقات الخارجية فهو يتناول قضايا الدفاع والتمثيل الخارجى، ولم يكن له حق جباية الضرائب. كان ذلك الاتحاد يمارس سلطاته وفقا لما تقرره مجالس الولايات، كما أن الكونجرس لم يكن من صلاحياته إجبار الولايات على تنفيذ قرارات الاتحاد إلا أن تقبلها هى وتنفذها.

لكن ذلك النظام الذى اتفق عليه مندوبى الولايات كان دون مستوى السيطرة على شئون تلك الولايات سياسيا واقتصاديا، لقد وصل الأمر إلى إمكانية نشوب حرب أهلية بينها المشاكل أساسها ترسيم الحدود ومشاكل التجارة والملاحة وغيرها كثير، مما لفت النظر بشدة إلى ضرورة التغيير.

وقبل أن نتحدث عن الخطوات الفعالة فى تعديل ذلك النظام الكونفدرالى لتوائم الدول الأمريكية المتحدة من نظمها مع متطلبات الوضع الجديد؛ وذلك فى ضرورة لوضع دستور جديد ونظام حكم مغاير؛ سنعرض للمشكلة الملحة التى فرضت نفسها على الكونجرس المعين وهى تطبيع الأراضى المنضمة من كويبك حتى المسيسبى الأعلى بطابع الولايات القديمة.

أولا، اتضح أنه كانت تجرى قبل وأثناء الثورة توسعات إلى جهة الغرب بعيدا عن الساحل الشرقى للقارة غرب جبال الأبلاش، وعلى طول الممرات والطرق المائية، كان روادها المستعمرون الجدد والمغامرون وبعض من مستوطنى الولايات القديمة، وقد شكلوا مستوطنات جديدة ذات حكومات خاصة بها، ولقد بدأ الكونجرس المعين فى حل تلك المسألة، والتى عرفت «بالمسألة الغربية» أو «مشكلة الإمبراطورية» والتى شملت منطقة الشمال الغربى أو المقاطعة الغربية، وقد بدا حينئذ للكونجرس أن الحل لهذه المشكلة سيأتى من خلال مواد دستور الاتحاد التعاهدى أو جامعة الولايات لسنة ١٧٨١م، غير أن الكونجرس بالفعل استطاع أن ينظمها رغم الصراع بين الولايات والمستعمرون الجدد على تلك الأراضى لاتساع مساحات الأرض الخصبة الخالية، ذلك أن تلك الولايات فى خطوة قومية واعترافًا منها ببعد جديد وهو السيادة الوطنية تنازلت عن مطالبها فى تلك الأراضى للكونجرس، وكان رائدًا فى ذلك ولاية نيويورك، وقد كان قانون الشمال الغربى

لسنة ١٧٨٧م هو المنظم لمسألة الاستيطـان تلك والتى بموجبه أباحت حكومة الدول الأمريكية الاستيطان المنظم فى تلك المقاطعة.

نظمت المقاطعة الشمالية الغربية باعتبارها قسما لا يجوز أن يزيد عن خمس ولايات ولا يقل عن ثلاثة، وقد شـجعت الحكومة السكان على إقـامة حكم ذاتى على مراحل منتظمة ـ حكم ذاتى مـحدود وذلك وفقا لما نص عليه دسـتـور جامعة الولايات وقانون الشـمال الغـربى ـ وقد نظم قانون الشـمال الغربـى تلك المسائل للمنطقـة الواقعـة شمال نهـر أوهايو، «بحيث إنه تـنمى تلك الخطوات البنائة فى المنطقة لتشمل أقاليما تحول حينما تصل إلى ستين ألفا، إلى ولايات، كل منطقة لا تقل عن ثلاث ولا تزيد عن خمس». وقـد طبق ذلك النظام بداية فى تلك المنطقة واستمر التـوسع بهذا الأسلوب فيما بعد، حتى وصـل إلى المحيط الهادى، ليصل عدد الولايات فـى النهاية إلى خمـسون ولاية. ولقـد حدد القانـون ثلاث مراحل منتظمة للحكم، وكان للكونجرس أولا أن يقيم إقليـما، وأن يعين له حاكما وقضاة لسن القوانين، وكان للكونجرس حق الفيـتو أو نقض أحكام القضاة والحاكم، وإذا ما بلغ عـدد سكان الإقليم خمـسة آلاف من الذكـور تكون له هيئـة تشريعـية من مجلسين أكبـرهما يعين الأصغر، ويمكن أن يمثل منهـما مندوبا فى الكونجرس دون أن يكون له صوت مؤثر. وعندما يبلغ تعداد الإقليم سـتون ألفا من السكان يعتبر ولاية من الولايات يمكن انضـمامهـا إلى الاتحاد لتكون على قـدم المساواة مع باقى الولايات القديمة.

وقد كفلت المواد الستة الأولى من قانون الشمال الغربى:

أولا: أن يتم التعامل بين ولايات ذلك الإقليم بعد تكوينه والولايات القديمة بعدالة، حـيث كفلت لها الحكومة الحـقوق والحريات، وشجـعت التعليم، نصت على أنه «لن يكون سمـة رق أو سخرة فى الإقليم المذكور». وربما كـان فى قانون الشمال الغـربى من وجهة نظر واضعيـة أنه إنما حقق كيان حر جـديد، هو امتداد للأمة الأمريكيـة، ولم يكن مشكلا كما هو الحـال فى المستعمـرات القديمة لصالح الدول الاستعمارية.

نجحت الحكومة الكونفدرالية فى حل مشكلة التوسع إلى الغرب فى منطقة الشمال الغربى لتتابع بعدها خطوات فى هذا الاتجاه، لكن بقيت المشاكل الأخرى تعلن عن نفسها بإصرار حتى مرحلة الكساد الذى كان دافعا هاما للرغبة فى التغيير (انظر خريطة رقم ٥).

فتلك الحكومة الكونفدرالية وقد وفقت فى تلك الخطوة الوحيدة، فإنها لم تكن موفقة فى أمور أخرى عديدة، وذلك لواقع القيود الناشئة عن طبيعة تشكيلها، فلم يكن لديها قدرة السيطرة على الولايات أو إدارة شئونها، كما أن المشاكل الاقتصادية أصبحت مستفحلة، ولم يكن هناك صلاحيات لحلها، وقد اختتمت بكساد ١٧٧٥م - ١٧٧٦م، وأصبح واضحا أن هناك ضرورة، بداية، لضبط دستور الاتحاد ليواجه تلك المشاكل، ثم وذلك فى ظل حكومة جديدة قوية ذات صلاحيات مغايرة لما كانت عليه صلاحيات الاتحاد الكونفدرالى، وقد اتفق أن كانت تلك الضرورات متمشية مع آمال وطموحات المواطن الأمريكى، رغم توجسه من فكرة التغيير، ومن ثم جاءت الفرصة حينما عقد واحدا من الاجتماعات المتعلقة بأحد المشاكل الاقتصادية والتى كانت الشغل الشاغل للمواطن الأمريكى.

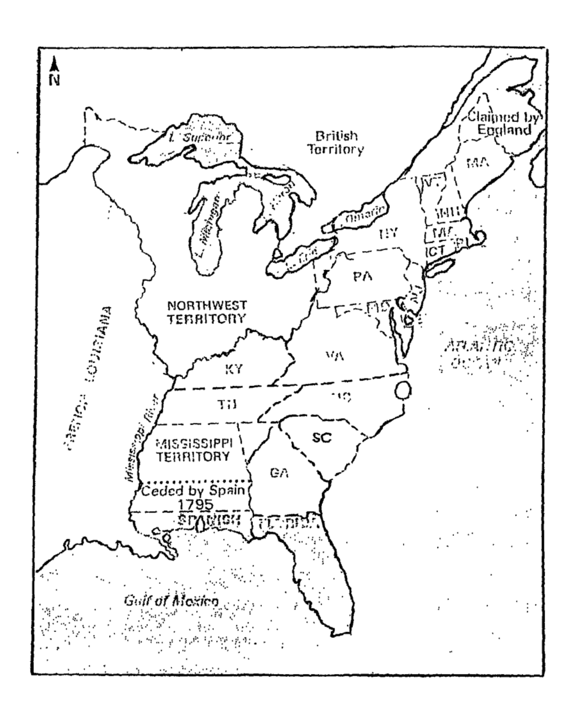
مؤتمر فلادلفيا سنة ١٧٨٧م:

وفى سنة ١٧٨٦م عقد فى مدينة أنابوليس مؤتمر اشتركت فيه خمس دول أمريكية للنظر فى نزاع على الملاحة فى نهر البوتوماك قام بين فرجينيا وماريلاند. ولم يعرض هذا النزاع بالطبع على الكونجرس؛ لأنه كان قد وصل إلى مرحلة من الضعف لم يعد معها قادرا على القيام بأى دور إيجابى فى حياة البلاد الأمريكية.

وفى الاجتماع الأول تمكن الزعيم ألكسندر هاملتون من تحويل المؤتمر عن هدفه الأساسى وطرح قضية البلاد كلها. لقد صارح المجتمعين بأن الموقف فى البلاد الأمريكية بات خطرا لدرجة أنه لا يمكن معالجته على يد مؤتمر صغير، واقنع المجتمعين بأن يطلبوا من جميع الدول تعيين ممثلين عنها «لوضع النصوص الضرورية التى تجعل دستور الحكومة الاتحادية مناسبا لحاجات هذا الاتحاد».

خريطة رقم (٥)

أراضى الشمال الغربى سنة ١٨٠٢م



وفى مايو سنة ١٧٨٧م التقى فى دار الحكومة فى فيلادلفيا خمسة وخمسون مندوبا يمثلون اثنى عشر ولاية - امتنعت عن الاشتراك رودأيلاند - وكان أكثر هؤلاء المندوبين من ذوى الخبرة فى الشئون العسكرية والقانونية وممن عملوا فى حكومات المستعمرات. وقد اختار الجميع چورچ واشنطن، نظرا لنزاهته وسمعته الحسنة أثناء حرب الاستقلال رئيسا للمؤتمر.

ومنذ البداية تمكن زعماء أفذاذ من أمثال ماديسون، واشنطن، وهاملتون والحاكم موريس من السيطرة على الأكثرية رغم أن المؤتمر لم يخول تعديل مواد دستور جامعة الولايات، وتوجيه المؤتمر نحو تحقيق نظام حكومى جديد، ولذا فقد أقروا إلغاء شروط الاتحاد الكونفدرالى وأخذوا يعملون لوضع دستور جديد للبلاد يناسب كل فئات المجتمع الأمريكى على اختلاف سلالاتهم، وجنسياتهم الأصلية، ومصالحهم الاقتصادية، كان كل هم المؤتمرين التوفيق بين سلطة الرقابة المحلية وسلطة حكومة مركزية، فى نظام حكومى قوى.

إعداد الدستور:

فى أثناء جلسات عمل المؤتمر التى كانت سرية واجه المؤتمرون صعوبات كثيرة فى التوفيق بين مصالح الولايات المختلفة المتضاربة، وخاصة فى التوفيق بين حرص بعض الولايات على استقلالها والرغبة العارمة فى تقوية السلطة المركزية الاتحادية، وقد عارض المؤتمر مشروعين لدستور أمريكى يختلفان اختلافا جذريا، وهما:

١ - مشروع فرچينيا: وقدمه ماديسون المعروف باب الدستور الجديد، ويمثل هذا المشروع مصالح الولايات الكبرى، .ولقد اقترح ماديسون شكلا حقيقيا لحكومة وطنية، يتولى السلطة التشريعية فيها مجلسان: المجلس الأعلى وتتمثل فيه الولايات وبما يتناسب مع حجمها وثروتها، وينتخب الشعب الأمريكى المجلس الآخر، ويهدف مشروع فرچينيا فى الأساس إلى الإقلال من سلطة الولايات وجعل المواطنين يمثلون فى الكونجرس، ويحكمون من قبله أيضا وفى هذا تجاوز لسلطات الولايات.

٢ ـ مشروع نيو چيرسى: وكان أكثر حذرا؛ لأنه كان يمثل مصالح الولايات الصغيرة المتخوفة من طغيان الولايات الكبيرة، وسيطرتها على الكونجرس فيما إذا أقر مشروع فرچينيا، لقد طالب مندوب نيو چيرسى بمجلس واحد تتساوى فيه الولايات فى التمثيل كما كان الوضع فى شروط الاتحاد، على أن يمنح الكونجرس السلطة لفرض الضرائب وتنظيم التجارة.

على الرغم من تعارض المشروعين وتباعدهما، فإن المجتمعين تمكنوا بعد اجتماعات طويلة وحلول وسطى وتنازلات إلى إيجاد أساس لاتفاق يقضى بأن يتألف الكونجرس الجديد من مجلسين، كما أرادت الولايات الكبرى، على أن تمثل فى المجلس الأول كل ولاية بعضوين مهما بلغ تعداد سكانها ومساحة أراضيها، أما فى المجلس الآخر فالشعب ينتخب نوابه مباشرة وترسل كل ولاية عدد من النواب يتناسب مع عدد سكانها.

وقد واجه المؤتمر عقبة أخرى، لم يكن من السهل التغلب عليها؛ ذلك أن مندوبى الولايات الجنوبية طالبوا بأن يؤخذ بعين الاعتبار عند تحديد عدد النواب فى كل ولاية تحديد عدد نواب كل ولاية فى مجلس الممثلين بما فيها من العبيد الأرقاء، بالرغم من أن هذه الولايات لم تكن تعطيهم حق الاقتراع وذلك لزيادة ممثليها، وبعد نقاش طويل وتسويات عديدة اتفق المؤتمرون على أن يحسبوا ثلاثة أخماس المواطنين العبيد ضمن عدد سكان الولاية وبذلك يزداد عدد ممثليها فى المجلس.

ثم جرى بحث قضية تحديد صلاحيات كل من الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات، وقد وافق المؤتمرون على إعطاء السلطات الفدرالية الصلاحيات الكبرى العائدة للمصالح المشتركة بين الولايات الأعضاء، كالضرائب التى عينها والنظام والأمن العام فى الأراضى الأمريكية، والدفاع، والشئون الخارجية، والاقتصاد العام، والجمارك، والنقد، والتجارة الدولية.

فالسلطات الحكومية الفدرالية إذن محددة فى المجالات المذكورة أعلاه، بينما بقيت سلطات الدول ضمن أراضيها عامة، بمعنى أن لها الحق والحرية فى ممارسة

كل الصلاحيات والشئون التى لا ينص الدستور على جعلها من حق الحكومة الفدرالية، وكل واحدة من الولايات الأمريكية حرة فى اختيار حكوماتها ومجالسها وقوانينها، وهى لا تخضع بشكل من الأشكال لسلطات الحكومة المركزية ورقابتها.

وقد تم الاتفاق أيضا على جعل الدستور الأمريكى المقترح قابلا للتعديل ضمن شروط محددة. مادة (٥) يمكن لثلثى أعضاء مجلس الكونجرس أو لثلثى ممثلى الولايات كلها مجتمعين على هيئة مؤتمر اقتراح التعديلات الخاصة بالدستور، وأن يصبح الاقتراح قانونًا بإحدى طريقتين: إما بمصادقة المجالس التشريعية لثلاثة أرباع الولايات، أو عن طريق مؤتمر يضم ممثلى ثلاثة أرباع الولايات، ويقترح الكونجرس طريقة منهما. وقد أُدخل على الدستور بالفعل منذ وضعه موضع التنفيذ تعديلات عديدة اقتضتها ضرورات تطور الحياة الأمريكية.

وأخيرا، جرى الاتفاق على شكل الحكومة الفيدرالية، فأقر المؤتمرون أن تكون ذات سلطات ثلاث منفصلة:

١ - السلطة التنفيذية:

وقد أقر الدستور الأمريكى جعل السلطة التنفيذية بيد رئيس الجمهورية الذى يمثل الدولة بأكملها، وهو المسئول أمام الشعب الأمريكى، وليس أمام البرلمان كما هى الحالة فى الأنظمة الديمقراطية، إلا أنه يمكن محاكمته أمام الكونجرس إذا اقترف جرائم عظمى، ويجرى انتخاب الرئيس ونائبه بواسطة مندوبين ثانويين ينتخبهم الشعب مباشرة، فكل ولاية يحق لها أن تنتخب عدد من المندوبين يتساوى مع عدد ممثليها فى مجلس الكونجرس، على أن يقوم هؤلاء بانتخاب الرئيس ونائبه ونرسل كل ولاية نتيجة الانتخابات بها إلى رئيس الكونجرس الذى هو فى نفس الوقت نائب رئيس الولايات المتحدة، وهو الذى يتولى جمع الأصوات، والمرشح الذى ينال أكبر عدد من أصوات المرشحين الثانويين يكون هو الفائز، لكن الحد الأدنى للفوز يكون أكثر من نصف عدد المندوبين الثانويين الفائزين.

ومدة ولاية الرئيس ونائبه أربع سنوات يمكن تجديدها، وفى حالة وفاة الرئيس أو انقطاعه لسبب ما عن ممارسة سلطاته يحل نائبه مكانه حكما ويكمل مدته، وإذا توفى نائب الرئيس أو استقال حل مكانه رئيس مجلس الممثلين.

أما سلطات الرئيس فهى واسعة جدا، فهو الذى يمارس صلاحيات السيادة، وهو القائد الأعلى للجيش والبحرية، وهو الذى يعقد المعاهدات مع البلدان الأجنبية شرط أن يوافق عليها مجلس الشيوخ، وكذلك بعض السفراء وقضاة المحكمة العليا وكبار موظفى الاتحاد بموافقة المجلس المذكور، ويساعد الرئيس موظفون إداريون يعينهم هو بعد موافقة الكونجرس، ويكونون مسئولين تجاهه وحده ولا يحضرون جلسات الكونجرس؛ لأنهم غير مسئولين أمامه. ويسمى هؤلاء ناظر أو سكرتير، ومنهم وزير الشئون الخارجية، وزير المالية ووزير الحربية والمدعى العام. ويشكل هؤلاء مجلسا يساعد الرئيس فى أعماله، دون أن تكون قراراته ملزمة للرئيس ويسمى هذا المجلس الـ Cabinet أو مجلس الوزراء.

أما نائب الرئيس فدوره محدد بموجب الدستور، فهو فقط يرأس مجلس الشيوخ ويحل محل الرئيس إذا توقف عن ممارسة سلطاته.

أما فى مجالات التشريع فبالرغم من أن الدستور يجعل وضع القوانين من حق الكونجرس وحده إلا أن العادة جرت أن يطلب الرئيس من الكونجرس صياغة قانون ما إذا وجد ضرورة لذلك، كما أن للرئيس الحق فى أن يعيد للكونجرس أى قانون يرسل إليه ليوقعه، فإذا أصر الكونجرس بأغلبية ثلثيه على القانون المعاد فعلى الرئيس قبوله. كما أن على الرئيس أن يكون أمينا على تنفيذ القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية.

٢ - السلطة التشريعية:

إن السلطة التشريعية بموجب المادة الأولى من الدستور الأمريكى منوطة بمجلس الكونجرس الذى يتألف من مجلسين:

أ - **مجلس النواب**: ويتألف من نواب ينتخبهم جميع المواطنين الأمريكيين الذين لهم حق الانتخاب بصورة مباشرة، وبنسبة نائب واحد لكل ثلاثين ألف مواطن، وبذا تتمثل كل ولاية بعدد من النواب يتناسب مع عدد سكانها. أما شروط الانتخاب فتحددها كل ولاية شرط أن تراعى فيها المبادئ الأساسية التى أقرها الدستور، وهى المساواة التامة بين

المواطنين، ويشترط فى المرشح أن يكون قد بلغ الخامسة والعشرين من العمر، وأن يكون أمريكيا منذ سبع سنوات على الأقل، ومدة هذا المجلس سنتان فقط.

ب ـ **مجلس الشيوخ**: إذا كان مجلس النواب يمثل عامة الشعب الأمريكى، فإن مجلس الشيوخ يمثل الصفة الاتحادية للدولة الأمريكية، فلكل ولاية أن تمثل فيه بمندوبين مهما كان عدد سكانها ومساحتها، وبذا فإن الولايات تتساوى فى التمثيل والنفوذ داخل هذا المجلس، فقد جاءت هذه المساواة من جهة للمحافظة على حقوق الولايات الكبرى على الكونجرس، ومن ناحية ثانية لتحول دون الاتجاه نحو حكومة موحدة؛ وكان الشيوخ حتى سنة ١٩١٣م ينتخبون من قِبَل مجالس الولايات، ولكن بعد التعديل الذى أدخل على الدستور الأمريكى فى السنة المذكورة صار الشيوخ ينتخبون من قِبَل الشعب مباشرة، والشروط الواجب توافرها فى الناخب لانتخاب أعضاء مجلس الشيوخ هى نفسها المطلوب توافرها لانتخاب أعضاء مجلس النواب، وافترض فى المرشح الدخول فى مجلس الشيوخ ألا يقل عمره عن ثلاثين سنة، وأن يكون أمريكيا منذ تسع سنوات على الأقل، ومدة ولاية الشيخ وهى ستة سنوات ويجرى انتخاب ثلث أعضاء مجلس الشيوخ مرة كل سنتين، وقد قصد من ذلك المحافظة على الاستمرار فى سياسة المجلس وأعماله، ويرأس هذا المجلس نائب رئيس الولايات المتحدة.

وللكونجرس بصفته الهيئة التشريعية العليا فى الحكومة الاتحادية سلطة سن القوانين فى المجالات التى تتعلق بالنواحى الوطنية والسياسة الخارجية. ومن صلاحياته الهامة: فرض الضرائب وجبايتها، عقد القروض باسم الحكومة الاتحادية، تسديد الدين العام، صك العملة وحمايتها وحماية الأسهم، تحديد الموازين وتنظيم التجارة الخارجية، تأسيس مكاتب البريد، العمل على تقدم الفنون والعلوم، وإصدار قوانين الجنسية.

وللكونجرس صلاحيات واسعة فى شئون الدفاع وإعلان الحرب وتشكيل الجيوش. وله أيضا حق قبول دولة جديدة فى الاتحاد.

٣ - السلطة القضائية:

وتمارس السلطة القضائية فى الحكومة الاتحادية بموجب الدستور الأمريكى المحكمة العليا والمحاكم الفيدرالية الأدنى التى يعينها الكونجرس، وتتألف المحكمة العليا من رئيس وثمانية قضاة آخرون يعينهم رئيس الولايات المتحدة بعد موافقة مجلس الشيوخ، ويتوخى الرئيس عادة فى اختياره لقضاة هذه المحكمة أن يمثل أعضاؤها جميع أقاليم البلاد ومذاهبها الدينية قدر الإمكان ويعين هؤلاء لمدى الحياة مقابل مرتبات ضخمة.

وتنظر هذه المحكمة فى النزاعات الناشبة بين الولايات الأمريكية، وفى الدعاوى المقامة على الحكومة الاتحادية من قِبَل الولايات أو الأفراد بصورة عامة تنظر جميع الدعاوى التى تطبق عليها القوانين الاتحادية.

وأهم صلاحيات المحكمة المذكورة هى التأكد من دستورية القوانين الصادرة عن الكونجرس أو مجالس الولايات.

وتأتى بعد المحكمة العليا المحاكم الفدرالية الموزعة فى جميع أنحاء البلاد للعمل على صيانة القوانين الاتحادية.

وبعد وعلى ذلك كانت العقبة الأساسية هى كيف تمارس الحكومة سلطاتها على الولايات، ورأى البعض باستخدام القوة، لكن كان هذا من شأنه ضرب وتقويض أركان الوحدة، غير أنه تقرر أن تفرض الحكومة سلطاتها على شعوب الولايات وليس على الولايات نفسها (الحكومات)، ومن ثم كان ما يلى حجر الزاوية فى الدستور.

مادة (١) فقرة (٨) «انظر بملحق رقم ١»

«للكونجرس سلطة سن القوانين الضرورية والملائمة لتنفيذ السلطات التى منحها هذا الدستور لحكومة الولايات المتحدة».

«وهذا الدستور وقوانين الولايات المتحدة التى تسن طبقا له، وكل المعاهدات المبرمة، والتى ستبرم فى ظل تلك السلطة، ينص أن تكون القانون الأعلى للبلاد، وعلى القضاه فى كل ولاية أن يتقيدوا به بصرف النظر عما يخالف ذلك فى دستور أو قوانين أية ولاية أخرى.

وعلى هذا أصبحت قوانين الولايات المتحدة نافذة فى جميع محاكمها الوطنية عن طريق قضاتها وموظفيها، وحين كان على القضاة أن يتقيدوا بصرف النظر - وكما سبق القول - عما يخالفها فى دستور أو قوانين أية ولاية أخرى.

إقرار دستور سنة ١٧٨٩: (انظر ملحق (١))

فى ١٧ سبتمبر سنة ١٧٨٧م، أى بعد عمل شاق ومضنى طيلة صيف ذلك العام أمكن تذليل جميع العقبات، وتوصل المؤتمر إلى صيغة دستور جديد للبلاد الأمريكية يقيم حكومة فدرالية قوية دون أن يقضى على كيانات الدول واستقلالها. وفى اليوم السابع عشر من الشهر المذكور وقع جميع المندوبين وثيقة الدستور الجديد الذى يعود الفضل الأكبر فى وضع نصوصه إلى ماديسون الذى يعرف فى التاريخ الأمريكى بأبى الدستور. وبقى على هؤلاء المندوبين أن يعملوا على جعل ولاياتهم تقر هذا الدستور فى أقرب فرصة ممكنة إذ لم يكن بالإمكان وضعه موضع التنفيذ إلا إذا أقرته تسع دول على الأقل.

وكان على كل ولاية أن تعقد مؤتمرا خاصا لإقرار الدستور الجديد بدلا من المجالس التشريعية التى كان أكثرها معادية لنصوصه، وكانت أولى الدول التى أقرته بنسلفانيا حيث تمكن أنصار الدستور أو الفدراليون، وهو الاسم الذى أطلق عليهم حينئذ من الاستحصال بسرعة كبيرة على قرار بالموافقة عليه. ثم تلتها ماساتشوستى حيث أُقر بأغلبية ضئيلة. وأمام المعارضة المتزايدة لمواد هذا الدستور والانتقادات الكثيرة الموجهة إليه، وخاصة بأنه لا ينص على ضمان الحريات الأساسية للمواطن، فقد قام الزعماء الفدراليون من أمثال هاملتون وماديسون وواشنطن بحملة إعلامية واسعة لشرح أهداف الدستور وتبديد شكوك معارضيه أو الإشارة للفوائد الجمة التى يمكن أن يؤديها للبلاد. وقد أعطت هذه الحملة نتائج طيبة، إذ بلغ عدد الدول التى أقرته فى ٢٥ يونيو سنة ١٧٨٨م تسعة، وهو الرقم الضرورى لإقراره نهائيا. إلا أن دولتين كبيرتين هما فرچينيا ونيويورك لم تتوصلا لإقراره بسبب قوة معارضيه هناك. وأخيرا وبفضل تحالف كبار المزارعين فى شرق فرچينيا وسكان الحدود أمكن إقرار الدستور فى هذه الدول بأغلبية ضئيلة.

أما في نيويورك فقد كان على ألكسندر هاملتون أن يبذل جهودا جبارة لإقناع الدولة المذكورة بالموافقة على الدستور الجديد ولم يوفق إلا بعد أن هددت مدينة نيويرك بالانفصال والانضمام للاتحاد منفردة. وأخيرا، وافقت ولاية نيويورك على الدستور الجديد وبذا بلغ عدد الدول المؤيدة له أحد عشر ولم تلبث ولاية كارولينا الشمالية إن انصاعت لرغبات الأكثرية.

أما ولاية رودأيلاند التي كانت منذ البداية معارضة للفكرة الاتحادية فلم تحضر مؤتمر فلادلفيا ولم تفكر في دعوة مؤتمر لمواطنيها لبحث الدستور الجديد فإنها لم تلبث أن استسلمت لمشيئة الأكثرية بعد أن هددتها الدول الأخرى بأن تعاملها كدولة أجنبية واضعة التعريفات على بضائعها.

تعديلات الدستور:

والواقع أنه قد ثار جدل عنيف فهناك المتوجسون، قلة خائفين من تكوين حكومة مركزية قوية قد تثقل الشعب بمطالبها وتجره إلي حروب عديدة، ولقد تكون حينئذ حزبين وهما الاتحاديين، ومعاهدو الاتحاد، وقد رأى الأول بضرورة قيام حكومة قوية، هذا بعكس مناهضوا الاتحاد، وكان من نتيجة ذلك الجدل أن ظهرت «وثيقة الحقوق» وخاصة بعد ذلك الصمت الذى ثار بين مزارعي «مساتشوسيس»، ويتم ذلك أن أضيفت وثيقة الحقوق للدستور كتعديلات جرت عليه، كما أن الولايات كلها سعت حينئذ إلى أمداح حقوقها المكتبية من دساتيرها إلى الدستور الأعلى للبلاد.

ومن ثم فقد كونت وثيقة الحقوق ودساتير الولايات التعديلات العشرة الأولى للوثيقة الدستورية العامة الأصلية (انظر ملحق ١).

وهذا كفلة هذه التعديلات لهم - مع حقوقهم الدستورية الأخري - الحرية الدينية وحرية الرأى، والصحافة، والاجتماعات، وحق المحاكمة أمام محلفين، وسرعة المحاكمة، وإلغاء أوامر القبض العامة.

وكان جراء الأخذ بقانون الحقوق أن أسرعت الولايات المترددة وأيدت

الدستور، فاعتمد آخر الأمـر في ٢٥ يونيو سنة ١٧٨٨، ثم اتخذ كونجرس البلاد التدابير اللازمة لإجراء انتخابات الرئاسة الأولي، وأعلن أن الحكومة الجديدة ستبدأ عملها في ٤ مارس ١٧٨٩.

وتأتي بعد المحكمة العليـا المحاكم الفيدرالية الموزعة في أنحـاء البلاد للعمل علي صيانة القوانين الاتحادية.

تكوين الحكومة وتنفيذ القانون:

فى يناير سنة ١٧٨٩م وبعـد اختـيار بالإجمـاع أقسم چورچ واشنطن يـمين الإخلاص والولاء للاضطلاع بأعباء رئاسة الولايات المتـحدة؛ وحينئذ كانت الدولة قد بدأت تنمو حثيثا؛ فسرعان ما أصبح الوادى الخصيب شمال نيويورك وبنسلفانيا وفرچينيا فـى مساحات شاسـعة عظيمة قد زرع قـمحا، وبدأ رجال الاقـتصاد فى التخطيط لتـحسين الأوضـاع الاقتصـادية، ثم إيجاد الموارد، والبـحث عن موارد جديدة وذلك لملافاة الآثار السيئة الناجـمة عن الحرب، ثم الانطلاق بحركة أفضل نحو المستقبل.

ومع الزراعة تطورت صناعات وإن كانت بدائية، فقد وضعت ماساتشوستى ورودأيلاند أسس صناعات النسيج الهـامة، وبدأت كونيكتية فى صناعـة الساعات ومصنوعـات الصفيح؛ بدأت نيويورك ونيـو چيرسى وبنسلفانيـا فى تطوير صناعة الزجاج والحديد، واتسـعت صناعة الشحن البحرى، حـتى لم يعد يفوق الولايات المتحدة فى الشحن البحرى إلا إنجلترا.

ومع ذلك فإنه فى ظاهرة واضـحة بدأ معظم النشـاط الأمريكى يتجـه نحو الغرب،إذ يبدءون قانون الـشمال الغربى قد بدأ يؤتى ثماره، فتـدفق المهاجرين من أوربا يجرى إما لشراء الأرض الخـصبة نظير مبالغ زهيـدة، أو للعمالة والذى كان الطلب عليها على أشـده، كما بدأ السكان القدامى فى الهجرة أيضـا؛ فسكان نيو إنجلند وبنسلفانيا بدأوا فى الرحيل إلى أوهايو، وبالإضافة إلى هؤلاء بدأ بعض من سكان فرچينيا وكـارولينا الشمالية والجنوبية ينقلون أنشطـتهم نحو كنتكى وتنسى،

واستمرت الهجرات عبر جبال اللجنى إلى الجانب الغربى، وعاما بعد عام ازدادت أهمية المدن الغربية، وبدأ المسيسبى يشهد حركة ملاحية نشطة.

تلك كانت حالة البلاد حين تولى چورچ واشنطن رئاستها، ورغم الابتهاج الشامل لتوليه، فلم يكن ذلك ينفى أن هناك خلافا ما زال قائما حول الدستور وحول تقوية مركز الحكومة الفدرالية على حساب حكومة الولايات. كان طرفى الخلاف هم الاتحاديون ومناهضوا الاتحاد، وكان الفريق الأول يرى بتقوية السلطة المركزية، واستخدام مواد الدستور بأقصى حدود مرونته، وذلك فى النهاية للمحافظة على المصالح الرأسمالية، هذا بعكس الفريق الآخر وهم صغار الملاك والحرفيين وغيرهم، وكانوا يرون فى تقوية سلطة الولايات حفاظا على مكاسبهم وعدم ضياعها، ومع كل فإن الصراع بين الحزبين قد أفاد فى النهاية فى تقوية بناء الاتحاد من واقع ذلك الصراع بين حزب الحكومة القوى وحزب أنصار حقوق الولايات ونظام تقسيم الأراضى.

وكان لابد حينئذ من تحويل ما خطط نظريا إلى واقع تطبيقى، وأن تشكل حكومة بأجهزة قوية تبدأ فى ممارسة مهامها، مع قدرتها على صيانة القانون، وخاصة مع ذلك الصراع الحزبى الدائر والذى كان يمكن أن يذهب بالمطالب الدستورية الوليدة؛ خاصة وأنه لم يكن هناك تقاليد موروثة أو التزام أصيل يمكن أن يستند عليها فى ثباته وتحقيقه؛ كذلك كان لابد من الاضطلاع بالمهام الملحة حينئذ وأهما عملية الإصلاح الاقتصادى، ومن ثم فقد بدأ فى تشكيل الحكومة، فأنشأ الكونجرس وزارة للخارجية وعين توماس چيفرسون وزيرا، كما أنشأ وزارة للمالية وعين لها «ألكسندر هاملتون» وزيرا، كما أنشأت هيئة قضائية اتحادية مكونة محكمة عليا من قاضى كبير رئيسا لها، وعين «جون جاى» لهذا الغرض، ثم خمسة أعضاء، ثلاثة دوائر قضائية، إضافة إلى ثلاثة عشر محكمة فى الولايات كلها لضمان تنفيذ القوانين الفيدرالية ويبقى قضاة المحكمة العليا وغيرها شاغلين مناصبهم ما داموا حسن السلوك.

وفى الحكومة الأولى لواشنطن عين نائب للرئيس ووزير للخارجية، كما أنه وتحقيقا لرغبة واشنطن الخاصة بألا يصدر قرارًا إلا بعد استشارة رجال يثق فى

حكمتهم كون حينئذ مجلس الوزراء الأمريكى وكان يتألف من رؤساء جميع الدوائر التى أوجدها الكونجرس.

حاول واشنطن طوال فترة رئاسته المحافظة على التألف والارتفاع فوق مستوى الخصومات، لكن وضح منذ البداية أن هناك خلافا واضحا بين الحزب الديمقراطى وعلى رأسهم ألكسندر هاملتون، وبين الحزب الجمهورى وعلى رأسهم توماس جفرسون، وكان واضحا أن الرجلين بعيدان كل البعد عن أن يلتقيا أو يتفقا.

ومع ذلك كانت المصلحة تحتم ضرورة عمل الرجلين جنبا إلى جنب فى حكومة واشنطن فكانوا مستشارين مقربين لواشنطن طوال فترة حكمه، وكان على ألكسندر هاملتون العمل وكانت أهم المشاكل فى الحكومة الجديدة هى المشكلة المالية، ومن ثم فقد تفرغ لحلها بجرأة وكفاية. والمعروف أن الكونجرس وكذلك حكومات الولايات كانوا قد أصدروا أثناء حرب الاستقلال سندات كانت بمثابة دين على السلطة التى أصدرتها. وأمام عجز الحكومات المستمر عن دفع ديونها فإن قيمة هذه السندات قد تدهورت إلى حد كبير، ثم عملت أيدى المضاربين على استغلال أصحابها، وشرائها بأبخس الأثمان. ولم يجد هاملتون من علاج لهذا الوضع إلا بدفع ديون الكونجرس بكاملها. وأما هذه الانتقادات الشهيرة التى وجهت لعمل هاملتون فى هذا من جانب الجمهوريين واتهامه بأن عمله هذا أدى إلى عمله هذا أدى إثراء المضاربين الذين تجمعت عندهم أكثر السندات كان يجيب بأن ما يهمه بالدرجة الأولى هو صيانة سمعة الحكومة المركزية، وإعادة ثقة الناس بأوضاعها المالية. ولم يكتف بذلك بل أصر على دفع ديون حكومات الولايات المتحدة رغم اعتراض بعض الولايات بأن ديونها أقل من ديون غيرها، أو أنها غير مديونة، وبالتالى فإنها لا تريد المساهمة بإيفاء ديون غيرها.

ولما كان يريد العمل على تقوية النهضة الصناعية والنشاط التجارى فقد وجد أنه لابد لتحقيق ذلك من إقامة المركز المالى للحكومة الفيدرالية على أسس سليمة وثابتة، وهذا لا يكون إلا بإقامة «بنك للولايات المتحدة» يقوم بنفس الدور الذى يقوم به البنك المركزى فى بريطانيا. وقد تأسس هذا البنك بمساهمة من الدول

وبعض رجال الأعمال، وأمر أن توضع فيه وحده أموال الحكومة الفيدرالية، وأن يتولى إصدار عملة ورقية موحدة للبلاد. ولقى تأسيس هذا البنك معارضة شديدة للغاية من قبل الجمهوريين إذ لم يرد أى نص فى الدستور بشأن المصرف المذكور، إلا أن هاملتون أجاب على هذه الاعتراضات بأن سلطة إنشاء بنك سمح بها الدستور «ضمنيا» حين أعطى الحكومة المركزية حق فرض الضرائب واستدانة الأموال ودفع الديون، والبنك المركزى ضرورى لا غنى عنه للقيام بهذه الوظائف.

ومن أجل توفير المال اللازم للحكومة الفيدرالية لتقوم بواجباتها فى صيانة المال العام، وتنظيم علاقتها الخارجية، عمد هاملتون إلى فرض الضرائب على البضاع المستوردة. وهذا التصرف أدى إلى انقسام عميق بين المواطنين إنما على أسس جغرافية فالشمال الذى كان قد أقام صناعة ناشئة رحب بهذه الضرائب؛ لأنه رأى فيها حماية مفيدة لمصانعة تساعد على تطوير الإنتاج وازدهار الوضع الاقتصادى، أما الولايات الجنوبية فكانت لا تزال تعتمد فى اقتصادها على الزراعة فهى تصدر القطن والتبغ وتستورد من أوربا السلع المصنوعة، ولذا فإن الضرائب المفروضة على البضائع المستوردة أدت إلى ارتفاع أثمانها وإلى عرقلة التجارة الخارجية فى الجنوب. وقد أوجدت هذه الضرائب سببا دائما للنزاع بين الشمال والجنوب استمر حتى انفجر أثناء الحرب الأهلية.

وكما ظهر انقسام الأمريكيين فى نظرتهم وطرق معالجتهم لمشاكلهم الداخلية، فقد ظهر هذا الانقسام أيضا فى مجال الشئون الخارجية، ففى نفس السنة التى تسلم فيها چورج واشنطن الرئاسة اندلعت فى فرنسا الثورة الفرنسية، ولم تلبث أحداثها أن تطورت وأدت إلى الإطاحة بعرش آل بوربون وإعدام لويس السادس عشر وزوجته مارى أنطوانيت شقيقة إمبراطور النمسا، ولم تلبث فرنسا عقب إعدام ملكها أن أصبحت فى حرب مع كل من أسبانيا، إنجلترا، النمسا وبروسيا.

كانت فرنسا لا تزال حليفة للولايات المتحدة بموجب معاهدة سنة ١٧٧٨م، وهى بالتالى تنتظر العون والتأييد، وخاصة أن الفرنسيين كانوا قد قدموا لأمريكا عونا كثيرا أثناء حرب الاستقلال وقد أظهر الأمريكيون على اختلاف فئاتهم فى

بادئ الأمر عطفا على الثورة الفرنسية، إلا أن الفئات الحاكمة، وخاصة الرئيس واشنطن وحزب الفدراليين عامة، رغم اعترافهم بجميل فرنسا، كان لهم رأى آخر حيث فضلوا إبقاء الولايات المتحدة بمعزل عن المشاكل الأوربية للتفرغ لأمورها الداخلية، وقد استغل واشنطن فرصة دخول فرنسا الحرب ليعلن حياد الولايات المتحدة تجاه المحاربين فى أوربا. ولعل ما شجع واشنطن على اتخاذ هذا الموقف كون المذابح وإحداث عنف الثورة قد أرعبت رجال المال والأرستقراطيين الأمريكيين المعروفين بتأييدهم للفيدراليين. أما الجمهوريين وهم الذين أصبحوا فيما بعد الحزب الديمقراطى الموجود حاليا فى أمريكا، فقد وجدوا فى الثورة الفرنسية صراعا بين الطغيان والحرية وبين حكم الفرد والحكم الديمقراطى فأيدوها وتحمسوا لها.

أما العلاقات مع بريطانيا فى هذه الأثناء لم تكن حسنة؛ ذلك أن الإنجليز كانوا لا يزالون يحتفظون فى المنطقة الشمالية الغربية من البلاد ببعض الحصون والمراكز ومن آن لآخر كانوا يستغلونها لإثارة الهنود ضد الأمريكيين فى محاولة لاستعادة بعض الأراضى الغربية التى فقدوها، أما فى البحار فكثيرا ما كانت سفنها تعترض السفن الأمريكية، وتأخذ بعض بحارتها بحجة أنهم مواطنين إنجليز هاربين من الخدمة العسكرية. وفى سنة ١٧٩٤م أرسل الرئيس واشنطن «چون جاى» رئيس المحكمة العليا إلى لندن لحل المشكلة، وقد وفق جاى فى عقد معاهدة قضت بجلاء الإنجليز عن الحصون الغربية، وإنما تجاهلت قضية تعرض الإنجليز للسفن الأمريكية وأسر بحارتها ، وبالرغم من أن معاهدة جاى قد حلت مشكلة العلاقات مع إنجلترا، إلا أنها أدت من جهة ثانية إلى إثارة فرنسا التى كانت آنذاك فى حرب مع الإنجليز وإلى قيام موجة عارمة من السخط ضدها فى أمريكا نظرا لإغفالها قضية السفن الأمريكية والملاحة والشحن.

ثم إن الرئيس واشنطن قد وقع مع أسبانيا معاهدة حصل فيها لبلاده على الملاحة فى نهر المسيسبى، وحق تفريغ البضائع فى نيو أورليانز.

رئاسة چون آدامز:

خلف واشنطن فى الرئـاسة چون آدامـز، كـما انتـخب جـفرسـون ـ وزير الخارجية الأسبق ـ لنيابة الرئاسة، ولم تكن مهمة الرئيس الجديد سهلة؛ لأنه واجه منذ بداية عهده رأيا عامـا منقسما بسبب المعاهدة مع إنجلترا، كـما أنه كان عليه أن يعالج مشكلة العلاقات السيئة مع فرنسا بسبب المعاهدة مع إنجلترا. وقد أرسل وفدا إلى باريس فى محاولة لإيجاد علاقات حـسنة بين البلدين إلا أن مندوبيه استقبلوا هناك بموجة من الاستهزاء مما أدى إلى تدهور الـعلاقات بين البلدين، ووقعت عدة معارك بحرية بين أسطولى البلدين انتصر فـيها الأمريكيون. وفى سنة ١٧٩٨ ظهر أن الحرب الشاملة واقعة بين البلدين حتما وجـمعت أمريكا جيوشها إلا أن حكمة الرئيس آدامـز وتمسكت بالسلم حـالا دون ذلك، ولما انتقـل الحكم فى فرنسـا إلى أيدى نابوليون أرسل الـرئيس الأمريكى وزيرا جديدا إلى باريس لـقى كل ترحيب من نابوليون مما أدى إلى زوال خطر الحرب.

أما فى الشـئون الداخلية فلم يكن عـهد الرئيس آدامز خصـبا، ذلك أنه هو شخصـيًا لم يكن محبوبا من الجـماهير، وأيضا بسبب القـانونين الذين أصدرهما بسـبب ظروف الحرب وهمـا «قـانون الأجانب» الـذى يعطى الرئيس حق طرد أى أجنبى يشكل مشكلة «خطرا على السلم وعلى سلامـة الولايات المتحدة» و «قانون الفتنة» الذى يعاقب من تثـبت عليه تهمة (الكذب الفاضح أو الحقـد) ضد حكومة الولايات المتحدة وقد لقى هذان القانونان معارضة جديدة من جانب الجمهوريين.

رئاسة جفرسون:

ولما انتهت مدة رئاسة أدامز الأولى عبر الأمـريكيون عن نقمتهم على الحزب الفيدرالى بانتخـاب توماس جفرسون كـبير مفكرى الجمهـورية عام ١٨٠١م. وقد استـهل الرئيس الجديد عهده بـنقل العاصمة الفـيدرالية إلى قـرية صغيرة أسـماها واشنطن مما أثار عاصفة من النقد ضده فـى ولايات الشمال. وقد أظهر منذ تسلمه الرئاسة انسـجاما تـاما مع الأفكار والآراء التى طالما بشر بهـا، فعـمل على إنشاء

حكومة تصون النظام بين المواطنين «ولكنها تتركهم فيما عدا ذلك أحرار لينظموا شئونهم الخاصة فى نواحى العمل والإصلاح». وانطلاقا من هذا المبدأ اختصر مصاريف الحكومة، وألغى ضريبة الوسكى التى وضعت زمن واشنطن، والتى أثارت نقمة المزارعين والمنتجين آنذاك وأطلق المسجونين بموجب قانون الفتنة وشجع التوسع نحو الغرب.

شراء لويزيانا:

بموجب معاهدة باريس سنة ١٧٦٣م حصلت أسبانيا على مساحات فى أمريكا تقدر بما يزيد عن مليون ميل مربع، وهى كل الأراضى الممتدة من الضفة الغربية لنهر المسيسبى فى جبال روكى، بما فى ذلك ميناء نيوأورليانز الضرورى لشحن الحاصلات الزراعية الأمريكية. وفى سنة ١٨٠٠ أرغم نابليون ملك أسبانيا على أن يعيد لفرنسا كل هذه الأراضى المعروفة باسم مستعمرة لويزيانا. وقد أثار هذا التصرف الرعب فى أمريكا، إذ اعتبر هناك كدليل على رغبة نابليون فى إقامة إمبراطورية فرنسية غربى الولايات المتحدة. وفى هذا تهديد مباشر لسلامة أمريكا وتجارتها؛ ولهذا فقد قرر جفرسون أن يتصرف بسرعة وحزم وحتى لو اضطره الأمر لدخول الحرب إلى جانب الإنجليز ضد فرنسا.

إلا أن رغبة نابليون فى هزيمة إنجلترا بأى ثمن واستعداداته الضخمة بعد صلح «إميان» لغزو الجزر البريطانية جعلوه فى حاجة كبيرة للمال، ولذا فإن مبعوثى الرئيس جفرسون الذين وفدوا على باريس سنة ١٨٠٣م لم يجدوا صعوبة فى الاتفاق معه على شراء المستعمرة لقاء خمسة عشر مليونا من الدولارات.

وقد أدهش الرئيس جفرسون الأمريكيين بتصرفه هذا، الذى تجاوز فيه الفدراليين فى نظرتهم إلى مرونة النصوص الدستورية، فالرئيس جفرسون الذى كان منذ وضع الدستور يطالب باحترام حرفية نصوصه، وبالدفاع عن صلاحيات الولايات وسيادتها إذ به أمام ضرورات أمن الولايات المتحدة وسلامتها فقط ليس فقط يقبل شراء أرض جديدة وضمها للدولة، وليس فى الدستور ما ينص على

مثل هذا الحق، وإنما بتجاوزه للدستور وعقد الاتفاق مع فرنسا، ودون أخذ إذن الكونجرس. وقد برر موقفه أن الدستور يعطى للرئيس حق عقد المعاهدات، وهو إنما عقد معاهدة مع فرنسا، وهكذا كما هو ظاهر تفسير مرن جدا للدستور. وقد اعترف هو بذلك، وإنما لقى عمله تأييدا كبيرا من الأمريكيين؛ لأنه أكسب البلاد مساحات من الأراضى الخصبة ذات إمكانيات هائلة. ولم تمض سنوات حتى شعر الأمريكيون بعظيم فائدة هذ العملية حينما امتلأت مجارى الأنهار الغربية بالسفن حاملة المهاجرين الجدد إلى الغرب، وناقلة إلى المرافئ والمدن الشرقية الفراء والحبوب واللحوم المحفوظة. (انظر خريطة رقم ٦).

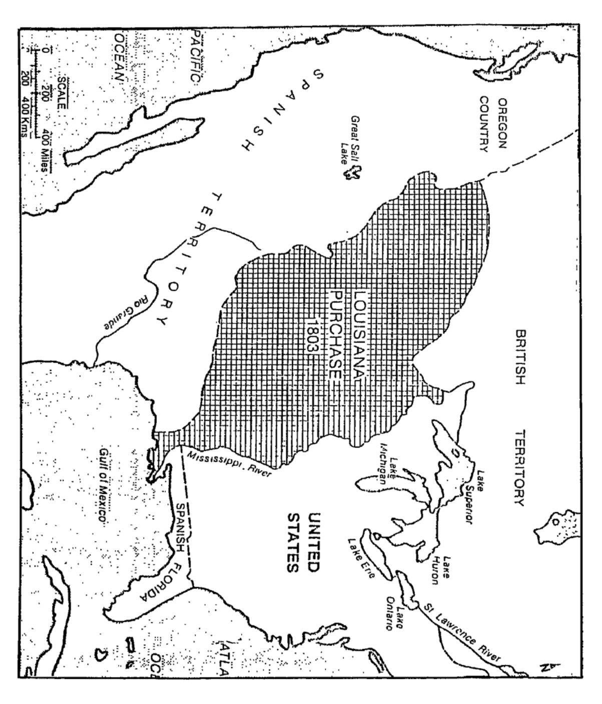
أمريكا والحصار القارى:

فى مدة رئاسة جفرسون الثانية التى بدأت سنة ١٨٠٥م واجهت الولايات المتحدة مشكلة كبيرة فى علاقاتها الخارجية للصراع القائم فى أوربا بين فرنسا من جهة، وإنجلترا وحلفائها من جهة ثانية. فنتيجة لهذه الحرب فرضت كل من الدولتين الحصار على شواطئ الأخرى. ولم يعد بإمكان السفن الأمريكية حمل بضائع إلى فرنسا، والدول التابعة لها، كما أن فرنسا أمرت بمصادرة كل سفينة تقبل تفتيش الأسطول البريطانى لها، أو تدخل الشواطئ الإنجليزية. ونتيجة لذلك شلت تجارة أمريكا مع المنطقة الواسعة التى كانت تسيطر عليها فرنسا فى أوربا. كما أن إنجلترا بسبب حاجتها الماسة للتجارة استمرت فى عملية خطف البحارة على السفن الأمريكية، مع ما فى ذلك من انتهاك للسيادة الأمريكية وإذلال للأمريكيين.

وأمام تصلب موقف كل من إنجلترا وفرنسا فى موقفيهما تجاه أمريكا ونتيجة لرغبة الرئيس جفرسون فى المحافظة على حياد الولايات المتحدة طلب من الكونجرس الأمريكى أن يسن تشريعا يحظر التجارة الخارجية. واعتقد أنه بذلك سوف يجبر بريطانيا على تغيير سلوكها بسبب حرمانها من البضائع الأمريكية التى تحتاج إليها.

خريطة رقم (٦)

أراضى فلوريدا ولويزيانا



إلا أن هذا القانون كان بمثابة الكارثة على التجارة الأمريكية، وعلى صناعة النقل البحرى، فانتشر السخط على الرئيس فى المرافئ التجارية، كما انخفضت أسعار المنتجات الزراعية فى الجنوب والغرب بسبب انخفاض الصادرات الأمريكية إلى خمس معدلها العادى، وأمام تذمر الأمريكيين تراجع الرئيس عن قانون الحظر وسن تشريعا آخر يعطى الرئيس الحق بإعادة العلاقات التجارية مع أى من الدولتين الأوربيتين، التى تتعهد باحترام حرية الملاحة الأمريكية وسلامتها. ولما أعلن نابوليون رسميا سنة ١٨١٠م احترامه للملاحة الأمريكية، مع أنه تمسك عمليا بسياسة الحصار القرى اعتبرت الولايات المتحدة هذا الإعلان كافيا وأعادت العلاقات التجارية مع فرنسا والأراضى الواقعة تحت سلطتها فى أوربا.

ولقد انتهت الفترة الرئاسية لجيفرسون سنة ١٨٠٩م خلفه بعدها الرئيس جيمى ماديسون.

ولما انتهت مدة رئاسته سنة ١٨٠٩م خلفه الرئيس چيمى ماديسون.

رئاسة چيمس ماديسون:

حين تسلم الرئيس ماديسون صلاحياته كانت العلاقات مع إنجلترا تتدهور بصورة مستمرة، وبدا أن الحرب التى حاول الرؤساء الثلاثة السابقون تجنبها قد باتت أمرا لابد من حدوثه، فالإنجليز كانوا مستمرين فى التعرض للسفن الأمريكية فى عرض البحر، ومحاولاتهم عرقلة التجارة الأمريكية مع فرنسا كانت لا تنتهى. وقد ذكر الرئيس فى تقرير قدمه إلى الكونجرس (٦٠٥٧) حادثة تعرض فيها الإنجليز لبحارة أمريكيين وأجبروهم على العمل على سفنهم.

يضاف إلى ذلك أن سكان المناطق الغربية كانوا يريدون محاربة الإنجليز بسبب الغارات المستمرة التى كان الهنود يشنونها على قراهم ومزارعهم. وكانوا يعتقدون أن الهنود إنما كانوا يفعلون ذلك بتحريض من العملاء الإنجليز. ثم إن العناصر الشابة فى الجنوب كانت تريد أيضا الحرب ضد إنجلترا لاستغلال تلك الفرصة واحتلال فلوريدا الأسبانية باعتبار أن أسبانيا آنذاك كانت حليفة إنجلترا. ولعبت العلاقات الفرنسية الأمريكية دورا رئيسيا في الحرب الإنجليزية الأمريكية ١٨١٢.

تاريخ



الولايات المتحدة الأمريكية

الفصل الخامس

ضم ولايات الغرب

في سنة ١٨١٧م تسلم الرئاسة الأمريكية چيمس مونرو، والمعروف بخبرته الطويلة في الشئون الدولية، إذ سبق له أن عمل وزيرا لبلاده في باريس، ثم في لندن. كما ساهم في المفاوضات التي أدت إلى شراء مقاطعات لويزيانا. وقد استدعى چون آدامز المعروف بوطنيته وخبرته في إدارة الشئون العامة ليكون المسئول عن الشئون الخارجية، ومنحه ثقة واسعة ساعدته في القيام بمهامه. ولما كانت البلاد عقب حرب ١٨١٢م قد بدأت تنعم بفترة من السلام والرخاء والتقدم الاجتماعي والاقتصادي، فقد تمكن الرجلان من الاهتمام بالشئون الخارجية والدولية توصلا إلى حل الكثير من مشاكل الولايات المتحدة المعلقة مع الدول الأخرى. وبفضل التعاون المخلص مع وزير خارجية بريطانيا أمكن حل ما تبقى من مشاكل معلقة مع الإنجليز، ورسم الحدود الفاصلة بين كندا والولايات المتحدة الممتدة من بحيرة سوبيريو باتجاه الغرب على محاذاة خط العرض ٤٩°، ولا تزال هذه الحدود قائمة حتى اليوم.

شراء فلوريدا:

كانت فلوريدا حتى ذلك الوقت لا تزال تحت الحكم الأسباني، ولما كانت منشغلة في متاعبها مع مستعمرات أمريكا الوسطى والجنوبية؛ بسبب رغبة هذه المستعمرات بالاستقلال، فإن أوضاع الأمن قد تردت كثيرا في فلوريدا فصارت ملجأ يأوى العبيد الهاربون من أسيادهم في الجنوب الأمريكي، كما أن قبائل الهنود الحمر المعروفين باسم (السيمينول) اتخذوا من هذه المستعمرات منطلقا لغاراتهم على المواطنين الأمريكيين في الولايات الجنوبية. وقد اضطر القائد الجنوبي چاكسون للقيام بأكثر من حملة تأديبية ضد هذه القبائل خرق فيها حرمة الحدود الأسبانية، مما عمل على تدهور العلاقات بين كل من مدريد وواشنطن. وفي سنة ١٨١٨م قام القائد الأمريكي الجنوبي بحملة ضد القبائل الهندية توغل فيها ضمن

أراضى فلوريدا بتأييد من حكومته، وبصورة خاصة من آدامز وزير الخارجية. وقد انتهت هذه الحملة باحتلال كامل المستعمرة وجميع الأراضى الساحلية لأسبانيا الممتدة من فلوريدا حتى مصب المسيسبى على خليج المكسيك. أدى هذا الاحتلال إلى أزمة دبلوماسية بين أسبانيا والولايات المتحدة انتهت بعد مفاوضات طويلة بمعاهدة سنة ١٨١٩ تنازلت بموجبها أسبانيا عن أراضيها فى جنوب الولايات المتحدة، وذلك مقابل تعويض مالى مقداره خمسة ملايين دولار (انظر خريطة رقم٦).

المحكمة العليا:

لقد لعبت المحكمة العليا فى زمن الرئيس مونرو والرؤساء الذين سبقوه منذ بدء القرن التاسع عشر، دورا بارزا فى إيجاد الأسس القانونية المؤدية إلى تثبيت دعائم الحكم المركزى، فذلك قاضى القضاة «مارشال» الذى تسلم رئاسة المحكمة المذكورة منذ سنة ١٨٠١م واستمر فيها حتى سنة ١٨٣٥م، عمل طيلة هذه المدة على دعم نظريات الفدراليين. لقد فصل خلال مدة رئاسته الطويلة فى عدد كبير من القضايا التى تتضمن مسائل دستورية. ولم ينحرف أبدا فى قراراته عن المبدأ الأساسى الذى آمن به، وهو سيادة الحكومة الفدرالية. كما أنه صرح فى إحدى القضايا سنة ١٨١٩م بأن الدستور يعطى الحكومة ضمنا سلطات أخرى، بالإضافة إلى تلك السلطات التى يقرها الدستور. وبهذه القرارات ساهم مارشال فى جعل الحكومة الفيدرالية الأمريكية قوة حية فعالة.

التوسع نحو الغرب:

عقب انتهاء حرب الاستقلال، وبصورة خاصة منذ مطلع القرن التاسع عشر، كان تيار الهجرة إلى الغرب، أى إلى ما وراء جبال الأبلاش والليقانى يقوى بصورة مستمرة؛ خاصة وأن أراضى الغرب كلها اعتبرت بعد الاستقلال ملكا للاتحاد، وألغيت جميع الحقوق السابقة عليها، ثم إن قرار سنة ١٧٨٧م قد شجع الهجرة إلى هذه الأراضى بالسماح للمهاجرين إليها بأن يشكلوا حكومات ذاتية تدير شئونهم،وكما سبق ذكره، إلى أن يبلغ تعداد السكان فى كل منطقة ستين ألف

مواطن عندها يدخلون الاتحـاد على قدم المساواة مع الولايات المؤسسـة. وبذا فقد أعطى المهاجرون إلى هذه المناطق الضمانات التـامة بأنهم سوف يعاملون دوما على قدم المساواة مع سكان المناطق الشرقـية. ولـم يلبث هذا القانون أن أعطى ثماره بأن ضمت سنة ١٨٩٢ ولاية كنتـاكى للاتحاد، ولـم تلبث أن تبعتهـا ولاية تينيسى سنة ١٧٩٦م وأوهايو سنة ١٨٠٣م. ثم دخلت الاتحاد بين سنتى ١٨١٦م و١٨٢١م ستة ولايات هى: أنديانا، مسيسبى، ألينوى، ألباما، مين، وميسورى.

وهكذا أخـذ الغـرب ينمـو ويتطور بصـورة مـدهشة بـعد أن تلاقت فـيـه وتصاهرت أجناس عديدة أقامت بصورة كبيرة مجتمعا جديدا يختلف إلى حد كبير عن المجتمع الموجـود فى الشمال أو الجنوب، ففى سنة ١٨٣٠م مـثلا صار لسكان الغرب الذين يمثلون تقريبـا نصف سكان الولايات المتحدة، مجتـمعا لا يرتبط إلى حد كبـير بتقاليد وعـادات العالم القديم، ففى مـجتمع الغرب الجديـد يُقَّيم الفرد بالنسبـة لما يمكن أن يؤديه من خدمات، ولمـا يملكه من شجاعـة وخلق وقدرة على العمل والإبداع بغض النظر عما ورث من مال وألقاب. فالأرض موفورة للجميع، إذ كانت الحكومة تبيع الفدان بدولار وربع الدولار، والحصول على أدوات الزراعة والفلاحة متيـسر للجميع. لذا فالناس متساوون فى الفـرص، وبالتالى فإن إمكانية النجاح مفتوحة أمام الجميع دون تمييز.

مبدأ مونرو (١٨٢٣م):

فى أيام الاحتلال الفرنسى لكل من أسبانـيا والبرتغال انقطعت العلاقات بين هذين البلدين وبين مسـتعمـراتها فى أمريكا الجنوبيـة، وأخذت هذه المستعـمرات تمارس الحكم الذاتى بصـورة تدريجـيـة. وبعـد زوال عهـد نابليـون وعـودة الملك الأسبانى فرديناند إلى عـرشه فى مدريد عادت العلاقات بين مدريد والمسـتعمرات إلى الوضع السـابق ولكن لفتـرة قصـيرة. إذ لـم تلبث هذه المسـتعـمرات مـتأثرة بالثـورتين الأمريكيـة والفرنسـية أن جنحت نحـو استـقلال فـعلى. ولـم تلبث أن اشتعلت الثورات فى هذه المستعمرات بقيـادة الزعيمين سيمون بوليفار وخوسى دى

سان مارتن (Jose de san Martin & Simon Bolivar)، وفى سنة ١٨٢١ كانت الأرجنتين وشيلى قد حصلتا على استقلالهم وتبعتهما فى سنة ١٨٢٢م بيرو، وكولومبيا، والمكسيك. وكذلك أعلنت البرازيل فى نفس السنة استقلالها وانفصالها عن البرتغال. وقد بادرت هذه الدول إلى تشكيل حكومات ديمقراطية على النمط الأمريكى.

لما كانت الدول الكبرى، روسيا وبروسيا وفرنسا، قد وقعت فى سنة ١٨١٥م التحالف المقدس الذى أخذ على عاتقه مهمة حماية الحكام الشرعيين فى أوربا من الثورات والأنظمة الحرة، حتى ولو اضطره الأمر إلى التدخل عسكريا فى شئون الدول الأخرى. وأمام عجز ملك أسبانيا عن وقف الحركة الثورية الاستقلالية فى مستعمراته الأمريكية فقد لجأ إلى التحالف المذكور طالبا منه المساعدة لاسترجاع مستعمراته، أما الإنجليز فكان لهم رأى آخر. كانت إنجلترا ترى ضرورة المحافظة على استقلالات هذه الدول الأمريكية، حيث وجدت أسواقا واسعة لمنتجاتها، ومراكز غنية بالمواد الأولية اللازمة لصناعاتها وإنطلاقا من هذه النظرة أخذت إنجلترا تعارض مساعى الحلف المقدس للتدخل فى أمريكا الجنوبية، كما أن وزير خارجيتها كانينج حاول إقناع الولايات المتحدة أن تصدر الدولتان إعلانا تعربان فيه عن معارضتهما لأى تدخل خارجى فى شئون الدول الأمريكية. وكانت الولايات المتحدة تنظر بكثير من الشك والريبة إلى أطماع بعض دول الحلف المقدس فى العالم الجديد، وخاصة أن روسيا كانت تبدى اهتماما متزايدا بشئون آلاسكا التى كانت تابعة لها آنذاك. إلا أن وزير الخارجية الأمريكى آدامز لم يكن ميالا للتعاون مع الإنجليز خاصة وأنه كان يرى فى مثل هذا الإعلان محاولة إنجليزية لإبعاد الولايات المتحدة عن شئون أمريكا اللاتينية، وعلى هذا فقد اقتنع الرئيس مونرو بأن تتصرف الولايات المتحدة لوحدها وانطلاقا من سياسة العزلة وعدم التدخل فى الشئون الأوربية التى سار عليها أسلافه. وعلى هذا فقد عرض الرئيس فى الرسالة السنوية التى وجهها للكونجرس فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٣٢م سياسته تجاه أوربا وأمريكا اللاتينية والتى أطلق عليها منذ ذلك الوقت (مبدأ مونرو)، وأبرز نقاط هذا المبدأ:

١ ـ إن قارتى أمريكا بما تتمتعان به وتحافظان عليه من حرية واستقلال أصبحتا غير خاضعتين لاستعمار أى دولة أوربية فى المستقبل.

٢ ـ أن النظام السياسى للدول المتحالفة يختلف تماما عن نظام أمريكا، ويجب أن تعتبر أى محاولة من جانب تلك الدول لفرض نظامها على أى جزء فى هذا الجزء من الكرة الأرضية خطرا على سلامتنا وأمننا.

٣ ـ لم نساهم بتاتا فى الحروب التى نشبت بين الدول الأوربية لأمور خاصة بها، كما أنه ليس مما يتفق مع سياستنا أن نفعل ذلك.

وقد أصبح هذا المبدأ حجر الزاوية فى السياسة الخارجية الأمريكية طيلة القرن التاسع عشر، بل وربما كان لايزال حتى الآن فى بعض الأوساط السياسية فى الولايات المتحدة.

حرب المكسيك:

وفى سنة ١٨٢٠م كان أكثر سكان تكساس التابعة للمكسيك من الأمريكيين. وكانت الحكومة المكسيكية تشجع هؤلاء على الاستيطان فى أراضيها أول الأمر، ولكنها لم تلبث أن غيرت رأيها بعد أن شعرت بأنها تفقد تدريجيا السيطرة فى هذه المناطق. ففرضت قوانين شديدة على أهالى تكساس وعملت على تحديد الهجرة الأمريكية. وهذا ما جعل هؤلاء يعلنون استقلالهم فى سنة ١٨٣٥م فقادت المكسيك ضدهم حملة عسكرية انتهت بهزيمة المكسيك، وأعلنت تكساس جمهورية مستقلة برئاسة بطل حربها التحررية (هاوشين) وكان هؤلاء يريدون الدخول فى الاتحاد الأمريكى، إلا أن تمسكهم بالرق وتهديد المكسيك بالحرب إذا وافقت الولايات المتحدة على ذلك أخر هذا الدخول.

وفى سنة ١٨٤٥م أقر المجلس التمثيلى لجمهورية تكساس الانضمام للولايات المتحدة الأمريكية. وبموافقة الكونجرس الأمريكى على هذا القرار كان إنما يعلن بصورة مباشرة الحرب على المكسيك. وبالفعل فقد بدأت هذه الحرب فى سنة ١٨٤٦م ولم تنته إلا فى سنة ١٨٤٨م. ولما لم تكن القوى متكافئة على الإطلاق، فإن الولايات المتحدة أرسلت جيشا يتكون من اثنى عشر ألف جندى بقيادة الجنرال

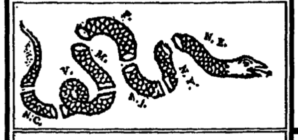
(سكوت Scott). وتمكن هذا الجيش من احتلال أكثر الأراضى المكسيكية ودخول العاصمة فى سنة ١٨٤٧ن وفى سنة ١٨٤٨م وقعت بين الدولتين معاهدة صلح أقرها مجلس الشيوخ المكسيكى، أعطت الولايات المتحدة أراضى تكساس وكاليفورنيا ونيو مكسيكو. كل ذلك مقابل خمسة عشر مليونا من الدولارات الأمريكية.

وهكذا صار للولايات المتحدة نتيجة لهذه الحرب أراضى تقدر مساحتها بثمانية ملايين من الكيلومترات المربعة، مع شواطئ واسعة على المحيط الأطلنطى، مما فتح أمام الولايات المتحدة أفاقا لا حد لها فى التوسع، وخاصة أنه بعد أسابيع قليلة من ذلك ظهر الذهب فى كاليفورنيا، وبدأ سيل الهجرة المحمومة إلى هذه الأراضى.

انضمام الأوريجون Oregon:

فى الربيع الأول من القرن التاسع عشر لم تكن أراضى أوريجون الواقعة شمال غرب الولايات المتحدة تجتذب إليها سوى بعض المغامرين من تجار الفراء، وبعض المبشرين الأمريكيين من الساعين وراء تنصير القبائل الهندية.. وبفضل نجاح هؤلاء المبشرين لم تلبث منذ السنة ١٨٣٠م سيل المهاجرين الأمريكيين مع خيولهم ومواشيهم أن اندفع نحو هذه الأراضى، مما جعل الكونجرس يهتم كثيرا بموضوع السيادة على هذه الأراضى. وبعد مفاوضات طويلة بين الحكومتين الأمريكية والإنجليزية تم التوصل فى سنة ١٨٤٦م إلى معاهدة بين الفريقين تنازلت بموجبها بريطانيا عن كل أراضى أوريجون الواقعة جنوب خط العرض ٤٩° شمالا.

وقد تم الحصول على أوريجون، والقضاء على آخر ما تبقى من مواقع فى أراضى الولايات المتحدة الحالة للإنجليز قبل عدة أشهر من إعلان الكونجرس ضم ولاية تكساس إلى الاتحاد مما سيؤدى فى النهاية إلى سيطرة الولايات المتحدة على جميع الأراضى التى كانت لا تزال خاضعة لسيطرة دول أخرى غير الولايات المتحدة، وقد تم هذا التوسع الهائل زمن الرئيس بولك.



الفصل السادس

الحرب الأهلية الأمريكية

فى منتصف القرن التاسع عشر امتدت البلاد فى أنحاء القارة؛ إلى الغابات والجبال والسهول، ووصل عدد ولايات الاتحاد إلى واحد وثلاثون ولاية، تضم ثلاثة وعشرين مليون نسمة، ووصل النشاط والإنتاج والعمل إلى أوجه، ففى الشرق ازدهرت الصناعات، وفى وأواسط الغرب والجنوب كانت الزراعة عملا يدر الربح الوفير، وتدفق الذهب الذى ظهر بوفرة فى كاليفورنيا فأغرق مختلف ميادين التجارة، وربط كل ذلك شبكة من خطوط سكك حديدية ممتدة وواسعة، وحققت تواصلاً وترابطًا بين جميع المناطق الآهلة بالسكان برباط وثيق.

غير أنه ومنذ البداياة كانت ولايات نيوإنجلند وولايات ساحل المحيط الأطلنطى هى المراكز الرئيسية للصناعة والتجارة والمال. وكانت أهم المنتجات هناك هى المنسوجات والصناعات الخشبية والملابس والآلات والجلود والمصنوعات الصوفية، وفى الوقت نفسه بلغت الملاحة أقصى مراحل التقدم، وجابت البحار السبعة سفن يرفرف عليها العلم الأمريكى مصدرة ومستوردة بضائع من وإلى كل أنحاء العالم.

كما أنه وفى الجنوب كان القطن المصدر الرئيسى للثروة؛ وانتشرت زراعته، رغم انتشار زراعة الأرز على طول الساحل، إضافة إلى قصب السكر فى لويزيانا، والتبغ وغيره من الحاصلات فى ولايات الحدود. كما انتشرت صناعات هنا وهناك، وبعد استغلال أراضى سهول الخليج السوداء الخصبة تضاعف إنتاج القطن خلال العقد الخامس من القرن التاسع عشر؛ وملئت العربات والسفن والقطارات بالقطن لأسواق الشمال والجنوب، وقد غطى إنتاجه مصانع النسيج فى الشمال، كما قبل أكثر من نصف صادرات البلاد من المواد الخام.

تمتع بذلك الرخاء أيضا، مناطق الغرب الأوسط بمراعيها الشاسعة، وقوة اليد العاملة المتنامية فيها بسرعة، وكانت كل أوربا والولايات الأمريكية القديمة فى

حاجة إلى قمح هذه الأقاليم ومنتجات لحومها، وكان لحجم وسرعة استخدام الآلات أثره في مضاعفات متتالية للإنتاج؛ وكان لتحسين وسائل النقل أثرا كبيرا أيضا في إحداث رخاء الغرب، فقد اخترقت جبال الأبلاش خمسة خطوط سكك حديدية بين سنوات ١٨٥٠م إلى ١٨٥٧م، ولم يكن للجنوب نصيب كبير في شبكة الخطوط الحديدية، ولم يتم إنشاء خط متصل يخترق الجبال ويربط حوض المسيسبي الأدنى بساحل المحيط الأطلنطي الجنوبي إلا في أواخر العقد الخامس.

ومع ذلك كان الوضع بشكل عام يوضح أن الشماليون قد تميزوا عن الجنوبيون بتطورهم السريع، وبدخولهم الضخمة المرتفعة عن الجنوب، لكن سرعة التقدم تلك كانت تحمل في طياتها أخطاراً كامنة كانت تهدد استمرار التوافق والانسجام الإقليمي؛ ولم يعد خافيا أن هناك انتمائين واحدا للشمال والآخر للجنوب، دون أن يكون هناك انتماء واحد لقومية أمريكا الحديثة، وأخذت المصالح المتعارضة تزيد على مر السنين بين الشمال والجنوب، وكان أهل الجنوب يستنكرون الأرباح الضخمة التي يربحها رجال الأعمال من أهل الشمال من خلال عمليات البيع والشراء، والتعاريف والضرائب، وفسروا تأخرهم بتوسع الشماليون ومحاولة بسط نفوذهم؛ غير أن الشماليين اعتبروا أن سبب تأخر الجنوبيون عنهم إنما سببه ذلك النظام الذي أقره الجنوب وهو نظام الرق؛ ولقد وضح تفاقم ذلك الخلاف حين مناقشة مشكلة الحماية الحمركية توزيع الأراضي، والرق.

أولا - مشكلة الحماية:

عندما طرحت قضية الحماية بعد الاستقلال كان الهدف من ذلك تعزيز الاستقلال السياسي عن طريق جعل البلاد قادرة على سد حاجتها بنفسها. ولذا فقد عملت الحماية الحمركية على حماية الصناعة الأمريكية بفرض رسوم مرتفعة على البضائع المستوردة من أوربا. وقد لقيت هذه الضرائب مقاومة عنيفة من الجنوب الزراعي ذلك أن سكان الجنوب كانوا ينتجون المواد الأولية الزراعية فيصدرونها للخارج ويشترون بثمنها مصنوعات أوربية اعتادوا استهلاكها منذ أمد بعيد، فارتفعت أثمانها بفرض الضرائب الجمركية عليها. ولقد تأزمت هذه المشاكل زمن الرئيس جاكسون لدرجة هددت كيان الاتحاد، وعندما أقر الكونجرس سنة

١٨٣٢ قانونا بفرض تعريفة جمركية جديدة عارضت كارولينا الجنوبية التى كانت تشعر منذ أمد طويل بأن الحماية تعود بالمكاسب على الصانعين فى الشمال، بينما يتضرر من ارتفاع الأسعار مزارعى الجنوب. ولم يلبث مجلسها التشريعى أن أعلن ألغاء القانون الذى أقره الكونجرس معتمداً على نظرية حق مجلس الولاية فى اعتبار أى قانون يصدره الكونجرس باطلا دستوريا، ولا يكون نافذ المفعول فى الولاية التى لا تقر ذلك القانون. وهذه النظرية طالما نادى بها وعمل من أجلها أنصار حقوق الولايات، وهم كثرة آنذاك، ولم تلبث الولايات أن هددت بالانفصال فيما إذا أقر الكونجرس استخدام القوة ضدها، إلا أن مجلس الولاية اضطر بعد ذلك للتراجع عن قراره من جهة لكون الولايات الجنوبية الأخرى لم تؤيد موقفه، ومن جهة أخرى نظرا لإصرار الرئيس جاكسون على استعمال جميع الوسائل للمحافظة على وحدة البلاد. إلا أن هذا لم يغير شيئا من واقع نظرة الجنوبيون إلى قوانين الحماية الاقتصادية ومع الحماية برزت قضية أخرى هى قضية البنك المركزى، وقد كانت أيضا مثار خلاف بين الفريقين. فبينما كان الشماليون يريدون تنظيم المصارف الوطنية، وإيجاد بنك مركزى قوى، كان رجال لجنوب يعارضون قيام هذه المؤسسة ويرون فيها وسيلة تساعد الدولة بها أصحاب النفوذ ورجال المال على زيادة ثرائهم.

ثانيا - توزيع الأراضى:

وكان الشماليون نظرا لرسوخ الديمقراطية بينهم، ولازدهار الطبقة الوسطى يريدون من الدولة أن توزع أراضيها الواسعة فى الغرب مجانا على المزارعين الصغار، وعلى المهاجرين الجدد، بينما يرى قادة أهل الجنوب وجلهم من كبار المزارعين ألا توزع الدولة أراضيها إلا مقابل أثمان مرتفعة، وذلك رغبة منهم فى حصر ملكية الأرض بطبقة كبار المزارعين ولمنع انخفاض أسعار المنتجات الزراعية.

ولما كان أكثر سكان الشمال من العاملين فى التجارة والصناعة والنقل، فقد كان يهمهم زيادة عدد المزارعين والمساحات المزروعة ليتمكنوا من الحصول على حاجاتهم بأسعار منخفضة.

ثالثا - الرق:

إلا أن الخلاف بين الشمال والجنوب لم يلبث أن انتقل من الصعيد الاقتصادى إلى الصعيد الاجتماعى إلى مشكلة الرقيق. ولقد ورثت حكومة الولايات المتحدة مع ما ورثته عن السلطات الاستعمارية الإنجليزية مشكلة وجود عدد كبير من العبيد فى أراضيها. وأثناء وضع الدستور الأمريكى طرقت هذه القضية من الناحية القانونية، إلا أن واضعى الدستور وجدوا أنفسهم مكرهين على الإبقاء على هذا النظام باعتباره شكلا من أشكال الملكية الفردية التى يصونها الدستور، إلا أن الولايات المتحدة لم تلبث أن أمرت منذ سنة ١٨٠٧م بمنع تجارة الرقيق، بمعنى أنها أمرت بمنع استيراده من الخارج، غير أن عدد الزنوج فى أمريكا كان قد أصبح كبيرا لدرجة أن تناسلهم السريع كان يعوض عما كان يأتى قبلا من أفريقيا.

وحينئذ احتدم الجدل حول مشكلة الرقيق، وأصبحت الدعوة علنية من أهل الجنوب بضرورة وجوده، وفى تطور لمشكلة الرق تغير «نظام الأبوة» فى «حكومة المزرعة» بعد سنة ١٨٣٠م، وكان نظام الأبوة نظاما ميسرا من حكم السيد لعبيده، وبإشراف شخصى منه، أما ما تغير إليه وهو نظام «الملاحظين»، والذين كانت مقدرتهم العالية فى استغلال العبيد هى السند الحقيقى لتعيينهم فى المزرعة لملاحظة العبيد، فكان نظام غاية فى القسوة، والذى على إثره تحطم النظام العائلى «نظام الأبوة»، وعامل الملاحظين الرقيق بقسوة شديدة، وانتهك من خلاله كل ما يتمتع به الإنسان من حق طبيعى فى الحياة.

ولقد كثف من تلك المشكلة التطورات التى جرت على نظام ومعدل العمل، وعلى حجم الاستثمار فى زراعة القطن، فمثلا سنة ١٨٠٠م كان حجم الإنتاج (١٦ مليون) كيلوجرام، وفى سنة ١٨٢٠م كان (٧٢ مليون) كيلوجرام، وفى سنة ١٨٤٠م كان ما يزيد على (٣٠١,٥٠٠ مليون) كيلو جرام، وفى سنة ١٨٥٠م كان يمثل سبعة أثمان احتياجات العالم من القطن المنزرع فى ولايات الجنوب، وقد استتبع تلك الزيادة، من جانب آخر، زيادة أخرى فى حجم الرقيق.

وفى الوقت الذى أخذت ولايات الشمال تحرر عبيدها وتمنع الرقيق كانت الحاجة إلى هؤلاء فى تزايد مستمر فى الجنوب، بل إن الرقيق أصبح الأساس الذى يقوم عليه اقتصاد الجنوب، حيث تمارس زراعة القطن وقصب السكر فى مساحات ضخمة، وظروف مناخية لم يعتد الرجل الأبيض على تحملها. ومع تزايد عدد الرقيق فى الجنوب كانت تتزايد الدعوة فى الشمال لتحريرهم ولرفعهم إلى مستوى مواطن مساو للرجل الأبيض.

وحينئذ ومع الوقت أصبح الهدف الرئيسى لسكان الجنوب فى مضمار السياسة الوطنية، هو الدفاع عن مصالحهم التى تتمثل فى زراعة القطن، وفى حيازة الرقيق، ثم تدعيم هذه المصالح والتوسع فيها، وكان التوسع هاما، حيث إن نظام زراعة الأرض بمحصول واحد قد أنهكها وقلل من خصوبتها، علاوة؛ ومن جانب آخر، لحاجة الجنوب لأراضى لإقامة ولايات جديدة تعمل بمبدأ الرق لحفظ التوازن السياسى بينها وبين ولايات «الأرض الحرة»أو الشماليون؛ وذلك لاكتساب نفوذ سياسى، يدعم موقفهم فى مواجهة الشمال.

غير أن الشماليون المناهضون للرق فطنوا لتلك الرغبة من جانب الجنوبيين، فكانت لهم إجراءاتهم، نوردها لاحقا، ومن جانب آخر، وفى العقد الرابع من القرن التاسع عشر شنوا حربا شعواء على فكرة الرقيق، فكانت مناهضة الرق على أشدها، ومن الجدير أن نوضح أن تاريخ مكافحة الرقيق كان قديما، فكانت هناك حركة لمناهضة الرقيق سنة ١٨٠٧م نتج عنها إلغاء تجارة الرقيق مع أفريقيا، كما عارض بعد ذلك جماعة «الكويكرز» تلك المسألة، وإن كانت معارضتهم غير ذات فائدة كونها مسالمة إلى حد كبير، وخاصة فى وقت كانت فيه مصانع حليج القطن فى حاجة إلى المزيد من الرقيق، غير أنه ومع سنة ١٨٣٠م كان هناك مظهرا جديدا من مظاهر الإثارة والتحريض ضد استخدام الرقيق، وخاصة مع انتشار المثل العليا والأفكار الديمقراطية، ثم الاهتمام بالعدالة الاجتماعية بين الطبقات، وعلى ذلك جاءت وفى تطرف كبير سنة ١٨٣١م حركة «وليم لويد جاريسون» من ماساتشوستى، فى محاولة لإلغاء الرقيق، وفى جريدته «لبريتور» العدد الأول يناير سنة ١٨٣١م جاء مقاله محاربا بضراوة ذلك المبدأ، ومع ذلك كان هناك بعض الشماليون يعارضون ذلك التطرف ويرغبون فى الحل بطريق سلمى مشروع.

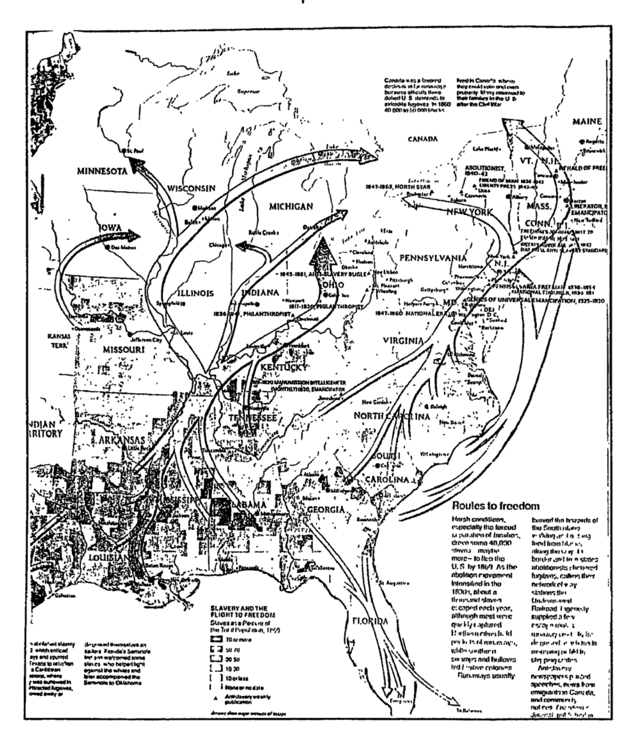
ولقد مرت حركة مكافحة الرق بعديد من المراحل، فقد بدأت أولا بمساعدة العبيد على الفرار فى جنح الظلام إلى ملاجئ آمنة فى الشمال، أو فى كندا، وعُرفت هذه الحركة باسم «الطريق الحديدى السرى»، إلى حد أنه سنة ١٨٤٠م، ١٨٤٢م، ١٨٤٣م أنشئت شبكة دقيقة ومستديمة من الطرق السرية فى جميع أنحاء الشمال يسلك الهاربون سبيلها، وكانت ناجحة بدرجة كبيرة فى الإقليم الشمالى القديم، وقد قدر عدد العبيد الذين ساعدتهم تلك الحركة بما لا يقل عن (٤٠ ألف) هارب فى أوهايو وحدها بين سنة ١٨٣٠م إلى سنة ١٨٦٠م، وازداد عدد الجمعيات المناهضة للرق إلى ألفين جمعية سنة ١٨٤٠م، بلغ عدد أعضاءها (٢٠٠ ألف) تقريبا، (انظر خريطة رقم ٧).

وعلى الرغم من تلك الجهود، وجهود أنصار حركة الإلغاء، إلا أن باقى الشماليين اعتبروا مسألة الرق شأن من شئون أهل الجنوب، ومسئولية السلطات التشريعية هناك.

غير أن المسألة تحولت من مجرد التزامات أخلاقية إلى قضية سياسية حامية، وخاصة بعد انضمام تكساس وولايات الجنوب الغربى التى تم الاستيلاء عليها بعد حرب المكسيك، وبافتراض أن تلك الأراضى والولايات صالحة للرق، كان الأمر عادى مع التسليم بعدم تخطى تلك المناطق لحدود ما نصت عليه «اتفاقية ميسورى» لسنة ١٨٢٠م، لكن مع فكرة التوسع الجنوبى بالرق مع ضم تلك الولايات للاتحاد أمرا أشعل وفاقم المشكلة.

تبلورت حينئذ آراء ثلاثة لحل تلك المشكلة، رأى للشماليين، وآخر للجنوبيين، وثالث للمعتدلين وكانوا فريقين، كانت تكساس حينئذ بها عديد من العبيد، ومن ثم كان دخولها للاتحاد كولاية رقيق أمر مفروغ منه وليس محل تضارب، أما ومع سنة ١٨٤٦م ومع تهيؤ الولايات المتحدة لضم الأراضى التى تحصلت عليها بعد حرب المكسيك والممثلة فى كاليفورنيا ونيو مكسيكو يوتاه، أشار متطرفو الجنوب بضمها كولايات رقيق وعلى أن تفتح على مصراعيها لملاك العبيد، أما الشماليون فقد طالبوا بإقفال المناطق الجديدة فى وجه الرق، وأما جماعة المعتدلين، فقد رأى فريق منهم بامتداد خط اتفاق ميسورى حتى المحيط الهادى

خريطة رقم (٧)



Routes to freedom
CANADA
MAINE
VT.
N.H.
MASS.
CONN.
NEW YORK
N.J.
PENNSYLVANIA
MD.
DEL.
VIRGINIA
NORTH CAROLINA
SOUTH CAROLINA
GEORGIA
FLORIDA
ALABAMA
TENNESSEE
KENTUCKY
OHIO
INDIANA
ILLINOIS
MICHIGAN
WISCONSIN
MINNESOTA
IOWA
MISSOURI
KANSAS TERR.
ARKANSAS
LOUISIANA
INDIAN TERRITORY
1847-1863, NORTH STAR
1847-1860 NATIONAL ERA
1836-1842, PHILANTHROPIST
1845-1861, ANTI-SLAVERY BUGLE
GENIUS OF UNIVERSAL EMANCIPATION, 1825-1830
SLAVERY AND THE FLIGHT TO FREEDOM

على أن تكون الولايات الحرة شمــاله، وولايات العبيد جنوبه، وأمــا الفريق الآخر فقد افترض ترك المسألة لتحل وفقا لمبدأ «الـسياسة الشعبية»، أى أن تسمح الحكومة بتدفق المهاجرين إلى الأرض الجديدة بعبيـدهم أو بدونهم وحسبما يريدون، وحتى يحين وقت تنظيم المنطقـة وتقسيـمها يـكون للناس أنفسهم حق الـفصل فى تلك المسألة.

غير أنه كان لابد من حسم ذلك الأمر ويسـرعة، وخاصة مع اندفاع ثمانون ألفا من المهاجرين بحثا عن الذهـب فى كاليفورنيا، وذلك سنة ١٨٤٩م، كان لابد للكونجرس من حل تلك المشكلة كليـة فى كاليفورنيا وفى غيرهـا، وذلك قبل قيام حكومات منظمة بهما من شأنها مـضاعفة تلك المشكلة، ولقد نجح قاضى المحكمة العليا «هنرى كلاى» فى حل تلك المسائل، وذلك دون نزاعات إقـليمية، فقضى - وبعد تعديل من الكونجرس على بعض أفكاره - بالاعتراف بكاليفورنيا ولاية مُحرم فيهـا الرق، ثم يُقسم ما تبـقى من الأرض إلى مقاطعتى نيـو مكسيكو ويوتاه نص دون نحوهمـا الإشارة نحـوها إلى تحريم الرق من عدمـه بها، واقـترح أن تتنازل تكساس عن الجزء الذى تطالب به من نيو مكسيكو مقابل دفع (١٠ مليون) دولار. وأن تتخذ الإجراءات الفـعالة للقبض على العبيد الهـاربين وإعادتهم إلى سادتهم، وعرض كل ذلك «باتفاق سنة ١٨٥٠م».

ومع ذلك فقـد استمـر الغضب فى الخفـاء، فقانون إعـادة العبيـد الهاربين أغضب الشماليون كـثيرا، ورفض كثير منهم المساهمة فى القـبض على العبيد، بل سـاعدوهم أكـثـر على الهروب، وزاد نشـاط حـركة الطريـق الحديدى السـريع، وأصبحت عملياتهم أكثر مهارة وجرأة، كـما أن كتاب «هارييت بتشر ستو» الصادر فى سنة ١٨٥٢م ساعد فى إلهاب مشاعر الشماليين ضد الرق وضد القائمين عليه، وبحلول سنة ١٨٥٤م ازداد النزاع مرارة، وخاصـة مع توقع تكون حكومتين قويتين فى المنطقة التى تشمل الآن ولايتى «كانسـاس» و«نبراسكا» ذات الأراضى الخصبة، وحينئـذ حاول «ستيـفن دوجلاس» وهو عضـو الشيوخ عن ألينوى تقديم مـشروع لجعل كـانساس ونبراسكا مناطق رقـيق، واضح فى مشروعـه على أن مقتـرحات هنرى كلاى والتـى أُجيزت قـد نقضت اتفـاق ميسـورى بتركه ولايتـى يوتاه ونيو مكسيكو حرتي فى إلغاء الرقيق من عدمه.

ولقد قوبل مشـروع ستيفن دوجلاس بمعارضـة شديدة، ومع ذلك فقد وافق عليه مجلس الشيوخ، وكان رد الفعل عنيـفا، وكانت النتائج خطرة للغاية، ومنها القضاء على حـزب «الويجز» الذى أيد مسألة التـوسع فى الرق، وقامت بدلا منه منظمة قـوية هى «الحزب الجمهـورى»، والذى كان مطلبه الرئيـسى إلغاء الرق فى جمـيع الولايات. ومما يجدر ذكـره أنه قد رشح من هذا الحـزب «چول فريمونت» لرئاسة الجـمهوريـة، وإن كان قد فـشل، لكنه ضم أيضا عددا كـبيـرا من ناخبى الشمال، وكان منهم ذلك المحامى طويل القامة وهو «إبراهام لنكولن».

واستمـرت المسألة فى التدهور بتدفق مـلاك العبيد إلى المنطقـة، ومعهم فى نفس الوقت مناهـضوه، وسـبب ذلك التـدفق إلى كـانسـاس صدامـات دمـوية، وسرعان ما سميت تلك الأرض الجديدة «كـانساس الدامية»، وثمة حوادث أخرى قربت من صراع محتوم بين الشمال والجنوب، وكان أبرزها قرار المحكمة العليا فى قـضيـة «دريد سكوت» وذلك سنة ١٨٥٧م كـان دريد عـبدا من مـيـسورى وقـد غادرها. وبعد معيشة طويلة فى ولايتى «ألينوى ووسكنسن Wiskinson» ـ وهما لا تجيزان الرق ـ عاد إلى ولايته الأصلية، وقد فصلت محكمة يسيطر عليها الجنوبيون فى قضية دريد بأنه لا حق له فى الحرية ما دام أنه عاد باختياره إلى ولايته، والأهم أن المحكمة أيضـا قررت بأن أية محـاولة من جانب الكونجرس فى المقـاطعات لن تجدى، فكان ذلك نصرا هاما للجنوب، حيث أقر بحكم المحكمة المنوه عنه شرعية النظرية أو الفكرة التى تجـيز الرق فى الولايات والمقـاطعات الجديـدة، وسبب كل ذلك اضطرابا كبيرا فى كل المناطق الشمالية.

رئاسة لنكولن:

كان إبراهام لنكولن من مـواليد الغرب الأوسط، وكان يمتـاز من بين زملائه المحامين المشـتغلين بالسيـاسة بمحاربتـه العنيفة للرق، فكـان ينادى بأن كل تشريع وطنى يجب أن يقوم على مكافـحة هذا النظام. وكان يطالب بمكافحـته ليس فقط فى المناطق الجـديدة وإنما فى جمـيع أنحـاء الولايات المتحـدة، ومنذ سنة ١٨٥٨م

بدأت سلسلة من المناقشات العلنية، مع الشيخ «ستيفن دوجلاس» حول قضية الرقيق، وكان لنكولن مرشح الحزب الجمهورى عن ولاية ألينوى لمجلس الشيوخ، بينما كان خصمه مرشحا الحزب الديمقراطى، وبالرغم من خسارة مرشح الجمهوريون، إلا أن مناقشته مع خصمه ودعوته لتحرير الرقيق بقوة وإخلاص جعلته أحد أبرز زعماء البلاد وأقوى المرشحين لرئاسة الجمهورية.

وفى سنة ١٨٦٠م قدم ترشيحه لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية عن الحزب الجمهورى، أما الديمقراطيون فقد انقسموا على أنفسهم وقدموا مرشحين هما: دوجلاس من الشمال، وبركندريبج من الجنوبيين المتعصبين لنظام الرقيق، ولم يكتف الجمهوريون بجعل الرقيق أول بنود برنامجهم الانتخابى، بل أضافوا إليه المطالبة برسوم جمركية مرتفعة لضمان الحماية للصناعة، وتعهدوا بتوزيع الأراضى على السكان دون مقابل. وهذه أمور كلها معارضة لمصالح الجنوبيين ورغباتهم. ولذا فقد كانت المعركة عنيفة للغاية، وكان يبدو أن نتيجتها يتوقف عليها مصير الاتحاد ووحدته، إذ كان من المعروف أن الجنوب لا يمكن أن يقبل بشخص لينكولن كرئيس للدولة، ولا ببرنامجه الانتخابى كمناهج عمل لحكومة. بل إن الجميع كانوا يعرفون أن ولاية كارولينا الجنوبية، ستعلن انفصالها عن الاتحاد إذا فاز مرشح الجمهوريون.

وفى الانتخابات التى جرت فى ٤ مارس سنة ١٨٦٠م فاز الرئيس لينكولن بأغلبية ضئيلة، ولم ينل أكثر من أربعين بالمئة من الأصوات، كما أنه لم يحصل على أصوات أى من الولايات الجنوبية، ولعل السبب الأساسى فى فوزه يرجع إلى توزيع أصوات الحزب الديمقراطى بين مرشحين، ولقد أدرك الجنوبيون وبصورة خاصة دعاة المحافظة على الرقيق وأنصار حقوق الولايات المغزى الحقيقى لانتخاب الرئيس الجمهورى الجديد باعتبار أنه لم يكن قد مر زمن طويل على تصريحه الذى أكد فيه على رغبته فى تحرير الرق وفى المحافظة على وحدة البلاد فى نفس الوقت. لقد أدركوا أن الشمال بتأييده وانتخابه للرئيس لنكولن إنما يعبر ذلك عن

تصميـمه الأكيد على وقف انتشار الرقـيق فى الأراضى الجديدة، إن لم يكن على تحريمه من كل أراضى الاتحاد.

حلف الولايات الأمريكية:

لقد استقـبل انتخاب الرئيس الجديد بالترحـيب الكبير فى ولايات الجنوب؛ لأنها رأت فيـه فرصة مناسبة تتحـرر فيه من ارتباطها القـديم بالاتحاد الذى لم يعد يؤمن لها مصالحها كما تريد هى وكما يريد سكانها.

وكان أن أخذت زمام المبادرة «كارولينا الجنوبية» وأعلنت فى سنة ١٨٦٠م فى مجلسها التمثيلى، وبإجـماع الأصوات أن الاتحاد القائم بين كارولينا الجنوبية وباقى الولايات تحت اسم الولايات المتحدة الأمريكية قد انحل بهذا القرار، ولم تلبث أن تبعتهـا ست ولايات أخرى هى (چورچيا، ألاباما، فلوريدا، مسـيسبى، لويزيانا، وتكساس) وقبل أن يتسلم الرئيس الجديد صلاحياته عقدت الولايات السبعة مؤتمرا فى مدينة مـونتجمرى (ألاباما) وأعلنـت فى ٨ فبراير سنة ١٨٦١م انضمـامها فى اتحـاد جديد يعـرف باسم حلف الولايـات الأمريكيـة Confederated States of America وانتخـبت الولايات الجديدة رئيـسا لها ـ وزير حـربية الولايات المتـحدة السابق، وبطل حرب المكسيك ـ «چيفرسون دايفيس» لرئاسة الدولة الجديدة.

وفى ٤ مـارس سنة ١٨٦١م أعلن الرئيس لـنكولن فى الخطاب الذى ألقـاه بمناسبـة تسلمه سلطات الرئاسة رفـضه الاعتراف بالانفـصال معتـبرا إياه باطلا من الناحية القانونية، كـما أنه أظهر مرونة كبيرة ورغبة فى المصـالحة إذ قال: أنه يقصر معارضتـه فقط لنظام الرق فى الأراضى الجديدة، وإنه يقبل به حيث يـوجد فعلا، وقد ناشد الجنوبيون بالعـودة عن قرارهم والبقاء فى الاتحاد، كما تعـهد بألا يعمد إلى القوة إلا إذا استعملها الجنوبيون ضد حكومة الاتحاد.

وعمل الكونجرس أيضا بوسائل مختلفة على إعادة الجنوبيون إلى الاتحاد، إلا أن هؤلاء باتوا يعـتبـرون أنه من المستـحـيل التـعاون مع الـرئيس الجديد وحـزبه الجمهورى. وكانوا يصرحون أنه إذا زال نظام الرقيق فإن الشمال سوف يطغى على

الجنوب سياسيا واقتصاديا. كما أن كون المنطقتين واحدة زراعية والأخرى صناعية جعل لكل منها مصالح أساسية لا يمكن التوفيق بينهما.

الحرب:

وبعد الانفصال بقيت هناك حاميات فيدرالية بالقرب من مرفئ شارلستون الجنوبى، فى حصن «فورت سمتر Fort Sumter»، وكان عدد أفرادها يزيد على ثمانين رجلا. وأما حاجة هذه الحامية للمؤن فقد أمر الرئيس الجديد بتموينها بالأغذية فقط دون الأسلحة، إلا أن الجنوبيين اعتبروا هذا عملا عدائيا فأطلقوا فى ١٢ أبريل سنة ١٨٦١م نيران مدفعيتهم على الحصن مما جعل خاميته تستسلم بعد يومين فقط، وبدأت الحرب فعلا. وعقب هذا الحادث ارتفع عدد الولايات المنفصلة إلى أحد عشر إذ انضمت إلى الجنوبيون ولايات (أركنساس، كارولينا الجنوبية، فرچينيا، ومسيسبى).

وقد أجبر التصرف الحربى الشمال على التخلى عن مساعيه للمصالحة والاستعداد الفعلى للحرب، ذلك أن الشمال لم يكن فى الأساس متحمسا لمحاربة الجنوب، بل إن بعض الفئات كانت ترحب بهذا الانفصال باعتبار أنه يسمح بإلغاء الرقيق نهائيا فى الشمال، وفى أراضى الغرب التابعة للاتحاد، كما أن فئة الرأسماليين كانوا يعارضون الحرب باعتبار أنهم كان لهم ديون فى الجنوب تزيد على مائتى مليون دولار، إلا أن تصرف الجنوبيون الحربى وإنزال علم الاتحاد من على الحصن قضى على كل تردد فى الشمال وباتت الحرب مطلبا قوميا وطبيعيا.

على أثر حادثة فورت سمتر دعا الرئيس لنكوجيشا من ٧٥ ألف من المتطوعين لإخماد الفتنة وتثبيت سلطة الاتحاد، وقد لبت الولايات الشمالية نداء الرئيس بقوة وحماس، وكذلك فعلت الولايات الجنوبية فأخذت تجهز الجيوش وتستعد للحرب بناء لدعوة رئيسها.

وإذا نحن استعرضنا إمكانيات الفريقين نجد أن الشماليين كانوا منذ البداية أوفر قوة وإمكانيات. كان الشماليون يسيطرون على ثلاث وعشرين ولاية يقطنها حوالى عشرين مليونا من السكان، وكان الشمال يسيطر على الغرب الأوسط التى

بقيت على ولائها للاتحاد، وكانت هذه المناطق على درجة كبيرة من الازدهار الصناعى وكانت تضم بصورة كبيرة مصانع تؤمن حاجيات الحرب، وفيها شبكة واسعة من الطرق اللازمة لنقل هذه البضائع.

أما الجنوبيون فكانوا يسيطرون على أحد عشر ولاية تضم عشرة ملايين من السكان منهم ثلاثة ملايين من الزنوج والعبيد. وكان الجنوب يفتقر إلى صناعة مزدهرة وإلى مصانع السلاح، فكانت أكثر أسلحته تأتيه بواسطة التهريب من أوربا، وبالرغم من ضعف الجنوبيون، فقد كانت لديهم عوامل ساعدتهم على الصمود. ذلك أنهم كانوا يحاربون فى أراضيهم وبالتالى فإن خطوط مواصلاتهم كانت قصيرة، ثم إنهم بحكم عملهم كمزارعين كانوا أقدر على تحمل الحياة القاسية والحرب.

موقف أوربا من الحرب:

منذ إعلان الانفصال سعى الفريقان لاكتساب ود أوربا وتأييدها، فالجنوب علق آمال كبيرة على اعتراف أوربا باتحاده الجديد. وقد حرص بصورة خاصة على تأييد إنجلترا واعترافها؛ وذلك أن الجنوب الزراعى كان يعتمد على مصانع إنجلترا فى كل ما يحتاجه من المصنوعات والأسلحة الحربية. ولذا فقد ركز الجنوبيون جهودهم حول إقناع إنجلترا بتأييد قضيتهم. وقد انقسم الإنجليز إلى فريقين، فرجال الدولة والصناعيين ورجال المال والفئات المثقفة كانت رغم معارضتهم للرقيق تميل لنصرة الجنوب لاعتبارات عديدة منها رغبتهم فى الثأر من هزيمتهم فى حرب الاستقلال وإضعاف الولايات المتحدة بتقسيمها إلى دولتين فلا تعود دولة كبرى تزاحم المصالح البريطانية فى أمريكا والبحار. ثم إن رجال المال والصناعة كانوا يرون فى الجنوب إذا استقل سوقا واسعة لبضائعهم ولاستغلال رأسمالهم بعيدا عن مزاحمة رجال المال والأعمال الشماليين. أما الرأي العام البريطانى فكان بصورة عامة يعارض الحرب، ويؤيد وحدة الأمريكيين لدوافع إنسانية ككرهه لنظام الرقيق، ثم لكون الحرب الأهلية قد أدت إلى البطالة بين عمال النسيج فى بريطانيا. وحتى سنة ١٨٦٣م كانت بريطانيا مترددة فى اتخاذ موقف معين تجاه الحرب الأهلية

الأمريكيـة، وكل ما فعلتـه هو أنها اعتـرفت للجنوبيين بحقوق المحـاربين. وبعد انتـصارات الشـماليين فى يولـيو سنة ١٨٦٣م أقلعت بريطـانيا عن كل تفكيـر فى الاعتراف باستقلال الجنوب.

أما فرنسـا التى كانت تستهلك كـميات كبيـرة من القطن الأمريكى، فكانت تعطف على قضية الجنوب رغم عدائها الشديد لنظام الرقيق، وكل ما أقدمت عليه فرنسا هو أنها اعـترفت للجنوبيين بحقوق المحاربين، كمـا أن نابليون الثالث حاول أن يدفع أوربا لتدخل جـماعى فى العـالم الجديد، إلا أن اقتـراحه لقى معـارضة شديد من إنجلترا وروسيا.

وهنا يجب الإشـارة إلى أن تطور الأوضـاع فى أوربا أثناء الحـرب الأهليـة الأمريكية طرح على بساط السياسة الأوربية سلسلة من المشاكل الهامة جعلت دول أوربا تحول اهتمامهـا نحو مشاكل القارة بصورة خاصة، وأبرز هذه القـضايا قضية الوحدة الإيطاليـة ١٨٦٢م، وما طرحته من مـشاكل فى إيطاليا، وقيـام الثورة فى بولونيا ١٨٦٣مـ ١٨٦٤م. أما نابوليون الثـالث فقـد بات أكثر اهتـمامـا منذ عام ١٨٦٣م بتثبيت دعائم عرش صديقه الإمبراطور مكسيميليان فى المكسيك.

الأعمال الحربية:

لقد جرت الأعمال الحربية فى ثلاث جهات رئيسية: البحر، جبهة الولايات الواقعة شرق الأطلنطى، وجبهة المسيسبى، فـفى البحر كان هدف البحرية الشمالية الأول فـرض حـصار قـوى على الـشواطئ الجـنوبيـة؛ وذلك لمنع تصـدير القطن وللحيلولة دون تسرب الأسلحة من أوربا. وبادئ الأمـر لم يعط هذا الحصار نتائج هامة، وتمكن الجنوبيـون بفضل السفن التى اشـتروها من إنجلترا أن ينزلوا خـسائر هامة ببحرية الاتحاد. يكفى أن نذكر على سبـيل المثال أن السفينة الجنوبية (الاباما) قد أغـرقت ٦٥ قطعـة بحرية شـماليـة قبل أن تضـرب هى سنة ١٨٦٤م، إلا أن الحصار الشمالى أخذ يعطى ثماره منذ سنة ١٨٦٣م بأن حال دون شحن القطن إلى أوربا واستيراد السلع التى كان الجنوب فى أمس الحاجة إليها، وخاصة تلك المتعلقة بضرورات الحرب.

وفى وادى المسيسبى حققت الجيوش الاتحادية بقيادة الجنرال جرانت سلسلة من الانتصارات، فقد احتل ميناء ممفيس الهام على النهر وأخذ يتقدم نحو القسم الجنوبى من النهر، حيث كان الأسطول الاتحادى قد احتل مرفئ نيوأورليانز الهام عند مصب نهر المسيسبى، وبعد انتصاره فى معركة فكسبرج الشهيرة فى يوليو سنة ١٨٦٣م واستسلام أقوى الجيوش للجنوبيين فى الغرب بات الوادى العظيم كله بأيدى الشماليين، وكذلك مجرى النهر من الشمال حتى خليج المكسيك، وبذا منى الجنوب بضربة قاسية باعتبار أنه انعزل عن ولايتى أركنساس وتكساس الغنيتين الواقعتين على الضفة الغربية للنهر.

أما على جبهة الولايات الساحلية فقد حقق الجنوبيون بقيادة الجنرال (لى) عدة انتصارات وأخذ يهدد أراضى الشمال بشكل جدى، إلا أن معركة جيتسبورج التى جرت بين ١، ٣ يوليو سنة ١٨٦٣م كانت بداية انتصارات الشماليين فى هذه المنطقة. وكانت هذه المعركة نقطة تحول فى تاريخ الحرب الأهلية الأمريكية، إلا أنه جرت بعد ذلك عدة معارك عنيفة طيلة سنتين قبل أن تسقط مدينة ريتشموند عاصمة الجنوبيين بأيدى جيش الاتحاد وقبل أن يستسلم الجنرال (لى) قائد الجيوش الجنوبية مع رجاله إلى الجنرال جرانت فى شمال فرچينيا فى ١٣ أبريل سنة ١٨٦٥م.

وبذا انتهت هذه الحرب الأهلية التى أوقعت بين الفريقين خسائر فادحة، وخاصة بالأرواح، فقد خسر الشماليون حوالى ٣٦٠ ألف جندى من أصل مليونى جندى شاركوا فى أعمال القتال. أما الجنوبيون فقد بلغت خسائرهم حوالى ٢٥٠ ألف جندى، أى حوالى ثلث عدد مقاتليهم، كما أن ولاياتهم منيت بخسائر مادية كبيرة باعتبار أنها كانت مسرحا للأعمال الحربية، يضاف إلى هذه الخسائر حوالى بليون دولار ثمن العبيد الذين حرروا بعد انتهاء الحرب، أما فى الصعيد الاقتصادى فالخسائر كانت غير محددة، فكارولينا خسرت حقول الأرز التى اجتاحتها المياه المالحة بسبب الإهمال أثناء الحرب. ولويزيانا انهارت فيها صناعة السكر ولم تعد إلى سابق ازدهارها. أما القطن والذى كان يسمى فى السابق الذهب الأبيض فقد تدهورت أسعاره لعدم إمكانية تصديره أثناء الحرب. أما بعد الحرب فلم تعد أسواقه موفورة باعتبار أن إنجلترا قد أوجدت لنفسها مصادر أخرى، الهند، ومصر.

وكان الرئيس لنكولن مدركا لكل هذه المشـاكل ولذا فقد أراد أن يسهل أمام الولايات الجنوبيـة العودة إلى الاتحاد على قـدم المساواة مع ولايات الشـمال، وأن يساعدهـم على حل مشاكلهم السيـاسية والاقتـصادية، إلا أن الرئيس لم يلبث أن اغتاله ممثل اسمه (چون بوث) بعد خمسة أيام من انتهاء الحرب الأهلية، بينما كان يحضر إحدى المسرحيات فى واشنطن، وقد حاول نائبه وخلفه (جونسون) الجنوبى المولد أن يكمل مهمته وأن يعمل على إعادة الوحدة إلى البلاد.

قوانين تحرير الرقيق:

لقد تم تحرير الرقيق على مراحل، فقد أصدر الرئيس لنكولن فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٦٢م إعلانا بأن جمـيع الأرقاء فى الولايات المتحررة أو الأراضى الخـاضعة لهـا سيكونون أحـرارا ابتـداء من يناير ١٨٦٣م وبعـد هذا التاريخ أخـذت بعض الولايات تصدر بواسطة مجالسها التمثيلية قوانين تحرير الرقيق.

وفى ١٨ ديسمبر سنة ١٨٦٥ وافق الكونجرس الأمريكى على التعديل الثالث عشـر للدستور الأمـريكى الذى قضى بتحـريم الرقيق فى جـميع أراضى الولايات المتحدة الأمريكية.

تفصيل ذلك أنه كانت المهمة الأولى للشمال المنتصر هى تقرير حالة ولايات الجنوب المنفصلة، وقد وقع ذلك العبء على عاتق «أندرو چونسون» نائب الرئيس لنكولن، والواقع أن لنكولن وتحسبا لتلك الظروف كان قد أعد العدة لذلك، وكان الرئيس لنـكولن يرى أن الولايات الجنوبيـة هـى ولايات قـد غـرر بهـا عـدد من الفاسدين الخونة، وقد تحدوا سلطة الاتحاد، ومن ثم كانت تلك الحرب ذات دوافع فردية، وقد وجب لذلك الاقتصاص ممن هم وراءها وليس من الولايات كلها.

ومن ثم وفى بلاغ صدر عنه فى سنة ١٨٦٣م أوضح «أنه سيعـترف بشرعية حكومـة أية ولاية يؤلف فيـها (١٠ ٪) من ناخـبى سنة ١٨٦٠م حكومة تخـضع للدستور، وتطـيع قوانين الكونجرس وقرارات الرئيس، وكـان الكونجرس قد رفض هذا المشروع، وتحدى حق لنكولن فى معـالجة تلك المسألة دون الرجوع إليه، ذلك

أن الكونجرس كان يرغب فى معاقبة الولايات المنفصلة، ورغم ذلك أقام لينكولن ـ حتى قبل أن تنتهى الحرب ـ حكومات فى الولايات التالية: فرچينيا، تنيسى، أركنساس، ولويزيانا.

من جانب آخر كان للكونجرس قراره فى معالجة واحدة من المسائل الرئيسية، وهى حالة الزنوج المحررين، فأنشأ فى مارس سنة ١٨٦٥م (مكتب التحرير)، والذى كان عليه أن يتولى الوصاية على المواطنين الزنوج وتوجيههم نحو إعالة أنفسهم بأنفسهم، وفى ديسمبر من نفس العام صدق الكونجرس على التعديل الدستورى (رقم ١٣) والذى ألغى به الرق.

وفى صيف سنة ١٨٦٥م ومع بعض التعديلات الطفيفة تابع أندرو چونسون مشروع لنكولن وكان الآتى:

١ ـ عيَّن بقرار منه حاكما لكل ولاية من الولايات الجنوبية.

٢ ـ أعاد ثانية الحقوق السياسية لكثير من أهالى ولايات الجنوب عن طريق سلطته فى إصدار العفو.

٣ ـ عقدت المؤتمرات فى كل ولاية بين الولايات الجنوبية السابقة لإلغاء قرارات الانفصال ورفض ديون الحرب، ثم وضع دساتير جديدة.

٤ ـ وتطور الأمر إلى انتخاب حاكم لكل ولاية بواسطة الأهالى، ثم انتخاب مجلس تشريعى. وقد تقرر أنه حال ما يوافق المجلس التشريعى للولاية على التعديل الدستورى (رقم ١٣) يُعترف بقيام الحكومة المدنية فيها واعتبار الولاية ضمن الاتحاد الفيدرالى ثانية.

٥ ـ وقد تمت العمليات السابقة كلها بحلول نهاية سنة ١٨٦٥م مع استثناء يسير، وهو أن تلك الولايات لم تكن قد استعادت مركزها السابق تماما كما كان من قبل، حيث إن الكونجرس لم يسمح حينئذ بإدخال شيوخها ونوابها فى مجالسه فى واشنطن، وكان هناك رأى بمعاقبتهم وعدم إعادتهم إلى تلك المجالس.

على العموم فى الشهور التالية أخذ الكونجرس فى وضع خطة لتعمير الجنوب، تختلف اختلافا كلياً عن تلك التى بدأها لنكولن واستكملها جونسون.

صدر بعد ذلك التعديل الدستورى (رقم ١٤) والذى قوبل بمعارضة شديدة من جانب المجالس التشريعية للولايات الجنوبية باستثناء تنيسى، فكان ذلك التعديل ينص على أن «جميع الأفراد الذين ولدوا فى الولايات المتحدة أو جنسوا بجنسيتها وخضعوا لتشريعاتها هم مواطنون أمريكيون ويعتبرون مواطنون للولايات التى يقيمون فيها».

وفى مقابل تلك المعارضة، وفى قانون التعمير لسنة ١٨٦٧م قسَّم الكونجرس الأمريكى الجنوب إلى خمس مناطق وضعها تحت الحكم العرفى، متجاهلا الحكومات المدنية التى تأسست فى الولايات الجنوبية؛ ونص القانون على إمكان التخلص من ذلك الحكم العسكرى الدائم، وذلك فيما يخص الحكومات المدنية التى تشكلت وأقسمت يمين الولاء، وذلك بعد موافقتها على التعديل رقم (١٤)، ومنحت الزنوج حق الانتخاب، وتوالت القوانين بعد ذلك، القانون رقم ١٤ وصودق عليه، والخامس عشر فى سنة ١٨٧٠م وصودق عليه، وكانت كلها لصالح الزنوج.

وطبقا لقانون التعمير لسنة ١٨٦٨م انضمت ولايات أركنساس وكارولينا الجنوبية، ولويزيانا، وجورجيا، وألاباما، وفلوريدا إلى الاتحاد، ومن الجدير بالذكر أن الزنوج سيطروا تماما على المجالس التشريعية فى لويزيانا، وكارولينا الجنوبية، والمسيسبى. كما أن باقى الولايات المذكورة أعلاه كانت سيطرة حكام وشيوخ ونواب الشمال واضحة فيها تماما، وهو ما دلل على مدى تطويع الحكم فى الجنوب لصالح الاتحاد.

كان الجيش الشمالى ما زال قابعا ومتمركزا فى الجنوب لتطبيق سياسة التعمير المفروضة منذ عهد لنكولن، ولم يستقر الجنوب حتى تم سحب الجيوش الشمالية فى سنة ١٨٧٧م، غير أنها تركته وهو خراب يسوده الانحلال الخلقى والفوضى ومثقلا بالديون، حتى بدأت سياسة التعمير الحقيقية من جديد.



الفصل السابع

عصر النمو والإعمار

إذا كانت الحربَ الأهلية قد خلفت فى ولايات الجنوب دمارا كبيرا، فإن البلاد بمجموعها لم تتأثر كثيرا بظروف الحرب، بل ربما أمكن التأكيد بأن الحرب قد دفعت عجلة التطور الاقتصادى بقوة إلى الأمام، كما ساهمت فى الإسراع باستغلال موارد البلاد الواسعة وتطوير صناعتها لتلبية ضرورات الحرب.

لقد عرف اقتصاد البلاد الأمريكية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وبصورة خاصة فى السنوات التى أعقبت الحرب تطورا مدهشا، شمل جميع وجوه الحياة الاقتصادية والعمرانية؛ ذلك أن عناصر كثيرة كانت تتضافر لإنماء البلاد وتطويرها.

فالولايات المتحدة تمتلك مساحات شاسعة من الأراضى الخصبة والغابات الواسعة التى كانت تمون البلاد بالأخشاب فى فترة كان يعتبر الخشب فيها مادة أساسية للصناعة. ومواد الأرض من الفحم والحديد والنحاس والذهب والبترول كانت غير محدودة، ولم تكن الرساميل تنقص أهالى المدن الشمالية، الذين كانوا قد حصلوا على الكثير منها فى النصف الأول من القرن التاسع عشر عن طريق ممارستهم للتجارة والصناعة، يضاف إلى ذلك أن الرساميل الأوربية كانت تتدفق على البلاد بشكل غزير. أما اليد العاملة الضرورية لاستثمار الأرض والبحث عن ثرواتها الطبيعية فكانت موفورة بسبب الهجرة الكثيفة من أوربا والتى كانت تؤمن للبلاد ما تحتاج إليه من الأيدى الخبيرة فى شئون الصناعة بصورة خاصة. يكفى أن نذكر على سبيل المثال أن تعداد الوافدين على الولايات المتحدة من الخارج قد بلغ مليونا وثمانمائة ألف مهاجر بين سنتى ١٨٧١م و١٨٨٠م نزلوا أولا فى الولايات الشرقية، ومنها انتشروا فى كل أنحاء البلاد.

يضاف إلى ذلك أن شعب الولايات المتحدة كان قد اتخذ لنفسه قيما جديدة أساسها تقديس العمل واحترام المبادرة الفردية، كما أنه عرف كيف يقيم فى بلاده مؤسسات سياسية واجتماعية وقضائية لها صفة الاستقرار والثبات.

عمل تضافر هذه العناصر مجتمعة على إيجاد نهضة جبارة شملت جميع وجوه الحياة فى الولايات المتحدة الأميركية وجعل من هذه البلاد فى مدة قصيرة وقبل انتهاء القرن التاسع عشر دولة كبرى ذات دور أولى فى حياة العالم.

وسنحاول أن نعرض لأوجه هذا التطور باختصار فى أهم مجالات الحياة الأميركية.

الزراعة:

حتى منتصف القرن التاسع عشر كانت الزراعة تعتبر الأساس الذى تقوم عليه اقتصاديات هذه البلاد بصورة عامة رغم وجود تجارة نشطة وصناعة على شىء من التقدم فى الشمال. ولذا فقد كان اهتمام السلطات الحكومية بها كبيرا، وقد تجلى هذا الاهتمام بالعمل على استغلال السهول الغربية، وعلى استثمار الأراضى التى ضمت للاتحاد بعد الحرب مع المكسيك وتلك التى تخص الهنود والتى كان يجرى الاستيلاء عليها تدريجيا. ولتشجيع استثمار الأراضى الجديدة والإقامة فيها أصدر الكونجرس سنة ١٨٦٢ أثناء الحرب الأهلية قانونا يقضى بإعطاء مساحة من الأرض تبلغ ١٦٥ فدانا بدون مقابل لكل أمريكى أو مهاجر جديد شرط التعهد بزراعتها واستثمارها لمدة خمس سنوات.

وفى نفس هذه السنة قدم الكونجرس خدمة أخرى قصد منها تطوير الزراعة من حيث النوع وتحسين أساليبها حين أقر قانونا يمنح حكومة كل ولاية مساحات واسعة من الأراضى الحكومية الفيدرالية دون مقابل؛ وذلك لتقام عليه مدارس زراعية ومحطات تجارب ومراكز للأبحاث. وكان لهذا القرار أثر كبير فى تطور الزراعة فيما بعد خاصة فى مجال تحسين الأنواع وزيادة المردود.

وكان لقانون توزيع الأراضى على المواطنين أثر بارز فى إعمار واستثمار الأراضى الواسعة الممتدة إلى الغرب حتى شواطئ المحيط الهادى. ولم تكد تأتى سنة ١٨٨٠م حتى كانت الحكومة الأمريكية قد وزعت حوالى ٥٦ مليون فدانا على مزارعين جدد انتشروا فى كل أرض كانت لا تزال غير مأهولة وغير مستثمرة فأقاموا فيها القرى والمزارع واستغلوها لصالح الاقتصاد الأمريكى.

ومع التوسع فى الغرب كانت المواشى تنتشر بسرعة هائلة فى المناطق الصالحة لذلك، وبصورة خاصة فى حوض الميسورى، وفى كانساس ونبراسكا وكولورادو، وأصبحت مدن كثيرة فى الغرب مركزا لتجارة المواشى وصناعة اللحوم. وبذلك أصبحت تربية المواشى موردا كبيرا من موارد الولايات المتحدة الاقتصادية.

ومما زاد فى سرعة تطور الزراعة ونموها هو أن الإنسان الأمريكى قد عرف كيف يضع العلم والتقنية فى خدمة الزراعة. فقد حلت الآلات الميكانيكية محل الإنسان فى كثير من العمليات الزراعية.

ولم يكد ينتهى القرن التاسع عشر حتى كانت الولايات المتحدة قد أصبحت أكبر دولة زراعية فى العالم، فهى الأولى فى إنتاج القمح والقطن والتبغ والذرة ومن أغنى دول العالم بالمواشى واللحوم.

الصناعة:

أما الصناعة فقد حققت هى أيضا تطورا مدهشا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. ولعل مرد ذلك إلى اكتشاف مصادر غنية ومتنوعة للمواد الأولية. فمع التوسع فى إعمار الأراضى الجديدة فى الغرب الأوسط والغرب من الولايات المتحدة كانت أعمال التنقيب عن الفحم والحديد - وهما المادتان الأساسيتان لنمو صناعة الصلب - تسير على نطاق واسع جدا.

ولم تكد تحل سنة ١٨٩٠م حتى كان إنتاج الولايات المتحدة من الصلب يزيد عن إنتاج بريطانيا وبعد سنوات قليلة أصبح يفوق إنتاج إنجلترا وألمانيا مجتمعتين وهما أول دولتين فى العالم فى صناعة الصلب آنذاك.

وكذلك استغل أول بئر للبترول فى بنسلفانيا سنة ١٨٥٩م وكان زيته يستعمل للإنارة بالدرجة الأولى، ولكن مع اكتشاف المحرك البخارى حدث تطور فى استغلال هذه المادة التى أظهرت أعمال التنقيب أنها متوفرة بكميات كبيرة فى باطن الأرض الأمريكية. وقبل أن ينتهى القرن التاسع عشر كانت شبكة من مؤسسات استخراجه وتصفيته وتوزيعه قد شملت جميع أنحاء الولايات المتحدة لتؤمن حاجات الصناعة ووسائل النقل المتزايدة لمواد الوقود السائل.

ومع تطور أعمال البحث والتنقيب ظهر أن فى الولايات المتحدة كميات هائلة من النحاس والزئبق والكبريت والرصاص والذهب والفضة استغلت أيضا لإنماء وتطوير الصناعة.

يضاف إلى ذلك أن مرحلة الكشف عن ثروات البلاد المعدنية واستغلالها قد رافقتها مرحلة تطور علمى وتقنى هائلة استغلت لتطوير الصناعة وتحسينها. يكفى أن نذكر على سبيل المثال أن شهادات الاختراع التى أعطيت للأفراد والمؤسسات فى الولايات المتحدة بين سنة ١٨٦٠م و١٨٩٠م قد بلغت ٤٤٠ ألفا.

وقد امتازت الصناعة الأمريكية بأنها كانت تقوم منذ البداية على أساس التنظيم العلمى الدقيق والإنتاج الغزير نظرا لاتساع السوق الأمريكية.

هذه العوامل مع توافر الرساميل والأيدى العاملة الخبيرة أوجدت فى البلاد ثورة صناعية قوية فتدفقت السلع والحاجيات إلى الأسواق بغزارة وحل المصنع نهائيا محل الحرف الصغيرة، ولم تعد العائلات فى الريف تصنع أى شيء مما تحتاجه من ملابس أو أدوات منزلية كما كانت تفعل فى فترة الاكتفاء الذاتى.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الضرائب الجمركية المرتفعة التى فرضها رجال الشمال عند بدء الاستقلال والتى ارتفعت كثيرا سنة ١٨٦٤م وذلك بقصد تغطية نفقات الحرب ظلت قائمة لمدة طويلة بسبب تمسك رجال الصناعة ليس فى الشمال فقط، وإنما فى جميع أنحاء البلاد بها. وقد لعبت هذه الحماية دورا أساسيا فى تطور الصناعة الأمريكية وساعدتها على تفادى مزاحمة الصناعات الأوربية. وبالرغم من أن هذه الحماية كانت مؤذية لمصالح المزارعين فإنها بقيت طيلة القرن التاسع عشر ولم يطرأ عليها أى تعديل قبل سنة ١٩١٣م رغم احتجاجهم المتواصل.

طرق المواصلات:

وفى سنة ١٨٦٢م أثناء الحرب عملت الحكومة بقوة على تطوير السكك الحديدية، نظرا لأهميتها فى تطوير الاقتصاد الأمريكى؛ لكى تشجع مد خطوط جديدة وبصورة خاصة فى أراضى الغرب الجديدة فقد منحت دون مقابل اثنتان من

كبـريات شركات الخطـوط الحديدية العاملة فى أواسط البـلاد وفى غربهـا وهما: يونيون باسيفيك Union Pacific وسنترال باسيفيك Central Pacific مساحات من الأراضى تمتد إلى عشـرين ميلا على جانبى الخطوط الجديدة التى تقـوم بإنشائها. وكان الهدف من هذه المسـاعدة العمل على ربط شواطئ المحـيط الهادى بالشواطئ الأطلسية للولايات المتحدة. وعلى الرغم من الصعوبات الهائلة فقد تم التقاء الخط الحديدى الآتى من مدينة سان فرانسيسكو بالخط الآتى من الشرق عبر جبال روكى فى شمال ولاية (يوتاه) فى اليوم العاشر من شهر مايو سنة ١٨٦٩م.

ووزعت الحكومة والولايات علـى شركات السكك الحـديدية أراضى بالمجان تبلغ مساحـتها حوالى ٦٠ مليون هكتار أى مـا يوازى مساحة فرنسا تقـريبا. وقد قامت الشركات باستغلال هذه الأراضى عن طريق إنشـاء المدن والمزارع فيها وبيعها بأسعار مرتفـعة نظرا لقربها من الخطوط الحديدية. مما كون مجالا لقـيام مضاربات واسعة بأسعار الأراضى وجمع ثروات فاحشة. وخاصة أن شركات السكك الحديد لم تكن فى بداية أمـرها تعامل المواطنين علـى قدم المساواة بل كـانت تعطى كـبار الرأسماليين وأصحاب المصالح أسعارا مخفضة ساعدتهم فى زيادة ثرواتهم. وكانت هذه التصرفات مثار نقمة شديدة من المواطن العادى على هذه المؤسسات الكبيرة.

إلا أن هذه الشركات قد أدت على كل حال للبلاد خدمات جليلة من حيث إنها وقبل نهاية القـرن التاسع عشر كانت قد ربطت جمـيع المدن والمناطق الإنتاجية فى الولايات المتحدة بشبكة ضخمة مـن الطرق الحديدية هى أكبر واحدة من نوعها فى العالم.

الرأسمالية والاحتكارات:

هذا التطور الاقتصادى والسريع، وما رافقه من مضاربات بالأراضى وارتفاع متزايد بـأسعارها واكتشـاف مصادر الثروة الطبـيعية كـان يتم بالدرجة الأولى على عاتـق الأفراد وبمبـادرتهم الفردية. أمـا الدولة فكانت عادة لا تتـدخل فى مـجال الأعمـال وإذا تدخلت فللحمـاية والتشجـيع والمساعدة فـقط؛ ولذا فقـد كان من الطبيعى أن تظهـر ثروات هائلة، وخاصة فى السنوات العشرين الأخـيرة من القرن التاسع عشـر، وكان أصحاب هذه الثـروات يميلون بصورة عامة نحـو السيطرة فى

مجـال معين وتكوين احـتكار قوى يـزيل من طريقهم المنافـسين ويؤمن لهم الربح الوفير. هذه الاحـتكارات أو التراستات الكبـيرة كانت تظهر بسـبب التطور التقنى السريع الذى يسـتلزم رساميل كبيـرة تعجز عادة الشـركات الصغيرة عن تـأمينها. يضاف إلى ذلك أن قيـام هذه الاحتكارات مع ما عندها من إمكانيات ماليـة كبيرة كان يساعدها على تخفيض تكاليف الإنتاج.

وقبل نهاية القرن التـاسع عشر كانت قد ظهرت احتكارات كبـيرة فى مجال استـثمـار النحاس ولحوم البـقر وزيت القطن والتـبغ والماكينات الزراعـية. إلا أن أضخم هذه الاحتكارات على الإطلاق هى:

١ـ الاحتكار الذى يسـيطر على صناعة الفـحم والحديد والذى يخص أندرو كارنيجى Andrew Carnegie وكانـت أفران هذا الرجل تنتج فى نهـاية القـرن ثلاثة ملايين طن مـن الصلب مما يؤمن له ربحـا سنويا يتجـاوز الأربعين مليـونا من الدولارات. وقـد بلغت ثروته سنة ١٩٠١م بليـون ونصف بليون دولار.

٢ ـ كان روكفلر فى نهاية القرن التاسع عشر قد سيطر على صناعة استخراج وتصفية البترول فى كل الولايات المتحـدة بأزلة القسم الأكبر من منافسيه وجمع لنفسه ثروة طائلة.

٣ ـ تروست مـورغان Morgan المالى الذى توصل قـبل نهاية القـرن التاسع عشر إلى السيطرة على ثلث الخطوط الحديدية فى البلاد، كما امتد نفوذه إلى فروع صناعية كثيرة: الصلب، التلغراف، التليفون، الكهرباء.

هذه الاحتكارات على الرغم مما قدمته فى مجال تحسين الصناعة وتطويرها، وما عملته لتخفيض تكاليف الإنتاج ولتنظيم العمل، إلا أنها كانت مثار نقد شديد من قِبَل المواطنين الذين كـان يزعجهم تسلط أفراد قـلائل على ثروات البلاد. ومع الوقت ظهر رأى عام معاد لهذه الاحـتكارات يطالب بالقضاء عليها. وهذا ما أدى بالحكومة الأمريكية لإصدار قـانون يمنع الاحتكارات يعرف باسم شرمانْ Sherman Antitrust Act وذلك فى سنة ١٨٩٠م، إلا أن ذلـك القـانون بقى طيـلة القـرن التاسع عشر دون تطبيق عملى.

الحركة العمالية:

كانت الرأسمالية الأمريكية طيلة هذه الفترة تعتبر قاعدة العرض والطلب الأساس الذى تطبقه فى سياسة الأجور تجاه عمالها. كان العمل يخضع لهذه القاعدة كأية سلعة أخرى. وكانت ظروف العمل بصورة عامة قاسية للغاية، فالعامل يعمل اثنى عشر ساعة يوميا طيلة أيام الأسبوع دون راحة أسبوعية إلا ما ندر. وحوادث العمل كانت فى تزايد مستمر دون أن يفكر رب العمل فى وضع أى تعويض مادى أو مساعدة، ولم يكن هناك أى ضمان ضد البطالة أو المرض.

ولهذه الأسباب فإن الطبقة الواعية من العمال كانت تعرف أنها لن تستطيع الحصول على شروط عمل أفضل إلا إذا اتحدت، ولم يكن هذا بالأمر السهل نظرا لكثرة المهاجرين وتهافتهم على العمل بأية شروط كانت. وأول مؤسسة عمالية ظهرت سنة ١٨٦٩م فى الولايات المتحدة تحت اسم «فرسان العمل» قد فشلت وزالت قبل مطلع القرن العشرين نظرا لتطرفها فى مطالبها: ثمانى ساعات يوميا، منع تشغيل الأطفال، تأميم الخدمات العامة.

وفى سنة ١٨٨٥م تأسس (اتحاد العمال الأمريكيين American Federation of Labor) بمساعى مهاجر يهودى هولندى اسمه غومبرز. ولا يزال هذا الاتحاد قائما حتى اليوم نظرا لكون مطالبه كانت فى الأساس واقعية ومعتدلة ولكون اتجاهاته محافظة. وقد تمكن هذا الاتحاد من أن يؤمن للعمال الأمريكيين بصورة تدريجية شروط عمل أفضل وساعات عمل أقل وأجور أعلى.

ولعل مما ساعد على نجاح هذه المؤسسة النقابية الكبرى، وهذا ما يميزها عن أكثر النقابات الأوربية، كونها كانت تقبل النظام الاقتصادى القائم وتعترف به، كما أنها ظلت بعيدة عن الحياة الحزبية فى البلاد، ثم أنها لم تحاول أن تجعل من مبدأ صراع الطبقات أساسا لعملها.

ومع هذا، لم يكن للمنظمات العمالية وجود قوى فى الولايات المتحدة، حتى الأزمة الاقتصادية الكبرى فى ١٩٢٩م.

لقد اهتمت الولايات المتحدة عقب خـروجها من الحرب الأهلية بأمور إعادة تعمير ما خلفته الحرب من دمار فى البلاد ومن انقسام بين الأمريكيين. كما شغلها أيضا مسألة إعمار المناطق الواسعة التى حصلت عليها بعد حرب المكسيك. يضاف إلى ذلك أن تطوير اقتصاديات البلاد والكشف عما فيها من ثروات معدنية كان من مشاغل الحكومة الفيدرالية الرئيسية طيلة النصف الثانى من القرن التاسع عشر.

لهذه الأسباب كانت الولايات المتحدة فى الـفترة التى أعقبت الحرب الأهلية تفرض على نفسها ما أمكنها ذلك عزلة اختيـارية فتبتعد عن شئون العالم الخارجى وبصورة خاصة عن الشـئون الأوربية، إلا أن التزام دولة كبيـرة كالولايات المتحدة بمثل هذا الموقف لم يكن من الأمور السهلة؛ نظرا لاتساع مصـالحها ولتضاربها مع مصالح دول أخـرى عديدة. ثم إن تمسكها بمبدأ مـونرو الشهير وحرصـها الشديد على أن تحتكر لنفسها وحدها حق الاهتمـام بشئون القارة الأمريكية كلها كان لابد أن يخرجها من عزلتها من آن لآخـر، ويجرها لخلافات قد تكون خطيرة مع الدول الأخرى التى لها مصالح قديمة فى القارة الأمريكية.

فبعد انتهاء الحرب الأهلية مبـاشرة اهتمت بقضية تدخل نابوليون الثالث فى المكسيك الذى بدأ سنة ١٨٦١م ومحاولته إقامة إمبراطورية موالية لفرنسا هناك تحت عرش الأرشـدوق النمسـاوى مكسمـيليان. فأرسلت جـيشـا أمريكيـا إلى حدود المكسيك وطلبت من الفرنسـيين سحب جيوشهم. ولم يكن أمـام نابوليون الثالث سوى الانصياع لمطالب الأمريكيين، وخاصة أن المكسيكيين كانوا لا يزالون يقاومون تدخله فى بلادهم بقوة. وقـد انتهت هذه المشكلة بانتـصار وجهة النظر الأمـريكية والقاضـية بمنع الدول الأخرى من التـدخل فى شئون أمـريكا وسقوط الإمـبراطور مكسيميليان وإعدامه على أيدى معارضيه من المكسيكيين فى يونيو سنة ١٨٦٧م.

فى نفس الفترة أيضا اهتـمت الولايات المتحدة بقضية آلاسكا. فـقد استغل وزير الخارجية الأمريكى آنذاك سيوارد العلاقات الممتازة بين بلاده وروسيا وعقد مع قيصرها اتفاقـا لبيع هذه المقاطعة للولايات المتحدة مقابل مبلغ سـبعة ملايين ومائة

ألف دولار. وبصعوبة بالغة أمكنه أن يحصل من الكونجرس الأمريكى فى أبريل سنة ١٨٦٧ على هذه الصفقة ذات الصبغة «التوسعية».

إلا أنه فى أواخر القرن التاسع عشر وبصورة خاصة أخذنا نشاهد خروجا أمريكيا سريعا ونشيطا عن سياسة العزلة والانكماش واتجاها نحو التوسع والاستعمار ظهر فى مجالات كثيرة أبرزها:

١ - قضية فنزويلا:

منذ منتصف القرن التاسع عشر كان هناك خلاف حول تحديد الحدود بين فنزويلا والمستعمرة البريطانية فى جويانا. وقد طال الخلاف كثيرا حول هذه القضية مما اضطر فنزويلا فى النهاية وأمام تمسك إنجلترا الشديد بوجهة نظرها لطلب تأييد الولايات المتحدة لها. وقد حصلت على هذا التأييد بالفعل سنة ١٨٩٥م زمن الرئيس كليفلاند ووزير خارجيته فولنى Volney. وفى هذه السنة دخلت الولايات المتحدة بصورة رسمية فى هذا النزاع متبنية وجهة نظر فنزويلا التى كانت تطالب إنجلترا بالقبول بالتحكيم. وقد رفضت لندن بقوة فكرة التحكيم كما رفضت أيضا التدخل الأمريكى، ذلك أنها كانت ترى فى قبولها لهذا التدخل اعترافا بمبدأ مونرو الضار بمصالحها، والتى لم تكن قد قبلته رسميا منذ أن صدره.

أمام رفض بريطانيا للتحكيم طلب الرئيس الأمريكى كليفلاند من الكونجرس أن يعطيه هو التفويض بتعيين لجنة تحكيم تخطط الحدود بين فنزويلا والمستعمرة البريطانية. وقد ذكر فى طلبه هذا بأنه إذا وجدت هذه اللجنة أن فنزويلا محقة فى ادعائها فسيكون من واجب الولايات المتحدة أن تمنع عنها العدوان البريطانى. وقد وافق الكونجرس بالإجماع على طلب الرئيس. والواقع أن قرار الكونجرس يمكن اعتباره بمثابة تهديد لبريطانيا باللجوء إلى الحرب.

وكادت العلاقات تتدهور كثيرا لولا حكمة وزير الخارجية البريطانى اللورد ساليسبورى وظهور بوادر تعقل واعتدال عند الفريقين مما أدى إلى القبول بفكرة التحكيم. وقد عقدت معاهدة بين فنزويلا وإنجلترا فى باريس سنة ١٨٩٧م بهذا الشأن، وجاء قرار لجنة التحكيم فيما بعد لصالح بريطانيا.

كان لأزمة فنزويلا هذه نتائج خطيرة وبعيدة المدى. فهى من جهة قد كرست مبدأ مونرو وما يعطيه من حق للولايات المتحدة لمنع تدخل الدول الأوربية فى شئون القارة. وقد أضافت لهذا المبدأ مفهوما جديدا يعطى الولايات المتحدة التفويض لرعاية شئون باقى دول القارة. ومن جهة ثانية كانت هذه الأزمة نقطة تحول فى تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية إذ أبعدتها عن عزلتها نهائيا. فبعد هذه الحادثة سيشهد التاريخ الأمريكى تدخلا متزايدا للولايات المتحدة ليس فقط فى شئون القارة الأمريكية، بل فى شئؤن العالم كله، ذلك أنه عند انتهاء القرن التاسع عشر كانت هذه البلاد قد أصبحت باعتراف العالم كله دولة كبرى. وهى لذلك لا تستطيع إلا أن تقوم بالمستلزمات التى يفرضها عليها هذا الدور.. ثم إنها على الصعيد الاقتصادى قد باتت أكبر قوة اقتصادية فى العالم، ولذا فهى ملزمة باتباع سياسة تقضى بالبحث عن أسواق لبضائعها، وعن نقاط ارتكاز خارج القارة لتوسعها الاقتصادى فى المستقبل.

٢ - الحرب الأسبانية ـ الأمريكية (١٨٩٨م):

فى هذه السنة لم يكن قد بقى لأسبانيا من إمبراطوريتها الواسعة التى أقامتها فى أمريكا سوى كوبا وبورتوريكو، ولم تكن هذه الأخيرة تسبب أية مشكلة؛ لأنها كانت تمارس الحكم الذاتى منذ مدة طويلة. أما فى كوبا فإن العلاقات بين السكان المحليين والسلطات المستعمرة كانت سيئة بصورة دائمة، وقد لجأ السكان أكثر من مرة للثورة والتمرد، غير أن السلطات كانت دوما تلجأ لأقسى تدابير القمع. ومنذ سنة ١٨٩٥م كان السكان فى حالة ثورة دامية خاصة، وأن السلطات الأسبانية قد أرسلت مائتى ألف جندى كانوا يستعملون أقسى درجات الشدة والوحشية ضد الثائرين.

وكدولة كبرى كان لا يمكن للولايات المتحدة إلا أن تهتم بما يجرى على بعد ٩٥ ميلا من شواطئها، وخاصة أن رجال الأعمال الأمريكيين الذين لهم مصالح واسعة فى صناعة قصب السكر والتبغ هناك كانوا يشكون بصورة مستمرة من تأثر مصالحهم بأحداث الثورة ومن سوء معاملة السلطات الأسبانية لهم. وكانت

الصحافة الأمريكية، وخاصة الصحافة الوطنية المتطرفة تبالغ فى ذكر مآسى شعب كوبا، وتثير فى الأمريكيين أحاسيس الرحمة والشفقة على جيرانهم.

وبالفعل أظهرت الولايات المتحدة اهتماما كبيرا بهذه المسألة سنة ١٨٩٧م، ليس فقط لدوافع إنسانية وإنما أيضا بسبب غنى هذه البلاد باعتبارها أول دولة فى إنتاج قصب السكر، وعرضت هذه السنة على حكومة أسبانيا وساطتها لحل الخلاف، ولكن هذه رفضت.

وفى سنة ١٨٩٨م كان الرأى العام الأمريكى قد بات ميالا للتدخل فى كوبا، واستغلت الحكومة الأمريكية حادث غرق السفينة الأمريكية (مين) فى خليج هافانا، واعتقاد الأمريكيين أن أسبانيا هى التى أغرقتها، فطلبت انسحاب الجيوش الأسبانية من كوبا، وأمام رفض حكومة مدريد للطلب الأمريكى وافق الكونجرس فى ١٢ أبريل سنة ١٨٩٨م على إعلان الحرب على أسبانيا.

لقد أظهرت هذه الحرب منذ البداية عدم التكافؤ بين الدولتين المتحاربتين من حيث القوة والإمكانيات والتنظيم. ولهذا فقد كانت سريعة وقصيرة للغاية. وقد دارت هذه الحرب على جبهتين رئيسيتين:

أ - جبهة كوبا، ففى كوبا أنزلت القوات الأمريكية البرية والبحرية سلسلة من الهزائم السريعة بالأسبان، ولم تلبث بعد أسابيع من بدء الحرب أن انتهت مقاومتهم بعد أن أغرق أسطولهم بكامله فى سانتياجو Santiago. وبذا أصبحت جزيرة كوبا وبعدها بورتوريكو بيد القوات الأمريكية، وزال بذلك نهائيا النفوذ الاستعمارى الأسبانى من البحر الكاريبى.

ب - جبهة الفلبين، كانت هذه البلاد فى أواخر القرن التاسع عشر لا تزال خاضعة للاستعمار الأسبانى الذى كان يدير أمورها بعقلية رجعية استبدادية. وكانت فيها ثورة شعبية قوية ضد الحكم الأسبانى يقودها الزعيم (أغوينالدو). ولما أعلنت الولايات المتحدة الحرب على أسبانيا قام أسطول أمريكى كان يرابط فى هونج كونج بالتوجه إلى الفلبين

مستغلا ثورة سكانها ضد الأسبان فدمر الأسطول الأسبانى المرابط هناك (مـايو سنة ١٨٩٨م) ثم نزلت قـوات برية أمـريكيـة واحـتلت البـلاد وطردت المستعمرين منها.

وقد انتهت حـالة الحرب نهائيا بين الفريقين فى مـعاهدة باريس التى وقعت فى ديسمبر سنة ١٨٩٨م. وبموجب هذه المعاهدات تنازلت أسبانيا للولايات المتحدة عن سيادتها على جزر الفلبين وجزيرة جوام (Guam) فى أوقيانيا وعن بورتوريكو. أما كوبا فقد صارت جمهورية مستقلة.

إلا أن حصـول الولايات المتحدة على هذه الأراضى قـد أوجد انقسـاما فى الرأى داخل الولايات المتـحدة حول مـصيـرها، وبصورة خـاصة تحديد عـلاقتـها بالولايات المتحـدة. فبعض العـناصر فى الكونجرس الأمـريكى يدعمهـا رأى عام محـافظ رأت فى الاستـيلاء على المستعمـرات الأسبانـية السابقـة محـاولة لجعل الولايات المتحدة دولة مسـتعمرة، وهذا يخالف مبادئ الأمة الأسـاسية فى الحرية، كمـا أنه يعرض الولايات المتحـدة فى المستـقبل لخلافـات مع الدول الأوربية ذات المصالح الاستعمارية.

إلا أن الاتجاه التـوسعى كان آخـذا فى السيطرة وقبلت الولايات المتـحدة أن تأخذ على عاتقها أمر السيادة فى هذه المستعمرات، وأن تتولى هى تقرير مصيرها:

أ - بالنسبـة لكوبا كان لابد من تنـفيذ قـرار الاستقـلال، فبـعد سنوات من الاحتلال الأمريكى لهذه البلاد جرى فيها انتخاب مجلس تشريعى تولى وضع دستـور للبلاد. وقد بدأت بممـارسة الحكم الذاتى سنة ١٩٠٢م، ووقعت معاهدة مع الولايات المتحدة تمتنع بموجـبها عن القيام بأى عمل قد يعرض استقلالها للخطر كما تعطى الولايات المتحدة حق التدخل فى شئـونها فى بعض الحالات، وتسـمح لها بأن تحصل فـيها على قـواعد بحرية. وهكذا تـتضح نوايا الولايات المتحـدة تجاه كـوبا، وهى تقضى بجعلها ضمن النفوذ الأمريكى.

وقد اضطرت الولايات المتـحدة بعد ذلك، وبموجب حقهـا فى التدخل لاحتلال هذه البلاد والتـدخل فى شئونها أكثر من مرة فيـما بعد خاصة

بعد أن أصبح لرجال الأعمال الأمريكيين فيها مصالح واسعة وسيطروا على صناعة السكر والتبغ واستخراج المعادن وشركات التلغراف والهاتف.

ب - وقد برز الاتجاه التوسعى الأمريكى الجديد بصورة أوضح عند مناقشة مصير الفلبين، وخاصة أن (أغوينالدو) الزعيم الوطنى الفلبينى الذى كان يقود حرب التحرير زمن الحكم الأسبانى بدأ يشن حرب عصابات ضد المحتلين الجدد مما اضطر الأمريكيين لإرسال حملة من خمسين ألف جندى للقضاء على الثورة. ولم تحصل هذه البلاد على الحكم الذاتى إلا فى سنة ١٩١٦م.

وقد كشفت حرب الفلبين وتمسك أمريكا الطويل بالسيادة عليها النظرة المتطورة لعلاقات هذه البلاد الخارجية ولرغبتها المتزايدة بالتوسع بصورة خاصة فى المحيط الهادى، والقيام بالالتزامات التى تفرضها عليها مصالحها التجارية ووضعها كدولة كبرى فى العالم.

٣ - قنال بنما:

مع تزايد اهتمام أمريكا بشئون المحيط الهادى ونمو مصالحها العسكرية والتجارية فى بلدانه، ومع تحول البحر الكاريبى عمليا إلى بحيرة أمريكية وطرد أسبانيا من مستعمراتها فيه ظهرت الحاجة الملحة لشق قنال فى أمريكا الوسطى تؤمن الاتصال البحرى بين شواطئ أمريكا على الأطلسى وأراضيها فى المحيط الهادى دون الحاجة إلى الدوران حول قارة أمريكا الجنوبية كلها. ثم إن مثل هذه القنال كانت توفر على الولايات المتحدة تكوين أسطولين كبيرين مستقلين أحدهما فى الهادى والآخر فى الأطلسى. وكان أكثر الساسة الأمريكيين اقتناعا بهذه الفكرة وبضرورة تنفيذها السكرتير المساعد للبحرية الأمريكية سابقا تيدور روزفلت والذى أصبح رئيس الدولة سنة ١٩٠١م.

وفى سنة ١٩٠٢م صوت الكونجرس على شق هذه القناة التى كان من المفروض أن تمر فى أراضى بنما التابعة لدولة كولومبيا. وفى سنة ١٩٠٣م وقعت

بين حكومة كـولومبيا والحكـومة الأمريكية مـعاهدة تسمح بشق هذه القناة مـقابل عشرة ملايين دولار كدفعة أولى وربع مليون دولار سنويا كأجر لشريط من الأرض يمتد لمسافة خمسة أميال على جانبى القناة، إلا أن مجلس الشيوخ الكولومبى اعتبر هذه الشروط غير كافية ورفض الموافقة على هذه الاتفاقية.

وكان رد الفعل الأمريكى سريعا وعنيـفا، فقامت فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٠٣م بتحـريض من الولايات المتحدة ثورة انفـصالية فى أراضى بنمـا سرعان ما تبنتـها وأيدتها الولايات المتحدة مما أدى إلى ظهور جمهورية بنما، التى سرعان ما وافقت على هذه المعاهدة مع إعطاء الولايـات المتحدة حق السيـادة والتدخل فى الأراضى المستأجرة على جانبى القناة.

وقد بدأت الأعمال بسرعة وأصبحت القناة صالحة للملاحة فى ١٥ أغسطس سنة ١٩١٤م.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن تصرف الولايات المتحدة تجاه حكومة كولومبيا وتشجيعها على انفصال بنما قد أثار إلى حد كبير مخاوف الدول الأمريكية الصغيرة وشكوكها حـيال تصرفات جارتهم الكبـيرة. وهذا ما اضطرها فى سنة ١٩٢١م أن تدفع لحكومة كـولومبيـا مبلغ ٢٥ مليون دولار كتـعويض عن خسـارتها لأراضى بنما.

ولعل ما زاد فى مخـاوف الدول الأمريكية ونقمتـها على السياسة الخـارجية الأمريكيـة تجاهها، هو أن الولايات المتـحدة منطلقة من تفـسير واسع لمبـدأ مونرو ورغبة منها فى صيانة الأمن والاستقرار والمحافظة على سلامة المنطقة المحيطة بالقناة أخذت تتدخل بصورة مستمـرة فى دول البحر الكاريبى، وخاصة كوبا والدومينيك وهاييتى وهندرواس بحجة الرغبة فى صيانة الأمن ومنع النفوذ الأوربى من التغلغل فى هذه المنطقة.

٤ - السياسة الأمريكية فى اليابان والصين:

كـانت الولايات المتحـدة منذ النصف الأول من القـرن التـاسع عشـر تنظر باهتمام خاص إلى شـئون المحيط الهادى والشرق الأقصى، وقـد حاولت أكثر من

مرة دون فائدة أن تقيم علاقات تجارية مع اليابان التى كانت حتى ذلك الحين تفرض على نفسها عزلة تامة وتعيش داخل بلادها بعيدا عما يجرى فى الخارج وخاصة فى الغرب. وفى سنة ١٨٥٤م وعن طيق التلويح بالقوة تمكن بيرى Perry من أن يعقد مع اليابان معاهدة كاناجاوا Kanagawa. وبموجب هذه المعاهدة تفتح اليابان من مرافئها للتجارة الخارجية وتسمح بقيام تمثيل دبلوماسى أمريكى فى أراضيها.

وفى سنة ١٨٩٨م ضمت الولايات المتحدة رسميا جزر هاواى ذات المركز الهام على طريق المواصلات البحرية بين مرفأ سان فرانسيسكو وبلدان الشرق الأقصى، والتى كانت إحدى البلدان المنتجة للسكر فى العالم.

وأمام تزايد المصالح الأمريكية فى الشرق الأقصى ورغبتها فى فتح أسواق الصين الواسعة أمام منتجات صناعتها المتزايدة التطور وجدت نفسها فى سنة ١٨٩٩م مسوقة إلى التدخل فى شئون هذه الدولة؛ ذلك أنه عقب هزيمة الصين فى حربها مع اليابان سنة ١٨٩٥م أخذت الدول الأوروبية الكبرى: إنجلترا، فرنسا، ألمانيا، وروسيا. تتهافت على تقاسم مناطق النفوذ فى هذه البلاد الواسعة مما يتعارض مع المصالح التجارية لسلامة وكيان الإمبراطورية الصينية. ولذا فقد نصبت الولايات المتحدة نفسها بمثابة المدافع عن «الباب المفتوح» حيال هذه الأمة مع احترام وحدتها وسيادتها. وهذا يعنى أن تبقى أبواب الصين مفتوحة أمام التجارة الحرة مع جميع بلدان العالم.

وهذا المبدأ هو الذى دفع الولايات المتحدة للتدخل فى الصين زمن ثورة البوكسرز سنة ١٩٠٠م (الملاكمين) والعمل على حماية وحدة البلاد الصينية ومنع الدول الأوروبية مجددا من تقطيع أوصالها واستعمارها.

٥ - الولايات المتحدة وأوربا:

بالرغم من تمسك الولايات المتحدة الشديد بشرعة مونرو القاضية بعدم التدخل بالشئون الأوروبية، فقد أخذنا نلاحظ فى أواخر القرن التاسع عشر ميلا

متزايدا فى السياسة الخارجية الأمريكية نحو الاهتمام بشئون القارة الأوربية، إنما دون أن يؤدى بها ذلك إلى الالتزام بمواثيق أو عهود سياسية ثابتة.

ولعل مرد هذا الاتجاه الجديد يعود إلى تزايد نمو صناعتها وتجارتها، وإلى تحولها السريع لأن تكون دولة كبرى عالمية. وقد برز هذا الميل أكثر من مرة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

فقد اشتركت الولايات المتحدة فى مؤتمر برلين (١٨٨٥م) الذى عالج قضية توزيع مناطق النفوذ فى أفريقيا بين الدول الأوربية الاستعمارية ونظم مكافحة تجارة الرقيق. وكذلك تدخلت الولايات المتحدة فى الحرب الروسية - اليابانية سنة ١٩٠٥م كوسيط بين اليابان وروسيا.

وفى أثناء الأزمة التى قامت بين فرنسا وألمانيا (١٩٠٥م - ١٩٠٦م) بسبب الصراع على النفوذ فى مراكش تدخلت الولايات المتحدة فيها، ولعب الرئيس روزفلت بصورة خاصة دورا هاما، كما اشتركت الولايات المتحدة فى مؤتمر الجزيرة (أسبانيا) الذى عقد لحل هذه المعضلة.

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى أقحم الرئيس ويلسون بلاده بعد تردد طويل فى الحرب العالمية الأولى، وكان دورها فيها بارزا وقاطعا.



JOIN, or DIE

الفصل الثامن

الولايات المتحدة
والحرب العالمية الأولى

كانت حكومة الولايات المتحدة ـ برئاسة وودورو ويلسون ـ ترقب تطورات العلاقات بين الكتلتين المتواجهتين الأوربيتين:

١ ـ دول الوفاق: بريطانيا وفرنسا وروسيا.

٢ ـ دولتا الوسط: ألمانيا والنمسا ـ المجر.

وكانت الصحافة الأمريكية تضع التطورات الأوربية أمام الرأى العام الأمريكى. وخلال العقدين السابقين على نشوب الحرب العالمية كان الشعب الأمريكى قد تعود رؤية أوربا على «حافة الحرب»، ولا تكاد الأطراف المتعادية تقترب من إعلان الحرب حتى تتراجع إحدى هذه الدول الكبرى وتقبل نوعا من إعلان الحلول الوسط. ولهذا عندما جاءت أنباء مصرع الأرشيدوق النمساوى على يد أحد الوطنيين الصربيين، قابله الشعب الأمريكى وكأنه واحد من حوادث الاغتيال العديدة التى وقعت فى أوربا خلال سنوات ما قبل الحرب، ولم يكن الرأى العام الأمريكى يعتقد أن مثل هذا الحادث الفردى قد يؤدى إلى حرب شاملة بين الدول الكبرى الأوربية. ولهذا كانت دهشة الشعب الأمريكى كبيرة عندما توالت عليه أنباء التعبئات العامة من هذا الجانب أو ذاك، وعندما توالى إعلان الحرب من جانب الدول المتواجهة.

نظر الشعب الأمريكى إلى هذه التطورات بنوع من الامتعاض والتقليل من قيمة هذا الفكر الأوربى الذى كان عظيما ومتفوقا. واعتقد الشعب الأمريكى أن ساسة أوربا من نوع استمرأ المؤامرات السياسية والعسكرية، وأصبحت فى دمهم هذه الأساليب التى تتنافى والأخلاقيات السياسية الأمريكية.

حقيقة كانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قبل ويلسون قد اعتمدت (سياسة الدولار)، وحصلت الولايات المتحدة من وراء ذلك على مجالات واسعة زراعية وبترولية لاستغلال المكسيك وشعوب أمريكا اللاتينية، إلا أن وودرو

ويلسون ـ منذ توليه الرئاسة ـ سار على سياسة جديدة لا تأخذ (بسياسة الدولار)، ولا تسعى إلى كسب ثقة وتعاون دول أمريكا اللاتينية. هذا التطور وضع الأخلاقيات السياسية[1] الأمريكية قبيل الحرب العالمية الأولى فى مكانة رفيعة جداً إزاء سياسات المعاهدات السرية والوفاقات غير الواضحة معالم أهدافها والتحالفات التى تضع السيف فى مواجهة السيف دون اعتبار لمستقبل حضارة أوربا.

تلك كانت مشاعر الشعب الأمريكى عندما جاءته أنباء وقوع الحرب بين دول أوربا.

ورغم تلك التطورات السريعة الأوربية، ظل الشعب الأمريكى معتقداً أن هذه الأمة الحادة الكبرى لن تلبث أن تجد من ينقذ أوربا من نفسها، وأن يقنع الدول الأوربية بأن تضع السلاح مؤقتاً حتى يمكن أن يكتشف مخرجاً من هذه الأزمة الكبرى التى تهدد الحضارة الحديثة. وكانت هناك تطلعات شعبية نحو قيام حكومة الولايات بهذا الدور السلمى الإنقاذى الكبير، وخاصة أنها بتورط الدول الأوربية فى هذه الحرب وضعت حكومة الولايات المتحدة فى مكانة عالية إنسانية، وأبرزت قيمة المساعى المثالية التى بذلها ـ قبل الحرب العالمية ـ كل من (ويلسون) ووزير خارجيته (بريان) من أجل عقد معاهدات سلم شامل بين الدول الأوربية أن تؤيد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فى مساعيها نحو (سلم شامل)؟ وكانت هناك العديد من الدول الأوربية التى وافقت على هذه الجهود الإنسانية، ولكن ألمانيا بدت راغبة عن أن توقع على أى من معاهدات السلام هذه على اعتبار أنه سلام يضع إمكانيات التفوق والرفاهية فى يد دول الوفاق وحرمان ألمانيا والنمسا من فرص عادلة فى مجالات الاستعمار والتجارة.

ماذا كان صدى هذا الموقف الألمانى من نظرية السياسى الأمريكى (بريان) الخاصة (بالسلام الشامل)؟

كان إصرار حكومة القيصر الألمانى وليم الثانى على عدم توقيع أى من معاهدات السلام يعنى لدى الشعب الأمريكى وجود روح عدوانية لدى القيصر وحكومته، روح عدوانية لا مبرر لها. وكان من العسير على الألمان أن يقنعوا

---

(١) قال ويلسون فى أحد خطبه:

"TheUnited States Will never again Seek one Additional Foot of Territory by Conquest"

الشعب الأمـريكى بوجهة نـظرهم، رغم سلامتـها إلى حد مـا، وهى أن التوازن الدولى يقتضى فرصـا دولية متساوية للجميع وليس لدول الوفـاق فقط، بينما كان من اليسيـر جدا على أجهزة الدعـاية الإنجليزية أن تظهر بريطانيا عـلى أساس أنها دولة تريد وتسعى إلى السلام فى وجه قوى عدوانية ألمانية.

ومن وراء هذه التيارات الكبرى السياسية، كانت اتجاهات الحكومة الأمريكية فى الأيام الأولى لنشـوب الحرب تدعـو إلى أن تظل الولايات المتحـدة الأمريكـية بعـيدة عن هذه الحـرب التى أشعلهـا مـحتـرفو السـاسة من الأوربيين. وظهـرت الصحـافة فى الولايات المتحـدة الأمريكية - غداة نـشوب الحرب الأوربية - تشـيد بابتعـاد الأمريكيين عن الحرب، وتهـزأ من هؤلاء الأوربيين الذين يخوضـون حربا شاملة لا مبررات قوية لها، من وجهة نظر الصحافة الأمريكية.

فلقد ظهرت فى صحيـفة شيكاغو هيرالد[1]، و«ليترارى ديجـست» وغيرها من الصحف، مقالات تحـمد الله على اليوم الذى نجح فيه كولومـبس فى اكتشاف أمريكا ليـفتح أبوابها أمـام من أسعدهم الحظ وغـادروا تلك القارة الأوربية المليـئة بالمؤامرات والاقتتال والحروب.

وهكذا كانت نظرية (الحياد الحقيقى) هى الأكثر انتشارا بين الشعب الأمريكى، بل وبين رجالات السيـاسة الأمريكية حينذاك. والحـياد الحقيقى - فى مـفهوم ذلك الوقت - كان يعنى أن تظل العـلاقات السياسـية والاقتصادية بين الـولايات المتحدة الأمريكيـة والدول الكبرى الأوربية المتقـاتلة على ما كانت عليه قـبل الحرب، وأن

---

(١) قالت Chicago Herald:

"Peace - Loving Citizen of this Country Will Now Rise up and Tender a Heavy Vote of Thanks to Columbus for Having Discovered America"

وقالت أخرى:

"We never appreciate so Keenly as Now The Foresight Exercised by Forefathers in Emigrating from Europe".

وقالت الليترارى ديجست Literary Digest:

"Our Isolated Position and Freedom From Entangling Alliances Inspire Our Press With The Cheering Assurance That We are in no Peril of Being Drown Into The European Quarrel".

تظل هذه العلاقات دون تطوير فى اتجاه معين منعا لإثارة حساسيات هنا أو هناك. ولقد أبدى الرئيس ويلسون إيمانه بهذه السياسة، بقوله عند وصول أنباء اشتعال الحرب الأوربية إلى أسماعه:

«إن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تظل بالنسبة لهذه الحرب على الحياد نظريا وعمليا.. وعلى الأمريكيين أن يكونوا محايدين فى أفكارهم كما فى أفعالهم».

لقد كان واضحا فعلا فى تصريحات ويلسون وخطبه سواء قبل مرحلة انتخابات الرئاسة فى ١٩١٦م أو خلال معركة الانتخابات هذه أنه شديد الكراهية لمثل هذه الحرب الشاملة، وأنه لابد من أن يستخدم كافة قدراته من أجل وقف هذه المذابح البشرية التى يذهب ضحيتها فى كل يوم عددا كبيرا من زهرة شباب أوربا.

وخلال معركته الانتخابية ضد خصمه «هيوز» ـ مرشح الحزب الديمقراطى ـ قام بحملة كبرى ضد دعاة الحرب وأعلن نفسه داعية السلام العالمى الأول، وأشار إلى أن تورط الولايات المتحدة الأمريكية فى الحرب الأوربية ليس سوى «جريمة ضد الحضارة»، ولكن ليس معنى هذا أن الرئيس ويلسون كان معنيا فقط بإبعاد شبح الحرب الأوربية عن الولايات المتحدة الأمريكية، وإنما كان قد أشار بوضوح إلى أنه يعمل كذلك على صيانة «شرف» الولايات المتحدة من عدوان أى من الدول المتقاتلة الأوربية على المصالح الأمريكية.

ففى يناير ١٩١٦م ـ عندما كانت المعركة الانتخابية على أشدها ـ قال ويلسون:

«أنا أعلم أنكم تعتمدون علىّ فى تجنيب هذه الأمة ويلات الحرب، لقد فعلت ذلك حتى هذه اللحظة، وإننى أقطع على نفسى عهدا أن أفعل ذلك مستقبلا بمعونة المولى، إذا كان ذلك مستطاعا. ولكنكم قد حملتمونى واجبا آخر، لقد طالبتمونى بأن يصان شرف الولايات المتحدة وألا يلوثه أى شيء، وهذا أمر لا سيطرة لى عليه. إنه يتوقف على ما يفعله الآخرون، لا على ما تفعله الحكومة الولايات المتحدة الأمريكية»(١).

---

(١) آلن ينفتز وخنرى ستيل كومجو: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، نقله إلى العربية الأستاذ مصطفى عامر، مكتبة مصر، القاهرة، ص٤٨٧.

وهكذا حدد ويلسون سياسته إزاء الحرب الأوربية، وهو تجنيب الولايات المتحدة مخاطر التورط فيها بشرط ألا يعنى ذلك تجاهل ما يمس شرف الشعب الأمريكى. وبذلك يكون قد انتقل من مرحلة (السلم الشامل) و(الحياد الحقيقى) إلى مرحلة الحياد القائم على الحفاظ على مصالح بلاده. ولكن كان يلف هذا الموضوع فى إطار قوى من الدعاية نحو السلام بحيث غدا هو داعية السلام الأول، وخاصة أن منافسه (هيوز) كان يستخدم عبارات ملتهبة ويلوح باتخاذ إجراءات عسكرية، فكان أن نجح ويلسون فى الانتخابات ليتمتع بالرئاسة مدة جديدة.

بعد انتخابه رئيسا للولايات المتحدة شرع ويلسون فى القيام بدور الوسيط بين الدول الأوربية الكبرى المتقاتلة. وفى ٢٢ يناير كانون ثانى ١٩١٧ عرض فى خطاب له على الكونجرس الخطوط العامة والرئيسية لمشروعه للسلام على النحو التالى:

١ ـ عقد سلام دائم بواسطة الأمريكان عن طريق (عصبة أمم)(١).

٢ ـ سلام بين الأقران(٢) لا بين غالبين أو مغلوبين، أى (سلام بلا نصر)(٣).

٣ ـ سلام تكون فيه الملاحة البحرية حرة أمام الجميع.

٤ ـ سلام يعتمد على التعامل لا على الإرهاب بالقوة العسكرية والحرب، وبالتالى سلام يقوم على أساس (نزع السلاح)(٤).

٥ ـ حق تقرير المصير(٥) للخاضعين للقوى المتسلطة.

ولكن كانت هناك قوى عديدة قادرة على أن تجعل من سياسة (الحياد الحقيقى) وسياسة (السلام الشامل) مجرد وهم يجب أن يبتعد الشعب والحكومة عنه نحو سياسة أخرى. وهذه القوى والعوامل هى:

---

(1) League of Nations.

(2) Peace Between Equals.

(3) Peace Without Victory.

(4) Disarmament.

(5) National Self - Determination.

أ - العوامل الاجتماعية:

حقيقة كانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تركز على (الحياد الحقيقى)، على أن يكون هذا الحياد سياسة للحكومة وللشعب على حد سواء، وإذا كانت المستويات الثقافية لدى الحكام والمسئولين قادرة على التحكم فى مشاعرها وميولها الذاتية، فذلك كان من الأمور التى لا يمكن السيطرة عليها بين أفراد الشعب نفسه. وكان الشعب الأمريكى ـ من ناحية أخرى ـ حديث عهد بالتكوين، وكانت أبواب الهجرة مفتوحة أمام عناصر جديدة أوربية تدفقت بكثرة من وسط أوربا ومن أيرلندا. وكان أن أصبحت فى الولايات المتحدة الأمريكية مجموعات قوية من الألمان والأيرلنديين. حقيقة كان هؤلاء لا يمثلون سوى أقلية بسيطة من تعداد الشعب الأمريكى، إلا أن الميول العدائية لديهم نحو بريطانيا وفرنسا كانت كبيرة، وبرزت بسرعة وأصبح هؤلاء يمثلون اتجاه الأقليات المعادية لدول الوفاق.

ومن ناحية أخرى كانت هذه الأقليات الألمانية والأيرلندية منتشرة فى الولايات الغربية الأكثر فقرا، بينما كانت الولايات الصناعية التجارية الغنية الشرقية ذات أغلبية ساحقة إنجليزية الأصل. وكانت الولايات الشرقية أكثر قدرة على التعبير عن وجهات نظرها بشكل يضيع الإمكانيات اليسيرة المتاحة للولايات الغربية فى هذا الصدد.

أما غالبية الشعب الأمريكى فكان منحدرا من أصول إنجليزية، وكانت الثقافة الإنجليزية هى ثقافة الولايات المتحدة. ومن هناك كانت الصحافة الأمريكية سريعة التجاوب مع الصحافة الإنجليزية، وكانت الأفكار والاتجاهات الإنجليزية تجد صداها السريع، وبدون جهد بين أفراد الشعب الأمريكى. ومن هنا كان الإنجليز أقدر وأسرع فى إقناع الشعب الأمريكى بوجهة نظرهم، بينما كانت وجهات النظر الألمانية لا تنتشر إلا فى الدوائر الدبلوماسية أو ذات المستويات الرفيعة، الأمر الذى جعلها عاجزة عن كسب الشعب الأمريكى إلى جانب ألمانيا.

وحتى فى هذه المستويات الدبلوماسية والحكومية فى الولايات المتحدة كانت هناك مقاومة اجتماعية للألمان، حيث إن موظفى الإدارات الحكومية ورؤساء المؤسسات الاقتصادية الكبرى كانوا من الإنجليز، وكانوا يتعاطفون مع بريطانيا

تلقائيا، ويسهلون للإنجليـز أعمالهم ويضربون صفحا أو يتغاضـون عن التسهيلات فيما يتعـلق بالمصالح الألمانية. وكان من العسير جدا التـحكم فى مثل هذه المشاعر والأعـمال رغم الـنداء الواسع النطاق الذى أصـدره ويلسـون بعدم الانحـيـاز فى المعامـلات إلى جانب هذا الطرف أو ذاك، وقد كانـت هذه المشاعر العاطفـية لدى الأمريكيين المولودين فى بريطانـيا أو من أسرات بريطانية الأصل قـوية، حتى على مستوى الوزراء والسفراء أنفسهم.

فقد كان سفير الولايات المتحدة الأمريكية فى لندن هو والتر هانز باج، وكان بطبيعة وظيفته مسئولا عن الدفاع عن مصالح وطنه أمام وزارة الخارجية البريطانية، وعندما أكثـر الأسطول البريطانى من مصادرة البضائع الأمـريكية المصدرة إلى دول الوسط فى أوائل الحرب الأوربية، تسلم (باج) من حكومته مذكرة احتجاج شديدة موجـهة إلى الحكومة البـريطانية وتدعـوها إلى وقف مثل هذه الأعمـال، فذهب (باج) إلى وزير الخارجيـة البريطانى (إداور جراى) وقرأ عليه ذلك الاحـتجاج، ثم قال لجـراى: «لقد قرأت الرسـالة عليك، ولكننى لا أتفق معـها، فلنبـحث كيف يجب أن يرد عليها».

ب ـ العوامل الاقتصادية:

كانت سـياسـة الرئيس ويلسون تؤكـد منذ نشوب الحرب الأوربـية على أن تنتهج المؤسسات الاقتصادية فى الولايات المتحدة الأمريكية سياسة (الحياد الحقيقى) وكانت هذه المؤسسات الاقتصادية ـ بسبب طبيعة النظام الحر الاقتصادى الأمريكى ـ ذات قدرات شـبه مطلـقة فى التـعامل مع هذه الدولة أو تلك على أسـاس الربح المادى والمصلحـة الوطنية. وعندمـا تظله مشروعـات مادية مـربحة أمـام مثل هذه المؤسسات الاقتصادية تحاول أن تقنـع حكومة بلدها بعلاقة ذلك بالمصلحة الوطنية. وحينذاك كانت الدول الكبرى المتقاتلة كلها فى حاجة إلى قروض ضخمة، وكانت هذه الدول مستعدة لأن تقدم عروضا مغرية للمصارف الأمريكية.

ولقـد حدث فـعلا أن سـأل (بيت مورجـان)[١] ـ وكـان واحدا مـن أكبـر مؤسسات وول ستريت[٢] ـ وزارة الخارجية الأمريكية عما إذا كان من الممكن تقديم

قرض للحكومة الفرنسية، وهل هنـاك أية اعتراضات على مثل هذا الارتباط المالى الذى كانت له سوابق عديدة قبل الحرب العالمية. وقد أعد وزير الخارجية الأمريكى (بريان) مذكـرة فى هذا الشأن قدمهـا فى ١٠ أغسطس ـ آب ١٩١٤م إلى الرئيس ويلسون أشار فيها إلى أن الارتباطات المالية فى مثل هذه الظروف مع أى من الدول المتحالفة يؤدى إلى نتائج وتطورات غير متمـشية مع سياسة الحياد الأمريكى، على اعتبـار أن المصارف والمؤسسات الاقـتصادية التى تقـدم مثل هذه القروض ستـتخذ موقفا تلقـائيا مؤيدا للدولة التى حصلت على القروض منهـا. ويصبح انتصار هذه الدولة أو هزيمتهـا ذا معنى اقتـصادى للمصارف والمؤسـسات الدائنة لها، فـالنصر يحفـظ لهذه المصارف والمؤسـسات حـقوقـها، والهزيمـة تهدد هذه وتلك بضـياع القروض وفوائدها جملة وتفصيلا. وكانـت وجهة نظر (بريان) صحيحة جدا حين أشار إلى أن العـلاقة وثيق جـدا بين المصارف والصـحافة، وأن هـذه المصارف لن تلبث أن توجه الصحافة نحو تأييد الدولة المستدينة ضد الدول الأخرى.

وبالتدريج يصبح الحياد سياسة الحكومـة وليس سياسة الشعب أو مؤسساته. وقد قبلت مؤسسات (وول ستريت) نصيـحة وزارة الخارجية الأمريكية بالتريث فى أمر تقديم قرض للحكومة الفرنسية واسـتجابت المؤسسات الأمريكية حينذاك لتلك النصيـحة، وفضلت ألا تقدم على خطوة كـتلك إلا بعد موافقـة من جانب وزارة الخارجية الأمريكية. ولم تلبث الأمور أن وضـعت هذه المؤسسات المالية الأمريكية أمام عروض جديدة وملحة، بل إن الأوضاع الاقتصادية فى داخل الولايات المتحدة الأمريكية أخذت تتأثر بتطورات الحرب الأوروبيـة، وإن كان هذا بعد عدة أشهر من نشوبها.

فقد كانت اقتـصاديات الولايات المتحدة الأمريكية غير مسـتقرة عندما نشبت الحرب، وبالتـالى كان أى تغـير فى موازين الـتصدير والاسـتيراد كـفيـلا بإصابة الاقتصاد الأمريكى بخسائر واضحة، أو بمكاسب واضحة. وفعلا فى أوائل الحرب أقبل الحلفاء على شراء الذخـائر والمنتجات الأمريكية فربحت المؤسـسات الأمريكية جدا حـتى نفد الاحتيـاطى المالى المخصص لذلك لدى دول الحلفاء، فـأصبح من

المتعذر على الحلفاء شراء الإنتاج العسكرى الأمريكى إلا بقروض أمريكية، وأصبحت عدة مؤسسات للإنتاج العسكرى الأمريكى مهددة بالإفلاس إن لم يشتر الحلفاء إنتاجها على نفس المستوى على الأقل الذى كانت تشترى به دول الحلفاء، ومن هنا أصبحت هناك حاجة متبادلة بين الحلفاء من جهة، والمصارف والمؤسسات الصناعية والغذائية والعسكرية من جهة أخرى.

والسبب فى أن الحلفاء (بريطانيا وفرنسا) - من دون دول الوسط - هم الذين كانوا الأقدر على تقديم طلبات القروض إلى المؤسسات الأمريكية المالية هو أن الحلفاء هم الأكثر قوة من الناحية البحرية بالذات، والأقدر على حماية أساطيل النقل بين شاطئ أمريكا الشرقى وسواحل بريطانيا وفرنسا، ومع أن ألمانيا كانت تدعى قدرتها على التحكم فى الملاحة المحيطية، إلا أن السيطرة البريطانية على المحيطات هى التى كانت واضحة أمام أعين الأمريكيين، ومن يعمل فوق سطح البحر بأسطوله المكون من بوارج ومدرعات ومدمرات أقوى من ذلك الذى يعمل لغواصات تحت سطح البحر. ولقد ثبت أن تيار التجارة المتبادلة بين الولايات المتحدة وبريطانيا كان ينمو ويزداد فى مطلع الحرب الأوربية ، بينما انهارت التجارة الأمريكية الألمانية فى الوقت نفسه. وكان الرئيس ويلسون يدرك هذا، وكان قلقا من هذا التطور، بل لقد لفتت الحكومة الأمريكية نظر بعض المؤسسات الأمريكية إلى أنها تنحاز إلى جانب بريطانيا مما يهدد سياسة الحياد الأمريكى للخطر، ولكن دون أن تتخذ الحكومة الأمريكية سياسة إيجابية لمواجهة مثل هذه الحالات.

ولم يكن فى استطاعة ويلسون أن يقف ضد نمو مثل هذا النوع من التجارة بين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، حيث أدى ذلك الارتفاع فى حجم التجارة المتبادلة إلى امتصاص البطالة التى كانت قد انتشرت فى الولايات المتحدة الأمريكية قبيل وخلال الأشهر الأولى من الحرب الأوربية. ومن ثم يصبح الرئيس ويلسون فى مواجهة أزمة شعبية واقتصادية فى حالة قيامه بإجراءات ضد المؤسسات المنحازة تجاريا إلى جانب دول الحلفاء، بل كانت المشاعر الأمريكية تزداد ميلا إلى جانب الحلفاء وتزداد بغضا لدول الوسط، حيث ثبت للشعب الأمريكى أن العلاقات مع

دول الحلفاء مربحة تجاريا، بينما تقوم الغواصات الألمانية بإغراق السفن الأمريكية التي كانت حمل البضائع العسكرية والمدنية إلى موانئ دول الحلفاء. حتى لقد أحجمت شركات النقل البحرى الأمريكية عن نقل البضائع إلى دول الحلفاء خوفا من إغراق السفن الأمريكية بالطوربيدات التي كانت تطلقها الغواصات الألمانية. وأدى ذلك إلى تكدس ضخم للبضائع المعدة للتصدير على أرصفة الموانئ ومرة أخرى انتشرت البطالة، وفى هذه المرة كان المسئول هو الألمان، ولم يكن بوسع الأمريكي أن يناقش الأسباب العسكرية والسياسية التي كانت تدفع الألمان إلى تلك الإجراءات العسكرية العنيفة ضد السفن الأمريكية، وإنما كان الأمريكي يرى أن الألماني عرضة للبطالة وللخسائر الاقتصادية بعد ازدهار اقتصادى بفضل التعاون البريطاني الأمريكي. ومن ثم كان تصعيد حرب الغواصات التي كانت تشنها البحرية الألمانية يعنى في نفس الوقت زيادة الخسائر الاقتصادية بالنسبة للأمريكيين وتصعيد عدد المتعطلين وخاصة في موانئ أمريكا الشرقية، حتى لقد طغت موجة السخط الأمريكي ضد الألمان على الأعمال البريطانية العسكرية التي أضرت بالمصالح الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية، فالواقع أن كلا من الحلفاء ودول الوسط أضر بطريقة أو بأخرى باقتصاديات أمريكا. وهناك العديد من الحوادث التي وقعت ضد الاقتصاد الأمريكي على يد الإنجليز فقد وسعت بريطانيا من مفهوم «الممنوعات» التي يجب أن تصادرها حتى لا تصل إلى ألمانيا، فأدخلت في قائمة (الممنوعات) المواد التي تشتريها الدول المحايدة من الولايات المتحدة الأمريكية بقصد إرسالها إلى ألمانيا أو أى من دول الوسط، وصادر الأسطول البريطاني فعلا بضائع كثيرة من هذا النوع وارتفعت شكاوى المؤسسات التجارية الأمريكية إلى حكومة الرئيس ويلسون من أن بريطانيا لا تفعل ذلك تحت ضغط الضرورات العسكرية فقط، بل كذلك خدمة للمصالح والمؤسسات الاقتصادية البريطانية على حساب المصالح الأمريكية.

بعثت حكومة ويلسون باحتجاجات إلى الحكومة البريطانية بسبب تلك الحوادث، ولكن انتهى كل شيء عند تقديم الاحتجاجات، حيث لم تتخذ حكومة

ويلسون إجراءات إيجابية رغم تكرار هذه الحوادث. وهذا يرجع إلى طبيعة حجم التجارة الأمريكية مع دول الحلفاء خلال الفترة الواقعة بين ١٩١٤ ـ ١٩١٦ من ٨٢٤ مليون دولار إلى ٣٢١٤ مليون دولار تقريبا، بينما كان حجم التجارة الأمريكية مع دول الوسط ينهار بسرعة جدا خلال نفس تلك الفترة من ١٧٠ مليون فى ١٩١٤م إلى مليون دولار تقريبا فى ١٩١٦م والجدولين التاليين يمكن أن يوضحا هذه الحقيقة:

التجارة الخارجية

للولايات المتحدة الأمريكية مع دول الحلفاء

بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وروسيا

بين ١٩١٤م و١٩١٦م

السنة	القيمة بالدولار
١٩١٤م	٨٢٤٨٦٠٢٣٧
١٩١٥م	١٩٩١٧٤٧٤٩٣
١٩١٦م	٣٢١٤٤٨٠٥٤٧

التجارة الخارجية

للولايات المتحدة الأمريكية مع دول الوسط

ألمانيا والنمسا ـ المجر

بين ١٩١٤م و١٩١٦م

السنة	القيمة بالدولار
١٩١٤م	١٦٩٢٨٩٧٧٥
١٩١٥م	١١٨٧٨١٥٣
١٩١٦م	١١٥٩٦٥٣

ومثل هذا النمو الضخم فى حجم التجارة كان يفرض على حكومة الرئيس ويلسون أن تعمل على المحافظة على الأقل على معدلات النمو هذه، وأن تعمل على ضمان الكسب المادى للشعب الأمريكى، سواء فى المستقبل القريب أو البعيد، وخاصة أن المؤسسات المالية الكبرى عادت وأخذت تضغط على الحكومة الأمريكية من أجل إنقاذ التجارة الأمريكية من الركود عن طريق تقديم قروض مالية إلى بريطانيا وفرنسا. وفى هذه المرة كانت وجهة نظر وزارة الخارجية الأمريكية قد تبدلت فى ١٩١٥م، وسمحت فى أكتوبر تشرين أول ١٩١٥م بطرح قرض إنجليزى فرنسى قدره ٥٠٠ مليون دولار، وقد غطى ها القرض بالاكتتاب العام الذى أسهم فيه الشعب الأمريكى بأمواله الخاصة بمحض رغبته الخاصة. وصحب ذلك نوع من الصدام بين مؤيدى الحلفاء ومؤيدى دول الوسط، حيث حمل كل طرف لافتاته فى (وول ستريت) متظاهرا داعيا إلى تقديم القروض لهذا الطرف أو ذاك، ولكن كان

سيل الاكتتاب متجها نحو دول الحلفاء وليس نحو دول الوسط، حتى أنه عندما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب فى ٦ نيسان - أبريل ١٩١٧م كان ما اكتتب به الشعب الأمريكى لصالح الحلفاء ٢,٣ بليون دولار فى مقابل ٢٧ مليون دولار لصالح ألمانيا. وجنت فرنسا وبريطانيا من وراء ذلك مكاسب عسكرية جوهرية، إذ حصلتا على السيولة النقدية التى مكنتها من شراء العتاد والذخائر العسكرية من المؤسسات الأمريكية، ولم تلبث أن تحولت الولايات المتحدة الأمريكية إلى «ترسانة الحلفاء العظمى»؛ وذلك لأن حاجة دول الحلفاء إلى السلاح والذخائر كانت تتصاعد بسرعة كبيرة بعد أن تحولت حرب الجبهة الفرنسية إلى حرب خنادق وهجمات مضادة متتالية، وبعد اتساع نطاق الحرب فى شرق أوربا وفى العراق ومصر، وبذلك تكون الولايات المتحدة الأمريكية قد انحازت ماليا وتجاريا إلى جانب دول الحلفاء بشكل مباشر وانحازت عسكريا إلى جانبها أيضا، ولكن بطريق غير مباشر. ولقد لعبت المصارف والمؤسسات المالية الأمريكية الدور الكبير فى جعل الولايات المتحدة تنساق إلى الحرب والمشاركة فيها.

كان (بيت مورجان) من أكبر المؤسسات الأمريكية المرتبطة مع دول الحلفاء اقتصاديا، وقد استطاع - بعلاقاته الخاصة مع كبريات الصحف - أن يشن حملة دعاية كبرى ضد ألمانيا بصفة خاصة، ودول الوسط بصفة عامة. وقد عبر أحد المتحدثين باسم بيت مورجان عن موقف هذه المؤسسة المؤيدة للحلفاء بقوله: إنه فى الوقت الذى كانت فيه سياسة الحكومة تحث على الحياد فكرا وعملا كان بيت مورجان منذ البداية منحازا إلى جانب الحلفاء، وبنمو هذه العلاقات الاقتصادية مع دول الحلفاء أصبح النصر فى جانب الحلفاء يمثل كذلك نصرا أمريكيا وأصبحت الهزيمة تعنى خسارة مهولة للولايات المتحدة الأمريكية؛ وذلك للأسباب التالية:

١ ـ ألمانيا لا يمكن لها أن تعامل حكومة الولايات المتحدة بعد الحرب معاملة الصديق، وإنما ستعـاملها كعدو لئيم تستر وراء بريطانيا وفـرنسا للقضاء على ألمانيا.

٢ ـ أن انتصار ألمانيا الـبرى ـ بعد تلك المعركة البحرية الـسجال فى جوتلاند بين الأسطولين الألمانى والبـريطانى ـ سيعطى للأسطـول الألمانى انطلاقة ضد المصالح الأمريكية البحرية، وخاصة أن أسطول أمريكا كان لا يزال محدودا جدا بالنسبة للأساطيل الأوربية حينذاك.

٣ ـ أن قوى المعـارضة لسياسـة (الدولار الأمريكى)[٢] فى أمريكا اللاتينية ستجد الفرصة مواتية لربط نفسها مع ألمانيا لإرغام الولايات المتحدة على تخفيف قبضتها الاقتصادية عن دول أمريكا اللاتينية.

جـ - العوامل العسكرية:

وهذه العوامل متداخلة جدا بالعوامل الاقتـصادية، فحرب الغواصات كانت أكبـر عامل عسكرى دفع الولايات المتـحدة الأمريكية إلى الدخـول فى الحرب إلى جانب الحلفاء ضد دول الوسط. ولكن كانت حرب الغواصات نفسها موجهة ضد التـجارة الأمـريكية ـ البـريطانيـة على نفس المسـتوى الذى كـانت توجه به ضـد الأساطيل المتـحالفة. ويجـعل المؤرخون الأمريكيون والإنجـلير والفرنسيـون لحرب الغواصات الأهميـة الأولى من حيث مسئولية الألمان فى (إرغـام) الولايات المتحدة الأمريكية على الدخول فى الحرب. فيقول المؤرخ الفرنسى رينوفن:

«تحت تأثير أى الحوادث قطعت الولايات المتحدة علاقاتها مع ألمانيا؟ إن نقطة الانطلاق كانت بتثبيت ألمانيا وعزمها على القيام بحرب الغواصات إلى أبعد حد»، ويؤكد المؤرخان الإنجليزيان جرانت وتمبرلى هذا الاتجاه فيقولان:

«أبلغت الحكومة الألمانية الولايات المتحدة الأمريكية أن دول الوفاق المتحالفة أرغمت ألمانيا (بأساليبها الوحشية) على أن تستأنف حرية التصرف. وإزاء هذه الظروف ستواجه ألمانيا الإجراءات غير المشروعة من جانب الأعداء بأن تمنع بالقوة بعد أول فبراير ١٩١٧م فى منطقة حول بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وفى شرق البحر المتوسط، كل ملاحة، بما فى ذلك الدول المحايدة من إنجلترا وإليها ومن فرنسا وإليها. . وستغرق ألمانيا كل سفينة تلتقى بها داخل هذه المنطقة».

وكانت ألمانيا خلال الفترة الأولى من الحرب تسعى إلى توجيه ضربة قاضية لإخراج فرنسا من الحرب، ولكنها فشلت، وأرادت تحقيق نفس الهدف بالنسبة لروسيا، ولكنها فشلت كذلك، فتحولت إلى العمل على إخراج إنجلترا من الحرب عن طريق حرب غواصات تمنع عن الشعب الإنجليزى الغذاء والسلاح، وأعلنت الحكومة الألمانية أنها ستغرق أية سفينة فى نطاق حددته حول الجزر البريطانية معللة ذلك بأن الحكومة البريطانية ضربت حصارا على الشواطئ الألمانية بلغ فيه الأمر أن الأسطول البريطانى صادر المواد الغذائية التى تحتاجها النساء والأطفال، إلا أن حكومة ويلسون رفضت هذا التعليل وحملت الحكومة الألمانية مسئولية إجراءات كهذه (غير قانونية). ولم تلبث أن أغرقت غواصة ألمانية السفينة بوزيتانيا فى ٧ مايو أيار ١٩١٥م بمن عليها من سياح أمريكان، واعتبر «تيودور روزفلت» ـ الزعيم الأمريكى الكبير ـ هذا الحدث قرصنة يجب أن يقضى عليها.

كانت هذه الأزمة سببا فى رفع حرارة العداء الأمريكى نحو الألمان. ولم تلبث تطورات الحرب أن أدت إلى المزيد من حوادث إغراق السفن التجارية الأمريكية، وجاء حادث إغراق الباخرة فيجيلنتيا فى ١٩ مارس ـ آذار ١٩١٧م ليصبح فى اعتبار الرئيس ويلسون آخر ما يمكن أن يتحمله الأمريكى، دون أى تقدير؛ لأن الأسلحة والذخائر الأمريكية كانت هى الأخرى تفتك يوميا بالجيش الألمانى فى جبهات القتال البريطانية والفرنسية، ولا شك أن ويلسون كان قد قرر

الدخول فى الحرب إلى جانب الحلفاء منذ أوائل ١٩١٧م، وكان ينتظر الحادث الذى يحمل الألمان مسئولية (إرغام) حكومة الولايات المتحدة على دخول الحرب، حيث إننا نعتقد أن الأسباب الاجتماعية والاقتصادية هى العوامل الأولى والرئيسية التى جعلت الرئيس ويلسون يتحول من سياسة الحياد الحقيقى إلى الحرب.

د - العوامل الأيديولوچية:

كانت هناك نداءات قوية فى الولايات المتحدة الأمريكية تدعو إلى الدخول فى الحرب إلى جانب الديمقراطيات، ويقصدون بذلك فرنسا وبريطانيا، على اعتبار أن ألمانيا والنمسا كانت من الدول الدكتاتورية الأوتوقراطية التى لم يعد نظامها متلائما مع العصر الحديث، وأن من واجب الشعب الأمريكى أن ينقذ شعوب ألمانيا والنمسا من دكتاتورية حكامها ومنحها الفرصة لتحكم نفسها بنفسها بأسلوب ديمقراطى. ولكن كان هناك نقد شديد موجه إلى هذه النظرية يتركز فى أن الدخول فى الحرب إلى جانب إنجلترا وفرنسا يعنى كذلك الدخول إلى جانب حليفتهما روسيا القيصرية الأوتوقراطية الدكتاتورية الرجعية، ولا يشرف الولايات المتحدة أن تدافع عن مثل هذه القيصرية. ولكن حدث ما غير الأوضاع، إذ قامت الثورة فى مارس ١٩١٧م فى روسيا، وأسقطت القيصرية، ولم يعد هناك ما يمنع من دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء. بل لقد أصدرت الحكومة الليبرالية الروسية - التى جاءت إلى الحكم فى أعقاب الثورة - بيانات ومبادئ أثبتت أنها تسير نحو ديمقراطية أوربية، وبذلك أصبحت الحرب حربا بين الديمقراطيات والأوتوقراطيات. ولم يعش هذا التصور الأمريكى طويلا، ولكنه كان كفيلا بأن يفسح الطريق أمام دخول الولايات المتحدة الحرب ضد الأوتوقراطيات. وهذا العامل الأيديولوچى واضح جدا فى خطب وتصريحات ويلسون بعد أن قرر التخلى عن سياسة (الحياد الحقيقى) والتحول إلى سياسة الحرب، وكان لابد من أن تتعدل فى نفس الوقت مفاهيم الشعب بحيث تتشبع بهذه الأفكار حتى يصبح الفكر الأيديولوچى عاملا من عوامل دخول الحرب.

وكانت المهمة لا جدال صعبـة، حتى بعد وقوع الثورة الروسية. ولكن الذى كان يقـوم بمهمة إقناع الشـعوب بالتحول عن الحـياد إلى الحرب باسم الديمقـراطية رجال سياسة على جانب كبير من الذكاء والمقدرة على توجيه الشعوب نحو الهدف الذى يريدونه، ومن هؤلاء كان روبرت لانسنج، وكان محاميا دوليا قديرا، وشغل منصب المستشار الأول ثم وزيرا للخارجيـة بعد استقالة (بريان) فى ١٩١٥م. وكان (لانسنج) شديد الميل إلـى جانب الحلفاء، ويمكن تحـديد قدرته الهائلة فى توجـيه سياسة حكومة الولايات المتحدة الأمـريكية عندما ندرك أنه كان صاحب تأثير قوى ومباشر على ويلسون، وأنه كان هو المسئول عن كثير من القرارات الهامة الجوهرية التى أصدرها الرئيس ويلسون.

وقد أشار (لانسنج بوضوح فى مذكـراته أنه كان ينتظر الفرصة التى يمكن أن يستـغلها كى يوجـه الشعب الأمريكـى نحو قتـال الاستبـداد الألمانى، بإقناع هذا الشعب بأن الدكتاتورية الألمانيـة تهدد حرياته كما تهدد كافة المؤسـسات الديمقراطية فى أى جزء من أجزاء هذا العالم.

هـ - العوامل الدولية:

تتعلق العـوامل الدولية التى أثرت فى توجيـه الولايات المتحدة نحـو الحرب بالمشكلات التالية:

١ ـ العلاقات بين الولايات المتـحدة الأمريكية وجمهـورية المكسيك المجاورة لها.

٢ ـ المشكلة اليابانية وهى مرتبطة بالتوازن الدولى فى الشرق الأقصى.

٣ ـ التـوازن الدولى العـالمى علـى ضـوء تطورات الحـرب فى قلب القـارة الأوربية.

١ ــ المشكلة المكسيكية:

كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد خرجت من (سياسة الدولار) من وقت قصير، وكانت هذه السـياسة قد أعطتها فرصا لاستـغلال الكثير من إمكانيات دول

أمريكا اللاتينية بشكل أثار مشاعر هذه الدول دون أن تتطيع التصدى للعملاق الاقتصادى الأمريكى، وخاصة أن القوة العسكرية لدى الولايات المتحدة الأمريكية كانت قادرة على ضرب أى من الدول اللاتينية المفككة. وكان الرئيس ويلسون يحاول إقناع هذه الدول بأن حكومته تريد أن تتعامل معها على قدم المساواة، وليس من مركز القوة. ولكن التطورات الداخلية فى المكسيك جعلت تحقيق ويلسون لهذا أمرا صعبا، إذ توالت الانقلابات الداخلية فى المكسيك، وكان للرأسمالية الأمريكية دور فى بعضها، وظهرت عصابات قوية فى منطقة الحدود المكسيكية ـ الأمريكية، وبعث ويلسون بالجيش الأمريكى لضرب هذه العصابات، الأمر الذى أثار حفيظة المكسيكيين. وبصفة عامة كانت العلاقات المكسيكية الأمريكية غير مستقرة، وكان من الممكن أن تنتهزها أية دولة معادية للولايات المتحدة الأمريكية. وعندما تعاظم حجم التجارة العسكرية الأمريكية مع دول الحلفاء، واعتقد الألمان أن حكومة الولايات المتحدة ستدخل الحرب ضدهم إن عاجلا أو آجلا سعت حكومة القيصر الألمانى إلى حث المكسيك على التحالف معها ضد الولايات المتحدة. وكان الألمان يلوحون للمكسيك بأن مثل هذا التحالف سيمكن المكسيك من استرداد الأراضى التى سبق أن اغتصبتها الولايات المتحدة الأمريكية منها بالقوة، وبوجه خاص (تكساس ونيو مكسيكو وأريزونا). ولم تطفو المشكلة المكسيكية بقوة على سطح العلاقات الألمانية ـ الأمريكية إلا فى أعقاب نشر برقية أرسلها (زمرمان) ـ مساعد أمين سر الدولة الألمانية فى وزارة الخارجية الألمانية ـ إلى سفير ألمانيا فى المكسيك. وقد وقعت هذه البرقية فى قبضة رجال المخابرات البريطانية الذين سلموها إلى حكومة واشنطن، عملوا على نشرها على أوسع نطاق بين أفراد الشعب الأمريكى لما كانت عليه المشكلة المكسيكية من حساسية شديدة، وترتب عن ذلك تحرك مشاعر الشعب الأمريكى ضد الألمان دون البحث عن حقيقة هذه البرقية، حيث هناك اعتقاد بأن قصة البرقية من أولها إلى آخرها كانت من تدابير وتنفيذ المخابرات البريطانية وليس لألفرد زمرما ضلع فيها.

٢ ـ المشكلة اليابانية:

كانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تنظر بعين القلق إلى نمو اليابان فى الشرق الأقصى، ذلك النمو الذى ظفر فى أعقاب ذلك التحالف اليابانى مع بريطانيا، ومع أن بريطانيا كانت حليفة اليابان، إلا أنها كانت قادرة على أن تضع حدا للتوسع اليابانى، أما وقد أصبحت بريطانيا منشغلة بقضها وقضيضها فى حرب مصيرية فى أوربا والشرق الأوسط فالفرصة ـ من وجهة نظر حكومة الولايات المتحدة ـ أصبحت سانحة تماما أمام اليابانيين لكى يحلوا محل الدول الكبرى الأوربية فى الشرق الأوسط سواء المعادية منها لبريطانيا أو الحليفة.

وكانت اليابان سريعة الحركة حين أعلنت الحرب على ألمانيا واستولت على شبه جزيرة (شانتونج) فى الصين. ولم يكن فى استطاعة ويلسون أن يوقف مثل هذا التحرك اليابانى، وإلا عرض نفسه لأزمة مع بريطانيا، إلا أن ويلسون كان يقظا جدا لأى تحرك جديد يابانى، ولقد حاول اليابانيون فعلا أن يفرضوا على الصين فى مطلع ١٩١٥م معاهدة تجعلها مجرد تابع لليابان، فما كان من ويلسون إلا أن استعان بوساطة الحكومة البريطانية واضطر اليابان إلى التخلى عن فكرة هذه المعاهدة، وعقدتا معاهدة لانسنج ايشيى فى نوفمبر ١٩١٧م تلك المعاهدة التى حفظت لليابان اعترافا أمريكيا بمصالحها فى الصين بشكل يمكن أن يحول هذه المصالح إلى نوع من التسلط اليابانى على الصين، أما ويلسون فيبدو أنه اكتفى بمنع اليابان من فرض حمايتها الفورية على الصين حتى تنتهى الحرب العالمية، وتتضح صورة العالم من بعدها. وبذلك تكون العلاقات بين حكومة الولايات المتحدة واليابان ـ التى تشارك منذ البداية فى الحرب إلى جانب الحلفاء ـ قد سارت على أساس المفاوضات وتبادل المنفعة وتهدئة الأمور حتى يتضح الموقف الدولى.

٣ ـ التوازن الدولى:

كانت حكومة الرئيس ويلسون لا تعنى فقط بأوضاعها الاقتصادية وعلاقاتها بالدول المتقاتلة فى أوربا فقط، بل كانت معنية جدا بتصور ماذا سيكون عليه

الموقف السياسى والعسكرى والاقتصادى بعد أن تنتهى الحرب لصالح أى من الطرفين المتقاتلين. وكان هناك احتمال قوى بأن التفوق البرى الألمانى سيعطى لدول الوسط القدرة على التحكم فى أوربا كلها، وبالتالى فى معظم الاتجاهات الدولية، وبالتالى تفقد حكومة الولايات المتحدة مكانتها فى مثل هذه الحالة التى تصبح فيها دولة أو دولتين فقط فى أوربا هما المتعاملتين مع حكومة واشنطن، ولا شك أن انتصار ألمانيا فى القارة الأوربية سيعقبه تخفيض شديد للمصالح التجارية الأمريكية والمكانة الدولية الأمريكية، بعكس انتصار الحلفاء الذين لا يرغبون فى السيطرة المباشرة على أوربا، ومن ثم كانت مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية تكمن فى عدم إعطاء الفرصة لدولة معينة تسيطر على أوربا وتوجهها.

وإذا ما وضعنا هذه العوامل الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والأيديولوچية والدولية جنبا إلى جنب لتبين لنا بوضوح أن كافة الاتجاهات كانت تحث الرئيس ويلسون على التخلى عن مبدأ (الحياد الحقيقى) الذى نجح به فى الانتخابات ليعلن شعارات أخرى تحبذ دخول حكومته وبلاده الحرب، شعارات جديدة لا تعطى العامل الحقيقى وهو العامل الاجتماعى الاقتصادى مكانه الأول. فهو حين دعا إلى خوض غمار الحرب، نادى بأعلى صوته أن الديمقراطيات فى خطر، مع أن حكومته مسئولة إلى حد كبير عن حماية العديد من الحكام الدكتاتوريين فى أمريكا اللاتينية، ونادى بأعلى صوته أن حرية الفرد الأوربى تداس تحت أقدامه الدكتاتورية القيصرية، بينما حكومته تدوس - وهى متعالية - بأقدام البيض حقوق السود فى الولايات المتحدة الأمريكية، لا لشىء إلا لأنهم سود ولديهم من النشاط ما يجعلهم قادرين على التفوق على الأبيض أو على الأقل أن يقف منه موقف الند للند.

وعلى أى حال، تحول الرئيس ويلسون إلى جانب الحرب، وقدم مبرراته إلى الكونجرس الأمريكى الذى وافق فى ٦ نيسان أبريل ١٩١٧م على إعلانها.

ولم تدخل الحرب كحليف لدول الوفاق، وإنما كشريك فقط فيها، ذلك حتى تحتفظ حكومة وشنجتن بحق الانسحاب من هذه الحرب عندما تشاء. وهذا الوضع القانونى يجعلها غير ملتزمة بأهداف دول الوفاق من الحرب، ويعطى لوشنجتن الفرصة لأن تعمل وتتحدث من مكانة أعلى مستوى من مكانة الدول المتقاتلة عموما، ولا يدفعها هذا الوضع القانونى إلى الاعتراف بالاتفاقيات السرية المعقودة بين دول الحلفاء لتوزيع الأسلاب بعد الحرب.

ما هى تطلعات حكومة وشنجتن والشعب من وراء المشاركة فى هذه الحرب؟

إن مسألة الدفاع عن الديمقراطية لا تشبع التطلعات الاقتصادية لرجال الأعمال الأمريكيين، وإنما يجب أن يكون هناك عائد مناسب من وراء هذه المشاركة. فبادئ ذى بدء كانت هناك أولا المحافظة على الديون الأمريكية لدى دولتى الوفاق: إنجلترا وفرنسا، والإبقاء على باب التجارة مفتوحا معهما حتى يستمر حجم التجارة فى النمو.

ويحدثنا أحد المؤرخين الفرنسيين عن مكاسب الولايات المتحدة الأمريكية من وراء مشاركتها فى الحرب بقوله: إنها هى التى خرجت منتصرة من الحرب والرابح الأول فيها. فلقد زاد إنتاج الفحم فيها، وتضاعف إنتاج الصلب، والإنتاج الزراعى، حتى أن «فائض الميزان التجارى» للفترة الواقعة بين ١٩١٤ - ١٩١٨ يعادل الفائض عن السنوات بين ١٧٨٧ و ١٩١٤م.

أما من حيث الفوائد التى جنتها دول الحلفاء من وراء دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانبهم فهى كثيرة للغاية أيضا.

١- قويت الروح المعنوية لديهم على اعتبار أن الولايات المتحدة كانت تضم رصيدا بشريا وماليا وعسكريا ضخما كفيل بقلب موازين الحرب ضد ألمانيا بعد فترة ليست بالطويلة. وأصبح على كل من إنجلترا وفرنسا أن تصدا وتردا الهجمات الألمانية العديدة حتى تصل القوات الأمريكية.

٢- مع أن الأسطول الأمريكى كان صغيرا نسبيا، إلا أن دخول وشنجتن الحرب جعل هذا الأسطول مسئولا عن سلامة سفن الحلفاء فى مسطح

من الماء كبيـر يخفف من أعباء الأسطول البـريطانى. وفوق هذا وذاك، أصبح من مـسئوليـات الأسطول الأمريكى منع الغواصـات الألمانية من إغراق السفـن الأمريكية، خاصة وأن مـتوسط ما كان يغـرقه الألمان فى الشهـر كان قـد بلغ ٩٠٠ ألف طن. وفعـلا تعاونت أسـاطيل فرنـسا وبريطانيا والولايات المتـحدة الأمريكيـة في حماية قوافل السـفن العاملة بين الولايات المتـحدة والموانئ الفـرنسية والبـريطانية. وتم كـذلك نقل حوالى ثلثا مليون جندى أمريكى إلى الجبهة الفرنسية.

٣- أصبح من اليسـير على كل من بريطانيا وفرنسا أن تعـقدا قروض حرب مع حكومة الولايات المتـحدة الأمريكية بشـروط أكثر سخـاء وبسرعة. وفعلا وافق الكونجرس على تقديم قروض بثلاثة مليارات دولارا للحلفاء فى أعقاب دخول الولايات المتحدة الحرب.

كـان دخـول الولايات المتـحـدة الحرب فى ظـروف تختـلف عن تلك التى لابست دخـول الدول الأوربية فـيهـا. لم تمر حكومة وشنجتن بأزمـات تمهيـدية، وكانت سياسة التعبئة العامة العسكرية غير واردة فى الأذهان. وفوجئ الشعب بأن المبالغ اللازمة للمـشاركة فى الحرب ضخـمة للغاية لم يسبق لهـا مثيل. وبدا على السلطات الأمريكية فى أول الأمر نوعا من الارتباك فى مواجهة مسئوليات الحرب، بل إن البعثـات الفرنسية والبريطانيـة التى وفدت على العاصمـة الأمريكية لتطالب بأموال سائلة لمواجهة تحديات الحرب فى أوربا أصيبت بخيبة أمل كبيرة.

ويلاحظ أيضـا عندما وقـعت الحرب العالمـية الأولى لم تكن أجـهزة وزارة الحربيـة والبحـرية الأمريكية مـستعـدة للمضـاعفات التى تـوالت. كان الأسطول صغيرا، وكـان انهيار الأسطول البريطانى فى معركـة بحرية أمام الألمان يعنى خطرا كـبيـرا على الولايات المتـحدة. وكـان الجيش مـؤلفـا من ٨٠ ألف جندى نظامى موزعين على المـراكز الرئيسية فى داخل الولايات المتـحدة نفسهـا، وكان (الحرس الوطنى) أكثـر عددا ولكن أقل تنظيـما، وأما سـلاح الطيران فكان ملحقـا بسلاح الإشارة دليل عدم إعداده للمهام الحديثة الحربية حينذاك.

بعد دراسة وافية لحاجات الولايات المتحدة من القوات المسلحة، ولمواجهة الخسائر المتتالية فى السفن الأمريكية بواسطة الغواصات الألمانية، وضع ويلسون ومستشاروه برنامجا للتسلح يرفع من قدرات الدولة البحرية إلى المرتبة الأولى فى (١٩٢٥).

وما أن عرض هذا البرنامج حتى أثار مناقشات حادة للغاية، وكانت صيحات المعارضة داخل الكونجرس قوية وأكثر علوا، ومع هذا استطاع ويلسون أن يحصل على موافقة من الكونجرس على تقوية القوات المسلحة عن طريق ضرائب فرضت على ذوى الدخول الكبرى بصفة خاصة (١٩١٦).

ولهذا عندما دخلت الولايات المتحدة الحرب كانت أقدر على تجهيز قوات كثيفة للعمل فى أوربا.

كان على حكومة ويلسون أن تعد مئات الألوف من الجند ومئات السفن وعشرات الألوف مع المدافع وأكداس مكدسة من الذخائر لكى ترسل إلى جبهة القتال فورا، ولم يكن يتوافر من هذا إلا القليل رغم تلك الاستعدادات المبكرة سنة ١٩١٦، لهذا شرعت الحكومة فى تشكيل لجان حرب متخصصة فى مواجهة هذه المشكلات الرئيسية فظهرت الهيئات والمجالس التالية:

١- مجلس الدفاع القومى[1].

٢- هيئة التسويقات العامة[2].

٣- هيئة اقتصاديات الحرب[3].

٤- إدارة التغذية[4].

ولكن أثبتت مجهودات الأمريكان الأولى فى ميدان التعبئة والاستعدادات قصورا شاملا لا يتناسب والصورة التى كانت فى الأذهان عن إمكانيات الولايات المتحدة الكبيرة عسكريا واقتصاديا، وأدرك ويلسون أن مواجهة مسئوليات الحرب

(1) Council Of National Defense.
(2) General Munitions Borad.
(3) War Industries Board.
(4) Food Administration.
وكان الحلفاء فى حاجة ماسة إلى المواد الغذائية

تتطلب سلطات واسعة توضع فى تصرف الأجهزة المسئولة، وفعلا منح (هيئة اقتصاديات الحرب) سلطات واسعة ووضع على رأسها أحد كبار رجال الأعمال[1] فى (وول ستريت)[2] ووضع (هربرت هوفر)[3] على رأس (إدارة التغذية) ليواجه منذ البداية أزمة حرجة، حيث إن الحاجة إلى القمح كانت كبيرة للغاية لمواجهة متطلبات الحرب للأمريكيين والحلفاء، وحيث إن الإنتاج كان متدنيا بشكل لم يسبق له مثيل فى السنوات القليلة السابقة.

ولكن إجراءات (هوفر) الخاصة بشراء إنتاج القمح بأسعار عالية جعلت الإقبال على زراعته كبيرا، حتى لقد أصبح مساحة المزروع منه فى ١٩١٩ هو ٧٥ مليون (آكر) فى مقابل ٤٥ مليون فى ١٩١٧.

وفى مجالات توفير الوقود والنقل العام بمختلف الوسائل اتخذت حكومة ويلسون قرارات سريعة وحاسمة لعبت دورا هاما فى نمو اقتصاديات الولايات المتحدة.

وكان الاستيلاء على ممتلكات الألمان ومصانعهم - وخاصة مصانع إنتاج الكيميائيات - من العوامل التى أنعشت اقتصاديات البلاد العسكرية والمدنية على حد سواء.

وفى ميدان إنتاج الطائرات، كان من المقرر أن يصبح سلاح الجو مؤلفا فى تموز (يوليو) ١٩١٨ من ٢٢ ألف طائرة حسب الخطة الموضوعة لذلك، ولكن تبين أن الرقم مبالغ فيه جدا، حتى أن الدول الكبرى المتحاربة نفسها لم تكن الواحدة تملك أكثر من ٢٥٠٠ طائرة، وكان طبيعيا أن يصل عدد الطائرات الأمريكية التى ساهمت فى الحرب حتى عقد الهدنة هو ربع العدد المقترح من قبل فقط.

تولى القيادة العليا الأمريكية فى فرنسا (جون برشنج)[4] فوصلها فى منتصف ١٩١٧ عندما كانت جيوش الحلفاء عموما تقف موقف الدفاع. وظهرت

---

(١) برنارد باروخ Bernard Baruch .

(2) Wall Street.
(3) Herbert Hoover.
(4) John. J. Pershing.

مشكلة بين (برشنج) وقواد الحلفاء عن كيفية استخدام القوات الأمريكية فى القتال. كان قواد الحلفاء يطالبون باستخدام القوات الأمريكية كإمدادات تسد الثغرات فى خطوط الحلفاء، أما (برشنج) فقد تسك - يسنده فى ذلك ويلسون - بأن يعمل الجيش الأمريكى على اعتبار أنه جيش قائم بذاته غير منصهر فى بقية الجيوش الحليفة. وبعد أشهر قليلة تحرج موقف الحلفاء إلى درجة دقيقة للغاية بسبب عدة تطورات جوهرية عسكرية وسياسية.

١- فتح حكومة كيرنسكى مفاوضات الصلح مع ألمانيا.

٢- نكبة الجيش الإيطالى فى كابوريتو Caporetto.

واتجهت القيادة العليا للحلفاء إلى طلب المزيد من الرجال من الولايات المتحدة وفعلا كان (برشنج) بتؤدة قد أعد الفرقة الأولى - كمقدمة لعدة فرق أخرى تحت الإعداد والتكوين - التى شاركت فى العمليات العسكرية فى منطقة اللورين جنبا إلى جنب القوات الفرنسية هناك فى تشرين أول (أكتوبر) ١٩١٧، وشاركت القوات الأمريكية فى المعارك الأخيرة من الحرب وخاصة فى الدفاع عن باريس وحيث إن تعدادها كان قد بلغ منذ تموز (يوليو) ١٩١٨ حوالى المليون جندى، تحولت إلى الهجوم خاصة فى جبهة نهر الموز Meruse فى تشرين ثانى (نوفمبر) ١٩١٨، وظهر واضحا أن التفوق العددى فى الرجال - بفضل المساهمة الأمريكية جعل آمال الألمان فى الحصول على نصر ما بعيدة.

كان (برشنج) الذى كسب أكثر من موقعة وأرض - يرى أن الألمان لن يصمدوا بعد، وإن على الحفاء أن يستمروا فى التقدم حتى برلين حتى يشعر الألمان بمرارة الحرب، ولكن فى الوقت الذى كانت فيه القوات الأمريكية قد بلغت مشارف قلعة (سيدان)[1] الشهيرة كان المندوبون الألمان قد عبروا الحدود لمقابلة فوش[2] طالبين عقد هدنة، وتم عقدها فى ١١ / ١١ / ١٩١٨ وبدأت مسئوليات ويلسون إزاء السلام وشكل العالم الذى يجب أن يكون عليه بعد تلك الحرب الدموية.

---

(1) Cedan.
(2) Foch.

كان ويلسون - مثل غيره من زعماء العالم - قد عرفوا بأمر المعاهدات السرية التى سبق أن عقدتها دول الوفاق فيما بينها لاقتسام مناطق النفوذ وأراضى العدو، وذلك عندما أذاعت حكومة الثورة البلشفية هذه الاتفاقيات، وربما كان ويلسون يدرك أن هناك نوعا من التفاهم بين دول الوفاق حول أراضى العدو، ولكن وعد بلفور - الذى يعطى وطنا قوميا لليهود فى فلسطين - قد عرض عليه قبل إصداره، ومن ثم كان ذهنه مستعدا لأن يقبل نوعا من التسلط الغربى على البلاد غير الأوربية شأنه فى ذلك شأن الزعماء الغربيين الذين يحلون مشاكل أوربا على حساب آسيا أو إفريقية بغض النظرعن المبادئ الإنسانية.

ولهذا أصدر الرئيس ويلسون مبادئه الأربعة عشرة المشهورة كى تعطيه زعامة أيديولوچية دولية واسعة النطاق، وهذه المبادئ تتلخص فيما يلى:

١- إلغاء الدبلوماسية السرية.

٢- حرية الملاحة فى أعالى البحار سواء فى وقت السلم أو وقت الحرب.

٣- تخفيف الحواجز الاقتصادية بين الأمم.

٤- تخفيض التسلح.

٥- تسوية حقوق الشعوب المستعمرة بالعمل على إعطائها حق اختيار الحكومة التى تتولى أمرها.

٦- جلاء الألمان عن الأراضى الروسية.

٧- سيادة البلجيك وحريتها.

٨- الجلاء الألمانى عن الأراضى الفرنسية.

٩- إعادة تخطيط الحدود الإيطالية - النمساوية بما يتمشى مع القاعدة القومية.

١٠- منح شعوب إمبراطورية النمسا - المجر الحكم الذاتى.

١١- الجلاء عن أراضى صربيا ورومانيا والجبل الأسود، وحصول صربيا منفذا على البحر، وتسوية العلاقات بين الدول البلقانية على أساس قومى.

١٢- الاستقلال الذاتى لشعوب الإمبراطورية التركية (العثمانية).

١٣- استقلال بولنده ومنحها منفذا على يحر البلطيق.

١٤- تكوين عصبة أمم تتولى ضمان تنفيذ الاستقلال الذاتى وسلامة أراضى الدول العظمى والصغرى على السواء.

ولقيت هذه المبادئ ترحيبا من الأمريكيين والأوربيين وحتى من الألمان أنفسهم. وهناك فى مؤتمر الصلح فى باريس كان الاختبار الحقيقى لمبادئ ويلسون فيلاحظ.

١- أن الألمان تعلقوا بها، وسلموا الكثير من السلاح والأرض استنادا إلى هذه المبادئ.

٢- والحلفاء أكدوا حيرتهم وعدم قدرتهم على فهم مضمونها، وتوصلوا إلى هدفهم الخاص بتحويل الهدنة إلى (استسلام ألمانى غير مشروط)، حيث إن مواد الهدنة وتنفيذ الألمان لها جعل من المستحيل على ألمانيا أن تمتشق الحسام بعد أن اكتشفت أن الحلفاء لن يأخذوا بمبادئ ويلسون الأربعة عشرة.

ذهب ويلسون إلى مؤتمر الصلح (يناير - كانون الثانى ١٩١٩) ليعمل على:

١- منع الحلفاء من اقتسام الأراضى والبلاد وتوزيع الغنائم على تلك الطريقة المعتادة خلال القرن التاسع عشر.

٢- منع اليابان من وراثة ألمانيا فى الشرق الأقصى.

٣- وضع مشروع عصبة الأمم موضع التنفيذ.

وعندما عاد ويلسون إلى وشنجتن فى فبراير - شباط ١٩١٩ ليعرض على الكونجرس مشروع (عصبة الأمم) ومشروع معاهدة فرساى، واجه ويلسون أشد مقاومة برلمانية عرفها.

تزعم حركة المعارضة ضد مشروعات ويلسون الخاصة بعصبة الأمم ومعاهدة فرساى[١] - فى السناتو الأمريكى - السياسى الذى سيشتهر فيما بعد: هنرى كابوت لودج[٢]، وذلك فى مارس - آذار واضطر ويلسون إلى تعديل بعض مواد العصبة والمعاهدة على ضوء اعتراضات السناتور. وبوجه خاص البند الخاص بحق الدولة فى أن تنسحب من عصبة الأمم بعد أن تقدم مذكرة بهذا المعنى، وأن العصبة لن تأخذ على عاتقها مسائل داخليات الدول، وبوجه خاص (مسائل الهجرة)، ومبدأ مونرو.

ومما زاد من حدة الأزمة بين ويلسون ومنافسيه السياسيين أن هؤلاء وجدوا الفرصة مناسبة للصعود على كتفيه تمهيدا لانتخابات ١٩٢٠ المقبلة. ومما ساعد على النيل منه أن معاهدة فرساى عندما وضعت فى صيغتها النهائية التى وقعتها ألمانيا لم تراع الكثير من مبادئ ويلسون، خاصة فيما يتعلق بحق تقرير المصير للألمان أنفسهم وبالنسبة للبلاد التى كانت واقعة تحت حكم الألمان أو الأتراك.

وكانت موافقة ويلسون على حصول بريطانيا وفرنسا تعويضات كبيرة من ألمانيا واحدة من أهم الأمور التى تعارضت مع مبادئه الأربعة عشرة. فكان هذا الاتجاه إلى جانب إملاء معاهدة فرساى على الألمان من العوامل التى حركت العديد من زعماء الأحرار ضد ويلسون. وجاء هذا فى الوقت الذى قدم فيه معاهدة فرساى إلى مجلس السناتو للتصديق عليها فى ١٠ يوليو - تموز ١٩١٩. وقدمها وهو معتز بها، معتدا بمقدرته، مطالبا بأن يوقعوا عليها على اعتبار أنها فريدة نوعها من إنتاج أمريكا العظمة. فكان هذا الأسلوب من الفردية الذى زاد من حدته المرض الذى أصيب به ويلسون من العوامل التى نفرت العديد من أعضاء السناتو من المعاهدة. وطالبوا بأن تبقى الولايات المتحدة خارج عصبة الأمم على

(١) انظر تفاصيل عقدها ودور ويلسون فيها فى كتابنا: تاريخ أوربا المعاصر.

(2) Henry Cabot Lodge.

اعتبار أن هذا خير لها. شن ويلسون حملة خطابية كبرى فى مختلف أجزاء الولايات المتحدة مدافعا عن وجهة نظره، ولكن استنفدت هذه الحملة طاقته الصحية، ولم تحصل الموافقة فى السناتو على المعاهدة (١٩ نوفمبر - تشرين ثانى ١٩١٩) فكان فى ذلك هزيمة شديدة شخصية لويلسون.

وفى انتخابات ١٩٢٠ كان واضحا أن هناك تيارا ضد (الويلسونية) ونجح (هاردنج)[1] الجمهورى، ولكنه لم يحكم طويلا، إذ توفى فى ١٩٢٣ ليخلفه كلفن كولدج[2]. كان كل منهما ضد (الويلسونية) وضد اشتراك الولايات المتحدة فى القضايا الدولية الأوربية، ولهذا عادت فى عهدهما الولايات المتحدة إلى عزلتها السابقة.

وعمدت حكومة الجمهوريين إلى عقد معاهدات منفصلة مع الدول المهزومة لتضمن مصالحها، وضمن سياسة الباب المفتوح فى الولايات العثمانية حتى إذا ما وضعت تحت الانتداب الفرنسى والبريطانى، وحتى إذا ما حصلت الولايات المتحدة على نصيب مجز من بترول الموصل أهملت حكومة وشنجتن سياسة الباب المفتوح هناك. ولكن الجمهوريين فى نفس الوقت عملوا على إثبات دور دولتهم فى إقرار السلام، ولهذا شجعوا على عقد مؤتمر دولى فى وشنجتن من اليابان وبريطانيا والولايات المتحدة فى نوفمبر - تشرين ثانى ١٩٢١. وفى هذا المؤتمر عرض وزير الخارجية الأمريكى (هيوز):

١- تخفيض عدد القطع البحرية العسكرية للدول الثلاث.

٣- تحديد عدد السفن الحربية المزمع بنائها.

وفعلا توصلت الأطراف الثلاثة إلى نوع من تهدئة التسابق فى التسليح البحرى، وكان هذا فى مصلحة الولايات المتحدة؛ لأنه كان يوجد تحالف بين اليابان وبريطانيا، وكانت تحركات اليابان البحرية فى الشرق الأقصى تهدد المصالح الأمريكية هناك.

(1) Harding.
(2) Calvin Coolidge.

ولم تلبث أن عقدت عدة اتفاقيات بين الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا واليابان حول الشرق الأقصى أكدت سياسة (الباب المفتوح) هناك. وعقدت اتفاقية برياند - كيلوج[1] التى اعتبرت الحرب لتحقيق سياسة قومية توسعية غير شرعية، ولقيت هذه المعاهدة ترحيبا واسعا بين الشعب الأمريكى؛ لأنها سياسة دولية دون التزامات معينة.

وانشغلت الولايات المتحدة الأمريكية بأمورها الداخلية، وخاصة بالأزمة الاقتصادية الكبرى التى بدأت فى ١٩٢٩[2]، ولا تكاد تخرج منها حتى وجدت وجه أوربا قد تغير:

١- تفوق الحزب النازى وزعيمه هتلر فى ألمانيا.

٢- أصبح موسولينى وحزبه الفاشيست قوة مرهوبة خارج إيطاليا.

٣- اليابان أصبحت قوة إمبريالية عدوانية مهددة لمصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأقصى.

وبدا واضحا خلال الثلاثينات أن هذه الدول الثلاث تدفع العالم إلى حرب. وظهرت دعوة إلى أن تقوم كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وفرنسا وبريطانيا بإقحام حرب على هذه الدول قبل أن يستفحل خطرها وتصبح أمنع من أن تطال. ولكن مثل هذه الدعوة كانت محصورة فى نطاق ضيق فى الولايات المتحدة، إذ كانت الأغلبية تدعو إلى الاستمرار فى سياسة المراقبة والحذر. ومع هذا كان لابد لحكومة الولايات المتحدة أن تكون أكثر إيجابية نحوالتفوق اليابانى تاركة المشكلة النازية والفاشستية لكل من فرنسا وبريطانيا وروسيا.

كان على الولايات المتحدة أن تحد من التسلط اليابانى على الصين ولكن كانت شكيمة اليابان شديدة، وكانت وجهة نظر اليابان هى أن الصين - تحت شيان كان تشيك - وروسيا - تحت ستالين - أصبحتا من القوة فى الشرق الأقصى للدرجة التى يمكن أن تقضى على الآمال التوسعية اليابانية، خاصة في منشوريا.

---

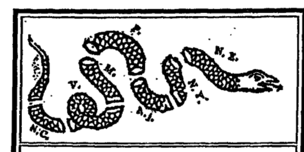
(1) Briand - Kellogg.

(٢) انظر الفصل التالى.

ولهذا سارعت إلى السيطرة عسكريا عليها ابتداء من ١٩٣١ منتهزة فرصة الأزمة المالية الحادة التى كانت تعانيها كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. وفعلا أكملت القوات اليابانية سيطرتها على منشوريا فى يناير - كانون ثانى ١٩٣٢ واقترح بعض المسئولين فى حكومة وشنجتن إلى العمل من خلال عصبة الأمم على أمل فرض عقوبات اقتصادية ضد اليابان، إلا أن الرئيس الأمريكى هوفر Hoover رفض مثل هذا الإجراء. واتضح كذلك للعالم أن ميثاق برياند - كيلوج أصبح مجرد قصاصة من ورق لاجدوى منها.

وكان موقف الشعب الأمريكى نفسه سببا فى أن تكون إجراءات حكومته ضد اليابان ضعيفة، حيث إن الشعب كان لايزال متمسكا بنظرية خفض السلاح واستمرار السلام. وأن تتزعم حكومته قوى السلام لا قوى الحرب، وأن لا تتطور حكومة الولايات المتحدة فى القيام بدور البوليس الدولى هنا وهناك، ولهذا اكتفت حكومة وشنجتن بعدم الاعتراف بما استولت عليه اليابان من أراضى جديدة فى الصين. وأثبتت سياسة مؤتمرات نزع السلاح فى جنيف (١٩٢٧) ولندن (يناير ١٩٣٠) وجنيف (١٩٣٤) عدم جدواها خاصة وأن فرنسا - بسبب تعاظم قوة النازى - أخذت تطالب بقيام جيش دولى للتصدى لأطماع النازى فى فرنسا نفسها وفى غير فرنسا. بل تصاعدت موجة التسابق فى التسلح بعد خروج ألمانيا من عصبة الأمم فى أكتوبر - تشرين أول ١٩٣٤، وبعد فشل محادثات التوازن البحرى بين اليابان وبريطانيا والولايات المتحدة فى ١٩٣٥م.

وزادت صيحات (الحياد) فى الولايات المتحدة خلال أزمة العدوان الفاشيستى على (أثيوبيا). وبدا واضحا فيها أن موسولينى لن يتراجع، وأن الإجراءات المضادة من جانب عصبة الأمم كانت واهية، وتمكن موسولينى من تنفيذ أهدافه الاستعمارية الأمر الذى جعل دعاة العزلة فى الولايات المتحدة يقوون عن ذى قبل، وزادت هذه الاتجاهات قوة عندما تورطت الدول الأوربية فى الثورة الإسبانية (يوليو - تموز ١٩٣٦) وكان عدم التورط فى حرب أو فى مشكلات أوربا لبّ سياسة الرئيس الأمريكى روزفلت حتى أدت التطورات إلى الحرب العالمية الثانية فتحولت سياسته من الحياد إلى الحرب، وقبل أن ندرس هذا الموضوع علينا أن نلقى نظرة على الأزمة الاقتصادية الكبرى التى تعرضت لها الولايات المتحدة فى ١٩٢٩ وعقابها.



الفصل التاسع

الكساد الكبير

تعتبر الأزمة الاقتصادية الكبرى - التى تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية - واحدة من أكبر الأخطار التى هددتها حتى لقد شبّه بعض رجال السياسة هذه الأزمة بأنها أشد خطرا من عدو يغزو البلاد.

فما هى الأسباب والظروف التى أدت إلى هذه الأزمة؟ وما هى مظاهرها؟ وكيف واجهتها الحكومة والشعب حتى انتهت هى وآثارها؟

كان الرئيس المنتخب فى ١٩٢٨ هربرت هوفر(١) قد جاء إلى البيت الأبيض زعيما للجمهوريين، وكانت كل الظروف توحى أن البلاد مقبلة على عهد عظيم من الرخاء المادى. ولقد عبّر هو ذلك بقوله أنه وقد أعطى الفرصة ليحكم سيمهد لليوم الذى لن يجد فيه الفقر مكانا لنفسه فى أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت شعارات حملته الانتخابية تشير إلى الرفاهية وليس فقط القضاء على الفقر حتى لقد كان من بين شعارات أنصاره الشائعة «سيارتان فى كل كاراج»(١).

ومن الوجهة الاقتصادية كان الرئيس هوفر مؤمنا بسياسة (الاقتصاد الحر)، حتى بالنسبة للمشروعات الكبرى وعبّر عن ذلك بقوله:

«إنى معترض بشدة على دخول الحكومة فى أى عمل من الأعمال التى تهدف أساسا إلى مزاحمة المواطنين عن قصد.. إنها تهدم مبدأ تكافؤ الفرص لدى شعبنا، وهى لا تتلاءم مع المثل العليا التى أقيم عليها صرح مدنيتنا... إنى أتردد فى التفكير فى مستقبل منشآتنا ومستقبل بلادنا، إذا تحول اهتمام موظفيها من العناية بنشر العدالة والفرص المتساوية إلى عملية المبادلات فى الأسواق. ليس هذا مذهب الأحرار، إنه التدهور والانحطاط».

(1) Herbert Hoover.

وقد كانت الفترة الواقعة بين ١٩٢٠ و ١٩٢٨ فترة ارتفاع كبير في حجم الإنتاج الصناعي وفي حجم الأوراق المالية المتداولة في السوق. وكان من الواضح أن الثراء أخذ يعم الطبقة الوسطى والعليا، وأن مجالات العمل والحياة الكريمة أصبحت متوافرة للعمال، حتى لقد تعددت المقارنات بين مدى الثراء بين المزارعين وكبار الملاك من جهة والعمال وأصحاب المصانع وكبار رجال الأعمال من جهة أخرى، وكانت نتيجة هذه الدراسات تؤكد أن عهد الرخاء الذي تمتع به المزارع بين ١٩٢٠ و ١٩٢٨ قد انتقل إلى رجال الأعمال والعمال. وكانت حكومة (هوفر) في حقيقة الأمر حكومة تسعى لخدمة رجال الأعمال، وكان هناك اعتقاد سائد أن هؤلاء لديهم القدرة على الارتفاع بقدرات البلاد الإنتاجية إلى مستويات لا مثيل لها من قبل، وبالتالي رفع الدخل الفردي إلى درجات قياسية.

وكانت فعلا مظاهر الأمور توحي بذلك. فقد تضاعفت أعداد وقيمة الأوراق المالية المتداولة في سوق (وول ستريت)[1]، وغادر العديد من الموظفين أعمالهم ليقوموا بعمليات البيع والشراء في سوق الأوراق المالية لما كانت تدره هذه العمليات من أرباح كبيرة، حتى أصبح المشتغلون بهذه الحرفة يعدون بالألوف في كل مدينة من المدن الأمريكية، وخاصة في (وول ستريت) حي الأعمال في نيويورك.

وكان هذا الرواج في سوق الأوراق المالية جزءا من الرواج العام. فقد زاد الطلب على السلع الاستهلاكية زيادة متتالية خلال العشرينات، وكانت شركات إنتاج السيارات والأدوات المنزلية والأجهزة الكهربائية تباع بأعداد ضخمة، وانعكس هذا العدد الهائل من العمال الذين وجدوا فرصا متعددة للعمل في مخازن بيع المنتجات وتسويقها. حتى لقد أصبح البائعون والعمال يفضلون التنقل من مخزن إلى آخر ومن مصنع إلى مصنع بحثا عن الأجر الأعلى وكانوا غالبا ما يوفقون في الحصول على مرتبات أعلى.

وكانت هذه المجالات المتسعة للكسب والحصول على دخل متصاعد القيمة لدى الأفراد والأسرات - خاصة في ظروف ما بعد الصلح الذي كان يوحي بسلام

(1) Wall Street

طويل وتجارة دولية أكثر ازدهارا - تغرى الغالبية العظمى من الشعب الأمريكى بأن يتطلع إلى المستقبل النامى أكثر من أن يرتب أموره على أساس دخله الحقيقى. وظهر من وراء ذلك الإسراف فى شراء السلع الاستهلاكية وفى رفع معدلات الإنفاق على تعليم الأبناء. وزاد من حدة هذا الاتجاه نمو الأعباء الاجتماعية، خاصة من حيث كثرة الإنفاق على الحفلات والمظاهر العامة فى الملبس والمأكل. وكان طبيعيا أن تتضاعف نتيجة لذلك بسرعة غير عادية أعداد مصانع إنتاج الاستهلاكيات، وفعلا ظهرت منها خلال فترة العشرينات أعداد ضخمة لم يسبق لها مثيل.

وحصلت بعض المؤسسات على أرباح كبرى خلال فترة العشرينات من هذا القرن، ومن ذلك أن قطارات السكك الحديدية كانت لا تستوعب الأعداد الضخمة من المتنقلين بين المدن، والسيارات ومشروعات تسيير خدمات النقل من مكان لآخر أصبحت من أنجح المشروعات وأكثرها ربحا، وبيعت من الأجهزة الكهربائية والراديو - الذى كان حديث العهد - ملايين من الوحدات، ونست صناعة السينما والمسارح، وكلها ذات طابع استهلاكى.

وبتوفر رؤوس الأموال المحدودة فى يد الأسرات المتوسطة الحال ظهرت المشاريع التى تستوعب هذه الأموال وتحتاج إلى مبالغ أخرى. وحيث إن التطور العام كان نحو ارتفاع معدلات الدخل القومى والفردى كان الفرد يقبل مطمئنا إلى عقد قرض من أجل بناء منزل جديد أو من أجل توسيع فى أرضه أو ممتلكاته، أو من أجل إرسال أبنائه إلى واحدة من الكليات الراقية فى وقت كثرت فيه مثل هذه الكليات والمدارس.

كذلك يلاحظ أن شراء المنتجات الاستهلاكية بواسطة أسرات من الطبقة الوسطى كان يتم عن طريق التقسيط المريح ولآجال طويلة، وحيث إن قيمة الدخل الشهرى للمواطن الأمريكى كانت فى ارتفاع متوالى خلال العشرينات كانت توقعاته فى دفع الديون تؤكد أن لا مشكلة فى المستقبل حتى لو وصلت هذه الديون إلى نصف دخله.

ولكن لا يكاد يمر عام واحد على انتخاب الرئيس (هوفر) حتى وقع الكساد الكبير فى[1] ١٩٢٩.

ففى يوم الخميس[2] ٢٤ أكتوبر - تشرين أول ١٩٢٩ فوجئ الشعب سواء من هم فى أعلى مستويات الحكم والأعمال أم مجرد عمال وفلاحين بأنباء نزول حوالى ١٣ مليون سهم إلى الأسواق المالية معروضة للبيع، وهبطت أسعار حوالى ١٦ مليون من الأسهم إلى مستويات غير معقولة حتى لقد أصبحت العديد من هذه الأسهم مجرد قصاصات ورق فى يد أصحابها الذين كانت تعتمد مدخولاتهم على ارتفاع أسعارها بعد وقت وجيز، وكان أمثال هؤلاء بالملايين وكانت أعداد المضاربين فى سوق الأوراق المالية قبل الأزمة رهيبا، وكان ما بيدهم من أوراق يستعدون للمضاربة بها تعد ببلايين الدولارات، وفجأة وجد كل هؤلاء أنفسهم معدمين لا يملكون شيئا.

وكان من الطبيعى أن يغلق عدد كبير من البنوك والمؤسسات أبوابه بعد انهيار أسهمها وبعد تدهور قيمة رؤوس أموالها، وبعد إقبال شديد على سحب الودائع الأمر الذى جعل البنوك عاجزة عن توفير السيولة النقدية اللازمة لمواجهة طلبات العملاء المفاجئة. ولقد حاولت الصحافة أن تقنع هؤلاء العملاء أن يكفوا عن سحب ودائعهم على اعتبار أن فى هذا العمل مفتاح إنقاذ البنوك من إفلاس كامل يصيب ضرره كثرة من المتعاملين يبلغ أعدادهم أضعاف أضعاف العملاء. ولكن كانت هذه النداءات العاقلة غير مقبولة فى خضم الشائعات المريعة التى انطلقت من ساعة لأخرى تشكك فى قدرة البنوك والمؤسسات على الحفاظ ولو على نسبة مئوية من الودائع لديها.

ولقد ثبت أن البنوك التى نجحت فى الحفاظ ولو على جزء من رأس مالها وودائعها بطريقة أو بأخرى استطاعت أن تقف على قدميها وتجتاز الأزمة بسلامة نسبية.

وبصفة عامة كان الانهيار الاقتصادى المالى شديد الوطأة على البنوك، حتى لقد بلغ عدد البنوك التى أغلقت أبوابها خلال الفترة الواقعة بين ١٩٣٠ و ١٩٣٢

(1) The Creat Depression.

(٢) يسمى الخميس الأسود.

حوالى خمسمائة بنك، وأفلس حوالى ٤٨٣٥ بنكا بين أكتوبر ١٩٢٩ وأغسطس -آب ١٩٣٢، وهبطت قيمة الأوراق المالية المتداولة من ٨٩,٥ بليون دولارا إلى ١٥,٠ بليون فقط. وبلغت خسارة حملة الأسهم حوالى ٧٥ مليون دولارا أو بمعنى خر لو وزعت هذه الخسارة على كل فرد من سكان الولايات المتحدة لبلغ نصيبه نها حوالى ٦١٦ دولارا، أى حوالى ألفى ليرة لبنانية.

بل إن أسهم شركات كبيرة قوية، كان من المعتقد أنها لن تهتز يوما ما مهما كانت الظروف، انهارت هى الأخرى مثل أسهم (التلفونات والتلغرافات لأمريكية)[١] ومؤسسة (جنرال موتورز)[٢] و (جنرال إلكتريك)[٣].

ماذا كان موقف الحكومة الأمريكية من هذه النكبة العامة؟

لقد أدلى العديد من المسئولين بتصريحاتهم وبآرائهم وكانت كلها مطمئنة هادئة رتيبة وكأن الأزمة مجرد مشكلة عارضة لن تلبث أن تنتهى وتعود الأمور إلى ما كانت عليه وأحسن. ومن ذلك ما قاله (هوفر) نفسه من «أنه يمكن الاطمئنان لى الأوضاع المالية فى العام القادم». أما وزير المال (إندرو ميلون)[٤] فقد قال:

«إننى لا أرى شيئا فى الوضع الحالى يهددنا أو يدعو إلى التشاؤم. إننى أشعر بثقة كبيرة فى أن النشاط سوف يدب مرة أخرى فى الربيع».

ولكن سارت التطورات بسرعة مذهلة للجميع تقريبا. فقد كان طبيعيا أن يتحول فى أول الأمر ملايين من البشر كانوا يعتمدون على المهن التالية إلى مجرد ضائعين بلا طعام أو مأوى:

١ - أولئك الذين كانوا يقومون بعمليات المضاربة فى الأوراق المالية، وكانت أعدادهم قد تضخمت قبيل ١٩٢٩ بسبب ازدهار سوق الأوراق المالية والأرباح الخيالية التى حصل عليها كثرة من المضاربين. وهؤلاء حين فقدوا مجال عملهم هذا لم تكن لديهم حرفة أو مهنة أخرى يلجأون

(1) American Telephone and Telegraph.
(2) General Motors.
(3) General Electric.
(4) Andrew Mellon (1855 - 1937).

إليها لسد الرمق، فكانت الأزمة بالنسبة لهم كارثة جعلتهم يبيعون ما يملكون من منازل وأثاث إذا كان لديهم شيء منها وتحولوا إلى مجرد متسكعين ضائعين فى المدينة.

٢- وفى مجال العمال، كانت النكبة كذلك فظيعة. فقد أصبح الحصول على الدولار بعد ذلك الهبوط الشديد فى أسعار الأوراق المالية من الأمور المعقدة جدا، وبالتالى احتفظ كل من أسعده الحظ برأسمال محدود أو كبير بما لديه انتظارا لما ستأتى به الأيام. فكان أن انهارت حركة الشراء والبيع فى الأسواق سواء أكانت استهلاكية أم إنتاجية. وكانت التطورات معقدة وكان من المستحيل التحكم فيها. وبطبيعة الحال تخلص أصحاب المحلات من العمال الملحقين بمحلاتهم، وأوقفت المصانع الكبيرة والصغيرة عمالها لمواجهة وقف التصريف من جهة والحد من النفقات من جهة أخرى. وأخذت أرقام العاطلين تتصاعد من شهر لآخر. على النحو التالى:

فى مارس ١٩٣٠ بلغ عدد المتعطلين ٣,٢٥٠,٠٠٠ شخصا.

فى مارس ١٩٣٢ بلغ عدد المتعطلين ٢,٥٠٠,٠٠٠ شخصا.

فى مارس ١٩٣٤ بلغ عدد المتعطلين ١٤,٥٠٠,٠٠٠ شخصا.

وكان فى استطاعة الموظف الذى خفض مرتبه وعلاواته أو صاحب المخزن أو التاجر أن يخفض بسرعة من مستواه المعيشى لمواجهة الأزمة ولكن المشكلة كانت بالنسبة للملايين آخرين لا يمكن أن تحل بمثل هذه الوسائل. فقد كان هناك ملايين قبل الأزمة لا يحصلون على عمل مستديم وإنما لفترات محدودة من السنة، وهؤلاء أصبحوا بلا عمل على الإطلاق لينضموا إلى جيش العمال المتعطلين. وأصبحوا أقرب إلى الموت جوعا. هذه الأزمة الطاحنة التى كانت تعانيها النفس البشرية لها آثار أخرى أخطر، وهى أن مثل هؤلاء العمال الفنيين المتعطلين لن

يلبثوا - بعد مرور سنة أو أكثر - أن يفقدوا مهاراتهم الفنية، ويتحولوا إلى مجرد عمال عديمى الكفاءة فى المستقبل فتزداد عليهم أعباء الحياة أشد عن ذى قبل.

وإذا أضفنا إلى ذلك الأعداد الكبيرة من المتعطلين والمتعطلات الذين لا يسجلون أسماءهم فى السجلات الرسمية لوجدنا أن جيوشا من المتعطلين الجياع أصبحت تملأ المدن بشكل رهيب. وتحولوا إلى باعة جائلين لا يكاد يبيع الواحد منهم شيئا فى نهاره، أو تحولوا إلى ماسحى أحذية، وانطلق الصبية يبيعون الصحف ويسعون إلى هذه البناية أو تلك لمجرد بيع صحيفة واحدة، وكان هذا غير معتاد من قبل.

وهناك نوع آخر من التدهور وأصحاب الدخول. فحتى أولئك الذين احتفظوا بأعمالهم سواء فى دوائر الحكومة أو فى المؤسسات والمحلات التجارية واجهوا تخفيضا شديدا فى الأجور. وانتشرت سياسة تخفيض الأجور ووقف صرف العلاوات والمنح التشجيعية وذلك على اعتبار أنها الوسيلة السريعة والفعالة لوقف الخسائر عند حد. ولكن من ناحية أخرى كانت هذه السياسة فى نظر كثير من رجال الاقتصاد حينذاك - أشد خطرا على مستقبل البلاد على اعتبار أن القوة الشرائية الضعيفة فعلا ستشتد ضعفا، ومن هنا عارض عدد كبير من رجال الأعمال سياسة تخفيض أجور الموظفين والعمال حتى تظل حركة بيع السلع على نوع من الحيوية.

وإذا كانت مأساة التدهور فى المدينة قائمة فلقد كانت كذلك فى الريف، وإن اختلفت فى بعض المظاهر وفى طريقة المواجهة. ففى أعقاب الحرب العالمية الأولى كان الريف مزدهرا، وكانت قيمة المحاصيل الزراعية مرتفعة.

وكان السبب فى ذلك يرجع إلى ارتفاع قيمة العائدات من الأرض الزراعية، الأمر الذى دفع أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة والمحدودة إلى شراء قطعة أرض سواء بما لديه من أموال أو بعقد قروض لآجال متوسطة فكان أن ارتفعت قيمة الفدان بسرعة من ١٠٠ دولار إلى ٤٠٠ دولار.

وركز المزارعون والفلاحون على إنتاج القمح أوالدخان أو القطن[1] لما كانت عليه أسعارهم من ارتفـاع مستمر خلال الفترة التى أعقـبت الحرب العالمية الأولى. حتى غدا دخل المزارع متوقفـا على واحد من هذه المحاصيل والملاحظ أن المزارعين عنوا أكثر بتوسيع رقعة ممتلكاتهم بدلا من الاحـتفاظ باحتياطى لسنوات الأزمة التى لم يكن يتوقعـها. وعندما جاءت الأزمة وجـد نفسه عاجزا عن دفع قيـمة الفوائد المطلوبة.

والأزمة الاقتصادية فى الريف بدأت نذرها قـبل الأزمة المفاجئة فى ١٩٢٩، فـخلال الفـترة الواقـعـة بين ١٩٢٠ و ١٩٢٨ كانت أعـبـاء المزارع تتزايد بسـبب الازدهار الصناعى والتقدم الاجـتماعى وبسبب هبوط قيـمة الإنتاج الزراعى خلال سنوات العشرينات. وحيث إن أصـحاب الأراضى كانوا - مثل - أهل المدن - قد تورطوا فى عقد القروض وفى شراء الاستهلاكيات بقروض أيضا، فقد جاء الوقت الذى أصبح فيه دخل المزارع من أرضه لا يكاد يفى حاجاته اليومية.

وحيث إن القروض كانت فى مقابل الأرض، أدى ذلك إلى أن تضع البنوك وبيوت الرهونات فى أعقاب أزمة ١٩٢٩ أيديها على أراضى المزارعين وتحول الملاك فى مساحات شـاسعة من أجود الأراضى الزراعية فى الولايات المتـحدة إلى مجرد أجراء يعملون فى الأرض التى كانت تظل أحيانا تحت إدارة البنك أو شركة التأمين أو يشتريها أحـد الرأسماليين. وتتحول العلاقة بين المسـتأجر والإدارة الجديدة إلى مجرد علاقـة قاصرة على دفع الأجور واستلام المحصول دون تعـاطف حقيقى بين المزارع وأرضه، ذلك التعاطف الذى كان متوفرا عندما كان هذا المزارع مالكا.

وفى بعض الولايات كان حـوالى ربع الملاك قد فقـدوا أملاكهم إمـا لصالح البنوك أو فى المزاد العـلنى وحتى أولـئك الذين احـتفظوا - بقـدراتهم الفـائقـة- بمزارعهم وقطعان مـاشيتهم واجهـوا مشكلات معقدة، فـالمحصول ليس هناك من يشتريه حتى لقد تركت حقول شاسعة فى ولاية مونتانا دون حصاد تذروها الرياح،

---

(١) كانت منافسة الحرير الصناعى أحد الأسباب الرئيسية لتدهور أسعار القطن الأمريكى، أضف إلى هذا زيادة إنتاج القطن فى البلاد الأخرى.

وقتل الرعاة الخراف، حيث إن تكاليف نقلها إلى السوق كانت تكاد تعادل ثمن بيعها.

ومما ضاعف من الأزمة فى الريف نظام المشاركة الذى كان شائعا قبل أزمة ١٩٢٩. إذ كان صاحب الأرض يتفق مع فلاح يتولى هو وأسرته أمر زراعة محصول القطن على أن يحصل فى مقابل ذلك على نصف الإنتاج ويحصل صاحب الأرض على النصف الثانى. وكان تصاعد ثمن القطن قبل العشرينات من هذا القرن قد شجع كثير من الأسرات على الإقبال على نظام المشاركة. ومع أن أسعار القطن خلال العشرينات كان فى تناقص مستمر وكان العديد من الأسرات التى ترتبط بنظام المشاركة تزداد فقرا سنة بعد أخرى، إلا أن الآمال كانت معقودة على ارتفاع قريب فى أسعار القطن.

وعندما وقع الكساد العظيم كان الفلاح المشارك لا يمتلك شيئا من المدخرات، ومن ناحية أخرى عمدت الغالبية العظمى من أصحاب الأراضى إلى الاستغناء عن هؤلاء المشاركين. وكانت النكبة كبيرة بالنسبة لهم، إذ كانوا يعيشون فى بيت صغير فى أرض المالك، وكانوا يتولون زراعة قطعة صغيرة من أراضى المالك لسد حاجاتهم اليومية، وفجأة فى خريف ١٩٢٩ وبعد طرد الملاك للمشاركين، وجد هؤلاء أنفسهم بلا مأوى وبلا طعام ليوم واحد لأنفسهم أولأولادهم.

وانتشرت البطالة كذلك بين الفلاحين والمزارعين وكان هؤلاء ينطلقون إلى الهجرة إلى المدينة. تلك الفكرة التى كانت تراود كل مزارع أو فلاح يفشل فى حياة كريمة فى الريف. ولكن فى أزمة ١٩٢٩ لم تكن المدينة قادرة على استيعاب أى من هؤلاء الفلاحين ولم يكن يدرك هؤلاء أن متعطلى المدينة أخذوا هم أيضا يفكرون فى الرحيل إلى الريف، لعل به ما يسد الرمق.

وتجلت خلال ذلك حقيقة هامة هى أن القوة الشرائية المنخفضة لدى الفلاحين ولدى العمال كانت المظهر العام المسبب لتوقف عمليات السوق اليومية، إذ أصبح الفلاح عاجزا عن شراء منتجات العامل. وأصبح العامل بدوره عاجزا

عن شـراء منتجـات الفلاح. وتكدس منتـجات الحـقل. كمـا تكدست منتـجات المصنع.

ومن شدة ما يعانيه المتعطلون من فقـر أقبلوا على مكاتب التهجير للعمل فى الاتحاد السـوفيـتى. وكان الاتحاد السـوفيـتى فعلا يطلب من عـدة سنوات تزويده بالعـديد من العمـال المهرة فى الصنـاعات وبالفنيـين. ولكن دون أن يجد العـدد الكافى لمواجهة توسعـاته الضخمة الصناعية. أما بعـد ١٩٢٩ فقد قبل الألوف من الأمريكيين من الفنييـن ومن ذوى المهارة العالية السفر إلى الاتحاد السـوفيتى للعمل هناك، بل وقبلوا أن تدفع لهم الحكومة السـوفيتية مرتباتهـم بالروبل الذى كان غير قابل للتحويل.

حقـيقة كانـت النكبة التى حلت بالريف كبـيرة جدا، ولكن إذا قـارنا حالة المزارع المالك لقطعة صغيرة من الأرض بزمـيله العامل الذى كان يعادله فى الدخل السنوى، لوجدنا أن حالة المزارع كـانت أحسن من حالة العامل للأسباب الـرئيسية التالية:

١- قد يفـقد الفلاح كل رأسمـاله النقدى. ولكن هناك كثرة من الفـلاحين استطاعت الحفـاظ على أملاكها الصـغيرة وتخفيض مـستوى معيـشتهم لمواجهـة الأعبـاء المتعـاظمة الجـديدة بعد الأزمـة وإنتاج المواد الغـذائية الضرورية. أما العامل فإنه عندما فقد عمله يكون قد فقد كل شىء دون أى مصدر لسد الرمق، وبذلك يكون معرضا للموت جوعا، خاصة بعد أن يطرد من مسكنه لعدم قدرته على دفع إيجاره.

٢- أن الفـلاح يستطـيع أن يواجه الأزمـة لفـترات أطول من الـفتـرة التى يستطيـعهـا العامل فى المدينة. والذى حدث فـعلا هو أن الفـلاح عانى المشكلة لمدة أطول بكـثيـر مما عـاناه عامل المدينـة، حيث بدأت الأزمـة بالنسـبة للفـلاح قـبل ١٩٢٩ بعدة سنوات ومـع هذا كانت إمكانيـات المقاومة بين الفـلاحين - دون معونة مباشرة من الحـكومة - أشد أصالة من تلك التى كـانت لدى العمـال فى المدن. هذا إلى أن التضـامن بين

أهل المناطق الريفية أقوى من التضامن بين أهل المدن. وكانت فئات العمال لا تجد من يشد أزرهم ويدافع عن حقوقهم، إذ لم يكن نظام النقابات قد ظهر بعد فى الولايات المتحدة الأمريكية. هنا كان العامل محروما من الرعاية النقابية ومن التضامن الاجتماعى فى نفس الوقت.

وأصيبت نفسية شباب ١٩٢٩ بصدمة كبيرة جاءتهم بطريقة غير مفهومة. كان الشباب والفتيات قبل الأزمة يقبلون على مدارسهم وكلياتهم وينفق عليهم آباؤهم بسخاء، واستهوتهم مدنية ذلك العصر سواء من حيث مثلها المرحة الجديدة أوبمشاكلها الاجتماعية المعقدة، وأقبلوا عليها بقلوب شابة حتى واجه الجميع مشكلة المصاريف اليومية اللازمة للطالب ليقيم أوده حتى يستطيع أن يذهب إلى كليته بعد أن توقفت أسرته عن إرسال المصاريف إليه ناهيك عن مصاريف الجامعة التى عجزت الغالبية العظمى من الأسرات عن مواجهتها بعد أن فقدت هذه الأسرات رؤوس أموالها أو استنفدت مدخراتها فى مواجهة متطلبات الرمق اليومى. فكان هذا الشباب الناقم على هذه الأوضاع سريع التحرك لمواجهة هذه الأزمة لسد نفقات معيشته، ولكن عدة ملايين منه أصيبت بنوع من الطيش، وغادرت قراها ومدنها إلى حياة تشرد جافة خطرة وعاثت فى المدن فساد من لصوصية وإرهاب.

ما هى أسباب هذا الكساد الكبير؟

لقد تعددت الدراسات الاقتصادية والاجتماعية لأسباب وتطور ونتائج هذا الكساد. ومع هذا لا تزال هناك خلافات عديدة حول تحديد هذه الأسباب وحول تحديد أى منها هو المسئول الأول عن وقوع الكساد.

وهناك اتجاه عام يؤكد على أن هذا الكساد لم يكن نتيجة لأسباب طبيعية، وإنما هو فى نظر بعض الباحثين نتيجة لعوامل اصطناعية. وفيما يلى أهم أسباب هذا الكساد:

من الواضح أن ارتفاعا فى الإنتاج كبيرا كان قد حدث على مدى السنوات بين ١٩٢٠ - ١٩٢٩، ونشطت حركة التجارة وارتفعت نسبة الأرباح من وراء ذلك. ولكن الأغلبية العظمى من هذه الأرباح ذهبت إلى خزائن عدد قليل جدا

من كبـار رجال الأعـمال، أو ذهب فى الإنفـاق على مشـروعات لإقـامة مـبانى مكلفة، وبالتـالى لم تتحـول هذه الأرباح إلى قوة شرائيـة فى يد الجماهيـر. فلما تشبَّع المجتـمع من حيث شراء السلع توقف عن ذلك. بينما استـمرت المصانع فى الإنتاج بنفس المعدلات السابقة فـزاد العرض على الطلب بل تكدست البضائع فى المحلات دون تصريف.

وحيث إن الاتجـاهات الاقتـصادية قبـيل ١٩٢٩ أدت إلى تركيـز الإنتاج فى مؤسسات كبيرة أدى ذلك إلى تعمق الأزمة الاقتصادية عندما وقعت فى ١٩٢٩.

وخلال العشـرينات ظل نظام الضرائب معمـولا به دون تعديل مع أن ذوى الدخل المحدود كـانوا يدفعون نسـبيا أكـثر من ذوى الدخـول الضخمـة. وبالتالى أصبحت القوة الشرائية لدى الجماهير محدودة إلى حد كبير.

وزاد الطين بلة، أن الحكومة وضـعت نظاما للتعرفـة الجمركيـة ربط التجارة الخارجية بقيمة القروض الدولية الأمريكية.

كيف واجه الشعب الأمريكى هذه الأزمة؟

كانت هذه المواجهة على عدة مستويات:

١- المستوى الحكومى.

٢- المستوى الفردى.

٣- العلاج على المستوى الأيديولوجى.

١- العلاج على المستوى الحكومى:

كان الرئيس الأمريكى (هوفر) مقتنعـا تماما أن الأزمة يجب أن تتخذ طريقها إلى الحل تلقـائيا. ومن هنا عندمـا عرضت عليه مـشروعـات لكى تقوم الإدارات الاتحادية بتقديم العون المالى للأفراد العـاطلين أو للمؤسسات التى أقفلت أبوابها، قال فى حديث له عن دور الحكومة فى مواجهـة هذه الأزمة إلى أن مهمتها هى أن تحول «دون حدوث مجاعة أو برد لأولئك الذين يحسون بضيق». لقد كان (هوفر) مثـال الرأسمـالية التى تنظر إلى المشكلات الاقـتصادية مـن زاوية واحدة هى هل

النظام الحر يجب أن يستمر أو لا يستمر، وحيث إنه آمن به وبأنه هو الذى يجب أن يؤدى إلى رخاء الأمة فكل شىء يعترض هذا النظام ليس سوى مشكلة مؤقتة لن تلبث أن تزول.

وبطبيعة الحال، كانت الإجراءات التى اتبعها الرئيس (هوفر) لمواجهة الأزمة لا ترقى إلى المستوى اللائق بدولة كبيرة، حيث صدرت النداءات إلى المؤسسات والأفراد كى يتبرعوا للصليب الأحمر وللجمعيات الخيرية لتقديم المعونة للمتعطلين ومن هم على شفى الموت جوعا. هذا فضلا عن أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية - إذا قورنت بالدول الأوربية - كانت متخلفة بشكل واضح فى مجال القوانين والتشريعات الخاصة بمواجهة البطالة، ولم تصدر فى الولايات المتحدة مثل هذه التشريعات إلا ابتداء من يناير - كانون الثانى ١٩٣٢ وجمهرة من المؤرخين تحمل حكومة (هوفر) مسئولية الوقوف متقاعسة عن قصد إزاء علاج سريع للأزمة، وتذهب الغالبية من الباحثين المتأخرين إلى أنه كان فى استطاعة حكومة (هوفر) أن تنقذ الموقف لو تحركت بسرعة. ولكن فلسفة (هوفر) الاقتصادية حالت دون ذلك، فكان أن تدهورت الأمور وتعمقت المشكلة بشكل تعذر علاجها إلا على طول سنوات عشر، وخاصة على عهد فرانكلين روزفلت (١٩٣٢ - ١٩٤٤).

٢- العلاج على المستوى الفردى والشعبى:

كان لدى بعض المدن زعامات محلية قوية استطاعت أن تسيطر على الأمور وأن تقنع العديد من أصحاب الودائع فى البنوك بالإبقاء عليها، وأن تقنع بعض من لديه فائض من الأموال أن يودعه فى البنك حتى استعاد البنك مكانته وعاود نشاطه فكان دافعا للحركة الاقتصادية وللثقة مرة أخرى بين الناس والبنوك.

٢ - العلاج على المستوى الأيديولوجى:

كان هناك بعض الشيوعيين الذين رأوا فى هذه الأزمة الإرهاص الحقيقى لنبوءة كارل ماركس من أن الوقت قد حان ليتقوض النظام الرأسمالى من الداخل وليقوم العمال والفلاحون بثورتهم للإجهاز عليه. ولقد كسب عدد من الشيوعيين أنصار جددا بين بعض الفئات المثقفة التى كانت ذات قدرات زعامية فى البلاد. إلا

أن هذا النشاط الشيوعى ظل على هذا المستوى المحدود دون أن يتحول إلى قيادة الجماهير. ولقد أشار العديد من المؤرخين إلى أن زعماء اليسار حينذاك كانوا غير قادرين على الارتفاع إلى مستوى الأزمة وبحث أساليب علاجها واقعيا وليس أيديولوجيا فقط. والشعب من جانبه لم يتحول إلى الثورة الاجتماعية، حقيقة وقعت عدة حوادث إلا أنها لم تكن تمثل الوضع السائد بين المتعطلين والمتضررين ذلك الوضع الذى كان يقضى بالتحمل والصبر والبحث عن وسيلة لكسب العيش أو للعمل.

والسبب فى قوة هذا الفكر الديمقراطى التقليدى الأمريكى هو أن الخطر الشيوعى كان موضوعا تردده كافة الأجهزة الحكومية وغير الحكومية، وخاصة الصحافة. وكان الأمريكى كفرد وكدولة يتبع النظام الفردى، وعاش عدة قرون عليه وبالتالى ليس من اليسير أن يتحول بسرعة إلى نظام آخر كان مكروها جدا حتى إذا أصبح تحت وطأة أزمة كان الجميع يقولون عنها أنها عابرة، ولو سعى المواطن الأمريكى إلى الزعامات الاشتراكية والراديكالية فى الولايات المتحدة الأمريكية خلال الأزمة الاقتصادية لوجد أن هؤلاء الزعماء يدافعون عن حرية الصين دون أن تكون لديهم برامج لإنقاذ المواطن الأمريكى من الأزمة. وبالتالى كان المتعطل سريع الاستسلام إلى أجهزة الإعانات الحكومية حتى يجد عملا بدلا من الاستماع إلى الأيديولوجيات اليسارية حينذاك.

ولقد كان وصول فرانكلين روزفلت إلى الحكم مشبعا للرغبات المطالبة بضرورة وقوع ثورة لإنقاذ البلاد، فقد كان معروفا عنه القدرة الفائقة على تخطى التقاليد، حتى لقد وصف بأنه ثورى والواقع أنه كان ثوريا فى حدود ديمقراطية ذلك العصر، وكانت إجراءاته الإصلاحية جذرية فى بعض النواحى وكان صاحب برنامج اقتنع به رجالات الاقتصاد وشعر بفائدته العمال والفلاحون، ومن هنا كان قادرا على منع أيه أفكار اشتراكية من أن تطفو وأن تصبح قادرة على تحريك الجماهير ضد النظام الأمريكى رغم ما كان فى هذا النظام من عيوب.

وقد فلسف فرانكلين روزفلت الرئيس المنتخب فى ١٩٣٢ أسباب الكساد العظيم بقوله أن «الأمة سليمة فى جوهرها» وأن الخطأ كامن فى «القائمين بعملية استبدال العملة... وفى الساعين للحصول على الكسب لأنفسهم». ولكن إذا وضعنا أساليب روزفلت لمواجهة هذا الكساد نجده يعالجه من كافة الزوايا الاجتماعية والاقتصادية، وكان علاجه فعلا ماهرا وفعالا.

تولى فرانكلين روزفلت الرئاسة بعد نجاحه فى انتخابات ١٩٣٢ والأزمة الاقتصادية على أشدها، فوضع الأسس التالية لعلاجها:

١- إعادة النشاط إلى المصارف والمؤسسات المالية.

٢- إعادة الإنتاج الصناعى إلى بعض مستوياته الكفيلة بتشغيل عدد من العمال المتعطلين.

٣- تنفيذ مشروعات صناعية وزراعية تستوعب المزيد من المتعطلين.

٤- قيام الحكومة بدور إيجابى فى إنقاذ الموقف دون تعريض النظام الديمقراطى لأية هزة.

فبالنسبة للمصارف والمؤسسات المالية وضع روزفلت قاعدة جديدة تهدف إلى اطمئنان أصحاب الودائع على ودائعهم فيها وهى «ضمان حكومى بقيمتها»، وبذلك لم يعد هناك خوف من إفلاس البنك، ومن ناحية أخرى لم تعد هناك حاجة إلى سحب الودائع تحت تأثير الخوف.

كذلك قدمت الحكومة قروضا إلى المؤسسات المالية حتى تتمكن من أن تعود إلى النشاط من جديد، وفى نفس الوقت فرضت الحكومة رقابتها على هذه المؤسسات والمصارف لتضمن عدم التلاعب أو إساءة التصرف انتهازا للظروف المالية الدقيقة التى كانت تمر بها البلاد.

وبالنسبة للمؤسسات المالية والإنتاجية الكبرى - والتى كانت سببا فى تعميق الأزمة - سعى روزفلت إلى القضاء عليها وفى نفس الوقت رفع قيمة الضريبة على الدخل العام للأثرياء، وعلى الشركات ذات الأرباح الضخمة.

وبالنسبة لمشكلة العمال والعاطلين عن العمل والإنتاج عمل روزفلت وحكومته على تنفيذ عدة مشروعات لإقامة السدود لخدمة الرى وإنتاج الكهرباء، مثل (مشروع وادى تنسى)، ومد الطرق البرية والحديدية وبناء الضواحى والمساكن، وغير ذلك من المشاريع التى تستوعب الآلاف من العمال. وأما فى الريف فقد رصدت كذلك ملايين عديدة لتمويل المزارع ولدفع عجلة الإنتاج والحد من إنتاج المحاصيل التى تحقق دخلا دون أن ترهق الأرض(١).

وأنشأت حكومة روزفلت هيئة خاصة بتوزيع الإعانات على العاطلين من كافة الفئات. ورصدت لها ملايين الدولارات على المستوى الاتحادى، وعلى مستوى الولايات وقد أنقذت هذه الإجراءات ملايين المتعطلين من الانهيار التام رغم أن السيطرة الكاملة على الموقف لم تتم إلا خلال الأربعينات، حتى أصبح عدد المتعطلين معقولا.

وكى ينقذ فرانكلين روزفلت مخططه هذا، سعى إلى الحصول على سلطات واسعة، ولقد حصل عليها واستخدمها فى إطار مفهوم الديمقراطية الأمريكية حينذاك. وأصدر سلسلة من التشريعات العمالية من حيث الأجور وساعات العمل والرعاية الاجتماعية وعدم تشغيل الصبية والتأمين ضد البطالة فكانت منجزات رئيسية فى الحفاظ على مستوى معقول للعمال فى الضراء، وتهيئتهم لمستقبل أكثر أمنا.

وخلال محاولات روزفلت لمواجهة الأزمة الاقتصادية بالتشريعات والتنظيمات واجه مقاومة شديدة الغاية من جانب (المحكمة العليا) التى أصدرت حكمها بإلغاء أكثر من قانون رئيسى كان يعتمد عليه روزفلت فى علاج جانب من جوانب الأزمة. وكان السبب فى هذا الموقف أن رجال القضاء فى تلك المحكمة كانوا من ذلك الطراز القديم المتمسك بحرفية القانون حتى لو تعارض القانون مع الصالح العام. ولهذا قرر روزفلت أن يخلص المحكمة من هذا الجمود، ومع أن

---

(١) كانت مشكلة استنفاد طاقة الخصوبة فى الأرض الزراعية لا تقل أهمية عن البحث عن طرق إنقاذ الفلاح من الأزمة الاقتصادية.

محـاولته تحطمت على صخرة كـبار قضاة الـدولة والتقاليد القـوية حينذاك إلا أن روزفلت وضع رجال القضاء أمام المشكلة، ولم يلبث القضاة أن طوروا أنفسهم مع مـصلحة الـبلاد وأخـذوا بوجـهة نظر فـرانكلين روزفلت من حـيث إن القـانون والدستور يجب أن يفسر ويعمل به فى خدمة ونمو وتطور المجتمع وليس لمجرد أنه قانون أو دسـتور. وقد ظهرت هـذه المرونة فى (المحكمة العليا) بعـد عدة سنوات عندما دخلها عدد من القضاة ذوى الأفق الواسع.

وبمرور الوقت اسـتعـادت حـركة الإنتـاج ازدهارها فى مـجالات الصناعـة والزراعة وفى سـوق الأوراق المالية حتى إذا مـا وقعت الحـرب العالمية الثـانية فى ١٩٣٩ كانت الولايات المتـحدة الأمريكية قـد أصبحت من أكثـر دول العالم ثروة ورفاهية.



الفصل العاشر

الولايات المتحدة الأمريكية
والحرب العالمية الثانية

هناك مصطلح شائع بين المؤرخين والباحثين لوصف الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة الواقعة بين نهاية الحرب العالمية الأولى ووقوع الحرب العالمية الثانية، وهى سياسة العزلة، والحقيقة أن المقصود بذلك هو العزلة عن التحالفات والتحالفات المضادة التى كانت تتشكل خلال فترة ما بين الحربين، حيث كان هناك ما يعرف بدول المحور (ألمانيا، وإيطاليا، واليابان) ودول الحلفاء (إنجلترا، وفرنسا) وما يتبعهما، وكانت حكومة الاتحاد السوفيتى مكروهة من الطرفين، وكانت الثقة مفتقدة إلى حد كبير جدا سواء بين دول المحور أو بين دول الحلفاء. أما فى المجال الاقتصادى الاستثمارى فيما وراء البحار فقد أقدمت الولايات المتحدة على خطوات فعالة من أجل الحفاظ على مصالحها.

وكانت سياسة ألمانيا النازية التوسعية فى أوربا تحت شعار جمع شمل الألمان تسير بإيقاع سريع حتى اكتسحت ألمانيا النازية النمسا وتشيكوسلوفاكيا وأخذت تتحرش ببولندة مطالبة بدأنتزج الألمانية الأصل كى يصبح الاتصال مباشرا بين ألمانيا الأم وبروسيا الشرقية الألمانية المعزولة عزلا تعسفيا - من وجهة النظر النازية - عن ألمانيا الأم. وكانت بولندة تسيطر كذلك على أراض تابعة للاتحاد السوفيتى وكان الأخير يعمل على استعادتها وبذلك وقعت بولندة بين دولتين عظميين طامعتين ليس فقط فى استرداد أراض تحتلها بولندة ولكن كانتا طامعتين فى بولندة نفسها أيضا. ولكن أن يسيطر أى من هذين العملاقين على بولندة يعنى وقوع الحرب نظرا لأن فى ذلك إخلال شديد فى التوازن الدولى لصالح من يتفوق على بولندة ولذلك أقدمت كل من فرنسا وبريطانيا على تحذير ألمانيا النازية من اقتحام حرب على بولندة؛ لأن ذلك يعنى نشوب الحرب العالمية الثانية.

ونظر لأن ستالين - الذى كان يحكم الاتحاد السوفيتى بقبضة حديدية - كان يرى أن إنجلترا وفرنسا تدفعان هتلر إلى ضرب السوفييت سعى إلى إفساد هذه الخطة بأن اتجه إلى التفاهم مع هتلر على حساب بولندة وعقد معه ميثاق عدم الاعتداء فى ٢٣ أغسطس - آب ١٩٣٩ ذلك الميثاق الذى أثار اضطراب الدول الأوربية الغربية. وفى فجر أول سبتمبر زحفت القوات الألمانية عبر الحدود الألمانية البولندية مفتتحة الحرب العالمية الثانية، حيث أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا.

ورجحت كفة القوات الألمانية بسرعة وعندما أصبحت وارسو قاب قوسين أو أدنى من الوقوع فى قبضة الألمان تحركت القوات السوفيتية فى ١٧ سبتمبر داخل الأراضى البولندية دون إعلان حرب، واقتسم السوفييت والألمان بولندة، وضغط السوفييت بعد ذلك على دول البلطيق (ليتوانيا واستونيا ولاتفيا) ثم شن السوفييت حربا على فنلندة فى ٣٠ نوفمبر ١٩٣٩ وحصلوا على مكاسب كبيرة على حسابها، وبعد أن وطدت ألمانيا سيطرتها على بولندة اتجهت نحو الدنمرك والنرويج.

كان فيدكون كويسلنج يميل ميلا شديدا نحو النازى وخطط لإقامة حكومة موالية للنازى فى أوسلو، وكانت الدنمارك ضعيفة عسكريا، فاجتاحتها القوات الألمانية ثم نزلت بكثافة فى الأراضى النرويجية.

أرسلت بريطانيا وفرنسا حملة إلى النرويج لدعم المقاومة هناك ولكنها ما لبثت أن لقيت هزيمة مريرة وسقطت النرويج بأسرها فى يد الألمان. وأدت هذه الهزيمة إلى سقوط وزارة تشعبرلن وخلفه فى رئاسة الوزارة ونستون تشرشل، فواجه وهو فى الأسابيع الأولى من حكمه الهجوم الألمانى على هولندة وبلجيكا وفرنسا فقد اجتاح النازى هولندة، واستسلمت القوات البلجيكية بشكل عرض للخطر الجسيم القوات الفرنسية والبريطانية المكلفة بمواجهة الهجوم الألمانى المتعدد الشعب، إذ اقتحمت القوات الألمانية الأراضى الفرنسية وتقدمت فى عمقها فى مواجهة قيادات فرنسية تتغير بسرعة ومقاومة تنهار وتتشتت واضطرت القوات

البريطانيــة المقاتلة إلى الارتداد إلى دنكرك والانســحاب منها إلى بريطانيــا، وبينما كانت القوات الفرنسية تتلقى الضـربات القاتلة الواحدة بعد الأخرى طعنت إيطاليا الفاشـستية الفـرنسيين من الخلف فى يونيو ١٩٤٠، وانهـارت المقاومة الفرنـسية، وعقـد المارشال بيتان رئـيس الحكومة الفرنسـية هدنة مع هتلر وموسـولينى (يونيو ١٩٤٠) واتخذت الحكومـة الفرنسيـة من فيشى عـاصمة لهـا تدير منها الأراضى الفرنسية التى لم تقع فى يد الألمان وكذلك المستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار.

بعد سقوط كل تلك الدول فى قبضة ألمانيا. أصبحت بريطانيا الدولة الكبيرة المقاتلة الصامدة فى الحرب، وبدأ هتلر معركة بريطانيا (يونيو ١٩٤٠). وأصبح هذا التطور الجديد وضعا جديدا يجعل الدول الكبرى الأخرى تعـيد حساباتها لمواجهته وبصفة خـاصة الولايات المتحدة الأمريكيـة والاتحاد السوفيتـى واليابان التى كانت لاتزال فى حرب ضد الصين التى فـقدت مساحات شاسعـة أمام الضغط العسكرى اليابانـى منذ بداية هذه الحرب اليـابانية فى ١٩٣٦ ولم تتـوقف إلا بهزيمـة اليابان واستسلامها فى أغسطس ١٩٤٥.

بعد ذلك التفـوق الضخم الألمانى فى وسط غرب وشمـال أوربا وبعد تلك الهزيمة السريعة المذلة لفرنسا أخذ هتـلر يعد العدة لإرغام بريطانيا على الاستسلام وإن لم يكن ذلك ممكنا فعلى الأقل التفاهم معه وهو فى ذروة قوته. ولكن الإنجليز شعب صعب المراس كـان يعرف تماما أن من واجبه الدفاع عن أرضـه المقدسة إلى آخر رجل إن نزل بها الألمان، وأن واجـبه هزيمة الدكتـاتورية الدموية النازية فكان من هذه الزاوية حامل رسالة إنسانية وهى إنقاذ البشرية من الطغاة والديمقراطية من الدكتـاتورية العنصرية فرفضت الحكومـة البريطانية أية عـروض نازية للتوصل إلى تسوية ما، فشن هتلر حربا جوية وبحرية ضارية على بريطانيا، فقد توالت الغارات الجوية على المدن البـريطانية فأنزلت بهـا خسائر مـادية وبشرية مروعـة، وأغرقت الغواصـات الألمانية أعدادا كبـيرة من السفن البـريطانية، ولكن بريطانيا صـمدت، وكانت خسائر سلاح الجو الألمانى فى أول الأمر مـحدودة ثم أخذت تتصاعد حتى

خسر جزءا هاما من طائراته الضاربة بفضل سلاح سرى حينذاك اكتشفه الإنجليز وهو الرادار.

ولم يلبث هتلر أن يئس من إخضاع بريطانيا فتحول إلى غزو الاتحاد السوفيتى. فقد انتهز السوفييت فرصة انشغال ألمانيا بالجبهة الغربية، وكان السوفييت يخشون تماما مغبة تلك الانتصارات الكبيرة التى أحرزها الألمان فى أوربا الغربية، فعملوا على ضم دول البلطيق الثلاث (استونيا ولاتفيا ولتوانيا)، واستولوا على بسارابيا وبوكوفينا من رومانيا على ادعاء أن هاتين المنطقتين الأخيرتين سلبتا غصبا من السوفييت خلال الحرب العالمية الأولى، وكانت هذه التوسعات السوفيتية إنما هى فى حقيقة الأمر محاولة من موسكو لتقوية نفسها ضد العملاق الألمانى الذى أصبح يمتد من بولندة إلى وسط فرنسا، وخاصة أن ذلك العملاق الألمانى متحالف مع إيطاليا التى تسعى إلى السيطرة ليس على ألبانيا فقط ولكن على البلقان كله وما هو وراء البلقان وعلى مصر وغيرها.

ثم إن الخطر على السوفييت كان قد تعاظم عندما عقدت ألمانيا وإيطاليا واليابان الميثاق الثلاثى فى ٢٧ سبتمبر ١٩٤٠، فهى دول تمقت الشيوعية، ومع أن دول المحور (ألمانيا واليابان وإيطاليا) أكدت للسوفييت أن هذا الميثاق غير موجه ضدها إلا أن ستالين ما كان ليثق فى كلمة هؤلاء الزعماء التوسعيين المناهضين للشيوعية، وتصاعدت المخاوف السوفيتية عندما اجتاحت القوات الألمانية فى ١٩٤٠، ١٩٤١ رومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا واليونان وكريت (أبريل ١٩٤١). فأصبح البلقان تحت أقدام دول المحور وكان البلقان دائما هدفا للسوفييت ففقد أمله بل أدى اجتياح الألمان له إلى اهتزاز مكانة السوفييت، ولكن النتيجة الرئيسية لذلك هى موسكو أصبحت مقتنعة أن الضربة الألمانية التالية ستكون موجهة ضدها، وأن برلين أصبحت مقتنعة أن السوفييت لا يمكن أن ينتظروا أكثر من ذلك وسيضربون الألمان أن عاجلا أو آجلا إنقاذا لبلادهم من العملاق الألمانى.

لا شك أن أقدام هتلر على غزو الاتحاد السوفيتى كان خطأ مروعا، ولم يتعلم هتلر من التاريخ الطويل لروسيا مع الغزاة. إذ إن العديد من عباقرة الحرب

فى الماضى اعتزوا بقواتهم المتفوقة وبمقدرتهم الفذة على إدارة المعركة والانتصار فيها واستهانوا بالقوات الروسية وهونوا من شأنها، فقام هؤلاء القادة من أمثال شارل الثانى عشر ملك السويد، والإمبراطور نابليون والإمبراطور غليوم الثانى بغزو روسيا لكنهم هزموا فى نهاية المطاف. أقدم هتلر على نفس المخاطرة وتوغلت قواته مئات الأميال داخل روسيا، فى هذه الأثناء أقدمت اليابان على مغامرة أخرى وهى دخول الحرب فجأة بأن قصفت طائراتها قاعدة بيرل هاربر الأمريكية فى هاواى فى ٧ ديسمبير ١٩٤١ فدخلت الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء (بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتى) وحلفائهم، ضد دول المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان).

لماذا أقدمت اليابان على هذه الخطوة التى دفعت الولايات المتحدة إلى دخول الحرب فعليا وكانت من قبل تدعم إنجلترا فى الدفاع عن نفسها دون أن تعلن الحرب على المحور؟ هناك العديد من الأسباب والتطورات التى أدت إلى ذلك:

١- عندما وقعت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ حين غزت وتوغلت القوات الألمانية فى بولندة وقفت الولايات المتحدة على الحياد الذى يميل لدول الحلفاء، إذ سمحت - بعد اقتناع - لدول الحلفاء بشراء الأسلحة الأمريكية، وبعد اجتياح ألمانيا لدول غرب أوربا وسقوط فرنسا (٢٢ يونيو ١٩٤٠) زادت إدارة (حكومة) الرئيس روزفلت من التسهيلات المقدمة لدول الحلفاء من أجل تقوية قواتها، إذ عقدت وشنجتن مع لندن صفقة حصلت الولايات المتحدة بمقتضاها على تأجير قواعد جوية وبحرية فى المستعمرات البريطانية فى أمريكا اللاتينية (أمريكا الوسطى) فى مقابل حصول بريطانيا على خمسين مدمرة، ثم أصدرت قانون الإعارة والتأجير الذى سمح للحكومة الأمريكية بتقديم السلاح والأموال بكثافة إلى بريطانيا بصفة خاصة وإلى روسيا، ومن ثم تكون الولايات المتحدة قد اتخذت موقفا معاديا من دول المحور الذى تشكل اليابان فيه عضوا رئيسيا. ثم إن انتصار ألمانيا سيكفل لليابان توسعا فى الشرق الأوسط على حساب الاتحاد السوفيتى ودول تلك المنطقة، أما انتصار السوفييت فيعنى تعاظم قوتهم إلى الدرجة التى تحول دون أن

تحقق اليابان آمالهــا فى إقامة إمبراطورية كبــرى لها فى الشرق الأقصى. ألم تحقق ألمانــيا النازية لنفســها خــلال فترة وجــيزة (١٩٣٩ - ١٩٤١) إمبراطورية أوربية تمتد جنوب البلقــان عبر وسط أوربا إلى وسط فرنسا، فلتعمل اليابان على إقامة إمبراطورية لها.

٢- كان اليــابانيون يســعون إلى إقامــة إمبراطورية لهم تمــتد من كوريا عــبر الصــين إلى الهند الصيــنية الفــرنسيــة وجزر الهــند الشرقــية الهــولندية (أندونيسيا) وبورمــا والملايو الواقعتين تحت الاستعــمار البريطانى، ولعل ذلك يتــيح لليــابانيــين فرصــة الســيطرة على الهند درة المســتــعمــرات البريطانية. ذلك طموح اليابان وكان دعم الولايات المتحدة لدول الحلفاء عاملا من عوامل تحريك اليابان ضدها.

٣- كانت الولايات المتحــدة منذ وقوع الحرب العالمية الثــانية فى نظر اليابان هى الدولة الكبرى الأقدر على تحطيم آمال اليــابانيين فى إقامة مثل تلك الإمبراطورية الاســتعمارية اليابانية. ولذلك كــانت اليابان تخطط لحرب ضد الولايات المتحدة وتنتظر الفرصة المواتية.

٤- كانت تطورات الحرب العــالمية الثانية قد شــغلت الدول الكبرى الأوربية فى الصراع الدموى الدائر، وبالتالى تهيأت الفرصة لليابان لكى ترث هى أوربا فى الشرق الأقــصى. أليس ذلك - من وجهة النظراليــابانية - من حق اليــابان، التى هى أكبــر دولة فى الشرق الأقــصى، وليس من حق الأوربى الذى جاء مستــعمرا له لشعوب شرق وجنوب آســيا البعيدة عنه بينما اليابان من تلك الشعوب.

لقد أحرزت اليــابان تقدما كبيرا حضــاريا وكانت صاحبة أكبــر قوة عسكرية ضاربة، وكانت أول دولة آسيوية تحرز انتصارا على دولة كبرى أوربية عندما هزمت روسيــا فى ١٩٠٥ وأصبحت اليابــان تسيطر على منشوريا وكــوريا وسيطرت على أجــزاء واسعــة من جنوب ووسط الصين، ومن ثــم تطلعت إلى أن تطهر الشــرق الأقصى من الأوربيين ومن الأمريكيين وأن تنفذ مبدأ فى الشرق الأقصى مثل مبدأ

مونرو الذى أطلقته الولايات المتحدة لتحرم الدول الأوربية من التسلط على شعوب أمريكا اللاتينية، فلتحرم اليابان الدول الأوربية والأمريكية من أن تتسلط على شعوب شرق آسيا.

أما الولايات المتحدة فكانت ترى فى التوسع الألمانى والتوسع اليابانى وكذلك الإيطالى عدوانا على الشعوب، وإخلالا بالتوازن يهدد مستقبل الولايات المتحدة ومن يستولى على أوربا تكون ضربته التالية للولايات المتحدة وقيام إمبراطورية يابانية فى الشرق الأقصى يهدد كيان الولايات المتحدة كذلك، إذ ستصبح بين عملاق فى أوربا وعملاق فى آسيا. ومن ثم كان على الولايات المتحدة أن توقف هذا التطور الخطير. وقد اتخذت حكومة الولايات المتحدة بعض الإجراءات العسكرية المبكرة لمواجهة العملاق الألمانى النازى، ففى أعقاب انهيار المقاومة الدنمركية أمام القوات الألمانية فى ١٩٤٠ حصلت الولايات المتحدة على الموافقات اللازمة لوجود قواتها فى أيسلند وجرينلاند المواجهتين لأوربا تحسبا لأى خطط مستقبلية، وحتى يكون لها قواعد لمراقبة ومواجهة ما يجد من تطورات.

ومثلما أخطأت ألمانيا النازية فى تقدير صلابة الروس، أخطأت اليابان فى تقدير صلابة وإمكانيات الأمريكيين. واعتقدت اليابان أن تدمير القاعدة الأمريكية الكبيرة فى بيريل هابر ضربة قاصمة لن تفيق منها الولايات المتحدة، وما كان الأمر كذلك على الإطلاق، بل كانت هذه الضربة إنذارا للأمريكيين بأن الصراع ضد اليابان وألمانيا وإيطاليا هو صراع حياة أو موت فانطلقت آلة الإنتاج الحربى الأمريكى بكثافة مهولة، وأطلقت الولايات المتحدة شعاراتها الداعية إلى الدفاع عن الديمقراطية وعن الحريات وهى شعارات إنسانية على عكس النظرية الآرية التى كانت تنادى بها ألمانيا النازية والنظرية اليابانية الاستعمارية وكل من النظريتين لا ترقى إلى مستوى شعارات الديمقراطية والدفاع عن الحريات، وهى شعارات كفيلة بأن تثير الشعوب الواقعة فى قبضة ألمانيا وإيطاليا واليابان ضدهم.

وأطلقت الولايات المتحدة وبريطانيا شعارا عالميا عرف باسم ميثاق الأطلنطى فى ١٤ أغسطس ١٩٤١ يدعو شعوب العالم إلى التمسك بالمبادئ الإنسانية الداعية إلى احترام الحريات وعلى رأسها:

١- نبذ استخدام القوة.

٢- عدم إحداث تغييرات إقليمية إلا بموافقة الشعوب المعنية.

٣- حرية التجارة وحرية البحار.

٤- التعاون الاقتصادى بين الشعوب.

والغالبية العظمى من هذه المبادئ تهاجم الشعارات التى أطلقتها دول المحور التى تتبنى الدعوة إلى إعادة تشكيل العالم بالطريقة التى ترضى بها دول المحور حتى ولو كانت الشعوب الأخرى رافضة لها.

إن ميثاق الأطلنطى هو أيضا نوع من الحلف غير المعلن بين الولايات المتحدة وبريطانيا. ويهدف إلى تقويض ألمانيا النازية وإيطاليا، وضرب محاولات اليابان لإقامة إمبراطورية يابانية فى الشرق الأقصى على حساب شعوبه.

كان فرانكلين روزفلت هو الذى وراء إصدار ميثاق الأطلنطى، وكان قد انتخب للمرة الثالثة رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية فى الانتخابات التى أجريت فى نوفمبر ١٩٤٠. وهذا يعتبر وعيا عالى المستوى من الشعب الأمريكى، حيث حددت القوانين الأمريكية مدة الرئاسة بمدتين متتاليتين ولا يرشح الرئيس نفسه للمرة الثالثة. إلا أن ظروف الحرب العالمية الثانية كانت تتطلب نوعا من الاستقرار والإفادة من خبرة هذا الرجل فى هذه الظروف الصعبة؛ ولذا انتخبه الشعب الأمريكى لمدة رئاسة ثالثة خاض خلالها الشعب الأمريكى الحرب حتى أصبح قاب قوسين أو أدنى من الانتصار الحاسم.

كانت الولايات المتحدة دولة متقدمة فى المجالات الصناعية تقدما كبيرا وكانت ذات تعداد بشرى كبير، وأثبتت قدراتها الإنتاجية خلال الحرب حين شكلت بسرعة جيوشا برية كبيرة، وسلاحا للطيران متفوقا، وأساطيل بحرية، وكانت قدراتها على نقل القوات عالية الكفاءة حتى أصبحت قواتها تقاتل فى جبهات متباعدة كل التباعد ولكن طبقا لخطط موضوعة وتنسيق شامل. فرغم أن اليابان - بعد بيرل هاربر - اجتاحت الفلبين والملايو وبورما وجزر الهند الشرقية الهولندية (أندونيسيا) ودقت أبواب الهند وهددت نيوزيلندة، وأن القوات الألمانية

أنزلت خسائر فادحة بالروس واستولت على مساحات واسعة من غرب روسيا وأن القوات الألمانية كان تستعد لغزو مصر إلا أن الولايات المتحدة نسقت مع بريطانيا واستطاعتا قلب الهزائم إلى انتصارات فى كافة الجبهات.

فبعد ستة أشهر فقط من نكبة بيرل هاربر أخذت موازين القتال تتجه لصالح الحلفاء. فقد دعمت الولايات المتحدة الجبهة البريطانية فى مصر، حتى استعادت القوات البريطانية زمام المبادرة لتدور معركة العلمين التى أحرز فيها الإنجليز نصرا حاسما (٢٣ أكتوبر ١٩٤٢) أخذت بعده القوات الألمانية فى التراجع باستمرار نحو تونس.

وقامت الولايات المتحدة بتقديم كميات هائلة من السلاح والعتاد من دبابات ومدفعية وطائرات إلى روسيا. فاستطاعت أن توقف التقدم الألمانى وأن تحرز انتصارا حاسما فى معركة ستالينجراد (٣١ يناير ١٩٤٣) ومن بعدها أخذ الألمان ينسحبون من روسيا فى اتجاه ألمانيا حتى نهاية الحرب.

إن هذين الانتصارين فى العلمين وفى ستالينجراد قضيا على خطة واسعة النطاق كان قد وضعها هتلر، وتقضى هذه الخطة بأن تتقدم الجيوش الألمانية فى قلب روسيا حتى تهزمها وتهبط هذه الجيوش إلى إيران والبلاد العربية فى نفس الوقت الذى تتقدم فيه القوات الألمانية فى شمال أفريقيا عبر مصر حتى تلتقى بتلك القوات فى المشرق العربى فيصبح الشرق الأوسط كله تقريبا فى قبضة ألمانيا. لقد كانت خطة خيالية ولكن خطيرة تحطمت فى معركتى العلمين وستالينجراد.

كان دعم الولايات المتحدة الأمريكية لبريطانيا عندما وقفت وحدها ضد ألمانيا فى ١٩٤١ - فيما يعرف بمعركة بريطانيا - وانتصار الروس فى موقعة ستالينجراد وانتصار الجيش الثامن البريطانى فى موقعة العلمين كان كل هذا يمثل انتصار الولايات المتحدة فى المرحلة الأولى التى يمكن أن نطلق عليها مرحلة وقف تقدم ألمانيا سواء على الجبهة الأوربية أو على جبهة الشرق الأوسط لتبدأ المرحلة التالية وهى تحرير الشعوب الأوربية من النازى والمرحلة الأخيرة هى هزيمة دول المحور.

في المرحلة التالية بعد معركتى العلمين وستالينجراد أخذت قوات الحلفاء تدفع أمامها جيوش الألمان. فقد تقهقرت القوات الألمانية من مصر مرتدة إلى ليبيا وتونس، بينما نزلت القوات الأمريكية الفرنسية - بقيادة الجنرال أيزنهاور - على السواحل المغربية فى ٨ نوفمبر ١٩٤٢، فأصبحت القوات الألمانية فى شمال أفريقيا محصورة بين الجيش الثامن البريطانى والقوات الأمريكية فانسحبت القوات الألمانية نحو بنزرت، الميناء التونسى، ومنها عبرت - بعد أن تكبدت خسائر فادحة تبلغ حوالى ربع مليون مقاتل فكانت بمثابة النكبة العسكرية الثالثة بعد العلمين وستالينجراد ثم عبرت قوات المحور إلى صقلية، فتتبعتها القوات الأمريكية وهبطت صقلية (سبتمبر ١٩٤٣) مفتتحة غزو أراضى إحدى دول المحور (إيطاليا) فى يوليو ١٩٤٣. وقد أدت تلك الانتصارات وسقوط جزء كبير من صقلية فى يد الحلفاء إلى أن يفقد موسولينى مكانته وقامت حركة ضده وعزل من منصبه وقبلت الحكومة الجديدة التى كان يرأسها المارشال بادوجليو Badoglio التسليم بلا قيد ولا شرط، وهو ما أصر عليه الحلفاء إذا ما أرادت إحدى دول المحور أن تنهى حالة الحرب. وبذلك خرجت إحدى دول المحور من الحرب مهزومة.

ولم تلبث أن دارت معارك رهيبة بين القوات الأمريكية والبريطانية من جهة والقوات الألمانية من جهة أخرى على الأراضى الإيطالية، ولكن كفة الحلفاء هى الراجحة وظلت القوات الألمانية تتراجع بل انقلب الإيطاليون على الألمان وشاركوا الحلفاء فى عملية تحرير إيطاليا من النازى، فى الوقت الذى كان فيه الروس يدفعون القوات الألمانية خارج روسيا، وكانوا يطالبون بإلحاح بأن تقوم الولايات المتحدة وبريطانيا بفتح جبهة ثانية فى أوربا وبصفة خاصة فى فرنسا لتشتيت الجيوش الألمانية وإضعاف القدرات الألمانية على الجبهة الروسية. ويتهم الروس الولايات المتحدة بأنها تلكأت طويلا فى فتح الجبهة الثانية، وأن هذا التلكؤ كان هدفه أن يستنزف الأمريكيون قدرات الحلفاء والأعداء (روسيا وألمانيا) على حد سواء. وأخيرا فى ٦ يونيو ١٩٤٤ عبرت قوات كثيفة أمريكية وبريطانيا وقوة فرنسية بحر المانش الفاصل بين بريطانيا وفرنسا، ونزلت على سواحل نورمندى تحت غطاء جوى متفوق تفوقا حاسما، فاتحة الجبهة الثانية وتحرير فرنسا من الألمان

أخذت فى التـقدم إلى داخل فـرنسا. وبعد غـزو نورماندى بأسـابيع قليلة نزلت قوات الحلفاء على السواحل الجنوبية الفرنسية المطلة على البحر المتوسط، وأصبحت القوات الألمانية تقـاتل الحلفاء فى جبهة شمال فـرنسا وجبهة جنوب فرنسـا وجبهة شمال إيطاليا وذلك بالإضافة إلى الجبهة الروسية.

واستطاعت قوات الحلفاء أن تحرر فرنسا وأن تقتحم خط سجفريد العسكرى الذى كان الألمان قد أقاموه على جزء استـراتيجى من الحدود الألمانية الفرنسية، فى نفس الوقت الذى كانت تتـراجع فيه القـوات الألمانية بسرعة فى شـرق أوربا أمام الجيوش الروسية، بينـما كانت الغارات المكثفة التى تشنها يوميـا مئات من قاذفات القنابل الأمـريكية عـلى المدن ومراكـز الإنتاج الحـربى والألمانى تشل هذه المراكـز الواحدة بعد الأخرى.

لقد أصبح الأمر بالنسبة لألمانيا حرب حياة أو موت، إذ أصر الحلفاء على أن تستلم ألمانيا بدون قيد أوشرط، وكـانت مخاوف الألمان من دخول القوات الروسية الأراضى الألمانية لا يفوقه أى تخوف آخر، إذ كان العداء المرير بين الألمان والروس لا يعطى فرصة لأى تفـاهم أوتوقع معاملة كريمـة لأى طرف من الطرفين للآخر، وكان الأمـريكيون والإنجليـز والفرنسـيون ينظرون بعـين الهلع إلى التقـدم السريع الروسى فى شرق أوربا وإلى داخل ألمانيا وأصبـح على الدول الغربية أن تسرع هى الأخرى فى التقـدم إلى داخل ألمانيا حتى لا يصبح الروس هم سادة ألمانيـا، فضلا عن شرق أوربا والبلقان فـتنقلب الموازين الدولية بشكل خطير ضـد مصالح الدول الغربيـة. وكان ذلك هو أحد الأسبـاب الرئيسية التى اسـتطاع أن يقنع بها كل من الرئيس الأمـريكى روزفلت ورئيس الوزراء البـريطانى ونستـون تشرشل أن يقنعـا جوزيف ستالين بعقـد اجتماع فى يالتا فى شبه جزيرة القرم لتحـديد مستقبل أوربا بصفة خاصة والعالم بصفة عامة بعد انتهاء الحرب لصالح الحلفاء.

عقـد مؤتمر يالـتا فى الفـترة مـا بين ٤ - ١١ فبـراير ١٩٤٥، وقد حـضره الرئيس روزفلت ونسـتون تشرشل وسـتالين، وفيـه اتفق على الأسس الرئيسـية التالية:

١- استسلام ألمانيا بلا قيد ولا شرط واحتلال قوات الحلفاء لأراضيها.

٢- تقسيم ألمانيا إلى أربع مناطق توزع على الدول الأربع الكبرى (الولايات المتحدة، بريطانيا، الاتحاد السوفيتى، فرنسا).

٣- الاتفاق على إنشاء منظمة دولية وأن يعقد لهذا الغرض مؤتمر تأسيسى للأمم المتحدة على سان فرانسسكو تمهيدا لإقامة منظمة الأمم المتحدة لتكون شكلا جديدا معاصرا لعصبة الأمم التى دعا إليها الرئيس الأمريكى ويلسون ضمن مبادئه الأربعة عشر والتى تدهورت بسرعة قبل الحرب العالمية الثانية، ولكن اتفق الأقطاب الثلاثة على إنشاء مجلس للأمن تابع لهيئة الأمم المتحدة يكون للدول الكبرى فيه حق النقض (الفيتو). فلايصدر قرار من مجلس الأمن إلا بموافقة جماعية من الدول الكبرى الخمس (الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، الاتحاد السوفيتى، الصين)[١].

٤- وافق ستالين على أن تدخل روسيا الحرب ضد اليابان بعد ثلاثة أشهر من استسلام ألمانيا، وحصلت روسيا فى مقابل ذلك على جنوب سخالين[٢]، وجزر كوريل[٣]، وعلى استعادة سيطرتها على ميناء بورت آرثر[٤] وإنشاء إدارة سوفيتية - صينية لسكك حديد منشوريا.

وتابعت القوات السوفيتية الزحف نحو برلين، بينما كانت قوات الدول الغربية تبذل أقصى الجهد لكى تسيطر على مساحات من الأراضى الألمانية تتناسب مع ذلك التوسع السوفيتى، بينما كان هتلر ينتظر أن يحدث صدام بين الدول الغربية من جهة والسوفييت من جهة أخرى، وأنه بهذا يمكن إنقاذ ألمانيا من

(١) كانت الصين تقاتل اليابان منذ ١٩٣٦، وعندما دخلت اليابان الحرب العالمية الثانية أصبحت الصين إحدى دول الحلفاء وإحدى الدول الكبرى.

(٢) جزيرة تواجه ساحل سيبيريا، وقد استعمرها الروس واليابانيون خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكانت تحت إدارة روسية - يابانية فى ١٩٠٥ عندما أرغمت اليابان - التى انتصرت فى حربها على روسيا - الحكومة الروسية على التنازل عن جنوب سخالين، وظلت تحت السيطرة اليابانية إلى أن استعادتها روسيا بعد هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية.

(٣) مجموعة من الجزر تمتد من أقصى شمال اليابان (جزيرة هوكايدو) حتى جزيرة كماشتاكا (السوفيتية).

(٤) اسمها بالصينية (لوشون) وتقع فى جزيرة لياوتونج فى منشوريا.

السوفييت ولـكن هذا ما لم يحدث وسقطت برلين فى يد السوفيـيت وانتحر هتلر فى آخر أبريل ١٩٤٥، وخلفـه الأميرال دونيـتز DOnitz الذى فضل الاسـتسلام للدول الغربية، وكان هذا نهاية للحرب العـالمية على الجبهة الأوربية. ولكنها ظلت مستمدة بين الحلفاء واليابان فى الشرق الأقصى.

سارت الحـرب فى الشرق الأقـصى ضد اليابان فى تطورات لا تـختلف فى الجوهر عما كان يجـرى فى الحرب فى الجبهة الأوربية. فقد أحـرزت اليابان تفوقا كاسـحا، وتقدمت قواتهـا من غزو إلى غزو فاجـتاحت قواتها البـلاد والجزر من الفلبين إلى الهند الصـينية الفرنسية إلى جـزر الهند الشرقية الهولندية (أندونيـسيا) والملايو وبورما ودقت أبواب الهند. وبذلك سقطت فى خمسة أشهر فقط، انتهت فى يونيو ١٩٤٢ الإمـبراطوريات الاستعـمارية الفرنسـية والبريطانيـة والفلبين التى كانت تحت السـيطرة الأمريكية. وأصـبحت الهند البريطانيـة وأستراليـا ونيوزيلندة (التابعتان لبريطانيا) تنتظران الهجوم التالى اليابانى. ولكن كانت اليابان قد توسعت أكثـر من قدراتها، حيـث أصبحت على صواب ثلاث جـبهات تدافع عنهـا قوات كثـيفة وهى: الصـين، والهند، وأستراليـا ونيوزيلندة. وعند هذه الجبـهات توقف الزحف اليابانى.

فـما هى الأسـباب التى مـكنت اليابان من إحـراز انتـصارات كـبيـرة على الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وهولندة فى الشرق الأقصى؟

١- يلعب العـامل الجغـرافى دورا رئيسـيا فى نجاح الحـملات العـسكرية. فاليابان على طرف الـشرق الأقصى فهى قريبـة جدا، وأصبح فى يدها عنصر المفـاجأة فهـاجمت معـاقل الحلفاء الواحد بعـد الآخر، دون أن تعطى فرصة للحلفاء لتنسيق دفاعاتهم فى نفس الوقت الذى كان فيه من المتعذر على دول الحلفاء أن ترسل جيوشها على عجل لمواجهة اليابان.

٢- كانت القوة الضاربة اليابانية كثيفة من حيث المقاتلون والعتاد متفوقة على جيوش الحلفاء فى الشرق الأقصى، وكـانت فرنسا قد هزمت وأصبحت معنـويات جنودها متـردية، الأمر الذى أدى إلى سـقوط الدول الواقـعة

تحت الاستعمار الفرنسى (الهند الصينية الفرنسية) بسهولة فى قبضة اليابان، ونفس الشيء ينطبق على جزر الهند الشرقية الهولندية، إذ كانت هولندة تحت الاحتلال النازى.

٣- أن الشعوب الآسيوية الواقعة تحت الاستعمار الفرنسى أو الهولندى أو البريطانى كانت تصغى باهتمام إلى الشعار الذى أطلقته اليابان وهو تحرير شعوب آسيا من الرجل الأوربى المستعمر الغريب عن المنطقة.

٤- كانت الولايات المتحدة تركز جهدها فى الإنتاج الحربى المكثف وتدريب المقاتلين فى مختلف الأسلحة، وكان هذا يتطلب وقتا، الأمر الذى أعطى الفرصة لليابان لتقوم بعمليات عسكرية واسعة النطاق قبل أن تبنى الولايات المتحدة قوتها الضاربة فى الشرق الأقصى. أما بريطانيا فكانت منهمكة فى مواجهتها ضد ألمانيا وإيطاليا، ولا تستطيع أن تبعث بقوات كثيفة إلى الشرق الأقصى، وبالتالى أصبح عبء مقاتلة وهزيمة اليابان ملقى على الولايات المتحدة.

ولكن بعد ذلك التوسع السريع أصبحت الرقعة متسعة على اليابان فى الوقت الذى أصبحت الولايات المتحدة قادرة على أن تقذف فى المعركة بقوات بحرية وبرية وجوية كثيفة قادرة على وقف تقدم اليابانيين لتبدأ من بعد فى توجيه الضربات المتتالية التى أفقدت اليابان وحداتها البحرية القوية الواحدة بعد الأخرى والتى أدت إلى طرد اليابانيين من كثير من المواقع بشكل متوال وكانت أولى الضربات الموجعة هزيمة اليابانيين فى معركة ميداوى Midway البحرية (٤ - ٦ يونيو ١٩٤٢)، ومعركة جواد لكتال التى انتهت بانتصار كبير أمريكى، ومن بعدها أصبح عنصر المبادرة العسكرية فى يد الولايات المتحدة فى أوائل ١٩٤٣، إلا أن الولايات المتحدة - وهى تقاتل فى جبهة شمالى أفريقيا ضد الألمان وتمد الاتحاد السوفيتى بالعدد والعتاد، كانت ترى أن التركيز يجب أن يكون أولا ضد ألمانيا وثانيا ضد اليابان. ولهذا بينما كانت القوات الألمانية تتراجع تحت وطأة الهجمات الأمريكية البريطانية فى الجبهة الفرنسية فى صيف ١٩٤٤. تصاعدت الهجمات الأمريكية على اليابانيين.

فابتـداء من صيف ١٩٤٤ أخـذت القوات الأمـريكية تسـتولى علـى الجزر الواحدة بعد الأخـرى حتى اقتربت من اليابان نفـسها وأصبحت اليابان نفـسها فى متناول سلاح الطيران الأمريكى الذى كان يمتلك التفوق وعددا ضخما من قاذفات القنابل وسـقطت أوكيناوا - وهى إحـدى جزر الوطن اليـابانى نفسه - فـى يونيو ١٩٤٥، بينما كـانت القاذفات الأمريكيـة تدمر طوكيـو والمدن الصناعية الرئيسـية اليابانية. وفى يوليو أتمت الولايات المتحدة الأمريكية مهمتها فى ألمانيا، إذ كانت قد استـسلمت فى أبريل ١٩٤٥ وأصبحت قـادرة على نقل قوات كثـيفة إلى الجبـهة اليابانية، ولكنها - أى الولايات المتحـدة - كانت قد أتمت بنجاح فى يوليو ١٩٤٥ تجربة القنبلة الـذرية فى صحراء المكسـيك. ووجدت حكومة الولايات المتـحدة أن الحرب ضد اليابان بالأسلحة التقليدية ستطول، حقيقة ستنتهى بهزيمة اليابان ولكن بعد أن يتكبد الأمريكيون خسائر ضخمة فى الرجال وفى المعدات وأن الأجدى هو إرغـام اليابان على الاسـتسـلام بضربهـا بالقنابل الذرية فى أسـرع وقت. ولذلك وجهت الولايات المتـحدة إنذارا لليـابان بالاستسـلام دون قيد أو شـرط فرفضـته اليابان؛ لأنهـا لم تكن تعرف بامتـلاك الولايات المتحـدة للسلاح الذرى الرهيب، وألقيت القنبلة الذرية الأولى فى ٦ أغـسطس ١٩٤٥ على هيروشيمـا والثانية على الميناء اليابانى الـكبير ناجـازاكى فى ٩ أغسطس، فأحـدثت القنبلتان دمارا شـاملا ومروعا ومذهلا فأعلنت اليابان موافقتها على الاستسلام بلا قيد ولا شرط فى ١٤ أغسطس ١٩٤٥م.

لقد كانت نهاية ألمانيا وإيطاليا واليابان مفجعة، حيث كان الاستسلام بلا قيد ولا شرط، واحـتلت القوات الأمريكية الـيابان. فما هى الأسـباب التى أدت إلى تلك الهزيمة الساحقة لليابان؟.

أولا: لا جدال فى أن القنابـل الذرية لعبت دورا رئيسـيا فى هزيمـة اليابان ولكن المؤشرات كـانت تؤكد أن اليـابان ما كانت لـتصمـد إلى ما لا نهاية أمام جيوش الولايات المتحـدة بعد أن استسلمت ألمانيا، ومن ثم كانت اليـابان مخطئة فى تقيـيمها لعناصـر القوة الأمريكية والمـسئول

الأول عن ذلك هو القادة العسكريون اليابانيون، أما الإمبراطور هيروهيتو فكان لا يرى رأى هؤلاء القادة، ولذلك أبقاه الأمريكيون على عرش اليابان ولا يزال الرجل حيا: عاصر الهزيمة العسكرية وعاصر التفوق الاقتصادى اليابانى الحالى.

ثانيا: كانت الولايات المتحدة تقاتل قتال حياة أو موت على اعتبار أن انتصار دول المحور يعنى قيام إمبراطورية فى أوربا تحت يد ألمانيا النازية وامبراطورية فى الشرق الأوسط تحت سيطرة إيطاليا وإمبراطورية يابانية فى الشرق الأقصى، وما كان فى استطاعة الولايات المتحدة أن تجد لها مكانا فى العالم فى مثل هذه الأوضاع، فألقت بكل ثقلها فى الحرب وبكثافة لم يسبق لها مثيل.

ثالثا: أن التفوق البحرى والجوى الأمريكى أثبت أنه حاسم فى المعارك فوجه ضربات قاصمة لعجلة الإنتاج الحربى اليابانى. وكانت الولايات المتحدة بعيدة المنال جدا فلم تتعرض منشآتها العسكرية أو المدنية لأى تهديد على عكس اليابان التى كانت مدنها تدك وقطعها البحرية تقصف حتى الغرق، وقواتها البرية تتعرض للقصف البحرى والجوى.

وباستسلام اليابان أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية أكبر قوة ضاربة فى الباسيفيكى وفى الشرق الأقصى وأصبحت الصين - بعد استسلام القوات اليابانية فيها - هى الدولة الشرقية الكبرى، واستعادت فرنسا مستعمراتها فى الهند الصينية لتواجه من بعد ذلك حركات ثورية تحررية فيها، كذلك تحررت جزر الهند الشرقية الهولندية عن الاستعمار الهولندى وظهرت إلى الوجود الدول الأندونيسية، وأعلن الإنجليز انسحابهم من الهند على أساس تقسيمها إلى دولتين الهند وباكستان.

ولكن ظهر الاتحاد السوفيتى كأكبر قوة منافسة لمصالح الدول العربية فى الشرق الأقصى، ولم تلبث الصين أن تعرضت لحرب أهلية مروعة انتهت بانتصار الشيوعيين، فأصبحت الصين الشعبية أكبر دولة شيوعية فى الشرق، وكانت على

وفاق مع الاتحاد السوفيتى ثم اختلفت معه، وبذلك انقسم العالم الشيوعى فى الشرق الأقصى على نفسه (الصين الشعبية) والاتحاد السوفيتى.

وهكذا تغيرت الخريطة السياسية فى الشرق الأقصى تغيرا جوهريا بعد الحرب العالمية الثانية عنها قبل نشوبها، الأمر الذى دفع بالولايات المتحدة إلى الاحتفاظ بقوات كبيرة وبأسطول ضارب قوى هناك حتى تحول دون وقوع تطورات أخرى تزيد من قوة الجبهة الشيوعية.

وبذلك أصبحت الولايات المتحدة مسئولة عن:

١- حماية غرب أوربا من اجتياح سوفيتى له.

٢- حماية الدولة الآسيوية من التوسع الصينى الشيوعى ومن انتشار الشيوعية.

٣- أن يظل حوض البحر المتوسط بعيدا عن التدخلات السوفيتية.

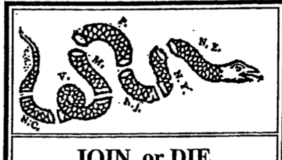
لقد أصبحت الولايات المتحدة بذلك متورطة فى معظم أجزاء العالم وآلت على نفسها أن تقاوم الشيوعية أينما كانت. الأمر الذى أدى إلى ما يعرف باسم الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية فى أوربا والشرق الأوسط، والحرب الدموية بين الولايات المتحدة والصين الشيوعية فى كوريا، وبين الولايات المتحدة وشيوعيى فيتنام. على أن أخطر مواجهة أمام الولايات المتحدة كانت سيطرة الاتحاد السوفيتى على شرق أوربا وفرضه نظما شيوعية فى دوله، وتشكل فى الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا حلف وارسو، ومن الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوربا الأطلنطى وأصبح الحلفان هما المسيطران على مقدرات العالم.

كانت الولايات المتحدة ترى أن أوربا قد أصيبت بدمار وإنهاك هائل، وأنها بذلك تصبح لقمة سائغة للسوفييت؛ ولذلك عملت على إنهاض أوربا الغربية، فوضعت مشروع مارشال لإعادة تعمير أوربا الغربية لتصبح بعد ذلك خط الدفاع الأول عن الولايات المتحدة.

كانت المواجهة الأولى العسكرية بين الولايات المتحدة والشيوعية فى كوريا. فقد قسمت كوريا بعد الحرب قسمين: كوريا الشمالية وكانت شيوعية، وكوريا

الجنوبية وكانت غـربية الاتجاه تدعمها الولايات المتحـدة. وفى يونيو ١٩٥٠ قامت كوريا الشمـالية بغزو كوريا الجنوبيـة وأثبتت عجز القوة العـسكرية لكوريا الجنوبية التى تدهورت بسرعة أمـام الزحف الشيوعى فتدخلت الولايات المتـحدة عسكريا، وهزمت قوات كوريا الشمالية ولكن الصين الشعبية لم تلبث أن أرسلت ملايين من مقاتليها إلى كوريا، ودارت الحرب الدموية حتى توصل الطرفان الأمريكى والصينى إلى أنه من الأجدى الـعودة إلى التقـسيم وتم الاتفاق علـى ذلك. ولا تزال كوريا مقسمـة: الجنوبية وقد حشدت فيـها الولايات المتحدة قوة ضاربة منـاسبة، وكوريا الشماليـة الشيوعيـة التى تسعى جاهدة إلى السيطرة على الجنـوبية، إلا أن الوجود العسكرى الأمريكى يحول دون ذلك.

تاريخ



الولايات المتحدة الأمريكية

الفصل الحادي عشر

الولايات المتحدة
بعد الحرب العالمية الثانية

الحرب الباردة Deténte and Confrontation

«جورج كينان» - نوايا السوفيت والأمريكيين - نظرية ترومان - سياسة الاحتواء - حلف الناتو - سياسة حافة الهاوية فى مقابل سياسة الأحتواء إزاء الصين وفيتنام والشرق الأوسط - السوفيت والأمريكيين فى عهد كنيدى - الخط الساخن.

وقع العبء الأكبر فى إحراز النصر فى الحرب العالمية الثانية على أكبر قوتين، الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية، وقد كان متوقعا منهما أن يحققا سلام ما بعد الحرب، غير أن كل جانب كان يراوده طموح فى فرض هيمنته على العالم، وانتزاع الدور التقليدى الذى طالما لعبته أوربا بهذا السبيل، وفرض الوجود كل وفى مواجهة الآخر.

ولقد دعم ذلك الاتجاه أن أسس التنافر والتناقض بين القوتين كانت متوفرة مقدما، فى اتجاهها العقائدى والاقتصادى والسياسى والعسكرى وكذلك لموقف الولايات المتحدة الصريح من عدم الاعتراف بالدولة الشيوعية بعد الإطاحة بالنظام القيصرى سنة ١٩١٧، وإنما اعترفت بها متأخرة سنة ١٩٣٣، ولقد أُعلن ذلك التناقض بداية حينما اجتمع المتصرون فى كل من دومبرتون أوكيس و «سان فرانسيسكو» لوضع ميثاق الأمم المتحدة، وفشلوا فى ذلك، ووفقا لذلك جاء ذلك النظام «الأمم المتحدة» فى النهايةمفتقرا لسلطة المحافظة على السلام ومكرسا لمصلحة فريق على الآخر دونما اتفاق كامل بين القوتين، وإلى حد الاختلاف والصراع.

لكن هذا الصراع كان محدد الأُطر والأبعاد، فلم يكن ممكنا ومع اختراع القنبلة الذرية حينئذ أن يصل الأمر إلى حد الصدام الذرى، وإنما غايته غالبا حرب تقليدية محدودة الأهداف، فى إطار حرب باردة علنية أو سرية، نفسية واقتصادية، أو مناصرة حرب محدودة أو محصورة فى مناطق مرغوبة لمد نفوذ أى من القوتين، وعلى هذه الأسس دارت العلاقة بين القوتين»(1).

إذن فقد خرج المنتصرون من الحرب وقد فرضت حقائق القوى نفسها لتحل القوتين الكبيرتين مثل القوى التقليدية فى الهيمنة على العالم، وبدأ تنظيم أحوال ما بعد الحرب، ومع هذه الظروف حضرت جميع الأطراف مؤتمر «يالتا» والتى أصبحت على أساسه أوربا الشرقية فى دائرة نفوذ الاتحاد السوفيتى كلية وأوربا الغربية فى دائرة نفوذ الولايات المتحدة بنسبة مائة فى المائة، وتوزع النفوذ على البلقان بين الطرفين بالتساوى، أما الشرق الأوسط والعالم العربى فلم يكن تحديد النفوذ فيهما سهلا، وكل ما اتفق عليه الاعتراف لكل طرف بمصالح مشروعه للطرف الآخر فى تلك المناطق.

حينئذ كان كل جانب قد حاول أن يبرهن على عدم سلامة نية الجانب الآخر خاصة بعد انتهاء الحرب، بما دعاه إلى إصراره على تقسيم النفوذ بذلك الشكل الكائن فى «يالتا»؛ فاوضح الجانب السوفيتى أنه بداية كانت تحركات السوفيت أثناء الحرب وبعدها إنما كانت بهدف تحقيق السلام والأمن والتعايش السلمى، وعلى ذلك جاء تحالفهم مع بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ضد ألمانيا أثناء الحرب لهذا الهدف، كما سعوا باستمرار لوضع صيغة تفاهم مع الأوربيين لتحقيق أمن وتعاون أوربى، وبعد الحرب سعوا لنفس الهدف بإقرار وضع ألمانيا خاصة، بما يحقق الأمن الدولى ومصلحة الشعب الألمانى، ثم ما نجم عنه من تعيين جمهورية ألمانيا الديمقراطية (الشرقية) كحليف أوربى للاتحاد السوفيتى(2).

أوضح السوفيت أنهم هدفوا أيضا وعملوا كذلك منذ إبريل سنة ١٩٥٥ على التسوية فى منطقة الشرق الأوسط بما يحقق أمن وسلام المنطقة خاصة مع التوقعات

---

(1) Dean., Acheson, Power and Diplomacy, Vol II, P, 43 U. S. A. 1958.
(2) F.R.U.5., Vol xxiv, 1955 - 1957, p.89.

باستخدام قـوة الغرب العسكرية لضرب القوى القوميـة هناك، وقد أكدت أحداث السويس تلك التوقعات ، كما أنهـا ولنفس الهدف وبعد صدور «مشروع إيزنهاور» حاولت أن تمنع الـولايات المتحدة من القـيام بدور الشـرطى الوحيد فـى المنطقة، وذلك بإعـلان برنامج واضح الملامح فى أبريل سنة ١٩٥٧ مـقترحـا حل قضـايا المنطقة بالتـفاوض وعدم التدخل فى شـئون بلدانها، مع عدم جـرها إلى تكتلات عـسكرية، والمساعـدة فى تطوير تلك البـلدان اقتـصاديا دون مـقـابل من القيـود العسـكرية والسيـاسية، ومع كـل ذلك أوضح السوفـيت أن قوى الغـرب الثلاث بريطانيـا وفرنسا والولايات المتـحدة قد تجـاهلت تلك الاتجاهات وسلكـت مسلكا مضاداً تجاه السوفيت.

لكنه ومع ذلك، وفى مـؤلف عن تاريخ السـياسـة الخـارجيـة السـوفـيتـية «ليوناماريوف وجروميكو وكوفستسوف» بلور المؤلفون وجه نظـر الحكام السوفيت فى أسباب التبـاعد بين الاتحاد السوفيتى من جـانب والولايات المتحدة ودول أوربا من جانب آخر، رغم أهدافهم الطيبة ونوايـاهم الحسنة، فهم يرون أن الدبلوماسية السوفيتيـة كانت متعلقة بداءة بالتأكد من أن منظمـة الأمم المتحدة سوف تكون أداة فعالة لـلسلام، وأنه لن يمكن أن تستخـدمها قوة أو مـجموعة من القـوى لخدمة مصالها الخاصة، مما يسبب الإساءة للدول الأخرى»[1].

غير أنه ونـظر للحالة التى كانت عليهـا البلاد الأوربية من ضعف وانـهيار، فقـد استطاعت الولايات المتحدة عن طريق المـعونات العسكرية والاقتـصادية التى قدمتها لها، ونظرا لأن جزء غير قليل من بلاد آسيا وأفريقيا كان واقعًا تحت سيطرة الدول الأوربيـة، فقـد استطاعت الولايات المتـحدة أن تبـسط هيمنتـها علـى جو المؤتمرات التى عقدت، فخرجت مواد ميـثاق الأمم المتحدة، وخاصة عند إجراءات التصويت على الخطوات التنفيذية، لصالح الولايات المتحدة والدول الأوربية»(*).

(1) Ponomariov and Others, History of Soviet Foreign Policy 1917 - 1945. p. 495.

(*) خاصة فى مـؤتمر «دومبرتون أوكسن» والذى سمى باسـم ضاحية فى نيويورك، وعـقد فى ٢١ أغسطس ١٩٤٤، ومؤتمر «سان فرانسيسكو» فى ٢٥ / ٤ / ١٩٤٥.

كانت الحكومة السوفيتية تعتقد أن التعاون المقرر قيامه بعد الحرب سيكون غرضه الرئيسى تأكيد سلام دائم ومع إمكانية قيام أو إعادة عدوان ألمانى، وهو ما حرصت عليه أيضا قوى الغرب، واعترفت به فى قرارات عدد من المؤتمرات، لكنه ومع انتهاء الحرب كانت هناك علامات لا تبشر بالخير نحو التزام قوى الغرب بهذه القرارات، ونسوا أن الاتحاد السوفيتى كان حليفهم ضد الغازى الألمانى والاستعمار اليابانى»(١).

وترى الحكومة السوفيتية أنها قد أجبرت على أن تأخذ فى حسبانها الحقيقة بأن الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى قد اتخذت اتجاها سياسيا عدائيا علانية، والذى هدفه النهائى هو أن يؤسس بالقوة سيطرة إنجليزية أمريكية على العالم، وهو الاتجاه الذى يتطابق تماما مع سياسة العداء وسياسة إطلاق العنان لحرب جديدة يواصلونها، ونظرا لهذا الموقف، فإنه على الاتحاد السوفيتى أن يشن صراع منتظم أكثر قوة وأكثر انتظاما ضد كل تاجر حرب، وضد سياسة العدوان وإطلاق العنان لحرب جديدة، ومن أجل سلام عالمى النطاق».

وكانت القيادة السوفيتية تتبنى الفكرةالقائلة بأن الجهود الرامية إلى السلام كان يجب تحقيقها عن طريق التعاون من أجل منع إمكانية قيام أو إعادة عدوان ألمانى، مع مساعدة وعدم الاساءة إلى الدول الأخرى، أما وقد نسى الحلفاء الغرض الأساسى وهو منع قيام عدوان ألمانى جديد، ومع ظروف السلم بعد الحرب، ومع الإجراءات العسكرية الشاملة التى نفذتها الولايات المتحدة فى تعاون مع بريطانيا وفرنسا مشتملة على الزيادة فى كل أنواع القوات المسلحة، وعلى تخطيط تمهيدى من أجل استخدام السلاح الذرى وتخزين القنابل الذرية وهو سلاح هجومى، كلية، وهو ما يعنى تأسيس قوة للسيطرة على العالم، فلا بد وبالضرورة من أن تكون تلك سياسة عدائية، ولابد من أن يعمل الاتحاد السوفيتى على تحقيق سلام عالمى، وبكل الطرق.

---

(1) Ibied, P. 493.

أما الدوائر الحاكمة الأمريكية كانت ترى أن كل الأفعال السوفيتية التى جرت مباشــرة نحو أوربا بعد الحرب، وخاصــة نحو قلبها الإستــراتيجى، لم تكن تجرى بسلامة نية تمــاما كما صورها السوفيت، فـقد قامت حكومة «ستاليــن» بمد تفوقها العسكرى والسياسى فى منطقة تمتد من بولندا إلى بلغاريا، وذلك بإنشاء حكومات موالية هناك يغلب عليها الطابع الشيــوعى، وخاضعة لموسكو، وهكذا عمد الاتحاد السوفيتى أثناء الحرب وبعدها إلى مد حـدوده غربا، بضم أراضى كانت فيما مضى خاضعة لحكم القياصرة، منها أجزاء من فنلندا وجمهورية البلطيق الثلاث، لاتفيا، استونيا، لتوانيا، وجزء كبير من روسيا الشرقية الألمانية، وكذلك مناطق صغيرة من تشيكوسلوفاكيا.

أوضحت تلك الدوائر أن غرض السوفيـيت لم يكن فقط إقامة نطاق عريض من الأراضى الموالية حول الاتحاد السوفيتى، أو الوصول للدردنيل والبحر المتوسط، أو استـخدام الاحـزاب الشيوعـية فى فـرنسا وإيطاليـا وغيرها من الـدول لصالح الشيوعية، وإنما أيضا بشكل أساسى السـيطرة على دول أوربا الشرقية ومنها خاصة ألمانيا، ثم من بعدها اليونان وتركيا، تمهيدا للسيطرة على أوربا كلها»(١).

كانت الدوائر الأمريكية ترى أن الاتحاد السوفيتى مع قوته العسكرية الضخمة غيـر الساكنة لم يكن يعنـى فقط بأوربا، وخاصــة بعد أن اقـترن طلب «ستالين» بنصـيب فى الأشراف على الدردنيل، بالعـمل على التـدخل باستـتار فى شـئون اليونان، ثم العمل على تأخير القوات السوفـيتية فى الانسحاب من إيران، بل كان يعنى أيضا بالاستعداد للتوغل فى الشرق الأوسط»(٢).

اتهمت تلك الدوائر السلطات الســوفيتيــة بالعمل على عدم انتعــاش ألمانيا، وذلك عن طريق امـتصــاص كمـيات كـبيــرة من السلع الألمانية المصنعـة، مقــابل تعويضــات مقررة فـرضت على ألمانيا بعد الحـرب، ثم بعد ذلك شكلت الهـجرة المستمرة من ألمانيا الشرقية إلى الغربيــة ضغوطا اقتصادية على الثانية، كذلك حاول

(1) F.R.U.S., No4, N.A.C. On Aqenda Item II, May 9, 1955, P. 15, also.
آلان نيفز راخر، ترجمة محمد بدر الدين خليل موجز تاريخ الولايات المتحدة ص ٤٣٢ - ٤٣٦..
(2) Freedmen., Robrt Soviet Policy Toward the Middle East Since 1970, pp. 11 - 12, U.S.A., 1978.

السوفيت أيضا دفع الشعب الألمانى للتحول إلى الشيوعية، كما عملوا على إثارة القلق فى الجانب الغربى بمحاولة السيطرة على برلين الغربية، بعد عدد من الإجراءات العنيفة، وذلك لتحويلها عاصمة لدولة ألمانية شيوعية.

وتوضح تلك الدوائر أن الشيوعية عملت على إثارة العنف والقلق فى آسيا، وجاء وقت كان يمكنهم أن يملأوا قلوب جميع الشعوب الأسيوية برهبتهم، وذلك بعد أن عملوا على مد نفوذهم إلى كوريا الجنوبية فى يونيو ١٩٥٠، وأثاروا حرب أعصاب فى الفلبين، ثم كان لتصرف «ماو» الزعيم الصينى فى مفاجأته للعالم بعقد معاهدتين قريبتين للتحالف مع الاتحاد السوفيتى أواخر سنة ١٩٤٨ أثرا بالغ السوء، وقد سببت كل تلك الأوضاع تعقيدا وإضعافا لموقف الغرب فى آسيا، وكل ذلك بسبب التخطيط الشيوعى.

وقد أكدت مصادر المخابرات الأمريكية أنه برغم الاقرار من جانب الزعماء السوفيت بأن التعايش السلمى هو البديل الوحيد للحرب النووية، ورغم أنهم طالبوا بتطوير علاقات الصداقة بين دول العالم وخاصة البلدان النامية، ودول الغرب أيضا، إلا أنهم اكدوا فى نفس الوقت أنه لن يتم التنازل عن قضايا الشرق والغرب الرئيسية، كما صرحوا بشكل رسمى فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى بأن العداوة لم تنتهى تجاه الاستعمار والغرب على العموم وتجاه الولايات المتحدة على الخصوص[1].

(1) Glenon., John and Other, F.R.U.S, 1955 - 1957, Vol xxiv, P, 131, U.S.A., 1980.

- حول نوايا السوفيت استرشد الأمريكيين أيضا برأى دكتور جورج كينان، وهو آستاذ أمريكى خبير بالشئون السوفيتية، وقد عمل بالسفارة الأمريكية فى موسكو منذ الثلاثينات عدة مرات، وقد أوضح كينان كيف يفكر السوفيت مبينا أن شبح الخوف من التفاف الأعداء حول بلادهم يطارد الزعماء السوفيت، وكتب يقول أن الزعماء السوفيت فى سعيهم وراء الأمن يعتقدون أن مصلحتهم فى «أن يمزقوا وحدة مجتمعنا» كما أنهم يسعون إلى إضعاف هيبة دولتنا فى المجتمع الدولى» ولهذا السبب فإن الاتحاد السوفيتى يشكل تهديدا حيويا لمصالح الولايات المتحدة حول العالم، وإضاف كينان بأنه من الممكن التصدى لهذا التهديد من خلال استخدام الحزم والقوة وكان يرى أنه عندما يقابل السوفيت بالمقاومة القوية فإنهم غالبا ما ينسحبون، ومن ثم لم يغب عن إدارة «ترومان تأكيد كينان على استخدام الحزم، وعلى ذلك بدا الأمريكيون فى اتخاذ خط متشدد مع موسكو.

ومع قناعتـها تلك بأهداف السوفيـت فإن الحكومة الأمريكيـة، ومع نظرتها حـيال خط الدفـاع الأساسى المشـترك بين أوربـا الغربيـة وبين الاتحاد السـوفيـتى ومقدماته فى أوربا الشرقية، اهتمت وبالتـوازى بتنمية واستغلال الطاقات الكامنة، وكذلك السيطرة على نقاط الاتصال والمراكز الحيوية من العالم.

كانت أعمـاق الدفاع المتالية بدءا بمنطقة الدفـاع الأساسى على حدود أوربا الشرقية وحـتى الولايات المتحدة تشمل بالترتيب دول المواجهـة اليونان وتركيا، ثم تليـها دول أوربـا الغربيـة، وهى دول خـرجت من الحرب الـثانيـة منهكة بشـريا واقتصاديا، وكان على الولايات المتحدة حيـنئذ ومع استبعاد ضربة ذرية من جانب الاتحاد السـوفيتى أن تعيـد التوازن لهذه الأعمـاق الدفاعيـة لكى تكون قادرة على الصمـود فى مواجهتـه لمنعه من الوصول إليهـا، وقد عملت على تنفـيذ إجراءات أساسية بتلك المناطق بالترتيب الاتى:

١- الإسراع فى إعـادة التوازن لاعماق الدفـاع على المحاور المحتملة لتـقدم السوفيت وذلك بالمعاونة بالأموال والمعدات والآلات.

٢- محـاولة ربط دول هذه المناطق بالولايات المتـحدة عن طريق مـعاهدات تؤمن ردود الفعل تجاه السوفيت.

٣- التوسع بقدر الإمكان فى احتواء دول أخرى من العالم بطريقة أو بأخرى وخاصة تلك التى تقع فى مناطق استراتيجية أو نقط حيوية.

على ذلك جاءت الاهتمامات الأمريكية من حيث اسبقية التنفيذ الملحة مُركزة على أوربا، وهذا لا يعنى أن السيـاسة الأمريكية توقفت عند مـحور دون الآخر، على العموم، وحـينئذ كانت أوربا فى مرحلة مـا بعد الحرب الثانية، فـوق كونها مصدر حيوى هام للطاقـات التقنية، فإنها كانت عمقـا حيويا لخط الدفاع الأساسى بين الأمريكيين والسوفيت، وإن كان ذلك قد تغير مع التطور فى مدى التسليح.

ثم جاء الشرق الأوسط، وخاصة الخليج العربى، فى أهمية كبيرة كونه ممثلا لنقاط إستراتيجية وحيوية، فوق كونة أكبر مصدر استثمارى كان من شأنه أن يحقق التوازن للخلل فى ميـزانية الدفاع الأمريكية والمتأثر ببنود المنح والقـروض الخارجية

كالتـزامات ثابتة لـلولايات المتحدة فى الخـارج، ولدعم تحقيق تـقدمهـا العسكرى المطلوب على السوفيت، وعلى العموم لضبط ميزان المدفوعات الأمريكى.

ثم كان الاهتمام بالشرق الأقصى، وخاصة اليابان والصين كانتا محل اهتمام الدوائر الأمريكية كون إمكانهم تشكيل جبهة مضادة يمكن أن ترجح كفة السوفيت من عدمه، فوق كونهـا بذاتها يمكن أن تكون طرفا مزعزعا لقواعد الإسـتراتيجية الأوربية والأمريكية.

ويتمشى مع تلك الاهتـمامات والأهداف كلها، ضرورة التـفوق العسكرى، دونما نظر للاستقرار الإستراتيجى أو التعايش السلمى، خاصة وأن الاتحاد السوفيتى يملك أيضا قوة تدميرية نووية تماما مثل الولايات المتحدة»[1].

أولا: السياسة الخارجية الأمريكية وأوربا الغربية بعد الحرب الثانية.

أ- نظرية ترومان:

مع إمكانية سقوط الحكومة الوطنية اليونانية أوائل عام ١٩٤٧ على يد الثوار اليونانيون الشيوعيون المتمركـزون فى قرى شمال غرب اليونان، وبدعم من جيران اليونان الدول الشيوعية الثلاث البانيا ويوغسلافيا وبلغاريا، ومع إمكانية امتداد ذلك الوضع إلى تركيا، خاصـة مع الضغط السوفيتى المستمر عليـها، أقدم ترومان على إجراء حاسم إذا طالب الكونجـرس بمجلسيه فى شهر مارس باعـتماد ٤٠٠ مليون دولار كمساعـدات عسكرية لكل من اليونان وتركيا، موضحـا أن سياسة الولايات المتحدة بهذا الخصوص إنما هى تقديم العـون للشعوب الحرة التى تقاوم الخضوع أو

---

(١) Dean., Acheson, Power and Diplomacy Op. cit, P. 43.

أوضحت المناقشـات الدائرة فى مجلس اللوردات البريطانى أن هناك قناعة بأن نيـات السوفيت لا تنطوى على خيـر أبدا، كما أن من غيـر الممكن الوثوق فى مـجموعـة قليلة من الحكام السوفيـت تسيطر على السياسة السوفيتية وهم ذوى عقول صلبـة وقد أوضحت المناقشات أن ما تم الحديث بشانه من حيث عقد معاهدة «المستوى الأعلى لاقرار السلام أمر غير ممكنا تنفيذه، وكان الاتجاه العام هو العمل على زيادة قوة الغرب لتكون هى الدافع لاجـبار السوفيت على الأقل من خـلال لقاءات ومؤتمرات ربما لتحـقيق أهداف محدودة تكون فرعية أو إقليمية.

الغزو لأقليات مسلحة أو لضغوط خارجية وعُرف هذا التعهد باسم «نظرية ترومان» وفى غضون عشرة أيام وافق الكونجرس على المساعدات التى طلبها الرئيس، واستمرت كل من اليونان وتركيا خارج النفوذ السوفيتى.

ب- سياسة الاحتواء

صحيح أن الولايات المتحدة كانت قد نبذت سياسة العزلة غير أنها لم تستبدلها بقائمة جديدة من أهداف سياستها الخارجية، غير أن نظرية ترومان كانت البداية لفتح الطريق لسياسة جديدة، أسهم فى ذلك جورج كينان وغيره من المخططين، وقد نصحوا باتخاذ سياسة طويلة الأمد، تتسم بالصبر والحزم والتيقظ، والاحتواء لكل الميول التوسعية السوفيتية، ومن هنا كان المنطلق، والوصف الأمثل للسياسة الجديدة فاستخدمت كلمة الاحتواء لوصفها.

تبنى ترومان تلك الفكرة بحماس فقد أراد أن يتجنب تفوق السوفيت وسيطرتهم على العالم، واضعا نصب عينيه فشل الأوربين مسبقا فى الثلاثينات فى التصدى للتوسع الألمانى الإيطالى، مما أدى إلى ذلك الصراع المرير خلال الحرب الثانية.

ومع ذلك فقد وُجه الانتقاد لفكرة كينان تلك، إذ دأب الصحفى «والترليبمان» على انتقاد مضمون تلك السياسة، وكان فى رأية أن تسوية النزاع على أوربا بين السوفيت والأمريكيين سيكون مفتاح تحسين العلاقات السوفيتية الأمريكية(*).

المهم أن ترومان وحكومته تبنوا تلك السياسة، سياسة الاحتواء، فى مُسير سلسلة الحرب الباردة، ومع حالة أوربا المتدهورة تاريخ آثار الحرب الثانية، ومع

---

(١) الجدير بالذكر أن «والتر ليبمان» جمع مقالاته الانتقادية لكينان فى كتاب واختار له عنوانا لعبارة كان الفرنسيون يستخدمونها لوصف حرب الاعصاب التى كان يستخدمها هتلر قبل الحرب الثانية مباشرة «الحرب الباردة» ومنذ ذلك التاريخ أصبح المصطلح أكثر المصطلحات شيوعا فى وصف العلاقات السوفيتية الأمريكية منذ عام ١٩٤٥ حتى الآن.

احتمال نمو الأحزاب الشيوعية هناك نموا كبيرا، قدم الجينرال «جورج مارشال» وكان وزيرا للخارجية حينئذ فى ٧ يوليو ١٩٤٧ إقتراحًا بأن تقوم كل حكومة أوربية على حدة بوضع برنامج لها للانعاش، وإبلاغ الولايات المتحدة بأفضل أسلوب يمكن أن تساعد به، ووعد مارشال بالتعاون الكامل مع أى حكومة تنضم لهذا المشروع، أدى ذلك إلى قيام «البرنامج الأوربى للإنعاش» أو «مشروع مارشال».

وعملا بالاقتراح المقدم من وزير الخارجية الأمريكى، نجحت الولايات المتحدة فى تحقيق انتعاش اقتصادى سريع فى سبعة عشرة دولة ممتدة من أيسلندا إلى تركيا، وذلك ببدئها تنفيذ هذا المشروع فى أبريل ١٩٤٨، إذ قدمت (١٢,٥ مليار) دولار من السلع والخدمات لهذه الدول، وفى أقل من ثلاث سنوات ارتفع الإنتاج الصناعى فى هذه البلاد بنسبة ٢٥٪، وارتفع الإنتاج الزراعى بنسبة ١٣٪، فوق المستويات التى كانت قائمة قبل الحرب، كما تم حث الدول الأوربية على العمل على تنمية اقتصادها بنفسها لكى لا تتحمل الولايات المتحدة العبء وحدها، وعلى العموم لم تنقطع المساعدات الأمريكية لأوربا وحتى الان، إذ استمرت مساعداتها فى صورة منح وقروض، فمثلا ما بين سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٦٢ حصلت دول أوربا الغربية على مساعدات اقتصادية وعسكرية بلغ إجمالها خمس وأربعون مليار دولار منها (٩ مليار) لفرنسا، وحصلت بريطانيا على (٨ مليار) هذا خلاف برامج التعاون الذرى والتدريب بينها وبين الأخيرة»[1].

ومما يجدر ذكره أن الولايات المتحدة عرضت تقديم مساعداتها على الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية، غير أن ستالين رفض وأجبر زعماء أوربا الشرفية على رفضه، وأوضح أن الاقتصاد السوفيتى من القوة بمكان بحيث يستطيع انعاش أوربا الشرقية، ثم أعلن عن مشروعه للمساعدة، والذى سمى باسم «مشروع مولوتوف» وبعدها لم يسمع عن المشروع مرة أخرى.

(1) U.S. Bureau Of The Census, Statistical Abstract of the U.S, 1995, p. 810.

وقبل أسـابيع قليلة من تصويت الكونجـرس بالموافقـة على مشروع مـارشال انتـزع الشيـوعيون الـسلطة من الحكومة التـشيكوسلـوفاكيـة المتعـاطفة أصـلا مع الشيوعيين، برغم استقلالها فحولوها من دولة ديمقراطية إلى دولة شيوعية فى أقل من شهر، وكإنما كان السوفيت يحذرون العالم غير الشيوعى من محاولة الانضمام إلى ذلك البرنامج الأمريكى الضخم والاندراج تحت سيطرة الأمريكيين.

ما هى النتائج الناجمـة عن برنامج الانعاش هذا على الجانب الأمريكى؟ أو ما هى نتائج تلك السياسة الأمريكية الجديدة.

أولا: إبرام واحدة من أهم التعاقدات التعاهدية فى تاريخ أمريكا:

وإذا كان ما سبق عرضه، تحديداً لخطوات تحقيق أهداف السياسة الأمريكية، ففى عـرض أكثر تحديداً بلور صـانعى القرار الأمريكيين إسـتراتيجيـتهم السيـاسية والعسكرية فى تحـقيق الأمن القومى الأمريكى، والذى كـان معنيا بتأمـين مواطن وأراضى الولايات المتحدة "Physical Secursity" ثم تطور الأمر مـند بداية الحرب الباردة، "Detente & Confrontation" وبداية المختـرعات النووية، إلى الاهتـمام بتحقيق أمن الولايات المتحـدة من داخلها، وتأمين اهتماماتها القوميـة أو مصالحها الحيوية "National Interests" وذلك فى مفهوم أشمل وهوالأمن القوى "National Security" .

وقد تبلور فى هذا الإطار جوهر العـقيدة الإستراتيجيـة الأمريكية التى كانت تعنى بمنع حدوث حرب نووية مركزيـة، أولاً فوق أراضى الولايات المتحدة، وثانيا أن أمكن من فوق أوربا، وذلك بتوفير أكبر قدرات مادية لايقاع أقصى إيلام للعدو - السوفيت - على بلاده، وكانت قوى الارتكاز لتحقيق ذلك هى القدرات النووية للولايات المتحـدة الأمريكية، ثـم قوات غرب أوربا المسلحـة التقليدية، وأخـيرا، مواقع ارتكاز حيوية، وبذلك تحددت إبعاد أهداف السياسة الخارجية الأمريكية.

على ذلك وفى نتيـجة مباشـرة مخططة ومحـسوبة من جراء تقديم وتحـقيق «البرنامج الأوربى للانعاش» أو مـشروع مارشال، كانت الدعوة إلى عـقد معاهدة دفاع جـماعى تشمل دول أوربا الغـربية والولايات المتـحدة، وكانت الأخـيرة هى

الداعية لذلك، وقد اشترط الأمريكيون جواز تقديم المساعدات السابق عرضها بالتحاق دول الغرب بذلك التحالف، ومن ثم كان عقد معاهدة دول شمال الأطلنطي في ٤ أبريل ١٩٤٩[1].

وسوف نخص بالذكر المواد خمسة وستة وتسعة من مواد تلك المعاهدة، وذلك لاهميتها في تفسير باقي المحصلات والتي تمخضت عن تطبيق سياسة الاحتواء المنتهجة في عهد ترومان:

مادة (٥) وقد وافقت الأطراف على أن أي هجوم مسلح على أي منهم في أوربا أو شمال أمريكا، سوف يعتبر هجوم ضدها جميعا، وبالتالي فهم يوافقون - إذا وقع مثل هذا الهجوم - على استخدام كل دولة أو مجموعة دول لحقها في الدفاع عن النفس وطبقا للمادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة، وسوف تساعد الأطراف أو الطرف المعتدى عليه في الحال لذاته أو بالتوافق مع الأطراف الأخرى، وهذا العمل الضروري شامل للقوة المسلحة لاستعادة والابقاء على أمن منطقة شمال الأطلنطي».

مادة (٦) وللهدف المنوه عنه في المادة (٥)، فالهجوم المسلح على واحد أو أكثر من الأطراف يعني أيضا هجوم مسلح على أراضي أي أطراف المعاهدة سواء في أوربا أو شمال أمريكا، أو الأجزاء الخاصة بفرنسا في الجزائر، أو قوات الاحتلال لأي طرف في أوربا، أو على الجزء في دائرة الاختصاص لأي طرف في منطقة شمال الأطلنطي، شمال مدار السرطان، أو على السفن أو الطائرات من هذه المنطقة لأي الأطراف».

---

(1) Life Vol 34 Apr, 22, 1963, U.S.Aid Programme, Editor, P. 28, Stebbins., Richard and other, Editors, Documents on American Foreign Relations, 1963, p. 510, U.S.A., 1963, See als0, Furer., Howard B., Editor, Lyndon Johnson., p. 112, U.S.A., 1971, Also American Foseign Policy, Documents., Feb, 22, 1958, Secretary Of State to British Ambassador, pp, 227 - 228.

مادة (٩) سوف يؤسس مجلس من أطراف هذه المعاهدة وكل منهم سوف يمثل فيه، وذلك للتفكر فى الشئون المتعلقة بالخطوات الإجرائية فى تلك المعاهدة، وسوف يكون هذا المجلس منظما بما يتيح لأفراده التجمع فورا فى أى وقت، وسيبدأ هذا المجلس عمله كلما بدا ذلك ضروريا، وسوف يؤسس فورا «لجنة دفاع» حيث ستوصى بالإجراءات المطلوبة موضع التنفيذ فى المادة ثلاثة وخمسة[1].

أ- ترتيب على المواد المذكورة من معاهدة شمال الأطلنطى «الناتو» عدة نتائج هامة إذا أنها أولا وبموجبها أصبحت الأراضى الأوربية وخاصة ماركزت عليه الولايات المتحدة الأمريكية الأراضى البريطانية - مباحة للاستخدام العسكرى دون قيود منظمة لأبعاد الاستخدام، كما أصبحت المناطق التابعة للسيطرة الأوربية، والبريطانية خاصة، تحت تصرف واستخدام القوات المسلحة الأمريكية، بطريقة أو بأخرى.

١- ومن ثم توسع الانتشار الأمريكى باضطراد بعد توقيع معاهدة «الناتو» فى كل أنحاء العالم تقريبا. ووصلت التسهيلات الممنوحة للولايات المتحدة إلى حدها الأقصى طوال الفترة من سنة ١٩٥٥ إلى السنوات الأولى من الستينيات، فأصبحت القوى العسكرية الأمريكية منشرة فى اليابان، وكوريا الجنوبية، وتايوان، ولاوس، وفيتنام والفلبين، وتايلاند، وميكرونيسيا، ورونيون ومدغشقر، ونيوزيلندا وأستراليا، وسنغافورة، وأنتاركتيكا، وسيشل والمالديف، وإيران وتركيا، واليونان، وأثيوبيا، وكينيا، وليبيريا، والسنغال وليبيا، والمغرب، وشمال أفريقيا وقبرص.

كما انتشرت فى جزر الباهاما، واسكينسون وانتيجوا، وترينيداد، وتوباجو، وجراندتيرك، وبربادوس، وأكوادور والأرجنتين وبنما وكندا وكوبا وجرينلاند، والترويج والدنمارك، وإيطاليا والبرتغال، وأسبانيا، وألمانيا الغربية، وفرنسا، وبريطانيا[1].

وفى بريطانيا العظمى ذاتها انتشرت القوات العسكرية الأمريكية فى الجزيرة البريطانية، فى مواقع برية، وفى المطارات والقواعد الجوية، وفى أسكتلندا فى

(1) Senate, Document No 48, sr., Ses sion, N.A.T.O., 1949, pp. 1 - 14.

مواقع بحرية «الهولى لوش» والتى كانت قاعدة للغواصات النووية الأمريكية والصواريح النووية متوسطة المدى، كما نشرت فى أوربا حوالى سبعة آلاف رأس نووية، وكان أغلبها لصواريخ متوسطة المدى.

بالطبع لم تأت تلك التوسعات كلها ناتج شروط المعاهدة، وإنما أيضا بعد عدد من التحالفات، ضمت الحلف المركزى وحلف جنوب شرق آسيا، وقبلا كانت قد عقدت معاهدة «ريو» فى جنوب القارة الأمريكية، وجاءت تلك التوسعات بعد محاولات جادة لتحقيق الأهداف السياسية الأمريكية، وحققت بذلك الولايات المتحدة توسعا وانتشارا كبيرًا لقواتها العسكرية أكسبها ميزة واضحة فى مواجهة القوات السوفيتية بطيئة الانتشار حينئذ[٢].

فالتسهيلات التى منحت للاتحاد السوفيتى لم تكن بنفس الدرجة، إذ إن ما منح له فى شنغهاى، ومنغوليا، وسلوفاكيا، وبلغاريا، ولاتفيا، واستونيا، ولتوانيا، وألمانيا الشرقية فى الحرب الثانية لم يضاف له شيء مثل ما تم وادى إلى ذروة التوسع الأمريكى، إنما نال بعض التسهلات البحرية فى بوركالا، وفنلندا، وبورت أرثر فى منشوريا الصينية، كما أنه بين سنة ١٩٥٨ إلى سنة ١٩٦١ توفرت له بعض التسهيلات للغواصات فى ألبانيا، وكذلك كانت هناك بوادر انتشار لبعض الغواصات والقطع البحرية فى المحيط الهندى والأطلنطى طوال فترة الستينيات[٣].

من جانب أخر حتمت قيود معاهدة الأطلنطى مادة (١)، (٣) ضرورة قيام دول أوربا الغربية بتطوير قواتها المسلحة، من خلال تطوير قواتها المسلحة، من خلال تطوير إمكانياتها الذاتية، ليكن لديها القدرة عل يتحقيق أهداف ذلك التحالف، ذلك من جهة، ومن جهة أخرى، حتمت على بريطانيا خاصة المشاركة بأكبر حجم من قواتها العسكرية من جيش الرين لحماية ألمانيا الغربية.

---

(1) Harkavy., Rogert, Great Power Competetion For Over- Seas Bases, (2) Depaartment of State., 462, 1949, pp. 135 - 140, U.S.A., 1982 North Atlantic Pact, P.9.

(3) Olson., W.M.J., U.S. Strategic Interests In the Gulf Regjon, P. 83, See, Halkavy, OP. Cik, P. 164.

من ثم عـلاوة على خدمـة أهدافها فى مـواجهـة السوفـيت، أرهقت تلك المخططات الأمريكية الدول الأوربية - طوالا فترة الأحـداث حينئذ - اقتصاديا من حيث بنود الاتفـاق الدفاعى المطولة لتطوير قـواتها المسلحـة، لخدمة إسـتراتيجـية الحلف، فقد كان إجمالى ما أنفق على تطوير قوات أوربا المسلحة ما يعادل خمس مرات مما قدم لها من مـساعدات، كما أن ما أنفق فى بريطانيـا وحدها كان حوالى خمسة عشر مليار دولار حتى منتصف الستينيات وهو ما فاق ما قدم من مساعدات عسكرية واقتصادية لبريطانيا فى تلك الفـترة، هذا علاوة على حجم إنفاقاتها على قواتها الموجودة فى ألمانيا، وعلى الإستراتيجية الكلية[1].

٣- ذلك الأمر أرهق الاقتـصاد الأوربى إلى حد بعيـد، علاوة على ما نتج من تبـعـية القـرار البـريطانى خـاصة لقـرار الناتو، أو أصـبح لا يصـدر إلا عن إستـراتيجية الردع النووى الأمـريكية الأم لإستـراتيجيـة الحلف، ولإستراتيجـيات الأوربية حينئذ.

مما سبق عرضه، وفـيما يبدو، اتضح أن صانعوا القرار الأمـريكى قد نجحوا فى تطبيق سيـاسة «جورج كينان» واحتـووا شعوبا عديدة، وتوسـعوا وسيطروا فى مناطق حيوية فى مواجهة توسع سوفيتى بطىء الخطوات، وإذا كان هذا حال تحقيق الأهداف العسكرية الأمريكية فقد صاحب ذلك نجاحات سـياسية واقتصادية متوازنة مع النجاحـات العسكرية فى كل أوربا، ففى الواقع جاء نجـاح السياسة الخـارجية مبنيا على نجاح السياسة الدفاعية.

من جانب آخر وفى ضربة مزدوجـة، مع تحقيق الأمن القومى الأمريكى فى مواجهـة السوفيت استطاع صانعـوا القرار الأمريكى أن يعملوا على زعـزعة دعائم الإمبـراطورية العظمى، بريطانيا، فى مناطـق سيطرتها فى العـالم من وقع خلخلة مصادرها بما جعلها غير قادرة على متابعة أعباء إمبراطوريتها ومن واقع تبعية قرارها الدفاعى لقـرارات الناتو بما جعلهـا فى النهاية امـبراطورية آفلة قـررت الانكماش والتقوقع داخل الجزر البريطانية.

---

(1) American Archives, Pallic Paper Of the President Eisenhower, Feb, 19, 1958, P. 161 Stone, and Op. Cit, p. 69.

حينئذ ومع ذلك التحدى Confronlation على الساحة الأوربية بين السوفيت والأمريكيـون، كان يحدث أحيانـا انفراجا Detente، فى العـلاقات بينهـا، وكان النموذج الـواضح لذلك التحـدى هو تحويل تشيكـوسلوفاكيـا إلى دولة ذات نظام شمولى وذلك قبـيل التصديق على مشروع مارشال. كذلك مـا حدث أثناء حصار برلين.

أزمة برلين

كـانت ألمانيا قـد تضـمنت بعد الحـرب أربع مناطق احـتلال، هى المنطقـة الأمريكيـة، والسوفيـتة، والبريطانية والـفرنسية، وكـان الأمريكيون والبـريطانيون والفرنسيون قـد دخلوا فى محادثات لمدة شهور حول توحيـد مناطق احتلالهم فى جمهورية ألمانية غـربية تتمتع بالحكم الذاتى، غير أن «ستـالين» عارض مشروعات توحيد ألمانيـا، لكنه أعلن على العموم عن مشروع تكوين حكومة لألمانـيا الغربية، وهو أمر لم يرضى ستالين.

كانت برلين عـاصمة ألمانيـا السابقة تقع بالقـرب من مركز منطقة الاحـتلال السوفـيتى، وتولت كل من الدول الأربع الكـبرى حكم قاع من قطاعـات المدينة، وتضمنت القطاعات الأمريكية والبريطانية والسوفـيتية ما عرف باسم برلين الغربية، وقام حينئذ ستالين، بمحـاصرة المدينة وقطع جميع الطرق والسكك الحديدية المؤدية إليهـا من الغرب، ومن ثم أصبح (٢,٥) مليون نـسمة من مواطنى برلين الغـربية رهائن فى الحرب الباردة.

وهنا لم يكن مرغوبا أن تهتز ثقة أوربا فى الولايات المتحدة ما لم تهب لحل ذلك الموقف، ومع أن حكومـة الولايات المتـحدة كـانت حريصـة على تجنب أى صدام مباشر مع الجيش السوفيتى، إلا أنها قررت التدخل وأصدر «ترومان» أوامره للقوات الجـوية، فتحـركت سربين من الطائرات «بى - ٢٩» القـادرة وحدها على حمل قنابل ذرية، تحـركوا إلى مطارات ألمانيا وبريطانيـا، كما مد جسـراً جويا بين أوربا وبرلين الشرقيـة إلى برلين الغربية ناقلا المؤن والضـروريات الأخرى، وعائداً بالأطفال والمرضى إلى المستشفيات الأوربيـة فيما إجمالية (٢٧٧,٢٦٤) رحلة جوة

خلال (٢١٣) يوما أضطر بعدها ستالينى بعد تلك المناورة الفاشلة، إلى فك حصار المدينة»[1].

أثر ذلك تكونت جمهورية ألمانيا الاتحادية (الغربية) فى ٢٣ مايو ١٩٤٩، وفى أكتوبر ١٩٤٩ شكل السوفيت جمهورية ألمانيا الديمقراطية (الشرقية).

أما نموذجا لما كان يحدث من انفراج فقد روعى مثلا من جانب السوفيت عدم محاولتهم إسقاط طائرة غربية واحدةرغم قدرتهم على ذلك، وذلك عند محاولة الغرب فك حصار برلين الغربية سنة ١٩٤٨، كما اتفق الطرفان على ضرورة إجراء هدنة للقتال الكورى الأمريكى فى أبريل سنة ١٩٥٣، وكذلك توجيه السوفيت من جانب حكومتهم بعدم التزمت وعدم فرض قيود صارمة فى أوربا الشرقية وذلك منذ سنة ١٩٥٥، كما أن الغرب لم يتحرك عندما سحقت الدبابات السوفيتية الانتفاضة الشعبية فى المجر سنة ١٩٥٦، وكذلك تراجع السوفيت عما سببوه من أزمة مخيفة فسحبوا قذائفهم النووية من كوبا مقابل تعهد أمريكى بعدم غزوها، أما مسألة الحد من التسلح، فقد نشط البحث فيها فى فترات سيتم العرض لها لاحقا، كما أنه وفى أسوأ فترات الحرب الباردة لم تتوقف الاتصالات بين سفارات البلدين ووزيرى خارجيتها.

ثانيا: السياسة الخارجية الأمريكية والشرق الأوسط:

يتضح من تقرير «لجنة التنسيق الخاصة» - وهى اللجنة المسئولة عن وضع السياسات الأمريكية المتعلقة بشئون الشرق الأوسط - والموضوع قبل زيارة روزفلت للمياه المصرية بسنة، يتضح أنه شمل مخططا طموحا يستهدف إقامة نظام جديد للمنطقة كلها يكون للولايات المتحدة من خلاله دورا رئيسيا، فى الجوانب الاقتصادية والسياسية، والقيام بدور الرقيب الحامى للمواطنين الأمريكيين،

(١) دانيال داڤيز. وأخر، ترجمة عبد العليم إبراهيم، تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥، ص ٤٧ - ٤٩، الكويت، ١٩٩٠م.

وللمصالح القائمة حينئذ والضرورية فى المستقبل: ومن ثم كان اتجاهًا واضحًا أن الولايات المتحدة إنما تنتوى أن تلقى بثقلها فى تلك المناطق(١).

كانت المصالح القائمة أو الضرورية للمستقبل من وجهة نظر الولايات المتحدة، مركزة فى اتجاهين، الأول هو السيطرة على البترول، والثانى هوالسيطرة على طرق المواصلات، وفيما يتعلق بالاتجاه الأول فقد ضغطت على بريطانيا، وهو ما سبق إيضاحه، وبشكل منتظم لانتزاع سيطرتها على بعض مناطق البترول، وأما الاتجاه الثانى، ومع عدم تيسر الاحتفاظ حينئذ بقوات عسكرية كبيرة فى منطقة الشرق الأوسط للسيطرة على طرق المواصلات أو مراكز حيوية، كان لابد من إيجاد البديل والذى تمثل وعلى سبيل المثال فى إيجاد أنظمة موالية لها، أو زرع كيانات جيدة فى المنطقة تعتمد فى وجودها عليها، مما يجعلها فى حالة ولاء كامل لها.

على ذلك وكخطوة هامة كان لابد من التفاهم مع كل الدول التى تقع فى مناطق استراتيجية أو نقط حيوية، ومنها دول الشرق الأوسط، ولقد عبرت توصيات مؤتمر الشرق الأدنى بوضوح عن الخطوات التى أوصى بها واتخذت فى ذلك الاتجاه.

أولا - يتضح أنه تمت التوصية بضرورة البحث لخلق ظروف اجتماعية تجعل الحياة الديمقراطية أكثر جذبا من الشيوعية لشعوب المنطقة، ويمكن أن يتم ذلك بتحريك وتغيير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مع ضرورة الحذر من أن يتم ذلك بثبات وبمعدل لايزيد عن معدل النمو الطبيعى لشعوب المنطقة كى لا يحدث انفجار للنظام الاجتماعى هناك»(٢).

---

(1) Senate, Document No 48, 14 Session, North Atlantic Treaty Orgniza-tion, 1949, pp. 1 - 4.

(2) American Foreing Relation, Vol, 1950,p 4.

عقد هذا المؤتمر فى القاهرة فى ١ / ١١ / ١٩٥٠ وقد حضره مسئولى القنصلية الأمريكية المتخصصين بشئون الشرق الأوسط، وهم واحد وخمسون ضابط بالخدمة من أربع عشرة مركز فى الشرق الأدنى ومسئولين من إدارة التعاون الاقتصادى وأقسام التجارة والزراعة والعمل؛ ومندوبين أمريكيين لشئون الأتراك واليونانيين والإيرانيين؛ وذلك للاتفاق على فهم واضح للتعامل مع شئون الشرق الأدنى.

وفى رسالة من الـرئيس الأمريكى إلى الكونجرس فـى ٢٤ مايو سنة ١٩٥١ أوضح أن الضغط الشيوعى مازال متواصلا مع الشرق الأوسط ويمكن التغلب على ذلك التعزيز المسـتمر للدفاع المسلح وتعزيز التطوير الاقتـصادى، ويمكن أن يحقق لدول هذه المنطقـة أهدافها وتحـسين تحـقيقـها من خـلال تقوية اتحادها فـى العالم المستـقل، وعلى ذلك فقـد أوصى الرئيس الأمريكى بعـمل برنامج للدول العـربية لتطوير الأرض ومصادر الميـاه لتوفير زيادة فى الغذاء المطلوب لهم، مع مـساعدات مالية للشرق الأوسط، وكان الرئيس ترومان قبلا وفى عام ١٩٤٩ قد قدم برنامجه المعروف باسم «النقطة الرابعة» والذى بموجـبه قدم أخصائيون فى الـزراعة والصحة والإسكان وغيرها المساعدة والمشورة لبعض دول هذه المنطقة[1].

وهنا يجدر الإشـارة إلى أن عناصر بناء سياسـة الاحتواء كانت قد اكـتملت مكونة من نظرية ترومان كمقدمة لها، ثم مشروع مارشال؛ وأخيرا، النقطة الرابعة والتى طبـقت كما يتـضح على الدول الأقل رقيـا من أوربا الغربيـة أو هى الدول النامية.

من جانب آخر بدأت الولايات المتحدة تفهم مصر أنها على استعداد للتفاهم معها على أسس سليـمة بنسبة مائة فى المائة، وعلى أساسهـا يمكن لمصر أن تتبوأ أنسب المواقع فى منطقتـها أو العكس ما لم تتـفق معها، وكـان «لوى هندرسون» مساعد وزير الخارجية الأمريكية يشيـر بحديثه هذا مع الدكتور «محمد فوزى» إلى اندراج مـصر ضمـن خطة الرئيس الأمريكى لملأها الفـراغ السيـاسى بعـد خروج بريطانيا من المنطقة فيما عرف بعد «بمشروع إيزنهاور»[2].

(1) American Foreing Policy, 1955, pp 2167- 2168.

وفى عرض للاتجـاهات والقوى الداخلية للشرق الأوسط، أوضح المؤتمرات الطـبقات الحاكمـة فى تلك البلاد بدأت تقبل حتمية التقدم الاجتماعى من أجل منفعتـهم الخاصة، كما أنه لا يبدو أن هناك تغيرا محتملا للقوى السياسية فى العالم العربى فى المستقبل القريب.

(٢) «والتـر لاكوتير» تـعريب لجنة من الاسـاتذة الجامـعييـن، الاتحاد السـوفـيتى والشـرق الأوسط، ط ١ ، ص٢٢٦٨، انظر أيضـا، دار النشر وكالة نوفستى، وثائق ومواد الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط ، ص٢٦٨.

حينئذ وأثناء الأزمة أيضا بدأ «هوفر» مساعـد «دالاس» فى لقاءه مع «فوزى» يوضح له أن الولايات المتحدة لديها معلومات تفـيد بأن مصر تسعى إلى التخريب فى بعض البلاد العربية، من بينها الكريت ولبنان، هذا بالإضافة إلى إسرائيل.

فى صبـاح ٩ نوفمـبر سنة ١٩٥٦ وبعد إعـادة الرئيس «إيزنهاور» بإجـماع سـاحق لدورة رئاسـيـة جديـة، وفى لقـاء له بالبـيت الأبيض مع مـجلس الأمن القومى، أعلن أنه يريد تشكيل شرق أوسط جديد، وكان من ضمن محاور لتحقيق ذلك العمل هو عـزل «عبد الناصر» والخـلاص منه، وأوضح الرئيس الأمريكى أن ذلك «يمكن أن يتم بعـزل وخنق مصـر اقتـصاديا وبـكل الطرق الممكنة لكن دون عنف، ومن ثم يسهل تصفية «الرئيس المصرى بعد ذلك، ووجه إيزنهاور إلى أبعاد عبد الناصر عن سـعود على وجه التحديد وكان قد بُدأ فعـلا فى هذا العمل، كما أوضح الرئيس الأمريكى أن بريطانيـا أو غيرها لن يتمكن من العودة لـلمنطقة بعد ذلك، ومن ثم سوف تقوم الولايات المتحدة بملء الفراغ.

بعد ذلك كان «إيزنهاور» وفى شهر ديسـمبر سنة ١٩٥٦ قد تقدم للكونجرس بمشروع كـان يخول للرئيس الأمريكى حق تقـديم المساعدات لأصدقـاء أمريكا فى الشرق الأوسط والتدخل بالقـوة المسلحة لحماية أى واحد منهم يتعـرض لتهديد أو خطر تهـديد من الشيـوعيـة الدوليـة، ومن المتعـاونين معـها، دون الرجـوع إلى الكونجرس للحصول على تفويض منه، وقد أقر هذا المشروع فى ٥ يناير ١٩٥٧ .

وهكذا أطلق المشـروع، أو ما عـرف بمبـدأ إيزنهاور أو مـشروع إيزنهـاور، للولايات المتـحدة تنظيم شـرق أوسط جديد، عن طريـق الإغراءات والمسـاعدات الاقتصادية أوغيرها، أو بالتدخل المسلح فى حالة عدم جدوى المساعدات، وجعلت سبب التـدخل التهديد أو خطرالتهـديد بالشيوعيـة الدولية، أو لمن يتعاون مـعها، وذلك بتفويض مطلق من الكونجرس للرئيس الأمريكى.

ثانيا: كانت أكثر المناطق التى فى حاجـة إلى حماية من وجهة نظر الولايات المتحدة والمعرضة لتهديد أو خطر الشيوعـية الدولية، أو خطر المتعاونين معها، هى المملكة العربية السعودية وهى مناطق استثـمار أمريكية قديمة مائة فى المائة والدفاع

الأمـريكى عنهـا قائم، ثم مـنطقة الخلـيج العربى كـواحـدة من مناطق السـيطرة البريطانيـة، وقد إتاح تحالـف الأطلنطى للولايات المتحدة إمكـانية نيل تسهـيلات عسكرية وسياسية هناك، علاوة على أنها منطقة استثمار أمريكية قديمة.

كانت تلك المسئولية الدفاعية الأمريكية عن منطقة الخليج هامة لتحقيق خطة الردع الأمريكى فى مواجـهة الاتحاد السوفيـتى، وقد جاءت اهميتهـا لمسألة أخرى وهى الدفاع عن مصالحـها الاستثمارية البتروليـة هناك، وبنفس القدر كات المسألة الثانية على قـدر كبير من الأهمـية مثلها مثل المسـألة الأولى، مرجع ذلك إلى أن هناك عجز دائم فى مـيزان المدفوعات الأمريكى وذلك منذ نهاية الخـمسينات، مرد ذلك إلى حجم المساعدات الخارجيـة، والإنفاق العسكرى الدفاعى الأمريكى والتى أصبحت بنودا دائمة وأساسية فى الميزانية الأمريكية ولبسة اختيارية، كذلك الإنفاق على النظام النووى الأمـريكى والذى وصل حده سنة ١٩٦٣ إلى ١٥ ملـيار وإلى ٨٥,٣ مليار دولار سنة ١٩٦٧ إضافة إلى ٥,٨ مليار دولار أنفقت على العمليات الأمريكية فى ڤيتنام(١).

لم تكن مشكلة ميزان المدفوعات سببها حجم الإنفاق وحده، وإنما للتضاؤل النسبى لقـيمة الصـادرات الأمريكية الكليـة منذ بداية الفترة المنوه عنهـا بعكس ما كانت عليـه قبل تلك الفترة، والـتى كان الحجم فيـها للصادرات أكبـر من حجم الواردات، وهو أمر سبب عجزا فى حجم النقد الأمريكى، والذى كانت الولايات المتحدة فى حـاجة إليه خاصة لتـمويل مشروعات تطوير الـعالم الحر، ترتب على ذلك العجز زيادة فى تدفق الذهب خارج الولايات المتـحدة وزيادة حادة فى رصيد الدول الأخـرى من الدولار شكل ذلك كله عـجـزا ثابتـا فى مـيزان المدفـوعـات الأمريكى(٢).

كانت الاستـثمارات الأمريكية فى الخليج ذات أثر ضابط لتـحقيق توازن فى ميزان المدفوعـات الأمريكى، إذ يتضح من المقال الصادر فى مجلة الشـئون العربية

(1) Stone, Ralph A. Op. Cit, p. 69, see also, Furer., Op. Cit, P. 111.

(٢) تشارلز جاردنر ترجمة أحمد «الشناوى» نحو نظام عالمى، السياسة الخارجية الأمريكية والمنظمات الدولية، ص ٢١١ - ٢١٥، الولايات المتحدة ١٩٦٤.

إلى تصدر عن جامـعة الدول العربيـة والمأخودة عن دراسـات أجريت فى كل من جامعتى «هارفارد» و «جورج تاون» إن عائد الاستثمارات البترولية، وعائد توظيف الأموال المملوكة لصاحبى الآبار أنما كان يمثل ما قيـمته ٥٠٪ إسهاما صافيا لموازنة ميزان المدفـوعات الأمريكى، وهو الأمر الذى كـان يعنى ضرورة وحتميـة الحفاظ على تلك الاستثمارات مع ذلك العجز الدائم[١].

من ثم جاء التركيز على الاتجاه الثانى فى نفس التوقيت وبنفس أهمية تحقيق الخطط الدفاعية الأمريكية عن طريق منطقة الخليج، وإن كانت عمليات الاتجاه إلى الاستثمارات قد بدأت هناك منذ وقت مبكر، لكنه اتخذ قيمته الحيوية منذ بدأ إنتاج البتـرول بكميات تجارية وهو مـا توافق فى التوقيت مع البـدأ فى الاتجاه الأول من حيث قيمة المنطقـة دفاعيا، المهم أن الولايات المتحدة نجحت فى الاستـئثار بحقوق الاستـثمار، كلية فى السـعودية، وحولت الدفـه لصالحها فـى باقى منطقة الخليج بمرور الوقت، فقلصت استثمارات بريطانيا هناك إلى ثلث حجمها، واستأثرت هى بنسـبة الثلثـين أو أكثـر من حجم الاسـتثـمار العام، وذلـك مما رصد حتـى عام ١٩٧١[٢].

قررت الـولايات المتحـدة إذن مـع تلك الأهميـة الحيـوية للمنطقة أن تنـفذ الخطوات التاليـة لتحقـيق سياسـتها هناك، أولا الاعـتماد على الوجـود البريطانى للسيطرة على الأوضاع المحلية سياسيا ودفاعيا، والذى خطط لإنهائه فعلا منذ سنة ١٩٤٧، وثانيا ومع تعدد البدائل الاستقرار على مـسألة وجود وكيل عنها بالمنطقة، وهو ما يعنى توظيف قوى إقليـمية قادرة على ضبط مـجريات الأحداث هناك، بما يضمن مصـالح الولايات المتحدة ودول الغرب، وقد تمثلت تلك القـوى من وجهة نظرها حينئذ فى إيران والمملكة العربية السعودية، وقد خطط لتدعيم وتحريك ذلك الاتجاه جديا وباضطراد مع الإدعاء الأمريكى بمسألـة الفراغ الإستراتيجى فى منطقة

(1) Arab Affairs and League of Arab States, May., 1969, Impact of M.E. Oil Upon the U.S. and U.K. Balance Of Payments, P. 2198.
(2) Kruger., Robert B., the U.S. International Oil p. 75, U.S.A., 1975.

الشـرق الأوسط عـقب حرب السـويس، وثالثـا دعم القـوى المحليـة فى المنطقـة الخليجـية بأكـبر قـدر من التسليح لإمكانيـة الدفاع المؤقت عن أراضـيهـا، ورابعا بالاعتماد على القوات الأمريكية الموجودة فعلا فى المنطقة.

توضح المراجع أن مـسألة إيجـاد وكيل فـى المنطقة فـيمـا سُمى «بسـياسـة العمـودين» أو «الدعامـة المزدوجة» إنما بدأت منذ سنة ١٩٧٥ لتـخدم المنطقـة بعد خروج بريطانيا منها، ولا اختلاف حول ذلك، لكن المثـير للانتباه أن سياسة أعداد الوكيل تلك قد بدأ الاتجاه نحوها منذ وقت مبكر ومع بدايـة الخمسينيات، فقد بدأ فى إعداد إيران والـسعودية لأداء دورهمـا حول ذلك الوقت، كـما أن مسـألة بيع السلاح لدول الخليج أيضا بدأت منذ سنة ١٩٦٠، وهو مـا يعنى أن مسألة الوكيل عنها أو البديل لبـريطانيا قد خطط لها منذ وقت اتخاذها قرار الحـصر والاحتواء، وهو ما يرجح أيضـا أن النية الأمريـكية كانت مـتجهـة منذ ذلك الوقت لتصفـية الوجود البريطانى فى المنطقة»[١].

يتضح أن الدور الذى كان مرغوبا أن تلعبـه إيران والسعودية فى المنطقة كان ممثلا فى الآتى، أولا فـيمـا يتعلق بإيران، كـانت هناك رغبة مـن جانب الولايات المتحـدة أن تقوم إيران بدور فعال فى سـد ثغرة ناقصـة فى الحزام الشمالى، كـما كانت ترغب فى تقـوية إيران لقواتها المسلحـة ولتكون قادرة كمـا رأى «إيزنهاور» على الدفاع عن خط جبال «زاجروس» والممـتد عبر الأراضى الإيرانية، والتى رأى أنها تعتبر الخط الدفاعى الأول عن الشرق الأوسط[٢].

وقـد اتفق رجال السـياسة والدفـاع الأمـريكيين علـى أن إيران تمثل ميـزة إستراتيجية، لكنه فى نفس الوقت لم يكن ممكنا تحديد دور لها إلا بعد إعادة تقييم للسياسة الأمـريكية نحو المنطقة خاصة مع ظروف تسـويات السويس ومع المفاهيم

(١) عصام نومان الديلمى، ماجستير، السياسة الخارجية الأمريكية فى الخليج العربى، ص ٥٢ - ٥٥، القاهرة ١٩٨٨، وكذلك.

(2) Kupchan., Op. Cit, p. 27.
Reichart., John F., Op. Cit, P. 676.

الجديدة للحرب الذرية، كما اتفق على أن تحديد ذلك الدور وحجمه كان مرتبطا بمدى تعاونها مع تركيا والعراق، ومع مدى استعدادها للدخول فى تعاون عسكرى مع جيرانها، فى إطار اتفاق دفاعى إقليمى مع العراق أو السعودية مثلا(١).

وقد أوضح الأمريكيون أنهم على استعداد للاستمرار فى مساعدة إيران بالمعونات الاقتصادية والعسكرية، والتى كان الدعم بها مستمرا منذ سنة ١٩٥٠، وذلك تدريبيا وتسليحيا فى المجال العسكرى، ليس فقط لاعداد تسهيلات الاستخدام العسكرى الأمريكى فى إيران، ولكن لتقوية الجيش الإيرانى ذاته، كل ذلك فى إطار خدمة الدفاع عن المنطقة(٢).

بدأ الأمريكيون تركيز جهودهم لتحقيق تقارب إيرانى سعودى وذلك بوضوح منذ منتصف سنة ١٩٥٧، خاصة وكما أوضح «دالاس» بعد توغل السوفييت بدرجة أكبر فى منطقة الشرق الأوسط، وقد اتفق معه وزير الخارجية الإيرانية «أردالان» حول أهمية تلك الجهود، والذى إضاف أن الخطر الجاثم فعلا يأتى من جانب «عبد الناصر» باتجاهاته القومية وقدراته التسليحية، من ثم وفى إجابة الوزير الإيرانى على تساؤل الوزير الأمريكى حول أحوال العلاقات السعودية الإيرانية، وعن مدى التقارب والتحسن الذى طرأ فى تلك العلافات، أوضح «أردالان» أن الإيرانيين يسعون بجدية لتحقيق علاقات طيبة مع السعودية، وقد بُدئ بالفعل باتخاذ أكثر من خطوة إيجابية بذلك الشأن(٣).

أوضح «دلاس» أنه لاخوف من التطور العسكرى المصرى - صفقة الأسلحة - فكله غير مُجدى؛ لأن العامل الرئيسى لأمن منطقة الشرق الأوسط، وفى تحييد

(1) F.R.U.S., Vol IIX, No. 288, Policy Planning Staff "Bowei" To Under Sec. Of State "Hoover", Jan. 11, 1955, p. 684, also, No. 269, Back ground of Information for "Allen", Feb.4, 1955, pp. 703 - 704.
(2) Ibid. No, 286, Memorandum from the Acting Secretary of State Near Eastern "Jerengan" to Deputy Under Secretary "Henderson", Jan. 7,1955,pp. 677 - 679.
(3) F.O. 371 / 108380, Nutting to Secretary Of State, Oct. 28, 1954,p.l, also, F.R.U.S., Vol IIX, no. 406, Middle East Situation, pp. 941 - 642.

مواقف السوفييت، إنما يكمن فى الدور الأمريكى هناك، سواء بإعلان الولايات المتحدة استعدادها للمشاركة فى اللجنة العسكرية لحلف بغداد، أوبما صدر مسبقا بشهور قليلة عن «الكونجرس» من تفويض للرئيس «إيزنهاور» بالتصرف لحفظ أمن المنطقة - مبدأ إيزنهاور - فى مواجهة الخطر السوفيتى، وعموما يدعم ذلك الدور الأمريكى ضرورة ألا تعمل إيران بمفردها لصد عدوان كبير قد تتعرض له المنطقة، وإنما يتم باتحادها مع العالم الحر، وهو ما سيحقق أمنا إضافيا لها ولجيرانها(١).

والواقع أن الجانب الإيرانى كان فى لهفة لتبوأ مكانة متميزة فى المنطقة، وكان على استعداد لتنفيذ كل شروط الولايات المتحدة، فى مقابل تقوية القوات المسلحة لإيران، وإعدادها لذلك الدور، يتضح ذلك من الطلب المستمر لشاه إيران بالحصول على مساعدات إضافية عسكرية حديثة تتعلق بشئون التسليح والتدريب وذلك منذ سنة ١٩٥٤، كذلك ابداءه الاستعداد لتهيئة الوسائل والطرق المناسبة لتحقيق أفضل استخدام أمريكى للتسهيلات الممنوحة لهم فى إيران، ثم إلحاحه على تحديد دور واضح تقوم به إيران للدفاع عن المنطقة، لكن الجانب الأمريكى لم يقدم الإجابة الواضحة لشاه إيران، أو لرجال حكومته، حول ذلك الدور، وإنما قدموا قدرا عاديا من المساعدات التسليحية والتدريبية، وحتى وقت تلك المحادثات(٢).

وفى ردود أفعال كانت منتظرة تم التحاق إيران بحلف بغداد سنة ١٩٥٥، كما قامت بتنقية العلاقات بينها وبين المملكة العربية السعودية منذ سنة ١٩٥٧، كما استمرت عضوا فى الحلف المركزى بعد ذلك ومنذ ٥ مارس ١٩٥٩، كل ذلك بالطبع مقابل أن يُوكل لإيران مهمة كان شاه إيران شغوفا بالاضطلاع بها، وقد مهدت الولايات المتحدة لذلك كله ببرامج مساعدات اقتصادية ودفاعية وتعليمية بدأت منذ سنة ١٩٥٠، ودعمت الولايات المتحدة تلك الخطوات منذ ذلك الوقت

(1) F.R.U.S., No, 406, p. 943.
(2) Ibid. No. 286, p. 677, also, NO. 296, pp. 703 - 704.

المبكر بإثارة مسألة إمكانية قيام إيران بدور رئيسى فى المنطقة. وكله على العموم كان فى سبيل تحقيق خططها فى المنطقة[1].

يتضح مما سبق عرضه بإيجاز شديد حول العلاقات الإيرانية الأمريكية أن الجانب الأمريكى كان مهتما فى المقام الأول بالعمل على تحقيق خططه الأمنية فى المنطقة، وذلك بدفعه إيران للالتحاق بالأحلاف الدفاعية «بغداد» ومن بعده المركزى، ونجح فى ذلك بربطه تحديد دورا هام لها من عدمه فى منطقة الشرق الأوسط بمدى إسهامها فى تلك الأحلاف، وكذلك وفى نفس الوقت بحصوله على تسهيلات بحرية فى أراضيها، وجاء اهتمامه الثانى بإعداد إيران فعلا للإسهام بدور أمنى مطلوب إقليميا، اتضح ذلك من بدأ برامج التدريب والتسليح الأمريكية للقوات الإيرانية، والتى وصلت إلى أعلى معدلاتها منذ سنة ١٩٦٨، وكذلك من توجيه الحكومة الأمريكية للحكومة الإيرانية بضرورة تحسين وتنقية علاقات إيران مع المملكة العربية السعودية، الطرف الثانى للدعامة المزدوجة، خاصة لمكانتها الدينية البارزة، وهى الأهم ولها وزنها فى المنطقة، وقد تم التركيز على هذا الاتجاه بعد أزمة السويس.

فيما يتعلق بالمملكة العربية يتضح أن الأساليب السياسية الأمريكية قد اختيرت بحرص واضح لتحقق أهدافها هناك، وقد تمثلت أهداف تلك السياسة فى الحفاظ على الاستثمارات البترولية، والتى لم يكن يشاركها أحد فيها، ثم وفى استمرار تسهيلاتها العسكرية فى الظهران وفى جده وربما فى «جزيرة خرج» أيضا، ويتضح أنها فى سبيل ذلك شكلت علاقاتها مع السعودية باهتمام خاص، فقد أمدتها بالتسليح والتدريب، واختلفت بشدة مع بريطانيا لاستخدامها القوة فى النزاع العمانى المسقطى باستخدام قواتها مع قوات السلطان ضد ثوار عمان، وهى مسائل كانت لها حساسيتها من حيث اتصالها بمشكلة «البوريمى» غير المستقر على حل لها، كما لم تتشدد مع السعودية بشأن اتفاقات أجرتها بمعزل عن الأمريكيين،

(1) 85 th Congress, Ist Session, Jan. 5, 1957, p. 199, also, Department of State, Op. Cit, p. 118, also, Day., Allen J., Op. Cit, pp. 312 - 322, and, Kupchan., OP. Cit,p.17.

وعالجت الغضب السعودى بلباقة إزاء سماح الأمريكيين بتقوية العراق عسكريا ولاشراكها فى تحالفات المنطقة، كما أن الأمريكيين عملوا على تنقية أجواء العلاقات بين السعودية وإيران[1].

فيما يتعلق بتسليح القوات السعودية وتدريبها، يتضح أن الولايات المتحدة كانت قدمت منحا تدريبيه داخل المملكة منذ سنة ١٩٤٣ وذلك للعسكريين ممن كان لديهم الاستعداد لتلقى ذلك التدريب، كما كان يجرى التدريب لبعض أفراد قوات الجو السعودية فى إطار التدريبات التى كانت تجرى فى قاعدة الظهران للعسكريين الأمريكيين، كم تمت الموافقة على بيع السلاح للجانب السعودى منذ سنة ١٩٥١ وذلك طبقا لاتفاق الأمن المتبادل، والذى قدم من جانب آخر وفى المقابل تسهيلات للولايات المتحدة فى الظهران، ومناطق أخرى، لأهداف متنوعة، وكذلك استمرار الاستثمار، وقد استمرت تلك السياسة بين الجانبين حتى الآن[2].

الخلاصة أنه وفيما يتعلق بسياسة عمودا الارتكاز والتى قررتها الولايات المتحدة إزاء منطقة الخليج، وتتويجا لها، وطبقا لمبدأ «غوام» يتضح أن الولايات المتحدة قد ركزت أكثر على استخدام القوة العسكرية الإيرانية لتطبيق تلك السياسة، هذا مع الاعتماد على السعودية من حيث ثقل وضعها الدينى للإسهام فى نفس الاتجاه، من ثم فقد كان حجم مبيعات السلاح لإيران خلال السنوات السنوات الستة الأخيرة منذ إعلان بريطانيا انسحابها من منطقة الخليج يفوق ثلاثة

---

(1) F.O., .371 / 104194, 147, 1051, 14. 53, British Embassy in Jedda to F.O., Nov. 11, 1953, see also, Day., Allen J., OP. Cit, p. 348.

(2) F.R.U.S., Vol IX, NO. 1432, Memorandum by Robert Sturgill of the Office of Near Eastern Affairs, Jan. 21, 1952, p. 2409, also, no. 1435, March 19, 1952, Foster to Dulles, p. 2412, also, No. 1436 Dulles to Foster, Apr. 16, 1952, pp. 2413 - 2415, also, Zinner., paul, Editor, Documents On American Foreign Policy, No, 90, Feb. 8, 1957, U.S.A., 1958 and also, Stebbins., Richard P., Documents on U.S.Foreign Relations, No. 44, Statement of Johnson and Fisal, June 22, 1966, p. 147, See also.

جمال زكريا، مرجع سابق، ص ٢١.

أمثال حجم المبيعات للمملكة السعودية، ومتفوقا على ما بيع للعراق، وبالفعل مارست إيران ذلك الدور منذ خروج بريطانيا من المنطقة وحتى انهيار حكم الشاه سنة ١٩٧٨[(١)].

أهم ما يعنينا مما عرض حول العلاقات الأمريكية - الإيرانية السعودية، هو أساليب ونتائج تنفيذ السياسة الأمريكية نحو منطقة الخليج لتأتى متمشية مع سياستها الخارجية العالمية، وقد تبين أن تحقيق ذلك الدور قد استدعى تطبيق سياسة عمود الارتكاز، وهووضع أعد له منذ سنة ١٩٤٧، وهو ما أوضح أن الولايات المتحدة توقعت وأعدت لخروج بريطانيا من تلك المنطقة منذ ذلك التاريخ، وذلك من واقع تجهيز البديل، وفى سبيل ذلك وعلى نحو ما تبين، وفى انتظار لمقدرات تدهور المكانة البريطانية، وبالعمل أيضا على ذلك التدهور، حسنت علاقاتها بالسعودية، وبإيران؛ لأنهما هامتين لتحقيق أهدافها، ساعدها ذلك على اكتساب تسهيلات عسكرية لتحقيق سياستها بذاتها وبواسطة وكلائها، بل إنها وفى ارتباط مع كل ذلك ولأحداث التأثير المتبادل استغلت الأوضاع، وكما تبين، فى ألمانيا الغربية بحيث تمكن لسياستها فى ظل إضعاف السياسة البريطانية متداعية مقومات النجاح فى المنطقة، بل ولتغير بريطانيا من تلك السياسة هناك.

لم تقتصر أساليب الولايات المتحدة فى تحقيق سياستها فى منطقة الخليج على اكتساب تسهيلات عسكرية أو تطبيق مبدأ الوكيل هناك، وإنما قدمت أحسن النتائج بأفضل الشروط مقارنة بما كان يقدمه الإنجليز فى عملية استثمار البترول من حيث قيمة العائد لخزائن إمارات الخليج، وهى بذلك استطاعت أن تكتسب صداقة وتقدير العرب الخليجيين لما يخدم اهتماماتها، خدم ذلك من جانب آخر وفى دعم

---

(١) عصام الدليمى، مرجع سابق، ص ٥٧ - ٦٠، انظر أيضا.

Department of State , U.S. Treaties and Other International Agreements, p. 7319, U.S.A. 1981, also, Department of State, Op. Cit, pp. 143 & 183, See also Marketing International Inc., U.S. treaties, U.S.A, 1985, See also, Kubchan., Op, Cit, p. 27.

مبدأ «غوام» أو مبدء» نيكسون» أعلن فى جزيرة غوام سنة ١٩٦٩ من حيث إلغاء مبدأ استخدام القوة المباشرة لتحقيق أمن منطقة الخليج ليحل محله الاعتماد على أصدقاء فى المنطقة ليقوموا بذلك الدور.

للاتجاه الأول العمل على إضعاف مقومات القدرة البريطانية على التوسع فيما وراء البحار.

كما قامت ببيع السلاح باضطراد متزايد منذ سنة ١٩٦٠ لكل من مسقط والكويت وقطر والبحرين وإمارات الساحل المهادن، فى محاولة منها لاكتساب ولائهم العسكرى لها حينئذ، من واقع ضرورة الاستخدام، وقد حققت بذلك فى نفس الوقت قوة ما بدرجة أو بأخرى إضافية لقوى عمود الارتكاز، قد تسهم فى تحقيق أمن المنطقة(١).

ثالثا: السياسة الخارجية الأمريكية والشرق الأقصى:

كانت الولايات المتحدة قد قررت دخول الحرب الثانية لأسباب عديدة، منها أنها لم تكن ترغب أن تقع فى بين طرفى كماشة طاحنة لها من ألمانيا واليابان، ومع أنها دعمت دول شرق آسيا فلم تكن تصرفات الصين مرضية لتوقعاتها وهو ما دفعها إلى دعم القوى الوطنية بكل الطرق لموازنة ذلك الخلل خاصة بعد تحجيم دور اليابان كلية، ومن ثم كان أمرا ضروريا اتباع سياسة جديدة تجاه الشرق الأقصى وخاصة بعدما أصبح الاتحاد السوفيتى حليف الأمس يحاول أن يسيطر على تلك المناطق ويمد نفوذه إليها.

صحيح أن الولايات المتحدة استطاعت أن تحول أعداء الأمس الآسيويين الكبار إلى أصدقاء، وصحيح أنها استمرت فى تقديم المساعدات الاقتصادية وفقا لنفس أسلوب المساعدات، فترى أنها ما بين سنة ١٩٤٦ إلى سنة ١٩٦٥ قدمت مساعدات فى صورة منح وقروض؛ غير أنها فى تلك المنطقة لم تكن تعمل وفقًا لسياسة الحصر والاحتواء بقدر ما كانت توجهها لدول بعينها لتحقق نوعًا من توازن القوى بدولة كبرى من دول المنطقة تجاه دولة نظيرتها هناك، انظر جدول رقم (١).

(1) Kupchan A., Op. Cit,p. 27.

جدول رقم (١) يوضح المنح والقـروض الخارجية للولايات المتـحدة لبعض دول الشرق الأقصى بالمليون دولار[١]. .

البلد	١٩٤٦ - ١٩٥٥	١٩٥٦ - ١٩٦٥
كمبوديا	٢٨	٣٢٧
الصين	—	—
تايوان	١٢٦٧	٢٦٨١
أندونيسيا	٢٤٦	٥٠١
اليابان وجزر ريكيو	٣٢٦٧	١٣١٨
كوريا الجنوبية	١٤٢٠	٤٧٤٤
لاوس	٣٧	٦٤٧
فيتنام	٢٤٤	٣٥٦٦

لكن يتضح من الجدول السابق أن حسابات الولايات المتحدة فيما رتبته نتائج أهداف سياسـة المساعدات هناك، كانت حسـابات خاطئة، من حيث عـدم فاعلية المساعدات المقدمة لتايوان مثلا، باعـتبار أن الولايات المتحدة كانت تهدف من وراء ذلك إلى دعم الجـبهـة الوطنية الصـينية لإمكانيـة الحد من التـوسع الشيـوعى فى الصين، كمـا أنه وفيما يبـدو لم تكن المساعدات كافيـة ومنتظمة مما أدى إلى تلك

(1) U.S. Bureau Of The Census, Statistical Abstract of The United States, 1975, 115 the Edn, P.811, U.S.A. 1995, See al 50.,

تهانى محمد شوقى عبد الرحمن، السياسة الأمريكية الجديدة تجاه الصـين، وتطورها منذ نهاية الحرب الثانية حتى زيارة نيكسون ١٩٧٢ ص ٢٩ القاهرة ١٩٩٧.

التحولات المضادة فى موقف الصين، لكنه وما يمكن قوله فانه عادة ما تبدد به الصراعات الأهلية تأثير المساعدات الاقتصادية والعسكرية، وهو مابدا بعد ذلك واضحًا فى فيتنام.

من ثم وحينئذ وبعد الحرب الثانية ومع تولى الحزب الجمهورى الحكم، جاءت الاتهامات متتالية من جانب الجمهوريين تندد بأخطاء السياسة الخارجية، والتى أدت إلى عدم التوفيق فى «يالتا» من وجهة نظرهم، كما نددوا بالسياسة التى أدت إلى فقد ولاء الصين على عهد ترومان، ثم والتورط فى حرب لم يكن ممكنا كسبها فى كوريا، ومع نجاحات السوفيت المتتالية، من وجهة نظر الجمهوريين أيضا، كان لابد من تغيير تلك السياسة، وهو أمر تعهد الجمهوريين بالتدقيق والنظر فيه.

وقد عين الرئيس إيزنهاور وزيرا للخارجية هو «جون فوستردالاس» والذى كان محاميا دوليا، وكانت له رؤيته الخاصة النابعة من نشأته الدينية المتزمتة، والتى طبعت بصمات واضحة على السياسة الخارجية للولايات المتحدة طوال فترة توليه منذ سنة ١٩٥٣ وحتى وفاته سنة ١٩٥٩.

دلاس وسياسة «حافة الهاوية»:

كان دلاس يعتقد أن سياسة الاحتواء ما هى إلا محاولة لا طائل منها فى التعايش مع الخطر الشيوعى، بدلا من محاولة القضاء عليه، ولقد وضع آرائه تلك فى مؤلفه «الحرب والسلام» موضحا أنه حان الوقت الذى يجب الأخذ فيه بزمام المبادرة بالهجوم فى الصراع الدولى من أجل الحرية ومقاومة مد الاستبداد الزاحف، وفى البرنامج الانتخابى للحزب الجمهورى عام ١٩٥٢، قام دالاس بالهجوم على «سياسة الاحتواء العقيمة واللاأخلاقية»، ورفض ذلك البرنامج الانتخابى كل الالتزامات التى تتضمنها مذاكرات التفاهم السرية مثل «يالتا» والتى تدعم العبودية للشيوعية، لقد كانت هناك قناعة حتى بين عديد من أعضاء حزب المحافظين بأن روزفلت قد أبرم اتفاقات سرية مع ستالين فى يالتا سنة ١٩٤٥ والتى رأوا أنها عاونت فى استبعاد بولندا وأوربا الشرقية.

كان دالاس يرى أن قبول سياسة الاحتواء على مضض إنما كان أمرا من شأنه أن يجر إلى حرب عالمية مدمرة بدلا من تحقيق الاستقرار والسلام والحرية.

على العموم أخذت السياسة الخارجية الأمريكية شكلا جديدا منذ سنة ١٩٥٣، وهى سياسة حافة الهاوية، ومن ثم وبعدئذ أخذ دالاس يعمل على توبيخ السوفيت فى كل مناسبة، ولم يحجم عن المواجهة المكشوفة مع القوى الشيوعية، والصين بصفة خاصة، وقد اتضح أنه وحتى سنة ١٩٥٦ نجحت سياسة حافة الهاوية، أى التهديد باستخدام القوة العسكرية، فى ثلاث حالات محددة، أدت إلى انسحاب الشيوعيين الصينيين عن مهام مزمعة أو مخططة»[١].

كانت تلك السياسة تعنى بضرورة المخاطرة من أجل السلام، وذلك بالقدرة على الوقوف على الحافة دون الدخول فى حرب، ولقد مدح البعض سياسة دلاس، ووصفها البعض الآخر بأنها سياسة طائشة، وعلى العموم احتاجت تلك السياسة إلى دعائم متمثلة فى التركيز على وتكثيف وتطوير الأسلحة النووية، وسميت الأخيرة تلك بسياسة «الرد الشامل»[٢].

ونموذجا لاستخدام الحزم والمفاوضات فى آن واحد، مارس دالاس سياسة حافة الهاوية، والرد الشامل، فطبقتها فى عهد حكومة إيزنهاور على عدد من الأزمات جرت على المسرح الآسيوى فى شرق وجنوب شرق آسيا خاصة، فى كوريا تلك الأزمة المستمرة، وفى الصين، وفى فيتنام.

أولا. كوريا:

تعهد إيزنهاور خلال حملته الانتخابية بالذهاب إلى كوريا لوضع «حد مبكر ومشرف» للحرب. وبعد انتخابه بوقت قصير وقبل أن يصبح رئيسا، سافر إلى كوريا واجتمع بالقادة الأمريكيين وبحث معهم الإستراتيجيات المختلفة، استقر

---

(1) F.R.U.S., Vol XXIV 1955 - 1957, N.S.C., No 5502, Editorial Note PP. 1 - 19.

(2) F.R.U.S., Vol XX 1955 - 1957 Regulation of Armament, Atomic Energy, pp, 1 - 7.

إيزنهاور ودالاس على سياسة «السلام وإلا» أو «حافة الهاوية» وفى بداية عام ١٩٥٣ أصدر أوامره بتشديد الهجمات الجوية على كوريا الشمالية. وفى الوقت ذاته ألمحوا سراً لقادة الصين بأنه ما لم يحدث تقدم سريع نحو هدنه، فقد تقوم الولايات المتحدة بإرسال قاذفاتها عبر الحدود الصينية.

وفى شهر يونيو ١٩٥٣ وافقت الأطراف المتحاربة على عقد هدنة. وبعد ثلاث سنوات من الحرب ومصرع حوالى مليون جندى، بما فى ذلك مصرع ٣٣ ألف جندى أمريكى و٣٠٠ ألف من المدنيين الكوريين. انتهى القتال دون استطاعة أى طرف أن يزعم الانتصار. وظلت كوريا مقسمة عند خط عرض ٣٨°.

ومع استمرار محادثات السلام لم يتم التوصل بعد إلى معاهدة سلام دائمة، وظلت الجيوش المعادية تواجه بعضها البعض عبر المنطقة المنزوعة السلاح، واحتفظت الولايات المتحدة باربعين ألف جندى فى كوريا الجنوبية. وفى نهاية الثمانينات كانت هذه القوات موجودة هناك.

وهكذا قدمت السياسة التى وضعها إيزنهاور ودالاس نموذجا يحتذى به فى السنوات التى أعقبت ذلك: أى استخدام الحزم والمفاوضات فى آن واحد.

ثانيا ـ الصين:

اهتم كثير من الجمهوريون المحافظين فى حكومة ترومان بتجاهل آسيا بينما أغدقوا المساعدات على أوربا. وشككوا فى قيمة تحالف شمال الأطلنطى فى حين أعلنوا الحداد على فقدان الصين لصالح الشيوعيين وعقد الجمهوريون المحافظون الأمل على قوات الصين الوطنية بقيادة «شيانج كاى شيك» فى غزو أراضى الصين فقد احتفظ الوطنيون بجيش كبير فى تايون تدعمه المساعدات الأمريكية. وفى بداية الحرب الكورية وضعت الولايات المتحدة أسطولها السابع بين تايوان والصين، وكان وجود الاسطول هناك لحماية الوطنيين من ناحية، ولمنع شيانج من غزو الصين وبذلك يفجر حربا أوسع.

كان المؤيدون لشيامج برغبون فى سحب الأسطول السابع. وكانوا على ثقة بقدرته على طرد الشيوعيين. وعلى الأقل كانوا يرون أن باستطاعته أن يوقف

القوات الصينية فى أماكنها بحيث لايستطيعون إثارة المتاعب فى كوريا أو أى مكان آخر. وطالب مؤيدوه رغماء الولايات المتحدة «أطلاق يد» شيانج.

وفى أوائل عام ١٩٥٣ أصدر إيزنهاور أوامره إلى الأسطول السابع بعدم التدخل فى أية عمليات يقوم بها الوطنيون ضد الصين وفاء بالعهد الذى التزم به فى الحملة الانتخابية. ولم يكن شيانج بالقوة التى تصورها مؤيدوه فقد كان يقوم بشن هجمات محدودة على أطراف الصين.

وفى أواخر عامى ١٩٤٥ - ١٩٥٥ نشبت أزمة كبرى عندما قامت القوات الصينية الشيوعية بقذف الجزر الصغيرة فى مضيق فورموزا التى كان يستولى عليها الوطنيون والتى تقع بين تايوان وأراضى الصين. وتعرضت للقذف بصفة أساسية جزيرتى كيموى وماتو، وردا على ذلك أبرمت الولايات المتحدة مع الوطنيين بقيادة شيانج معاهدة للدفاع المشترك، غير أن الولايات المتحدة أصرت على «تقييد» حرية شيانج بأن أعطت لنفسها حق الفيتو على الهجمات التى يشنها الوطنيون على الصين. وفى بداية عام ١٩٥٥ أصدر الكونجرس «قرار فرموزا» وهو يخول للرئيس سلطة استخدام القوات المسلحة الأمريكية «حسبما يرى» للدفاع عن الصينيين الوطنيين؛ فتوقف القصف الجوى وانتهت الأزمة.

لكن على العموم استمر موقف الولايات المتحدة الأمريكية رافضا الاعتراف بأكبر دولة آسيوية وهى الصين الشعبية.

ثالثا - فيتنام:

وتحول انتباه الولايات المتحدة إلى جزء آخر من آسيا - أى منطقة الهند الصنينة الخاضعة لفرنسا وشملت الهند الصينية ثلاث أجزاء هى: فيتنام - لاوس - كمبوديا، وخلال الحرب العالمية الثانية احتل اليابانيون المنطقة. وفى عام ١٩٤٥ وقبل استعادة الفرنسيين للمنطقة أصدرت مجموعة فيتامية وطنية تعرف باسم «ڤيت منة» إعلانًا بالاستقلال ورفض الفرنسيون الاعتراف بذلك، وأرسل الزعماء الفرنسيون زعماء لقمع «ڤيت منة» ولم يكن الأمر سهلا، فقد صمد الفتياميون على الرغم من فقر تسلحيهم. وفى عام ١٩٤٥ حاصروا الجسم الرئيسى للقوات الفرنسية فى قلعة «دين بيان فو».

عارضت الولايات المتحدة الأمريكية فى نهاية الحرب العالمية الثانية الحكم الاستعمارى الفرنسى فى آسيا ولكن هذا الموقف تغير كان هوشى منه زعيم الغيت منه شيوعيا صريحا. ونظر القادة الأمريكيون إلى الحرب فى فيتنام على أنها جزء من الهجوم الشيوعى العالمى. وفى عام ١٩٥٠ بدأوا فى إرسال المساعدات العسكرية إلى الفرنسيين. وبحلول عام ١٩٥٤ كانت الولايات المتحدة تحول ٧٨٪ من المجهود الحربى إلى ڤيتنام.

فماذا يحدث لو أن ڤيتنام مثل الصين وقعت فى قبضة الشيوعيين وذكر إيزنهاور فى مؤتمر صحفى عام ١٩٥٤ أن الآثار التى يمكن أن تترتب على ذلك سوف تكون بعيدة المدى. فقد كانت ڤيتنام صفًا من صفوف لعبة الدومينو. فإذا ما سقط تبعه الصف التالى ثم التالى.. وقد سميت هذه العملية «بنظرية الدومينو» وطبقا لهذا النظرية سوف تتحول آسيا إلى الشيوعية إذا ما سقطت قطعة واحدة من قطع الدومينو.

وأعدت الولايات المتحدة عدة خطط لانقاذ «ديان بيان فو» وتضمنت هذه الخطط استخدام القوات البحرية الأمريكية أو حتى الأسلحة النووية. غير أن زعماء الكونجرس ترددوا فى التدخل الأمريكى. وطلب دالاس مساعدة بريطانيا أعتقادا من أن الكونجرس قد يغير من رأية إذا ما تدخلت الولايات المتحدة وبريطانيا بصورة مشتركة. ولكن الزعماء البريطانيون لم يؤمنوا بنظرية الدومينو. لكنهم كانوا يؤمنوا أن الحرب ضد الفرنسيين ما هى إلا إنتفاضة وطنية فيتنامية شيوعية ورفضوا التدخل. ولم تتدخل الولايات المتحدة بصورة مباشرة.

سقطت ديان بيان فو فى ٧ مايو ١٩٥٤ فى أيدى الفيت منه. وفى مؤتمر دولى عقد بمدينة جنيف بسويسرا بعد ذلك بوقت قصير وافقت فرنسا على استقلال فيتنام وكمبوديا ولاوس وتم الاتفاق على تقسيم فيتنام إلى شطرين. وتخضع شمال فيتنام لسلطة الڤيت منه فى حين يتولى حكم فيتنام الجنوبية حاكم مناهض للشيوعية يرأسها «نيجودين ديم» تدعمها فرنسا. ونصت إتفاقية جنيف على إجراء انتخابات حرة فى عام ١٩٥٦ لتوحيد شطرى فيتنام تمهيدا لاستقلالها.

وقبل انتهاء عام ١٩٥٤أقامت الولايات المتـحدة منظمة معاهدة جنوب شرق آسيا (سياتو)، وهو تحالف مناهض للشيوعـية. وضمت المعاهدة أستراليا. بريطانيا العظمى، وفـرنسا، نيـوزيلاندا، باكسـتان، الفلبـين، تايلاند والولايات المتـحدة الأمريكية وقد أعفت الولايات المتحـدة فرنسا فى الوقت ذاته من دورها فى حماية وإمداد القـوات المناهضة للشيـوعية فى فـيتنام. وفى عام ١٩٥٦ رفـضت حكومة فيتنام الجنوبية عـقد إجراء انتخابات لتوحيد شطرى البلاد، إدراكـا منها لضعف ما تتمتع به من تأييـد، وسرعان ما انطلقت شرارة حرب العصـابات ضد حكومة ديم فى فيتنام الجنوبية. وساعد المستـشارون الأمريكيون فى تدريب جنود فيتنام الجنوبية ولكن الولايات المتحدة لم ترسل قوات محاربة.

ذكرت تـقارير المخـابرات الأمريكيـة فى عام ١٩٥٩ أن تأييـد الفيـتناميـين الشماليين لرجال العصابات فى ازدياد مستمر. وفى ٨ يوليو سنة ١٩٥٩ ألقى أحد رجال العـصابات قنـبلة على قاعـدة عسكرية فى فـيتنام الجنوبيـة لقى على أثرها جنديان أمريكيان مصرعيهما، وكانا أول ضحـيتين أمريكتيين فيما أصبح بعد ذلك حربا كبرى ولكن الاشتراك الفعلى للقوات الأمريكية فى تلك الحرب كان محدودا طوال عهد إيزنهاور.

لكن فى عهد كنيدى والذى كان يهتم اهتماما شديدا بسياسة الدولة الخارجية يتضح أن برامج المسـاعدات «النقطة الرابعة» ربما تكن قـد أسهمت كثيـرا فى إنقاذ دول عديدة من المجـاعة فى الهند مـثلا، أو عـملت على تنميـة اقتـصاديات دول أمريكا اللاتينية فى برنامج التحـالف من أجل التقدم، لكن تلك المساعدات من أى نوع لم يكن لها قيمة كبيرة خاصة فى الدول التى تهددها الحرب الأهلية.

ومن ثم فلم تكن المساعدات المقـدمة لفيتنام الجنوبية ذات أثر فـعال فى انهاء ذلك الصراع المخلـى، بل أن غارات قوات الفـيتامـين ازدادت فى رغبـة للإطاحة بحكومة «نجـودين ديم» وإزداد أيضا طلب ديم على تلك المسـاعدات من الولايات المتحدة، كانت معرفة الأمريكيـين بتلك المنطقة محدودة، كما حذر ديجول الرئيس الفرنسى الرئيس الأمريكى من السقوط فى ذلك المستنقع السياسى والعسكرى، غير أن كنيدى أصر على متابعـة سياسته وسياسة سابقيه من حـيث الاعتماد على القوة

والحزم فى استخـدامها لكن فيما عرف «بالرد المدى» أى اسـتخدام بدائل عسكرية غير نووية فى حالة الحرب بعكس إدارة إيزنهاور والتى كانت تتبنى استراتيجية الرد الشامل بالتـركيز على القـوة النووية، فكان كنيدى قد تلقى كـثير من النقـد بشأن عملية خليج الخنازير وأزمـة برلين، ثم ضياع الصين فيمـا سبق، ومن ثم شعر أن عليه أن يكون حازمًا فى فيتنام.

وافق كنيدى على تقـديم ملايين الدولارات الإضافيـة إلى «ديم» فى صورة مسـاعدات عـسكرية ثم ارسل حجـما لا بأس به من القـوات العسكرية الخـاصة الأمريكية إلى هناك، ووصل عـدد المستشارين العسكـريين فى فيتنام من (١٠٠٠) سنة ١٩٦١ إلى (١٦٧٠٠) سنة ١٩٦٣ لكن استـمر التصعيـد فى عدد القوات فى عهد الرئيس الأمـريكى المهم أن حجم الإنفاق على العمليات العـسكرية فى فيتنام بلغ حوالى ٨,٥مليار دولار دون نتـيجة مرجوة للأمريكيين إلا من خـسائر فادحة مالية ونفسية(١).

السياسة الإمريكية واليابان

مع ذلك التحـول المفاجئ فى موقف الصـين بمفاجاة الزعيم الصـينى «ماو» للعالم بعقد مـعاهدتين قريبتين للتحالف مع الاتحاد السـوفيتى أواخر سنة ١٩٤٨، ومع إعلان الـدولة الشيوعـية فى الصـين، ومع تغيـر طبيـعة العـلاقات الصيـنية الأمريكية بعد ذلك إلى التبـاعد بين الدولتين، وأثر الحرب الكورية وتدخل الصين إلى جانب كوريا الشمـالية، بدأت الولايات المتحدة فى إعادة حسـاباتها، وخاصة باعتبارها اليابان دولة حليفة فى المنطقة دونما داعى لاسـتمرار سياسة القهر ضدها، كحليف له وزنه هناك وفى مواجهة الصين.

من ثم وُقعت مـعاهدة صلح بين بريطانيـا وفرنسا والولايات المتـحدة، بين اليـابان وذلك فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٥١، وقد وافـقوا على سـحب قواتهم منـها والاعتراف بسياسـيتها على جزرها الأربع الرئيسيـة، وتخلت اليابان عن أية حقوق

(1) Furen., Howord B. Op. Cik., P. 111 See also, U.S. Bureau Of the Census, Op,Cit, p. 811.

فى كوريا، ثم فى ٨ سيتمبر ١٩٥١ تم توقيع الحلف الأمنى بين واشنطن وطوكيو، وقد سمح ذلك التحالف بالاحتفاظ بقوات عسكرية أمريكية فى الأرض اليابانية، وذلك لصد أى هجوم يقع عليها، كما نصت الاتفاقية علاوة على ذلك أن من مهام القوات الأمريكية فى اليابان حفظ الأمن فى الشرق الأقصى.

هاجم الاتحاد السوفيتى تلك الاتفاقية، كما أن الوجود الأمريكى بذلك التعاقد شكل من وجه نظر الصين خطرا على أمنها، لاتاحتها الفرصة للولايات المتحدة الاستيلاء على كوريا الشمالية التى تنازلت اليابان عنها وعلى أراضى صينية فى تايوان، وأصبح ذلك محورا جديدا بعد الحرب الثانية للصراع البارد بين الصين الشعبية والولايات المتحدة الأمريكية وهو أمن الصين.

من جانب أخر بدأت الولايات المتحدة ومنذ اتجاهها إلى تلك السياسة مع اليابان بعد اضطراب علاقاتها بالصين، إلى دعمها والنهوض بها اقتصاديا، فقد قدمت لها منحا وقروضا ما بين ٤٦ - ١٩٥٥ حوالى ٤ مليار دولار، وهو أمر ارتقع باليابان إلى مستوى اقتصاد الدولة العظمى وخاصة مع استمرار الدعم، ومع تطوير اليابان لعلاقاتها الاقتصادية.

تحول الوضع بعدئذ ومع سعى الاتحاد السوفيتى لاستقطاب اليابان، ومع إدراك اليابان لوضع الصين السياسى كورقة رابحة فى ميزان العلاقات اليابانية السوفيتية لصالح اليابان، ومع اتجاه السياسة اليابانية عموما للتقارب مع الدول الأسيوية المرتبطة بها حضاريا كالصين وكوريا وفيتنام، ذلك الوضع الجديد كان عاقلا أنهم إلى حد كبير فى تطويراليابان بمعدلات اقتصادية واسعة الخطوات إلى حد بعيد.

ومن منطقة تلك الإستراتيجية الجديدة وصل حجم التجارة الخارجية بين البلدين من ٥٩ مليون دولار سنة ١٩٥٠ إلى ٦٢٤ مليون دولار سنة ١٩٦٦، وذلك رغم أنه لم تكن قد أقيمت علاقات دبلوماسية أو تجارية رسمية بين البلدين[١].

(1) F.R.U.S. Vol XXII. Op. Cit., PP. yF.

بل وبدأت اليابان فى تأسيس دوراً فاعلا لهـا فى السياسات الدولية يتناسب مع قوتها الصناعيـة والاقتصادية، والتى شكلتها بذكاء شديد فـترة الأذعان اليابانى للوصاية الاقتصادية الأمريكية على اليابان، وذلك فى ظل استراتيجية «سانجير وايو شيدا» وزير خارجيتها.

استمرار الحرب الباردة:

وعلى صعيد الانفراج والتحدى، الحرب الباردة، بين السوفيت والأمريكيين فى عهد إدارة كنيـدى، كان لابد من مواجهة الرئيس الأمريـكى للمشكلة الكوبية التى لم تحل، وكـانت كـوبا قـريبـة جدا من أراضى الـولايات المتحـدة، وكـان للأمريكيين اسـتثمارات عديدة بها، حـتى قاد أحد الثوار الكوبيين المحـامى «فيدل كاسترو» تمردا فى النظام الحاك الدكتاتورى هناك ونجح واستولى على الحكم، وغير كاستروا سياسـة الود الكوبية تجاه المستثمرين الأمريكيين ورفض كـاسترو تعويضهم عن ممتلكاتهم واسـتثمـاراتهم فى كوبا، وطبق الرئيس الأمـريكى إيزنهاور جـميع العقوبات الاقتصادية فى هذه الحالة على كوبا، ولجأ كاسترو إلى الاتحاد السوفيتى.

لكن الخط غـيرالثابت الذى سـار عليه عليـه كاسترو من حيث مـحاكـمة الغوضاء لرجال الحكومة والحكم، ثم بعد ذلك امتناعه عن إجراءات انتخابات وعد بها لاقرار نظام شرعى لحكم البلاد، وكثـرة اللاجئين الكوبيين للأراضى الأمريكية وهو الأمر الذى دفع الأمريكيين إلى التفكير فى ضرورة خلعه باعتباره إما أن يكون شيوعيا أو أدارة للشـيوعيةفى المنطقة، وكلاهما أمر خطر، وقد حـدد ميعاداً لغزو كوبا وخلع كاستـرو عام ١٩٦١، وكان إيزنهاور وقبل انتهاء مـدة رئاسة قد أصدر تعليماته لوكالة المخابرات المركزية فى مارس ١٩٦٠ بتدريب اللاجئين الكوبيين فى فلوريدا للإطاحة بحكومة كاسترو.

ويتولى كـيندى رفض مستشـاروه خاصة «وليام جى فـوليرايت» رئيس لجنة العـلاقات الخارجـية بمجلـس الشيـوخ رفض فكرة الدعم المستـور أو العلنى لخطة تهدف للإطاحـة ببلد آخر، وكانت التقـارير توضح فى ذات الوقت أن الخطة التى وضعتها الوكالة (C.I.A) - أصبحت ملحة، واختار كيندى حلا وسطا فقد قرر إلا يقوم بعـمل عسكرى، كـما أنه لن يحـجم عن الإطاحة بكسـترو، ومن ثم دعم

وجهز اللاجئين الكوبيين وكانوا (١٤٠٠ فرد) وأنزلوا على الشاطئ الجنوبى لكوبا والمعروف بخليج الخنازير فى ١٧ أبريل ١٩٦١ وفى نفس الوقت لم يصدق كيندى على ضربة جوية كان مقررا أن تصاحب الانزال الكوبى الفدائى.

فشلت تلك العملية حيث أجهضتها القوات الكوبية منذ بدايتها، وقتل خمسائه فدائى وأُسر الباقى وهكذا فشلت عملية خليج الخنازير كلية.

(٢) مرة ثانية أزمة برلين:

وحتى تولى كيندى لم يكن قد تم التوصل إلى تسوية دائمة مع ألمانيا، وكانت برلين عاصمة ألمانيا السابقة لاتزال مقسمة، كما سبق ذكره، وأصبحت قطاعات الغرب الثلاثة ذات تطور سياسى واقتصادى واضح عن تلك الواقعة تحت السيطرة السوفيتية، وبحلول عام ١٩٦١ رصد ما يقرب من أربعة ألاف شخص يعبرون أسبوعيا من الألمان الثوريون إلى برلين الغربية.

كان خروشوف قد طالب بتعديل تلك القطاعات الأربعة لتصبح برلين «مدينة دولية» دون سيطرة الحلفاء أو التمتع بحمايتهم وهدد خروشوف أنه حالة عدم موافقتهم سيوقع معاهدة سلام منفصلة مع ألمانيا الشرقية.

فى ذلك الوقت بالذات اجتمع كيندى ورئيس الوزراء السوفيتى خروشوف فى النمسا فى يوليو ١٩٦١ لحل تلك المسألة، وبحث مستقبل ألمانيا، وتأزمت الأوضاع بين الطرفين فقد أصر خروشوف على رأية المبين أعلاه، فطالب كنيدى باعتماد أكبر لميزانية الدفاع، وواصل اللاجئون هربهم من الشرق إلى الغرب، ففى يوليو ١٩٦١ دخل منهم (٣٠ ألف) لاجئى إلى برلين الغربية، وتوالت عمليات هربهم، من ثم بدء الألمان الشرقيون فى بناء حائط طوله (٢٥ ميل) من الأسمنت المسلح فاصلا بين برلين الشرقية وبرلين الغربية.

ولم تتحرك الولايات المتحدة ازاء ذلك التصرف، فلم تكن مستعدة لذلك الطارئ، وانتهت أزمة ألمانيا بمجرد بناء ذلك السور، ووقع الاتحاد السوفيتى فيما بعد معاهدة سلام مع ألمانيا الشرقية، ولم يُقبل الرئيس الأمريكى على أى إجراء من شأنه أن يؤدى إلى الحرب.

٣- أزمة صواريخ أكتوبر (الأزمة الكوبية):

بينما الولايات المتحدة منشغلة بذلك الموقف الناشئ فى فيتنام وفى خضم ذلك المستنقع وغوصها، فيه، ازداد التقارب الكوبى السوفيتى، فطوال صيف سنة ١٩٦٢ واصل أسطول من مراكب الشحن السوفيتية الاقتراب من جزيرة كوبا التى تبعد عن شواطئ أمريكا بتسعين ميلا، وعندما تسائل المسئولون الأمريكيون عن السبب فى تزايد عدد هذه المراكب أكدت لهم السفارة السوفيتية فى واشنطن أنه أمر عادى.

إن ما حدث فى كوبا هذا الصيف أبعد ما يكون عن كونه أمرًا عاديًا وعلى مدى شهور كان كاسترو رئيس الوزراء يضع الجزيرة فى قبضة السوفيت المتزايدة واتفق مع رئيس الوزراء خروشوف على خطة لإقامة نوعين من قواعد الصواريخ النووية على الجزيرة وكانت مراكب الشحن تحمل أجزاء من قواعد الصواريخ والأطقم السوفيتية التى تنوى تركيبها، كان ذلك أمر على جانب كبير من الأهمية فتلك الصواريخ متوسطة المدى يمكنها أن تؤثر تماما على المدن الأمريكية امتدادًا أمن واشنطن العاصمة إلى هيوستون بولاية تكساس ثم الى مونتانا البعيدة، وبموجب صفقة عقدت بين الجانبين تملكت كوبا عددا كبيرا من الطائرات النفاثة تستطيع حمل أسلحة نووية، وأيضا كانت مراكب الشحن السوفيتية تحمل رؤسا نووية.

وقد تأكد وفقا لتصريح خروشوف أن هذا العمل كان موجها بالتأكيد للولايات المتحدة وبهذا الصدد يمكن القول من واقع تقارير خبراء وزارة الخارجية أن خروشوف قد وصل إلى تصور عام بأن الرئيس كيندى سوف يضعف أمام التهديدات النووى، وبذلك يمكن وصف العمل بأنه مخاطرة محسوبة قد يكون من شأنها أن تجعل الاتحاد السوفيتى قوة نووية متكافأة مع الولايات المتحدة.

تم الاحتفاظ بسرية هذه التحركات فترة قصيرة ذلك أنه فى ١٤ أكتوبر قامت طائرة من طراز «يو- ٢» باستطلاع والذى أشار إلى بناء قاعدة صواريخ نووية فى مطار بالقرب من سان كريستوبال واستمر بناء قواعد الصواريخ السوفيتية على

الجزيرة بعد ذلك، وفى نفس الوقت كانت الاجتماعات منعقدة على الجانب الأمريكى وقد استقروا على ضرورة إزالة تلك القواعد وقد رأى البعض بضرورة شن غارات جوية على قواعد الصواريخ لكن ذلك الرأى استبعد لاعتبارات عديدة.

لكن أستقر على رأى وزير الدفاع «مكنمارا» بفرض حصار بحرى حول كوبا والذى أطلق عليه اسم «حجر صحى» وعلى ذلك بدأت الاستعدادات فارسلت البحرية ١٨٠ سفينة إلى البحر الكريبى واستدعت وزارة الدفاع ٩٠ ألف من مشاه البحرية وقوات المظلات إذا ما استدعى الأمر لقيام بغزو كوبا واستمر التحرك الأمريكى فى سِّرية حتى يوم ٢٢ أكتوبر وفى نفس الوقت طلبت الولايات المتحدة عقد إجماع مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لبحث الأزمة.

وبدأ الإعلام يلعب دوره فقد أوضح كنيدى من خلال شاشات التليفزيون خطة الولايات المتحدة وأعلن أن البحرية الأمريكية سوف تغرق أية سفينة تحاول اختراق الحصار كما أعلن أن حكومته سوف تنظر إلى أى صاروخ يطلق من كوبا على أنه عدوان من الاتحاد السوفيتى على الولايات المتحدة.

لكن حكومة الاتحاد السوفيتى وبعد ذلك التصريح انكرت وضعها صواريخ فى كوبا لأغراض عسكرية وفى نفس الوقت استمرت قوافل السفن السوفيتية فى التحرك إلى كوبا وبدا أن العالم يتحرك نحو الحرب وفى نفس الوقت ناشد سكرتير عام الأمم المتحدة كل من الجانبين الأمريكى والسوفيتى بتأجيل تحركات تلك العملية من الجانبين ورفض الرئيس كيندى إلا حالة إزالة السوفيت لقواعدهم فى كوبا، واستمر الجانب الأمريكى فى تنفيذ خطة «الحجر الصحى» وبدا الصدام وشيكا حينما تصادف وجود سفينتين تجاريتين سوفيتيين قريبتين من خط الحصار ولم يعد أحد يعلم ماذا سيحدث.

لكن حدة التوتر انكسرت بتحويل ست سفن سوفيتية اتجهاها عن كوبا، وبعد ذلك قدمت حلول وسط رفضتها الولايات المتحدة ولعبت الدبلوماسية الأمريكية دورها جيدا فى مجلس الأمن حينما أظهر السفير الأمريكى صورا تؤكد تورط السوفيت فعلا فى هذه العملية.

فى هذا الوقت ادرك خروشـوف أن مخاطرته المحسوبة قد أخـفقت، وفى عصـر ٢٦ أكتـوبر تلقى «جـون سكالى» المعلق التليـفزيونى مكالمة تليـفونيـة من «ألكسندر فومى»ن أحد معارفـيه السوفيت. وكان فومين ملحق بالسفارة السـوفيتية فى واشنطن ويعتقد أنه كان من رجال الخدمة السـرية السوفيتية. ذكر أنه لديه أمرا ملحا يريد أن يفضى إلى سكالى وأنه يريد رؤيته فى الحال.

وتقابلا الرجلان بعد دقائق فى أحد مطاعم واشنطن. وتسائل فومين عما إذا كانت الولايات المـتحدة تقـبل تسوية تقـضى بإزالة مواقع الصـواريخ تحت إشراف الأمم المتـحدة. وألمح بأن مـثل هذا الاتفـاق قـد يتضـمن وعـدا من خروشـوف بالاتركب صواريخ نووية أبدا فى كوبا مقابل وعد من كينيدى بعدم غزو كوبا. ورد سكالى بأنه لا يعرف ولكنه سوف يستقى الأمر.

وأبلغ سكالى هذه الشروط لوزارة الخارجية والتى قامت بدورها بتقديمها إلى اللجنة التـفيذية وكـان رد اللجنة إيجابيـا، وتقابل سكالى مع فـومين مـرة أخرى لابلاغة وذهب فومين لإبلاغ الزعماء السوفيت.

وفى هذا المســاء أرسل خـروشوف إلى كـنيدى برقـيـة من خـلال السفـارة الأمريكية فى موسكو. واعترف خروشوف لأول مـرة بوجود صواريخ سوفيتية فى كوبا وإعـاد العرض الذى تقدم به فومـين. وقارن «خروشوف» الموقف بعـقدة فى حبل فكـلما شد الطرفـان على الحبل تعـقدت العـقدة أكـثر ولكن إذا مـا خفنت قبضتيهما قليلا أمكـن حل العقدة. وقرر البيت الأبيض الانتظار حتى الصباح للرد على البرقية.

وفى اليوم التالى إذيع خطاب أخر لخـروشوف من إذاعة موسكو. وفى هذه المرة تقدم خـروشوف بشـروط أصعب ورفض كـيندى ومسـتشاريه الـشروط التى تضـمنهـا الخطاب الثانى وقـرروا الرد على الخطاب الأول. وقـام روبرت كـيندى ومساعديه بإعـداد مشروع الرد حيث تضمن ترحيبـا «بالرغم من عدم التوصل إلى حل فورى»، وقبـولا عاما بالشروط السـوفيتية، واسـتدعى شقيق الرئيس السـفير السوفـيتى «أناتولى إف. دوبرينين» إلى وزارة العـدل وسلمه نسـخه من الخطاب. وأبلغ النائب العام السفـير بأن الولايات المتحدة تحتاج إلى الحـصول على تأكيدات

فى غضـون ٢٤ ساعة، وإلا اضطرت إلى اتخاذ عـمل عسكرى. وفى الوقت ذاته إذاع البيت الأبيض قبوله للشروط السوفيتية.

وبدأ رد خروشوف يصل فى السـاعة التاسعة من صباح الـيوم التالى. وذكر خـروشوف أنه سـيـزيل الصـواريخ ويضعـهـا فى صناديق لإعـادتها إلى الاتحـاد السوفيتى»، وطالب الولايات المتحدة بوقف تحليق الطائرات (اليو - ٢) على كوبا. وأكد رغبة بلاده فى مواصلة المحادثات حـول تحريم الأسلحة النووية وتهدئة حدة التوتر الدولى.

لقد تراجع خـروشوف علنيا وأنـهى الأزمة بدون إراقة للدمـاء تذكر. ولأن كنيدى كان يدرك مـدى صعوبة تخلى خروشـوف عن مواصلة «اللعبة» فـقد حذر المسئولين العـموميين من الادعاء بتـحقيق أى نصر وفى مـساء هذا اليوم أعلن من التليفزيون إثناء على قرار خروشوف الذى لا يصدر إلا عن رجل دولة.

واستمرارًا لسـياسة التحدى والانفراج، وفى مجال انفـراج العلاقات عملت الولايات المتحدة علـى تحقيق اتصالات مبـاشرة بين زعماء البلدين للتـشاور حول المسائل الهامة، فقد سعى كل من الجانبين الأمريكى والسوفيتى لضبط عملية سباق التسلح النووى بين القوتين، وبين القوى الأخرى، ومن ثم فـقد كثرت الاتفاقيات والمعاهدات المنظمة لذلك ما بين سنة ١٩٦٢ وحتى الآن»(١).

فأولا وإثر أزمة الصـواريخ الكوبية أبرم اتفاق عُرف باتـفاق «الخط الساخن» وذلك فى يونيـو سنة ١٩٦٣، والواقع أن هذا الاتفـاق كان الأول لهـذا النوع من الاتفاقات، والذى تلته اتفاقات ثلاثة لنفس الغرض فى سنة ١٩٧١ ، ١٩٨٤ وبعد ذلك، وقد عُـرفت مجمعـة باتفاقيات الخط السـاخن، وكان السعى لعقـد الاتفاق الأول قـد بدأ بعـد تعثـر تبـادل الرأى بين «كنيـدى» و «خروشـوف» أثناء أزمـة الصواريخ الكوبية، فبدأ تقديم ذلك المقترح فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٦٢(٢).

---

(1) Garphaff., Raymand., Detente and Confrontation,, P.16., U.S.A., 1985.
(2) Elliot., Jeffery., The Arms Control, P. 280, U.S.A., 1989.

ومع أن «بريجينيف» قد استخدم ذلك الخط لفرض أسلوب السوفيت على الأمريكيين فى فترة الحرب الباردة، إلا أن «نيكسون» و «كيسينجر» لم يحبذا تلك الطرق فى حل المشاكل بين البلدين، وإنما أجريا محادثاتهم أو مفاوضاتهم أو اتفاقاتهم مع السوفيت بالاتصال الشخصى المباشر وذلك إلى حد التوصل إلى إتفاق شفوى، ثم بعد ذلك كان يتم التفاوض بشكل رسمى معلن، وقد طُبق ذلك الأسلوب فى جزء من مفاوضات «سولت» والجزء الباقى أُدبر فى مفاوضات رسمية مُعلنة، ما بهم من ذلك كله أن أسلوب التفاهم السوفيتى الأمريكى سواء بالخط الساخن أو بالتفاوض الشخصى السرى المباشر كان يعنى أنه بدأ تفاهم الأمريكيين والسوفيت فى المسائل الهامة والحساسة للغاية دون أشراك آية قوى أخرى معهم، غربية وخاصة بريطانيا، للتعرف على مضمون تلك المفاوضات وأبعادها ونتائجها، وخاصة ما أستقر عليه من اتفاقات سرية منها.

تلى ذلك فى أغسطس سنة ١٩٦٣ أن عُقد فى موسكو «معاهدة منع الاختبارات النووية»، وقد نص على أن يشمل الحظر كل الاختبارات، عدا تلك التى تتم تحت سطح التربة، وقد وقع عليها عدد مائة وخمس دولة، ورفضت دول عديدة التوقيع، وكان أهم الرافضين الصين الشعبية وفرنسا، لكن المهم هنا هو ما يوضحه «ويرنر كالتى فليتر» أحد المشاركين الرسميين الأمريكيين فى الاتفاق، موضحا بأن الهدف من ذلك الاتفاق الذى بدأ السعى إليه من جانب السوفيت منذ سنة ١٩٥٥ وتمت الاستجابة له مؤخرا، إنما كان العمل من جانب الفريقين على حصر تملك قوى الردع النووى على القوتين السوفيتية والأمريكية دون باقى القوى الأخرى.

تلى ذلك إبرام معاهدة الفضاء الخارجى، وذلك سنة ١٩٦٧، وقد سعت الولايات المتحدة منذ سنة ١٩٥٩ لإبرام ذلك الاتفاق، بهدف منع استخدام أسلحة فى الفضاء الخارجى، مع تنظيم الاستخدام للفضاء بما فيه القمر والاجسام السماوية الأخرى لكن المهم أن هذه المعاهدة لم تمنع بشكل واضح ومحدد الأنشطة

العسكرية فى الـفضاء، حيث وجـد بالمعاهدة العـديد من الثغرات اتخـذت منفذا لذلك[1].

أُبرمت بعد ذلك معاهدة «التحكم فى استخدام أسلحة أعماق البحار» وذلك فى سنة ١٩٧١، لفرض منع وجود أسـلحة ذات قوة تدميرية ضـخمة بشكل دائم فى أعمـاق البحـار أو المحيطات، أو تحت الـتربة، وكانـت النوايا الحقـيقيـة لكلا الطرفين الأمـريكى والسوفـيتى من إبرام تلك المعاهدة، هو منـع أسلحة نووية من التطفل على مناطق مُفترض أنها لازالت بعيدة عن الاستخدام النووى، بغرض منع كل طرف للآخر من زيادة مناطق الاستخدام البحرية للأسلحة النووية. والتقليدية، وقد تركـت مواد فى النص الأصلى للمـاهدة غامـضة التفـسيـر، وتحمل مـعانى متعددة، بما سمح لكل جانب بالتهرب من قيود المعاهدة[2].

أبرم بعد ذلك أهم الاتفـاقات الخاصة بالحـد من التسلح الإستـراتيجى لكلا الجانبين، لكلا أسلحـتهم الهجوميـة والدفاعية، وقد أبرم إتفـاق الجزء الأول منها «سولت ١ » فى ٢٦ مايو سنة ١٩٧٢، وذلك بغرض السيطرة على عدد الصواريخ العابرة للقارات المعدة للاستخدام، وكذلك المحمولة على غواصات، وكانت أوجه القصور فـى ذلك الاتفاق إنه لم يحدد أنواع الصواريخ والرؤوس النوويـة المحمولة عليها والمطلوب تحديد أعدادها، كما جـاء إتفاق الطرفان السوفيتى والأمريكى على ألا يتدخـل أى منهما للـتأكد من التـزام الطرف الأخر بتنـفيذ تلك البـنود، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، مؤكدا لقصور فعالية تلك الاتفاقية[3].

بدأ الاتجاه للتفاهم على تخفيض حجم الأسلحـة الإستراتيجية لكلا القوتين منذ سنة ١٩٦٥، إذ إنه وبتـوفر الأدلة على نشر السـوفيت لصـواريخهم (ABM) المضادة للصواريخ الأمريكية - فى المدن السوفـيتة وحول موسكو، بدأ الأمريكيون فى الاستعداد للتـفاهم مع السوفيت حول الحد من التسلح والسـيطرة على سباقه، وبدأ التحـرك جديا فى هذا الاتجاه منذ النصف الأخـير لسنة ١٩٦٦، لكن تأجلت

(1) Elliot., Op.Cit p. 288.
(2) Ibrid.,. p. 291.
(1) Ibrid. Rager., SALT Hand Look, PP. 15 - 16.

محادثات كانت مزمعة بين السوفيت والأمريكيين من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٦٨، لكنها بدأت فعلا من نوفمبر ١٩٦٩، وكـان المفترض وطبقا لذلك الاتفاق ألا يركز الطرفان الأمريكي والسوفيتي صواريخهم المضادة للصواريخ إلا لحماية عاصمته، وفي موقع أخر على بعد (١٣٠٠) كيلو متر من العاصمة وذلك على الأكثر[1].

الخلاصة أن التفاهم المباشر بين الأمريكيين والسوفيت وما نجم عنه من اتفاقات شفوية رسمية، أواتفاقيات ومعاهدات، اختص في الأساس بتنظيم طبيعة العلاقات بين السوفيت والأمريكيين، كما جاء ذلك التنظيم معنيا بالحفاظ على تصدر كل من القوتين لقوى الردع النووي، بل ومنع قوى أخرى من الحصول على تقنيات وسائل الردع النووي لتظل مختلفة في هذا المضمار عن القوتين العظميين»، وهي أمور كلها ألقت بظلال من الرعب على دول أوربا الغربية خاصة، والتي قبلت لهذا الغرض الحماية النووية الأمريكية عليها، وفي مقابل ذلك استجابت لكل ما تطلبه الولايات المتحدة منها.

ثانيا - السياسة الدفاعية الأمريكية:

عملت الولايات المتحدة الأمريكية على تطويع السياسة الدفاعية لخدمة أهداف السياسة الخارجية وكان أهم ماركزت عليه عملية تطوير أدوات السياسة وتطوير قوى ووسائل الردع النووي. وقد مر ذلك التطور من حيث ارتباطه الحاجة الموضوعية للانتشار في نقاط حيوية على سطح الكرة الأرضية في فترتين زمنيتين واضحتين الأولى منذ سنة ١٩٤٥ وحتى سنة ١٩٦٠، والثانية من سنة ١٩٦٠ وحتى سنة ١٩٧١، وكانت كل فترة ذات سمات متعلقة بوسائل الردع مختلفة عن الأخرى أما الاتحاد السوفيتي فيمكن تقسم خطوات وأهداف التطوير فيه إلى فترتين زمنيتين، الأولى منذ الحرب الثانية وحتى سنة ١٩٦٤، والثانية منذ ١٩٦٤ وحتى سنة ١٩٧١ وقد اختلفت سمات كل فترة عن الأخرى.

جاء تطور وسائل الردع الأمريكية في الفترة الأولى كالتالي، أولا فيما يتعلق بالصواريخ أرض أرض والتي تمثلت في صواريخ «تيتان» و «ريدستون» و«بيرشينج»

(1) Ibrid. p. 15.

و «ثور» و «جـوبيتـر» ذات المدى المتـوسط، تطور مـداها من (٣٠٠كم) فى سنة ١٩٤٥ إلى (٢٥٠٠كم) فى سنة ١٩٥٨، أمـا تطور الفـترة الثـانيـة والذى بدأ مع نهـاية سنة ١٩٦٠ فقـد تمثل فى الصـواريخ التى أصـبحت عـابرة للقـارات أنواع «مينوث مـان» إلى «ينوث مان ٣» و «تيتان مـعدل» بمدى من (١١,٠٠٠ كم) إلى إلى (١٥,٠٠٠ كم)(١).

أما تطور الغـواصات الأمـريكية فى الفتـرة الأولى يتضح أنه قـد عمل فى خدمـة البحرية عـدد من الغواصـات النووية ذات صواريخ «ميـنوت مان» أقل فى دقتـها عن مثيلتـها الأرضيـة، ولم يكن فى مقدرتها الـتأثير على أهداف ضخـمة "Hard Targets" ، وأنما أهداف صغيرة «Area Targets»، أى مجرد مدن، وأما فى الفترة الثانية ومنذ سنة ١٩٥٩ فـقد طرأ تطور على المدى وعلى القدرة، إذ كان فى مقـدره صواريخ الغـواصات «بولاريس» وبوسيـدون» بمدى (٣٠٠٠ كم) سنة ١٩٥٩ و «تريدنت» بمدى (٩٠٠٠ كم) سنة ١٩٧١ ضرب أهداف ضخمة(٢).

كانت وسائل الردع تلك مـعدة لأغراض الهجوم، وقـد وفرت لها الولايات المتحدة نظام إنذار مبكر 'NORADS" والذى سمى باسم قيادة الجو الدفـاعية لشمال أمريكا، وكـان ذلك النظام تطورا للنظام الاسـتطلاعى القديم والذى شـغل عمله الفتـرة الأولى وتكون من طائرات (U 2) لإجراء اسـتطلاع منخفض بمدى قصـير بالإضافة للرادارات، أما ذلك النظام المتطور فقـد جاء فى الفترة الثانية، مكونا من نظم الصواريخ المندمجة للاستطلاع، ورادارات ذات تقنيـة عالية جدا وقد برمجت تلك النظم الاستطلاعية المتطورة لرصد الحالات المحتملة التالية لصواريخ مطلقة من قلب الاتحـاد السـوفـيـتى، أو من غـواصـاته فى المحـيط الهـندى أو الأطلنطى، وصواريخ وطـائرات قادمة مـن غرب الكاريبى أو عـبر بحـر الشمـال، أو هجوم

(1) Harkavy., OP. Cit, P. 1117, Also, Hamlyn pallishag Goup., Nuclear Weapons, pp. 37 - 40, Enghand, 1984, also, Worly., Marerin., Digest of New Develpment, 2nd edn, pp- 30 - 38, U. S. A., 1959, also Pretty and Other, Editors Janés, Weapons System, 1973 - 1974, pp. 6 -7, U.S.A. 1975.

(2)Ob ern., Richard sharps, Editor, Jenes, Fighting Ships, 1990 - 1991 pp. 720 - 727, U.K., 1990, Also. Harkavy Op. Cit, pp. 39 - 40.

صاروخى خاطئ بعد دورة حول الكرة الأرضـية، كذلك سمح ذلك النظام ببعض التسهيلات لمتابعة النشاط العسكرى السوفيتى فى الفـضاء الخارجى، وقد دعم كل ذلك، من قوى هجـوم وانذار، بدفاع قوى مـضاد للصـواريخ مكون من صواريخ «نايك أجاكس» ونايك هركيوليس» و «هوك»(١).

أما الاتحاد السوفيتى فقد جاءت تطورات صواريخه فى الفترة الأولى من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٦٤ بـالتـسلسل المـوضح من الصـواريـخ (ف ١) المطورة عن الصاروخ الألمانى (ف٢) بمدى يصل إلى (٢٥٠٠كم) ذاتيـة الحـركـة لكن بدون رؤوس نووية، وذلك حـتى سنة ١٩٥٥، وفى تلك السنة توفر لـلصاروخ (ت ١) رأس نووى بمدى يصل إلى (٤٥٠ كم)، وكـانت الصـواريخ ذاتية الحـركـة غيـر النووية ذات دقة مـحدودة فى إصابة أهدافها، إذ كـان بها نسبة خطأ فـى السقوط على الهدف زائد أو ناقص (٥ كم)، وقد شهدت تلك الفترة فى سنة ١٩٥٧ تطورا هاما إذ أطلق القمـر الصناعى السوفيتى «سبوتنيك» والذى كـان له تأثيره فى رصد تحركات ومـواقع قوى غرب أوربا، وفى سنة ١٩٦١ تطور مـدى الصاروخ النووى أنواع (SS - 4 إلى SS - 14) إلى (١٥٠٠ كم)، أما فى الفتـرة الثانية دخلت تلك الأنواع خطوط الإنتاج وتطور مداها ليصل إلى (١٠,٠٠٠ كم) سنة ١٩٦٤ وإلى (١١,٠٠٠ كم) سنة ١٩٧١م(٢).

أمـا عن تطور الغواصـات السوفـيتـية فى المـرحلة الأولى، فلم يكن هناك غواصات ذات صواريخ نووية، وإنما كانت قدراتها محدوة بأقصى مدى عمل يصل إلى (٦٠٠ كم)، وبدأ إنتـاج الغـواصات «جـوليم» تسليح صـواريخ ذات رؤوس

---

(1) Hamlyn., Op. Cit, pp. 60, 78, also, Worly., Marvin, Op. Cit, pp. 39 - 40.

(2) Campbell., Chrisopher, Naclear Weapons, pp. 37 - 40, England, 1984, Also, Obern, Richard, Op. Cit, pp. 582 - 593, also, Pretty., R.T. & Other, Op. Cit, pp. 9 - 14, and also, Lee Asher., Editor, the Soviet Air and Rocket, PP. 150 - 159, U- K., 1959.

نووية منـذ سنة ١٩٦٢ لمدى صـــاروخ يصل إلى (٢٥٠٠كم)، وفـى سنة ١٩٧١ بصاروخ (SS- n. 8) بمدى يصل إلى (٧٨٠٠ كم)[1].

كان عدد الصواريخ السوفيتية نووية أو غيـر نووية أكبر من مثيلتها الأمريكية وذلك فى منتـصف الفتـرة الثانية للـتطور، غير أنهـا لم تكن فى دقة الـصواريخ الأمريكية، وكانت أقل مدى وأقل تدميرا، كذلك وإضافة لما سبق فإن عدد القنابل الذرية السوفيتية كان أكبر من نظيرتها الأمريكية، غير أنه فى مقابل ذلك طُبق نظام إنذار ودفاع جوى أمـريكى لا يسمح مطلقا بوصـول الطائرات حاملة تلك القنابل إلى الولايات المتحدة وطبقا للبيانات الأمريكية نحو تلك النظم.

مما سبق عـرضه من تطور للأسلحة الصـاروخية البرية يتـضح أنه كان هناك سبق نووى للولايات المتحـدة على الاتحاد السوفيتى بحـوالى عشر سنوات، إذ إن الولايات المتحدة تملكت صواريخ نووية صغـيرة ومتوسطة المدى ما بين (٣٠٠ إلى ٣٠٠٠ كم) طوال الـفـتــرة من سنـة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٦٢، ولم يـكن لدى السوفييت فى تلك الفترة إلا صواريخ ذات رؤوس تقليدية غير نووية بمدى (٢٥٠٠ كم)، مـاعدا نوع واحـد ذا رأس نووى تواجد بالخـدمة سنة ١٩٥٥ لم يكن مـداه يصل إلى أكثـر من ٤٥٠كم) فقط، أما عن التطورات الصاروخـية للفترة الثـانية، فقد توازنت القوتان وخاصة منذ سنة ١٩٦٤، إذ تملكت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى صواريخ عابرة للقارات بأقل مدى (١٠,٠٠٠كم) وبأقصى مدى (١٥,٠٠٠ كم).

مع ما حظى به الأمـريكيون من تفـوق نووى فى الفتـرة الأولى، فإن هناك حدثين هامين جريا على الجانب السوفـيتى، ولابد أنهما نالا اهتمام واضعى خطط الأمن القومى الأمـريكيين، وهما أولا بدايـة اتجاه السوفيـيت منذ سنة ١٩٥٥ إلى تملك صواريخ ذات رؤوس نووية رغم قـلة مداها ، وثانيا إطلاق القـمر الصناعى «سبـوتنيك» سنة ١٩٥٧، وكليـهما كـان ينبئ ببوادر ردع سـوفيـتى على الطريق الصحيح، وقدرة عالية على الكشف بالاستطلاع.

---

(1) Campbell., op. Cit., p. 114, also, Lee Asher., Op. Cit, pp. 150- 159.

ومما سبق عرضـه من تطور للغواصات الأمريكية يتـضح أنه كان هناك سبق نووى لذلك السلاح عن نظيـره السوفيتى، ورغم ذلك فـإنه مع نهاية سنة ١٩٧١ كان هناك تفـوق فى عدد الغواصـات النووية السوفيـتية والذى بلغ (٦٠) غـواصه بينما كـان عدد الغواصات الأمـريكية فى نفس السنة (٤١) غواصـة، لكن تميزت الغواصات الأمريكية كوسيلة قتـال بحرية فوق وتحت السطح بقدرة تقنية عالية من حيث المدى والقدرة على الوصول لأعماق بعيدة، والبقاء لمدد طويلة تحت السطح، كما كانت صـواريخها ذات مدى أكبر بدقـة أكبر وتأثير تدميرى أكـبر، مما جعلها وسيلة لترجيح القوى حتى بعـد توازن القوتان نوويا، من حيث القدرة على ضرب المدن السوفيتية فى الفترة الأولى، وضرب أهداف ضخمة بعد فترة التوازن النووى.

على ذلك طبقا للتطورات السابق عرضهـا تطورت حاجة الجانبين الأمريكى والسوفيتى إلى مواقع إستراتيجية بشروط معينة وفيما يتعلق أولا بالولايات المتحدة، تطورت حاجـتهـا إلى مواقع حـيوية طبـقا لتطورات أسلحـتها وتطـورات أسلحة السوفييت، وقد تبدلت تلك الحاجة من حـيث كمية ومواصفات المواقع فى مراحل ثلاث محددة، الأولى ما بين سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٥٥ وهى فترة التفوق المطلق الأمريكى عن نظيـره السوفيتى من حيث الردع، والثـانية من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٦٤ وهى بداية فـترة التطور النووى الســوفيتـى وإطلاق قمرهم الاسـتطلاعى، والثانية من سنة ١٩٦٤ إلى سنة ١٩٧١ وهى مرحلة حاسمة كانت ذات احتياجات خاصة لتوازن القوتان ولتملك كل منهما صواريخ عابرة إلغى معها فاعلية قواعد ما وراء البحار إلى حد كبير.

يستنتج مما سـبق وتنفيذا للعقـيدة الإستراتيـجية الأمريكيـة، وتحقيقـا لأمنها القومى، ومع التفوق الأمـريكى المطلق على السوفيت ما بين ١٩٤٥ إلى ١٩٥٥، أن الولايات المتـحدة خططت لاسـتخدام كـل أنواع قواتها لـتحقـيق الردع والردع المضاد للسوفييت، سواء باستخدام قوات تقليدية فى ألمانيا الغربية فى مواجهة قوى السوفييت التقليدية فى ألمانيا الشرقية، أو باستخدام طائرات (ب ٤٧، ب ٥٢) من بريطانيا أو إسكندنافيا أو من قواعد ما وراء البحار، لإسقاط قنابل تقليدية أو نووية

لن يستطيع أن يؤثر فيها دفاع جوى سوفيتى ضعيف حينئذ، وكذلك إعداد استخدام صواريخها النووية (٣٠٠ إلى ٣٠٠٠ كم) فى محاولة تظاهرية للردع، ثم التوسع المتاح فى قواعد ما وراء البحار لتوفير الاستطلاع والردع فى آن واحد.

غير أن الوضع قد تغير مع تلك الخطوة الجوهرية ببدأ السوفييت فى برامجهم النووية الصاروخية، مع إطلاق القمر الصناعى السوفيتى «سبوتنيك» مما دفع الأمريكيين إلى تقليل اعتمادهم على القواعد الأرضية ماوراء البحار، لسهولة كشفها وسهولة ضربها حتى بالصواريخ التقليدية السوفيتية رغم عدم دقتها، وكان البديل هو الانتشار الواسع فى القواعد البحرية لتشتيت جهود السوفييت ولتقليل الخسائر. هذا مع الاعتماد على القواعد العائمة باستخدام حاملات الطائرات مع زيادة استخدام الغواصات، من جانب آخر كانت القواعد الأرضية قد فقدت أهميتها لثبوت عدم فاعلية طائرات (ب ٤٧، ب ٥٢) مع تطور الدفاع الجوى السوفيتى.

تطلب الوضع بعد سنة ١٩٥٥ وحتى سنة ١٩٦٤ تقليل الأمريكيين من اعتمادهم على القواعد الجوية مركزين على القواعد البحرية، وعلى القواعد العائمة، باستخدام حاملات الطائرات وبتنشيط عمل الغواصات، هذا مع تكثيف الرؤوس النووية فى غرب أوربا، ولكن تلك التحولات لم تفقد القوات التقليدية فى غرب أوربا قيمتها، من حيث تمركزها فى ألمانيا الغربية لاحتمالات لجوء السوفييت فى كل المراحل إلى ضربات نووية يصاحبها زحف قوات تقليدية من ألمانيا الشرقية، ورغم رغبة الأوربيين الملحة فى تقليل قواهم التقليدية فى ألمانيا، فإنه أمر لم يستجب له بسهولة.

أما المرحلة الثالثة فقد اختلفت سمات احتياجاتها من المواقع ومن أساليب العمل؛ لأن كلا القوتين كانتا قد توازنت كل مع الأخرى ولأن أحداثا جرت أثرت فى قدرة الجانب الأمريكى على اتخاذ القرار المناسب، بما كان فى صالح السوفييت، ومن بين تلك الأحداث حرب فيتنام ١٩٦٥ - ١٩٧٣ المرهقة ماديا ونفسيا للأمريكيين، ومنها توسع السوفييت فى مواقع جديدة فى منطقة الشرق الأوسط، ولم يكن ذلك التوسع بطبيعة الحال فى صالح الأمريكيين.

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بالفعل فى وضع إستراتيجيتها موضع التنفيذ، وقد ارتكزت على تكريس الوجود القائم لقوات الغرب فى ألمانيا الغربية،

معتمدة على شروط تحالف معاهدة الأطلنطى، وذلك بعد أن اتفق بين ستة عشرة دولة أوربية ومعها الولايات المتحدة على تنظيم الأمن الدفاعى للمنطقة فى مواجهة مقدمات السوفييت المتمركزة فى ألمانيا الشرقية، كما أنه بين سنة ١٩٥٣ إلى سنة ١٩٥٤ تم نشر حوالى (٧٠٠٠) رأس نووية فى أوربا الغربية، هذا مع الانتشار المتاح فى قواعد ماوراء البحار طبقا للتسهيلات الممنوحة من بريطانيا للولايات المتحدة أو من غيرها من دول أوربا، أو بمعاهدات مباشرة بين الولايات المتحدة والدول المضيفة لها[١].

بدأ التفكير قبل بدأ المرحلة الثانية فى التقليل من القوى التقليدية فى غرب أوربا والتخطيط للاعتماد على القواعد العائمة بدلا من القواعد الأرضية مع الانتشار الموسع على سطح الكرة الأرضية، سواء على أسطح البحار أو فى حدود ضيقة على الأسطح البرية، وقد تم تنفيذ تلك الإجراءات تدريجيا بالفعل مع بداية المرحلة الثانية، سواء للقوات الأمريكية أو لقوى «الناتو»، وقد استخدمت الغواصات الأمريكية من مواقع قريبة ما أمكن للاتحاد السوفيتى كمصدر تهديد للمدن السوفيتية، إضافة لذلك ركز على إيجاد قوة بحرية منها الغواصات كقوة مضادة لاحتمالات توسع منتظرة للبحرية السوفيتية فى المحيط الهندى[٢].

دعمت الولايات المتحدة تلك النظم الدفاعية، بنظام من التحالفات لتضييق الخناق على الاتحاد السوفيتى وخاصة مع بداية الفترة الثانية، كان أساسه وحتى سنة ١٩٦٤ نظرية العمل من المركز (Core)، أى الدفاع عن المنطقة من داخلها، سواء بقواتها أو بقوات خلفائها، وقد تغير ذلك النظام بالطبع فيما بعد معتمدا على نظرية العمل من الأطراف، وذلك لمنع انتشار السوفييت أبعد من الحدود التى وصلوا إليها بنهاية الحرب الثانية، وذلك لتقليل خطورة القوى النووية السوفيتية مع احتمالات تطورها، من ثم وإضافة «للناتو» شكل الحلف المركزى وحلف جنوب شرق آسيا.

(1) Ibid. p. 37.
(2) Olson., W.M.J.,U.S. Strategic Interests in The Gulf Region., p. 83, London, 1987.

مما سبق عـرضه يتـضح أن الولايات المتحدة الأمـريكية اسـتطاعت أن تحقق أهداف إستراتيجتـها العامة، وذلك من واقع تركيزها على تحقيق أهداف سـياستها الخارجية، ثم الـتركيز على توفير أدوات وتحـقيق أهداف سياستها الـدفاعية، وفى الواقع لقد خدمت السـياسة الدفاعـية أهداف السياسة الخـارجية، وذلك من واقع أدواتهـا، الأسلحـة النووية، حتى وإن ان وجـودها وتطورها مـدعـمًا لأغـراض تظاهرية أكثر منها أغراضا حقيقة.

لقد حقـقت الولايات المتحدة أهداف سـياستهـا الخارجية إلى حد بـعيد فى أوربا الغربية ووفرت لأدوات السـياسة الدفاعية، الأسلحة النـووية حتى والتقليد، للاستـخدام الأمثل، حـتى وإن كان استـخداما تظاهـريا، من الأراضى الأوربية، وذلك وفقا لواحد من أهـم تعاقداتها التعاهدية على الاطلاق، وهو تعـاقد شمال الأطلنطى، كما أن ذلك التطور التقنى الأمـريكى المذهل بأسلحة الدفاع ساهم إلى حد كبير فى تطويع السياسات الأوربية لصالح أهداف السياسة الأمريكية.

أما فى الشرق الأوسط والبـلاد العربية خاصة، وإن كـانت الولايات المتحدة قد فشـلت فى احتواء الاتجاهات القـومية، فهـو أمر سبب لها ارباكـا فى خططها الدفاعية، من واقع إتفاق بعض الدول العربية القومية مع الاتحاد السوفيتى وإعطاءه تسهـيلات فى المنطقـة، إلا أنه أمكن تدارك ذلك بعد فتـرة التطور النووى وتطور مدى التسليح والسـلاح، لكنها أنجحت أهداف سياستهـا فى منطقة الخليج العربى معتمدة أيضا على بعض نصوص مـعاهدة شمال الأطلنطى، وعلى شروط شركات البترول الأمـريكية الميسرة فى التعامل مـع أمارات الدول العربية، ولتقديمـها أيضا خدمـات متطورة وتسليح بعض بلدان المنطقـة، علاوة على مـاقدمتـه مسبـقا من مساعدات فى إطار برامج النقطة الرابعة.

أما فى الشـرق الأقصى فقـد عمدت إلى اسـتخدام أسلوب مـوازنة القوى والصراع المحصورة لصالح اهتـماماتها، فهى وإن فقدت صداقة الصـين فجأة فإنها لجأت إلى اليـابان دونما أن تتخذ منها طرفـا معاديا بعد الحـرب الثانية؛ وطوعـتها لصداقتها لـتجعل هناك توازنا للقوى داخل القارة الآسيوية ولصالحـها، صحيح أن ذلك العملاق الاقتصادى اليابانى النامى داخل الولايات المتحدة أصبح ندا للعملاق

الاقتصادى الأمريكى بل ويمكن أن يناوئه، فميزان اليابان كانت فى النهاية حليف وصديق للولايات المتحدة، ثم إن الأمريكيين عند اللزوم لم يفقدوا الفرصة، إذ إن حالته التباعد الصينى الأمريكى لجأ الأمريكيون إلى السوفييت ذاتهم لتحقيق ذلك التوازن فى هذا المسرح، صحيح أن الولايات المتحدة فشلت فى بعض المغامرات غير المحسوبة بدقة التى ورطت نفسها فيها: كوريا ، فيتنام، لكنها حاولت فى النهاية أن تحقق سيطرتها كلية على المحيط الهادى أيضا مثلما هى قائمة فى المحيط الأطلنطى ونجحت فى ذلك إلى حد كبير.

بقى أن نوضح أن الحرب الباردة ظلت مستمرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى حتى كان ذلك المنفذ الغامض والذى تم النفاذ من خلاله إلى عوامل حل تلك القوة العظمى الثانية.



الفصل الثاني عشر

سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء المشكلة الڤيتنامية

المشكلة الفيتنامية

تمهيد

إن الأزمة الفيتنامية ليست مجرد صدام بين أيديولوجيتين متناقضتين متعارضتين، شيوعية ضد ديمقراطية حرة غربية، وإنما هى أبعد وأعمق من ذلك. فالقوى المتنازعة المتصارعة قوى كوكبية يمكن أن تجر إليها كل عنصر من عناصر الحياة الحديثة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

فهذه الأزمة الفيتنامية تستقطب وتعبر عن كل المشكلات التى تواجهها البلدان حديثة التحرر من الاستعمار، والبلدان النامية التى لاتزال فى مرحلة الانتقال من المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات الحديثة، تحت ضغط الحضارة التكنولوجية الغربية فلقد كانت فيتنام الشمالية والجنوبية تعانى من التأخر بسبب شيوع العادات والتقاليد القديمة الرجعية المعوقة للتطور، وبسبب افتقارها إلى المهارات الفنية ورؤوس الأموال اللازمة لعمليات التطوير نحو المجتمع الحديث. وكل من فيتنام الشمالية والجنوبية كانتا تعانيان من الفئة المثقفة التى كانت تتجنب تحمل المسئولية وهذا كان من تراث ماضى فيتنام، وهو تراث مدمر لم يعمل الاستعمار على تخليص الشعب منه بل ثبته عن طريق نظام الحكم الاستعمارى الذى استمر زهاء قرن من الزمان فى فيتنام.

ففى جنوب فيتنام كانت توجد فئات وجماعات - باستثناء - جبهة التحرير الشعبية التى اشتهرت فى الغرب باسم الفيتكونغ تقوم باقتراح الحلول للمشكلات التى تواجه البلاد. فكانت حلولا متعددة كثيرة متباينة وغير مجدية. وقليل من كان له تأييد شعبى أو قادر على أن ينفذ برامج ديمقراطية. وضاعف من التعقيد أن هذا المسرح السياسى للأزمة كانت تؤثر فيه منافسات بين الأقاليم وبين الطوائف الدينية والتجمعات الثانوية.

ومع أن الحزب الفيتنامى الشيوعى كان يبدو أمام العالم وكأنه متحد متبع لنظام دقيق، فالحقيقة هى أنه كان هناك اختلافات فى الرأى بين صفوف الشيوعيين سواء فى فيتنام الشمالية أم فى فيتنام الجنوبية. فهم كفيتناميين كانوا يرغبون - بدرجات متفاوتة - أن يكون لهم كيان متميز فى داخل العالم الشيوعى المتسع. وهم فى نفس الوقت يتجاذبهم كل من السوفيت والصينيين المتنازعين فيما بينهما أيديولوچيا.

وبالإضافة إلى هذا، كان هناك خلاف حول التكتيك الذى يجب أن يتبعه الفيتناميون إزاء العدوان الكبير من جانب الولايات المتحدة:

١- هل يأخذون بسياسة التراجع التكتيكى أمام تلك القوة الكبيرة؟

٢- أم يستمرون فى الكفاح ضدها على اعتبار أن كفاح الشعب لابد وأن يتغلب على التفوق التكنولوچى العسكرى.

والقارئ الفاحص للبيانات والمستمر المدقق للإذاعات - التى لا يهدف من ورائها إلا الاستهلاك المحلى - يلاحظ أن ما تعانى منه حكومة فيتنام الجنوبية من نقص فى الحماس وفساد وعدم وجود الكفاءات اللازمة يوجد كذلك نوع منه فى حكومة فيتنام الشمالية - فهناك وثائق أمكن الحصول عليها من الجانب الشيوعى تتحدث عن موظفين فقدوا القدرة على خدمة مصالح المواطنين، وهناك من يتقاعس عن الاشتراك فى المعارك العسكرية.

والسبب فى أن فساد حكومة ومجتمع فيتنام الجنوبية معروف وذائع، بينما مثيله فى الشمالية غير معروف يرجع إلى أنه يوجد فى فيتنام الجنوبية أكثر من ٤٠٠ صحفى أجنبى يكتبون عن كل شىء فيها بعكس فيتنام الشمالية التى أغلقت أبوابها دون الصحفيين الأجانب على اعتبار أنهم لم يكتبوا أية مقالات لصالح فيتنام الشمالية على الإطلاق.

ليس معنى هذا أن الفساد فى النظم الإدارية فى جنوب فيتنام يقارب ما هو فى شمال فيتنام، فالحقيقة أن إمكانيات العمل المخلص فى الشمال واضحة ومتقدمة، وخاصة فى مجالات الإنتاج والكفاءة العسكرية، بينما لم تتحول

الجنوب إلى حكومة قادرة إلا فى الأشهر القليلة الأخيرة من عام ١٩٦٩ بعد جهود أمريكية باهظة التكاليف.

ولكن المأساة ليست فى الافتقار إلى أجهزة حكم ديمقراطية متطورة تقدمية سواء فى الشمال أو الجنوب، وإنما فى أن مثل هذه التطورات الإدارية تعمق من الشعور بقومية فيتنامية جنوبية فى مواجهة لفيتنام الشمالية. مع أن فترة السبعينات فى اعتقادنا فترة خصبة فى مجال التقارب بين أجزاء الشعوب التى تقطعت أوصالها، ومثال على هذا التقارب الواضح والمتطور بين شطرى ألمانيا الشرقية والغربية.

إن المشكلة الفيتنامية واحدة من المشكلات العالمية التى تتمثل فيها مختلف جوانب العوامل المؤثرة فى العلاقات الدولية، فالموقع إلى جنوب الصين الكثيفة بشريا النووية تسليحا يجعلها ذات أهمية كبرى لهذه الدولة من ناحية، ولاية دولة تحاول أن تجد لنفسها طريقا إلى الصين من ناحية أخرى.

وأنها ودلتا النهر الأحمر ودلتا الميكونج هى ممرات مائية تجارية وعسكرية، وهى مناطق زراعية، ويمكن أن تستخدم كعقبات عسكرية فى العمليات الحربية، فتتضافر المعارك العسكرية مع الحرب الاقتصادية على كسب المعركة أو توهين الخصم. فيطول القتال ويصبح موقف الدول الدخيلة معقدا من الناحية الدولية بسبب عدم توقف القتال، فى عهد أصبح يكره فكرة الحروب العالمية منها والمحدودة كذلك.

والتجزئة التى انتهت إليه أحوال فيتنام نتيجة لمؤتمر دولى فى جنيف فى عام ١٩٥٤ لم يقصد إليها وإنما استغلت الظروف بعده لتثبيت هذه التجزئة. والتجزئة واحدة من أساليب الاستعمار الجديد الذى يعمل على توهين القوى الحديثة عن الاستقلال عن طريق تفتيت أراضيها، أو احتوائها بواسطة شركات عملاقة. وفى فيتنام كان التقسيم أبشع وسيلة نفذت فى هذا البلد الصغير لإخضاعه لظروف قاسية تبقيه بعيدا عن إمكانيات التطور والتقدم. والتجزئة تكاد أن تصبح سياسة عامة بعد الحرب العالمية الثانية، فقد قسمت ألمانيا إلى شرقية وغربية، وقسمت

كوريا إلى شمالية وجنوبية،وتقسيم وادى النيل إلى مصر والسودان، وتقسيم فلسطين، وتقسيم أمارات الخليج العربى.

وصراع القوى هناك يبدو وكأنه صراع بين أمة صغيرة مستضعفة تبحث عن وحدتها، وأخرى كانت تستعمر البلاد (فرنسا) أو ثالثة جاءت لترث الاستعمار الفرنسى وتفرض سياسة التجزئة على فيتنام (الولايات المتحدة الأمريكية). ولكن الحقيقة هى أن المشكلة أبعد وأعمق من ذلك، بل يمكن القول أن فيتنام هى المجال الطبيعى للصراع بين الولايات المتحدة كزعيمة للمعسكر الذى يريد أن يثبت الأوضاع على ما هى عليه على اعتبار أنه المستفيد من وراء هذا التثبيت فى مختلف بلدان العالم، والمعسكر الاشتراكى فى محاولة للوصول إلى أهداف محددة للبروليتاريا والشيوعية والوحدة الوطنية لفيتنام، وهى أهداف تؤدى إلى استقطاب قوى دولية متعددة الاتجاهات ومتناقضتها. كما يقول البعض - ميدانا تجرب فيه أسلحتها الحديثة فى ميدان حى.

ومن ناحية أخرى، توجه الدعايات المعارضة للولايات المتحدة الأمريكية والوجود الأمريكى فى فيتنام، هجوما شديدا على النشاط الأمريكى بمختلف جوانبه فى فيتنام يقوم على أساس أن الولايات المتحدة تقف باستمرار خلف الرجعية وضد تكامل وحدة الشعب وحريته المطلقة. فهى التى وقفت ولا تزال وراء رجعية تشان كاى تشيك حتى غادر الصين أمام الزحف الشيوعى بقيادة ماوتسى تونغ، ليعتصم فى تايوان (فورموزا)، ووراء مدافع الأسطول الأمريكى السابع. وهى التى وقفت وراء سنجمان رى رئيس كوريا الجنوبية حتى وقعت نكبة الحرب الكورية، ليطرد هو نفسه من الحكم بعدها ويعتبر مسئولا عن كثير من آلام البلاد. وهى أيضا التى ساعدت فرنسا فى فيتنام فى أعقاب الحرب العاليمة الثانية - كما سنرى - دون أن يكون لفرنسا برنامجا تقدميا، بل كانت تعتمد على الإمبراطور الفيتنامى الذى كان يلقب بإمبراطور حانات الليل، دون أن تكون لديه أيه ذهنية سياسية أو قيادية. إن الاتهامات الموجهة للولايات المتحدة قد تكون مقبولة من المعسكر الشرقى.

ولكن قوى التحرر حين شنت الحروب ضد قوى الرجعية، سواء نجحت أم فشلت، وسواء تحولت إلى حرب محدودة أم تصاعدت إلى حرب كبرى، أن الثمن الذى بذل على أرض كوريا لباهظ جدا، وكذلك على أرض فيتنام، بل هل كان الغرب يتوقع أنه من أجل وجود إسرائيل وقعت ثورات ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٩ . فى فلسطين، وحرب ١٩٤٨، والعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ والبقية تأتى.. هل ثمن إسرائيل يعادل كل هذه النكبات؟ وهل ثمن الصراع الأيديولوچى هو تلك الدماء بالملايين على أرض الشرق الأقصى؟ لاشك أن عقليات السياسة كانت على نوع من قصر النظر حين اندفعت وراء فلسفات لاتمت إلى الواقع الأيديولوچى الشرقى أو الغربى على السواء. والتضارب فى هذا الصدد واضح حتى أن الغرب يتهم فيتنام الشمالية بأنها تريد فرض دكتاتورية على الجنوبية. ولكن هذا قياس مع الفارق، حيث إن السعى إلى التوحيد ليس فرضا لحكم دكتاتورى.

ولكن حروب التحرير تلك هل كانت معقولة التكاليف من الناحية الإنسانية؟.

ومن الذى أفاد من الصراع فى كوريا، وفيتنام، أغلب الظن أن النهاية الواضحة هى:

١- استمرار التجزئة فى كوريا وفيتنام.

٢- استمرار التوازن الدولى.

والأمران فى خدمة الدول الكبرى، أكثر منه فى خدمة الدول الصغرى التى ضحت فى الحرب أكثر من غيرها.

وينظر الآسيويون والأفريقيون إلى الكفاح الفيتنامى على أنه صورة الكفاح ضد تسلط الرجل الأبيض الذى يضع لنفسه تقييما أعلى من تقييمه للرجل الشرقى الآسيوى. ولكن تداخلت فى هذه الاتجاهات معان أخرى.

أليست حربا بين الفلاحين المطالبين بالحقوق العادلة والموظفين الذين جمدوا العمل الابتكارى ونشروا الرشوة؟.

والعـوامل المعنوية والعقـائدية ذات أثر هام فى توجيـه هذه الأزمة. فـهناك صراع بين الكاثوليك والبوذيين، وصـراع بين الشيوعية والرأسمـالية، وصراع بين التحرر والاستعمار، ومؤتمرات دولية لحل المشكلات، ولا يستبعد أن تحصل الدول الكبـرى من وراء الوصـول إلى اتفاق مـا على مكاسب غـير مـرئيـة فى الظروف الراهنة. ثم هناك السمو الإنسـانى الذى تمثل فى حركة المناهضة للحرب الفـيتنامية فى كل أرجاء العـالم فيمـا عدا إسرائيل بوجه خـاص، حيث درس هناك موشـيه دايان حـرب العـصـابات، وتطول، وذلك قـبـيل حـرب حـزيران سنة ١٩٦٧. وتضمنت هذه المشكـلة كذلك لا إنسانيـات بشعة هزت العـالم، وهذا ما نعنى به المذابح دبرها الجنود الإسرائيليون، والتدمير التعجيزى بواسطة القذف بالقنابل لمراكز الصناعة والمدن الآهلة بالسكان.

والعامل الشـخصى واضح كل الوضـوح فى الدور الذى يلعبـه موشـيه منه حتى صار تاريخه وتاريخ حركة تحرير فيتنام متوازيين.

ولهذا سيكون لشـخصية هوشى منه عناية خاصة فى هذه الـدراسة، خاصة وأن الرجل أصبح فى ذمة التاريخ. كـيف نشأ وكيف تكونت شخصيـته القيادية، وهل تطورت أفكاره؟.

إن دراسـتنا لهـذه الشخـصـية لا تعنـى أنها وحـدها التى كـانت تمثل دور الشخصية الزعـامية فى تطور العلاقات الدولية من خلال المشكلة الفـيتنامية. هناك شخصيات هامة يجب أن تدرس مثل دور لـندون ب. جونسون فى تصعيد الحرب أعقـاب حادث عـسكرى تافـه القيـمة يعـيد إلى الذاكـرة أساليب رؤسـاء الدول الاستعـمارية فى القرن التـاسع عشر. ولكن أليس هو شعـور بالذنب عندما أعلن جونـسون أنه لابد وأن يمـهد لوقف الحـرب فى فيـتنام وأنه لن يرشح نفســه فى الانتخابات التى أدت إلى تولى ريتشارد نيكسون للرئاسة؟.

إن المقاييس التى تتبع فى إصدار أحكام على الولايات المتحدة الأمريكية، أو على الاتحـاد السوفيـتى أو على فرنسـا أو على الصين أو علـى فيتنام الجنـوبية أو الشمالية، أن هذه المقاييس فى الظروف الحاضرة مغلفة بدوافع قد تخفى موضوعية الدراسـة والبـحث وإصدار الأحكام. ولـكن الأمر الذى لاشك فـيـه هو أن كل

الأطراف عارضت هذه الحرب بشدة - خاصة فى الغرب - عندما طالت فقط، ففى أول الأمر لم تثر الكثير من الحكمة لدى عقلاء العالم، ولا لدى الحركات الطلابية. وأصول السكان فيها من المغول ومن سكان إندونيسيا، ومن الصينيين، ومن الملايين والبولينزيين. ولكن كان التميز أو الواضح فى القرون المتأخرة للشعب الفيتنامى، خاصة منذ القرن السابع عشر الميلادى. ولكن الوحدة الفيتنامية لم تتحقق منذ البداية، حيث كانت قد تكونت مملكة فى الشمال فيتنام وعاصمتها (هانوى) وأخرى فى الجنوب عاصمتها (هوى). والواقع أن الشعب الآنامى (أنام) كان هو أكثر شعوب الهند الصينية حضارة وتماسكا وقوة عندما تعرضت المنطقة بأسرها للضغط الأوربى. ولكن فى وقت كانت فيه أقسام الهند الصينية فى صراع داخلى وفى تدهور عام.

فمنذ حوالى ثلاثة آلاف عام مضت سكنت قبائل الفيت القديمة منطقة متسعة فى الصين جنوبى نهر اليانجتسى، وعبر القرون كانت هذه القبائل تتعرض لغزوات ولابتلاع الصينيين لأجزاء منها، حيث كان هؤلاء يتقدمون من الشمال صواب الجنوب. واضطر بعض الفيتناميين إلى التراجع إلى دلتا النهر الأحمر. ولكن لم تلبث الصين أن غزت المنطقة ووضعها تحت حكمها زهاء ألف عام. وعاشت فيتنام كجزء من الإمبراطورية الصينية، وخلال هذه القرون صبغ الفيتناميون بالصبغة من حيث الملابس والعادات والحكومة. ومع ذلك استطاعوا العودة إلى لغتهم ومعتقداتهم وتمكنوا من التخلص من الحكم الصينى عندما ضعفت الصين بسبب الاضطرابات الداخلية خلال القرن العاشر. ولمدة ٩٠٠ سنة كان الفيتناميون يحتفظون باستقلالهم عن طريق دفع إتاوات منتظمة للصين أو بصد بعض الغزوات الصينية وإن كانوا فى نفس الوقت يستوعبون الحضارة والثقافة الصينية.

ويفتخر الفيتناميون بأنهم - من دون قبائل الفيت الأخرى - يتميزون بأنهم هم الذين استعادوا استقلالهم وحافظوا عليه. وكان يفخرون بأنهم لعبوا دور الدولة الحاجزة.

بأن منعوا الصين من الانسياب إلى جنوب شرق آسيا، كما أنهم يفخرون بأنهم استطاعوا أن يتحولوا إلى قوة إمبراطورية. فقد انتشر الفييت جنوبا - خلال قرون استقلالهم التسعة - من دلتا النهر الأحمر غازين ومستوعبين مملكة تشامبا التى كانت قد اصطبغت بالصبغة الهندية، واستعمروا دلتا الميكونج اليفلى التى أخذوها من كمبوديا. وعندما كانوا فى ذروة قوتهم ضموا معظم لاوس وأصبحوا هم وتايلاند، سادة اسميين على الأجزاء الباقية من لاوس وكمبوديا. ولم يوقف هذا التوسع سوى الغزو الفيتنامى لفيتنام.

حقيقة كان للتقسيم إلى فيتنام شمالية وجنوبية أصول تاريخية إلا أنه خلال الحكم الاستعمارى الفرنسى تأكد هذا التقسيم، وعند تقسيم الحدود فقدت فيتنام لصالح لاوس بعض الأراضى الجبلية التى سبق لفيتنام أن ضمتها إليها. وكانت هذه هى الحدود التى وضعت فى تسوية ما بعد الحرب، تلك التسوية التى مكنت لاوس وكمبوديا من الاستقلال. ويسيطر المناخ الموسمى المطير الرطب الحار على الشمالية والجنوبية مع بعض الاختلافات، وتجود زراعة الأرز هناك وتكسو الغابات معظم البلاد. وكثافة السكان عالية وفى الشمال دلتا النهر الأحمر الذى يصب عند هانو وهو يشبه نهر الميكونج ودلتاه عند سايجون ولكن الأخير أكثر انتظاما وأكثر إفادة بمائه فى الزراعات وفى الملاحة الداخلية.

ويرى «بين» أن هناك خلافات قوية فى النواحى الجغرافية بين الشمال والجنوب وينهى دراسته الجغرافية القصيرة بقوله:

«إن فيتنام بلاد المتناقضات الجغرافية، فالغابات تغطى ٨٠٪ من الأرض، ولكنها لا تعول إلا ١٥٪ فقط من مجموع السكان، وهى بلاد استوائية، ولكن لها تاريخ طويل فى الزراعة الكثيفة فى الشمال، بينما فى الجنوب الحقول الجديدة الغنية قد بدأت تؤتى أكلها فى الجنوب.

هذه هى وجهة النظر الأمريكية التى تحاول أن توجد خلافات ما لتعمقها ولتعمق من وراء ذلك الخلافات بين الشمال والجنوب منعا للوصول إلى اتحاد كامل بينهما. وهى خلافات موجودة فى معظم بلدان العالم وربما بفروق أوسع دون أن تؤدى إلى تقسيمها.

خلال القـرون العشـرة التى مرت على فـيتنام تحت الحكـم المباشر الصـينى استوعب الفيتنامـيون الكثير من إعداد الصينيين المقيمين فى الـبلاد، واستوعبوا مع هذا أيضا الكثيـر من معتقدات الصين الدينيـة والفلسفية ونظم الصين الاجتـماعية وأساليبـها فى الحكومة والحكم هذا التشـبه والتمثل بالثقـافة الصينية استـمر خلال القرون التـسعة من الاستـقلال الفيـتنامى قبل الغزو الفـرنسى. وكانت التطورات السياسية والاقتـصادية والاجتماعية والثقافيـة التى تقع فى الصين تؤثر فى فيتنام. كما كان الانتقال من حكم أسـرة إلى أخرى فى الصين يؤدى إلى تيار من الفارين إلى فيـتنام. وفى أعقاب كل غزو صـينى كانت تترك حـاميات صينيـة فى القلاع لحمـاية النفـوذ الصينى هناك. كـما كـان علماء فـيتنام يدرسـون الكتب الصينـية ويتباحـثون مع العلماء الصين. وكانت البـعثات كثيـرة الذهاب والإياب بين فيتنام والصين، ويصحب هذه البـعثات عدد من العلماء من كل من الجانبـين. كما كان الرهبان الصينيـون يحضرون معهم إلى فـيتنام بأفكار دينية جديدة، وأحـيانا كانوا يؤسسون عقائد جديدة.

حقيقة كان الفيتناميون يستوعـبون الثقافة، ولكنهم فى الحقيقة كانوا يطوعون هذه الثقـافة لمعتـقداتهم وعاداتهم، وخـاصة معـتقداتهم الـدينية. فعندمـا البوذية الصينية. إلى فيتنام تداخلت معها المعتقدات الوطنية الفيتنامية، وخاصة فيما يتعلق بعبادة الأرواح.

ولقد كـانت منتشرة فى فـيتنام فكرة الآلهة التى تحـرس القرى، ولكن هناك معـتقدات متـعددة فى فيتنـام من بوذية إلى تأوية وكونفوشـيوسية وعلى مـختلف الدرجـات. ومن الممكن أن يتـعبـد الفيـتنامى لأكـثر من إلـه يمت إلى أكثـر من مذهب. ولكن قبل الغزو الفرنسى كانت الكونفوشيوسية هى عقيدة الدولة والأسرة الحاكمة. وأقـيمث حفلات كونفوشيـوسية تحت رعاية الإمبراطور. حقـيقة وقعت اضطهاد للبوذية والتاوية، ولكـن الاضطهاد ضد المسيحية كان أكـثر دمويا وعنفا. وكانت المسيحية قد وضعت أقدامها فى فيتنام فى مترام. وتحت الاستعمار الفرنسى أصبحت البوذية فى الظل، وبينما رفع الفـرنسيون من شأن الكاثوليكية، ومر وقت

ليس بالقصير حتى عادت الحيوية إلى البوذية فى مترام عندما أصبحت شعبية على اعتبار أنها شكلا غير سياسى يعبر عن القومية الفيتنامية. ولهذا السبب نفسه لقيت طائفة ومصلى شعبية.

واتبع ديام سياسة تحيز لجانب الكاثوليك، فكان أن تجمع غير الكاثوليك ضده. وكانت المقاومة البوذية قوية وشديدة التأثير. فلما نجحت هذه المقاومة البوذية فى إسقاط ديام حصل البوذيون على شعبية كبيرة، ولكن فقد الرهبان البوذيون هذه الشعبية باستمرار نشاطهم الهدام ضد الحكومة.

من ناحية أخرى لم يكن البوذيون أغلبية فى البلاد. حقيقة ليست هناك إحصاءات دقيقة عن عدد كل طائفة من الطوائف الدينية، ولكن يمكن توزيعهم على النحو التالى:

أ- البوذيون. ٣ مليون وعدد آخر مساو من المؤيدين لهم.

ب- الكاثوليك ١,٥ مليون.

جـ- ١,٥ مليون ولكن كل طائفة تنقسم إلى فرق متعددة يمكن أن تتداخل الواحدة منها مع الأخرى.

د- ٨٠٠,٠٠٠ قبائل جبلية.

وكانت طبقة المثقفين الفيتناميين تستند فى حقها بأن تحكم إلى التفوق العلمى؛ ذلك التفوق الذى كانت تحدده وتكتشفه الامتحانات الحكومية التى كانت تقوم على علوم الكونفوشيوسية.

أما الإمبراطور فكان يحكم بمقتضى «الحق الإلّهى» ويتلقى التفويض من السماء ذلك التفويض الذى يأتيه بالوراثة. فهو أب رعيته، وهو الكاهن الأعظم لدولته الكنفوشيوسية. وهو من الناحية النظرية مطلق السلطة. وينفذ أوامره عن طريق بيروقراطية من الدارسين والعلماء. وفى تطبيق الكونفوشيوسية اتجاه تلقائى نحو قوانين جائزة. وعلى وجه العموم كانت قلة قليلة من الأثرياء هى التى لديها

وقت تقضيه فى الدرس والتحصيل، واستعدادا للامتحانات. والأسرة الثرية التى لا يخرج منها عالما سرعان ما تنهار. كذلك كانت القرى والعصبيات الأسرية تعمل على إنجاب ولو طفل نابغة، حيث إن ارتقاءه إلى مصف الدارسين يكفى لأن يرفع من مكانة أسرته.

لقد ظل البيروقراطى الكونفوشيوسى محتفظا بارتباطاته الأصلية بقريته وبأسرته. وكان الأب بمثابة المدير والقاضى والكاهن الأعلى وكأن الأسرة عبارة عن مؤسسة من مؤسسات الدولة. والقرارات الهامة تصدر عن مجلس الأسرة ولا تعطى إمكانيات لوجهات النظر الفردية.

والقرية نفسها يحكمها مجلس اعضاؤه مختارين من بين المثقفين المحليين. ومهمة هذا المجلس اجتماعية ويعمل على ضمان الأمن للمواطنين. هذا النظام على هذه الصورة لا يشجع على النشاط الفردى ولا على اتخاذ الفرد قرارات حاسمة بنفسه أو تحمل المسئولية الفردية. إلا أن هذا النظام أعطى للقرية بناء تعاونيا قويا. فكانت الأسرة مسئولة عن أفرادها. والقرية عن سكانها والدولة ليست سوى أسرة كبيرة تترابط بواسطة عقيدة عبادة الأسلاف الموتى. هذه العقيدة أعطت الفيتناميين وحدة فى كل زمان.

وكان العسكريون فى مكانة أقل من مكانة الموظفين المدنيين فى الحكومة. فقد رتبت العقيدة الكونفوشيوسية المجتمع على النحو التالى:

١- المثقف الكونفوشيوسى.

٢- الفلاح.

٣- التاجر.

٤- الجندى.

وقد ترتب على هذا أن واجهت الحكومات العسكرية منذ عام ١٩٦٣.

وبالرغم من التغيرات التى وقعت فى فيتنام بسبب الحرب والتقسيم فقد ظلت البلاد زراعية فى غالبيتها العظمى، فمن بين كل خمس أفراد يقوم أربعة بالزراعة مستخدمين أساليبهم القديمة، والمعروف أن عالم الفلاح ضيق النطاق لا

يتجاوز قريته إلا قليلا، فولاؤه يذهب أولا إلى أسرته ثم لقريته وبدرجة أقل لعقيدته ولعنصره. وكانت حدود الولايات تتغير من وقت لآخر وخاصة فى الجنوب، ولكن لم يكن هذا يعنى شيئا بالنسبة له. فلم يكن له شعور واضح بفيتنام كدولة. ولكنه يدرك أنه فيتنامى وليس لأوسى ولا كمر (كمبوديا) ولا صينى. وكان يرى أنه أسمى من كل الأجانب.

ولقد كان الفيتنامى منذ صغره يلقن قصص أسلافه الأبطال من أمثال هونج فيونج مؤسس فيتنام الأسطورى، وقصص الإخوان وقصص غيرهم من الأبطال الذين هزموا الصينيين والمغول وتشامر أو الكموز فى حروب وقعت فى الأزمة السالفة. مثل هذه القصص كانت تغذى فيه الشعور بالتفوق العنصرى، ولكنه كان يفتقر إلى مفهوم الوطنية أو القومية بالمفهوم الغربى.

والتقاليد هى التى تسيطر على القرية ومعها قوانين الإمبراطور. وكان على القروى أن يخدم فى الجيش والسخر ويدفع الضرائب. وفيما عدا هذا كان يترك لشأنه وتقاليده. وفى حالة تعرضه لمجاعة أو فيضان أو لمطالب الموظفين الفاسدين بحيث لا يمكن أن يحتمل معها الحياة فهو يثور إذا وجد قائدا يقول: إنه من سلالة أسرة قديمة حاكمة. وبسبب طبيعته الطائعة فمن السهل أن يدفع إلى الثورة بواسطة من يبدى تسلطا أو قوة أو أنه صاحب السلطة. وفيما عدا ذلك يظل ساكنا لا يتوقع شيئا يذكر من الحكومة المركزية، ولا يعطى أكثر من الضرورى. ولكنه فى مواجهة غزو خارجى فيمكن إثارته للدفاع عن بلاده بكل شجاعة.

فى سنة ١٩٦٦ كان تعداد فيتنام ٣٤ مليون ويزيد مليون كل عام، معظمهم فى الأراضى المنخفضة وفى دلتا الأنهار، وكان الفيتناميون يخافون سكنى الجبال، ولم يذهبوا إليها بعد التقسيم حيث ذهب إليها عدد من اللاجئين. وهذه الجبال كانت ولاتزال موطن مجموعة من القبائل.

وقبائل (التاى) تمثل معظم سكان المرتفعات الشمالية ويبلغ تعدادها حوالى ٧٠٠ ألف فى فيتنام الشمالية. ويمكن القول بأنهم أبناء عمومة سكان الأراضى المنخفضة المجاورة لهم، فى لاوس وتايلاند. وهم ينظرون إلى أنفسهم وكأنهم أكثر تفوقا من بنى عمومتهم. ويليهم فى العدد فى فيتنام الشمالية، الميونج الذين

يبلغون ٣٠٠ ألف نسمة وهم شبه قبليين. وبين العناصر غير التاى مجموعة وفدت حديثا من «ألمان» وتعدادهم ١٠٠ ألف ومائة ألف ألف أخرى من الذين يفضلون قمم الجبال.

وفى اتجاه الجنوب قبائل شبه أندونيسية تعيش على الجبال وهضبة أنام التى تتمد حتى لاوس وكمبوديا. ويسميهم أهل فيتنام أى المتوحشين[1]. وهم من أقدم من عاش فى جنوب شرق فيتنام ولاوس. ولم يكن لهؤلاء المجبليين اهتمام بالسياسة وإن ظهر بينهم زعيم يستطيع أن يقيم تجمعا حوله، وكثيرا ما استغلت الجماعات الزراعية الجماعات القبلية بخلق المنازعات استغلها الفييت كونج وشيوعيو لاوس (الباتين لار).

أما الكمر فى دلتا جنوب فيتنام فلم يثيروا إلا أزمات أقل وتعدادهم نصف مليون.

ويمثل الصينيون أكثر الأقليات مكانة فى جنوب فيتنام وكانوا يهاجرون من الصين إلى فيتنام على مدى آلاف السنين. وفى مترام هاجر واستقر بضعة آلاف من الصينيين فى الدلتا الجنوبية وساهموا فى تشييد بعض المدن من بينها سايجون وشولون.

ووقعت هجرة أخرى كبيرة تبلغ نصف مليون فى أعقاب الغزو اليابانى للصين واستمرت هذه الهجرة حتى سقطت الصين فى يد الشيوعيين. ويوجد فى فيتنام الجنوبية حتى الآن حوالى مليون صينى وإن كان عبر القرون قد استوعبت فيتنام المهاجرين الصينيين السابقين، أما صينيو الشمال فمعظمهم غادروها بعد تقسيم فيتنام سنة ١٩٥٤.

جلب الصينيون معهم حرفهم، وأساليبهم الصناعية فى الحياة ونشاطهم الجم فى التجارة المحلية والخارجية. وقد سار كل من الفيتناميين والفرنسيين على سياسة ترك هذه المجتمعات الصينية التجارية وشأنها. ولكن حاول بقراراته أن يكسر من قوتهم الاقتصادية. فأصدر قراره بأن الصينى الذى يولد فى فيتنام يصبح فيتناميا،

(١) يطلق عليهم الفرنسيين الجبليين.

أما من لا يصبح مواطنا فيتناميا فلتحرم عليه حقوق المتاجرة والأعمال الاقتصادية. فقبل كثير من الصينيين المواطنة الفيتنامية، ولكنهم بفضل فكرة المواطنة المزدوجة احتفظوا بصينيتهم.

لقد تعرضت فيتنام لمشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية عميقة الجذور فى أسس بناء الدولة الفيتنامية حتى القرن العشرين وشأنها فى ذلك شأن الدول النامية، أصبحت فى حاجة إلى إحدث تغيير جذرى لإصلاح أمورها. ومثل هذا التغيير الجذرى يتطلب إعادة النظر فى السياسة التعليمية لإعداد جماعات جديدة من الشباب تبنى تفكيرها على أسس جديدة، وعلى أساليب جديدة فى الحياة. وكان من المتعذر أن تظهر حكومة قادرة على إصلاح كل المشاكل دفعة واحدة. خاصة وأن هذه المشاكل تعمقت بسبب نقص واضح فى الواعز الضميرى لدى الأفراد والأمانة. وبسبب الحكم على الأمور والمصالح وفقا للمآرب الشخصية، هذا فضلا عن نقص فى الخبرات الفنية اللازمة لعملية التطور، فلقد كان من الضرورى أن يتولى موظف اليوم إعداد شباب يتولون مهمة التطوير فى المستقبل ولكن أولئك المسئولين الكبار فى مناصب الحكومة كانوا عاجزين عن الرؤية الصحيحة لما يتطور إليه العالم، وبالتالى أعجز من أن يتبنوا أساليب حديثة للتعليم والإعداد الفكرى للحياة النشطة الاجتماعية والعملية.

وتعتبر التقاليد الفيتنامية نفسها مسئولة إلى حد كبير عن الحيلولة دون انتشار الأفكار الحديثة بين الفيتناميين. بل لقد كان الكبار يخشون من فتح أبواب التجديد أمام الشباب لا لأن الكبار كانوا غير مقتنعين بالأساليب الجديدة الشابة للحياة، وإنما لأن هؤلاء الكبار كانوا شديدى الحرص على مكانتهم وسلطانهم، ولا يرغبون فى التنازل عن أى جزء بسيط منها.

وحيث إن العقيدة الكونفوشيوسية كانت متأصلة فى نفوس الفيتناميين، فقد حالت هذه العقيدة دون الأخذ بالأساليب التقدم الأوربى، ودون إحداث تغيير جوهرى فى أساليب الحياة. وظلت الأمور على هذا النحو حتى نزلت القوات الفرنسية فى سواحل فيتنام الجنوبية، وبدأت تستولى عليها وينشر الاستعمار الفرنسى معه أساليب الفكر والتعليم والحضارة الفرنسية. ولكلما طبقت ناحية من

هذه النواحى تفتحت آفاق جديدة نحو أساليب جديدة من الحضارة وتفتحت آفاق جديدة من آفاق التغيير والتعديل فى بنيان المجتمع الفيتنامى. وبدأت أسس المجتمع التقليدى الفيتنامى تهتز.

فلقد كانت الحضارة الغربية الفرنسية على طرف نقيض للفكر الاجتماعى الفيتنامى، حيث إن تلك الحضارة الفرنسية تؤكد على الحرية الفردية؛ ولذلك كان المتعلمون والمثقفون المتخرجون من المدارس والمعاهد الفرنسية منشقين عن وطنهم وعن ماضى بلدهم. ولم يعد هؤلاء المثقفون الجدد معنيين بالفكر الكونفوشيوسى، الأمر الذى جعل هذه الجماعات المثقفة الجديدة منعزلة عن أسرتها وعن قريتها. وانعدام الأصالة فى علاقة هؤلاء المثقفين بأهل القرى جعلهم وكأنهم مجرد دخان فى الهواء.

ونتيجة لانتشار أساليب الحضارة الفرنسية فى فيتنام أخذت المسافة بين المدينة والقرية تبتعد بسرعة، حيث إن الثرى فى المدينة أصبح أكثر ثراء والفقير فى القرية أصبح أشد فقرا لاقتناص أثرياء المدينة الفرص الاقتصادية الجديدة فى نفس الوقت الذى لم يعيروا فيه أى التفات يذكر نحو الفقير. وظلت إمكانيات النمو الاقتصادى لدى الأثرياء والمتعلمين أكثر منها لدى أهل الريف والفقراء. ومن ناحية أخرى، فإن أولئك الذين غادروا بلادهم طلبا للعلم عادوا إلى فيتنام وعاشوا فيه دون أن يتمكنوا من أن يعيدوا روابطهم القوية بالمجتمع الفيتنامى.

وزادت الأحداث الأخيرة بعد مؤتمر جنيف عام ١٩٥٤، من حدة الاضطرابات الاجتماعية، حيث إن حوالى ٩٠٠ ألف فيتنامى هربوا من الشمال للجنوب، مبتعدين عن قراهم ومواطن أجدادهم. وأدت الحرب الداخلية إلى أن تتحول بعض المناطق إلى ميادين قتال فأبعدت عنها الأسرات واختفت القرى من الوجود، كما تجمعت بعض الأسرات فى مناطق التجمع. كما أدى انتشار الشيوعية إلى توهين الروابط الأسرية والقوى الاجتماعية التقليدية، حيث تحول ولاء الشيوعى إلى حزبه وليس لأسرته. وهناك صراع بين هذين الاتجاهين: الشيوعية التى تغرس المزارع الجماعية، والتقاليد الفيتنامية القديمة فى الجنوب التى تحافظ على كيان الفرد فى مجتمعه وقريته وتقاليده.

إن عوامل التغيير والتطوير فى القرية الفيتنامية كانت متعددة، وكانت تفرض نفسها بقوة على القرية وبشكل لم تتعرض له قرى البلدان الأخرى النامية. إذ تعرضت القرية الفيتنامية بعد الحرب العالمية الثانية لضغوط حضارية شديدة غيرت من مبانى وأسلوب الحياة فيها وأسلوب التحكم والتوجية. خاصة وأن الفرنسيين والفيتكونغ كانوا يتنافسون على كسب ولاء القرى كل بطريقته الخاصة.

وظلت العلاقات بين فيتنام وأوربا محدودة لا تتعدى الأمور التجارية التبشيرية حتى القرن التاسع عشر وهو القرن الذى طرق فيه الإنجليز أبواب الصين بعنف حتى فرضوا عليها حرب الأفيون (١٨٣٩ - ١٨٤٠). وحرب أخرى شاركت فيها إنجلترا وفرنسا، أدت إلى فرض معاهدة تين تسن لتصبح الصين ميدان تنافس كبير بين الدولتين الفرنسية والإنجليزية. ولكن الأسباب التى أدت إلى توغل فرنسا فى الهند الصينية وفيتنام تختلف كثيرا جدا عن تلك التى أدت إلى توغل فرنسا وإنجلترا فى الصين. فأنام ليست كثيفة السكان مثل الصين لتستوعب هنا مصنوعات كثيرة وتجارات ضخمة، وإنما كانت فى نظر الفرنسيين منفذا للتجارة الصينيين فضلا عن الاستيلاء على آنام يوازن التوسع الإنجليزى فى بورما والتفوق البريطانى فى سيام.

وكان المبرر المذهبى الدينى أو التجارى هو المبرر الذى يوجد فى متناول يد الفرنسيين بسرعة، كلما أرادوا فرض حرب على دولة آسيوية. ولذلك استغلت حكومة الإمبراطور نابليون الثالث - الذى يعتمد على تأييد الكاثوليك - اضطهاد من أنام للمبشرين وشنت على بلاده حربا وأنزلت جيشها فى سايجون عام (١٨٥٨)، ثم توسعت القوات الفرنسية فى كل أنام، وعقدت مع كمبوديا الخائفة من سيام، معاهده عام ١٨٦٣ وضعهتا تحت حماية الإمبراطور نابليون الثالث.

ماذا كانت عليه المقاومة الآنامية؟ لقد كانت رائعة فى فكرتها وفى تحذيرها للفرنسيين من مستقبل الأيام، حيث سجل أهل آنام الذين وقعوا تحت الاحتلال الفرنسى فى عام ١٩٦٢ مظلمة رائعة قالوا فيها:

«إننا إذ فقدنا حكومة ملكنا نجد أنفسنا فى نفس الوضع الذى يفقد فيه الطفل أباه وأمه. وإن بلادكم تنتمى إلى البحار الغربية، أما بلادنا فتنتمي إلى البحار

الشرقية. وكما يختلف الحصان والثور عن بعضهما، فإننا نختلف فى اللغة وفى الكتابة وفى التقاليد، إننا ندين بعرفان الجميل لملكنا. وسوف نثأر لما لحقه من إهانة أو نموت فى سبيله. فإذا كنتم مصممين على أن تأتوا إلينا بالحديد والنار، فسوف تستمر الفوضى زمنا طويلا. ولكننا سوف نطيع قوانين السماء أكثر مما نخاف قوتكم ونقسم أن نقاتل إلى الأبد ودون ما هواده. فإذا فقدنا كل شيء فسوف نأخذ أغصان الأشجار نصنع منها أعلاما وعصيانا نسلح بها جنودنا».

لقد ظل الفيتناميون يكافحون الغزو الفرنسى وحدهم حتى وصلت القوات الفرنسية إلى تونكين التى يرى فيها الصينيون خط الدفاع الأول عن بلادهم. ومن ناحية أخرى كان أهل فيتنام يتطلعون إلى الصين كمنقذة لهم من هذه النكبة، وخاصة وأن ملك فيتنام كان يحصل على إذن من إمبراطور الصين حتى يصبح شرعيا. ومنعت الصين الفرنسيين من أن يفرضوا أنفسهم على تلك المنطقة الحساسة حول تونكين، فكان ذلك كافيا لجول فرى - الداعية الاستعمارى الفرنسى - أن يحث البرلمان الفرنسى على العمل على التوسع هناك وأرسلت حملة كبيرة إلى آنام فرضت بالقوة الحماية الفرنسية عليها عام ١٨٨٤.

شكل الفرنسيون من أقاليم الهند الصينية الفرنسية (فيتنام / كمبوديا/ لاوس) اتحادا تحت سلطة حاكم عام يتبع وزير المستعمرات الفرنسى. ولم يلبث أن تحول الفرنسيون إلى سياسة الإدارة المباشرة، فجردوا الملوك والحكام المحليين من مناصبهم وسلطاتهم، واحتكر الفرنسيون المناصب الإدارية فضلا عن المناصب القيادية. حتى لقد شعر الفيتناميون - مثل الجزائريين - بأنهم أصبحوا فى بلادهم غرباء، ولكن الفارق هو أن فيتنام لم تتعرض لخطر المستوطنين مثلما حدث فى الجزائر. ولكن فيتنام تعرضت لاستغلال الشركات العملاقة الفرنسية التى نفذت المزارع الجماعية لإنتاج المطاط، وشركات استغلال المناجم. فلقد باع الفرنسيون أراضى واسعة فى فيتنام الشمالية لأصحاب المزارع الواسعة غير الفيتناميين واستولت على أراضى الفلاحين الذين غادروا أراضيهم خلال العمليات العسكرية. وفوق هذا وذاك منحت لأقلية فرنسية مساحات واسعة من الأراضى دون وجه وحق.

كذلك تلاعب الفرنسيون فى تصنيف الأراضى الزراعية الفيتنامية بطريقة تزيد من دخل الضرائب حتى ولو كانت النتيجة هو الهبوط بمستوى الفلاح إلى مستويات المجاعة. ومما عمق هذه المأساة أن البلاد كانت معرضة من وقت لآخر لنكبات طبيعية متعددة، كالفيضان والأوبئة، لتصبح هذه إلى جانب التشرد بسبب نمو الملكيات الكبيرة على حساب الفلاحين، وبسبب تزايد الديون على كاهل الفلاح.

وعندما أنشئت السكك الحديدية فى الهند الصينية كانت تهدف فى أول الأمر إلى أغراض فرنسية تجارية تتعلق بتوسيع نطاق التجارة الفرنسية مع مقاطعات الصين الجنوبية الغربية. وكانت عمليات تمويل إنشاء السكك الحديدية تتم عن طريق رؤوس أموال داخلية. وبعد عام ١٨٩٥ فقط بدئ فى تمويل مشروعات سكك حديد فيتنام، بأموال فرنسية، اكتتب بها فى فرنسا.

وكان إمبراطور فيتنام (آنام) لا يملك من أمر نفسه شيئا. بل كان عاملا من عوامل زيادة الفقر فى بلاده. وتقوية جذور الاستعمار فيها. ومن ذلك رحلته إلى فرنسا. تلك الرحلة التى تذكرنا برحلة الخديوى إسماعيل إليها وبرحلة السلطان العثمانى عبد العزيز إلى أوربا. هى برحلات مكلفة للغاية أرهقت ميزانية البلاد لصالح الدائن الفرنسى.

ومما شجع الفرنسيون على التمادى فى هذه الأساليب الاستعمارية المتطرفة أنه لم تكن هناك قوة منافسة أوربية هناك لتحد من هذا التهور الاستعمارى. ومن ناحية كانت أكبر دولة آسيوية ذات قيمة حينذاك وهى الصين تعانى وتترنح تحت ضربات استعمارية جماعية أوربية لتصبح ضربات أوربية وآسيوية عندما انقضت اليابان على الصين فى التسعينات من القرن الماضى، ولم تستطع الصين أن تقف على قدميها إلا إلى حد ما على يد صن - يات - ص وثورة ١٩١١.

وكان تطور الاستعمار الفرنسى على هذا النحو من التطرف الاستغلالى، عاملا جوهريا فى ظهور حركة تحررية وطنية. وتزعم هذه الحركة الوطنية عدد من الزعماء الفيتناميين من ذلك الطراز الذى عرفه الوطن العربى خلال فترات الاحتلال البريطانى لمصر أو الفرنسى فى شمال أفريقية. وزعماء كرسوا جهدهم

من أجل مقاومة المستعمر سياسيا أكثر من العمل على مقاومته اقتصاديا. ومن هؤلاء الزعماء الفيتناميين:

١- هونج هاو تام.

٢- نجوين ثيان تود.

٣- فإن باوشو.

وكان المثل الأعلى لبعض الزعامات الوطنية الفيتنامية مستمدة من الحركات التحررية الصينية خاصة من ثورة ١٩١١، ومبادئ الإصلاح التى نادى بها ض - يات - ض.

ويحدثنا المؤرخ الكبير الهندى انيكار مما حدث للهند الصينية على يد الاستعمار الفرنسى، فيقول:

«إن كوتشين صين الواقعة تحت الإدارة الفرنسية المباشرة والمعرضة للنشاط الشديد للبعثات التبشيرية الأجنبية فى كثير من مناطقها، حدث بها انهيار فى النظام القديم، أدى إلى نمو كثير من النحل الدينية العجيبة مثل الكودية.

وقد كانت الأنظار متجهة على الدوام فيما يتعلق بالهند الصينية إلى الحركة الوطنية التى يقودها الشيوعيون.

إن أهل الهند الصينية لم يتقبلوا قط النفوذ الفرنسى راضين، كما أن كبرياءهم وثقافتهم القومية قد قاوما باستمرار مغريات سياسة الارتباط (بفرنسا) أو الاندماج التى كان ينتهجها الفرنسيون. ولكن لم تحدث بالبلاد إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى أية حركة وطنية واسعة النطاق، تقيم نفسها على خطة إعادة البناء الداخلى والإصلاح.

وعندما بدأت تلك الحركة كانت الثورة الروسية أصبحت بالفعل عاملا ضخما فى شرق آسيا. ولذا، فإن الحركة الوطنية الجديدة فى الهند الصينية اتسمت منذ البداية بطابع التحيز للمذهب الماركسى».

لقد سيطرت الفلسفات التحررية الوطنية على هؤلاء الزعماء، حتى لقد عجزوا عن حقيقة المشكلة وهى أنهم يستطيعون أن يقحموا المستعمر بالحجة والدليل دون أن يتمكنوا من إخراجه؛ لأنه وضع أقدامه بالقوة وليس من الممكن -

فى معظم الأحيان - أن يخـرج إلا بالقوة. ومن ناحية أخرى استطاع المسـتعمرون الفرنسيون أن يخلفوا جماعات اقتصادية قـوية النفوذ، وجماعات مذهبية كاثوليكية شديدة التعلق بـفرنسا والفرنسيـين، وكانت هذه الجماعـات قادرة على أن تقوض الحركات التحررية من الداخل.

ومن ناحية أخـرى، كان الفلاح مستـعدا فى حقيقـة الأمر لأن يبذل النفس والنفيس تحت قيادة زعمائه فى الكفـاح من أجل تحرير بلاده. ولكن هذه التضحية من أجل هدف سام على هذا النحـو يصعب لا تعنى أن الفلاح يجب أن يتـمسك بها على طول الخط، حيث إن مجرد التلويح بمكاسب مؤقتة، أو ترضية كبار رجال الإقطاع فى مـقـابل التحـكم فى أمور الفـلاحـين كـان من الأمور الميـسـرة على المستعمرين حينذاك.

إن ربط الحركة التحـررية بالفـلاح - الذى يمثل أغلبية الشعب - تعنى ربط هذه الحركة بالتغيـير الاجتماعى، وهو أركان يخشاه المنفذون الفـيتناميون على قدم المساواة مع كـراهية المسـتعمـرين له. ومن ثم كانت حـركة الكفـاح الوطنى ضد المستعمرين الفرنسيين قبل الحرب العالمية الأولى، حركة محدودة الإمكانيات، وبيد جماعات غير قادرة على إطلاق الثورة بالقوة اللازمة لإخراج المستعمر من البلاد.

وأغلب الظن كان قصور الحركة الوطنية على هذا النحو هو السبب الجوهرى الذى جعل (نغوين تان ثانه) - الذى اشتهر فـيما بعد باسم (هوشى منه) - يفضل أن يغادر بلاده إلى أوربا.

لقد شارك الشـاب فى الحركة الوطنية فى بلاده، وقـام بدور ضابط الاتصال بين المنظمات الوطنية خلال عمليات الكفاح ضد المستعمر الفرنسى. وشاهد بنفسه قصور قوى الثورة.

كذلك أدرك - وهو لا يزال فـى سن مبكرة - إن التعليم الـفرنسى - الذى ينقل الحضارة المتـقدمة الأوربية والفرنسـية إلى فيتنام، ينقل إلى الشـعب الفيتنامى عوامل هدم شديدة وعوامل تثبيت للاستعمار الفرنسى[1].

(١) كان هدف التعليم الفرنسى فى فيتنام هو تقريبا نفس هدف التعليم الإنجليزى فى مصر أيام الاحتـلال وهو تخريج عـدد من الموظفين الذين يدينون برواتبـهم لحكومة الاحـتلال ولا يخرجون عن أوامرهما.

ولذلك رفض أن يستمر فى التعليم فى إحدى المدارس وفضل على ذلك الالتحاق بمدرسة كان قد أنشأها جماعة من الوطنين الفيتناميين تعنى أكثر بالفكر الفيتنامى.

ولكن هوشى منه، كان بفطرته الثورية، وذكائه الحاد وبعد نظره يدرك أن أوربا هى القوة الكبرى المسيطرة على مقدرات العالم. وإن مقاومتها فى وطن صغير مثل فيتنام لا يتأتى بالأساليب التى يمكن استخدامها وإدراكها، وإنما بأساليب نابعة من الفكر الأوربى نفسه. ومن ثم لابد من دراسة الفكر الأوربى، والتعمق فيه، وتشريح كل نشاط أوربى أدى سياسة استعمارية أو إلى سياسة تحررية. فغادر فيتنام إلى فرنسا فى عام ١٩١١ لا كما كان يغادرها أبناء الأثرياء للالتحاق بالجامعات الفرنسية، وإنما كطباخ، وعندما وصل إلى مرسيليا عمل خادما لدى عائلة فرنسية، ثم مضيفا على باخرة دارت به حول أفريقيا، فزار أسبانيا والبرتغال والجزائر وتونس والكونغو والولايات المتحدة الأمريكية، ودرس هناك الحياة والنظام الاجتماعى وشاهد عن قرب نشاط جماعات إرهابية ضد زنوج الولايات المتحدة الأمريكية، لا لشىء إلا بسبب اللون والحفاظ على تفوق الرأسمالى الأبيض.

لقد عاش هوشى منه فى جو ملئ بالاتجاهات الاشتراكية فى أوربا. وخاصة فى فرنسا، ولكن هذه الاتجاهات الاشتراكية القوية لم تتحول إلى حركة كبرى إلا فى أعقاب نجاح الثورة الشيوعية فى روسيا خلال الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧، وهى أول حركة عالمية تأخذ جانب المستعمرات ضد المستعمرين أيا كانوا. وكان هوشى منه فى باريس حينذاك، فاشترك فى الحرب الاشتراكى الفرنسى فى نظم «جماعة الفيتناميين الوطنيين المقيمين فى باريس».

وشاهد خلال تلك الفترة انتصار (الحلفاء) وعقد مؤتمر الصلح فى فرساى عام ١٩١٩ فى جو مشحون بمثاليات حق الشعوب فى تقرير مصيرها طبقا لمبادئ ولسن، الرئيس الأمريكى. شاهد هذه المثاليات على صفحات الصحف وعلى ألسنة الزعماء، ولكن الحقيقة هى تثبيت قوى المستعمرين فيما كان تحت أيديهم، وإضافة مستعمرات جديدة إليهم بعد الحرب العالمية الأولى.

لقد حاول هوشى منه أن يسمع صوته إلى زعماء العالم المجتمعين فى فرساى، وقدم مطالب باستقلال فيتنام نيابة عن جماعة الوطنيين الفيتناميين. ولكن لم يصغ إليه أحد من زعماء العالم حينذاك.

أما وقد أغلق العالم الرأسمالى الغربى آذانه عن سماع شكوى الشعب الفيتنامى، فلا سبيل له إلا أن يتابع العمل فى إطار الفكر الاشتراكى، ثم الشيوعى، الذى قوى فى أعقاب الثورة الشيوعية، وظهور الأحزاب الشيوعية فى أوربا. وانضم هوشى منه إلى الحزب الشيوعى الفرنسى على اعتباره أكثر القوميين دفاعا عن حقوق المستعمرات عام ١٩٢٠، وشكل وهو فى ذلك الحزب «عصبة شعوب المستعمرات» من أجل تحريرها عام ١٩٢١..

وليس معنى أنه كان عضوا فى الحزب الشيوعى الفرنسى أنه كان متعصبا لهذا الحزب، وإنما كان مؤمنا برسالة «النقد الذاتى» كوسيلة رئيسية فى إعادة النظر إلى أسلوب العمل التحررى. وعن هذا الطريق اكتشف أخطاء هامة فى سياسة الحزب الشيوعى الفرنسى وأهمها أن لدى هذا الحزب نزعات قومية فرنسية تتغلب على النزعة العامة للحزب وللفكرة الشيوعية، ونعنى بها محاربة الاستعمار فقد لاحظ أن الحزب الشيوعى الفرنسى كان يتجنب إثارة مآسى الاستعمار الفرنسى فى فيتنام، فانتقده هوشى منه لهذا نقدا شديدا.

لقد عزم هوشى منه أن يجعل جهاده وقدراته فى خدمة تحرير بلاده، وهذا يتطلب منه أن يكون على مقربة منها أو فيها.. فغادر فرنسا وهبط كانتون (الصين فى عام ١٩٢٤ وبدأ يؤسس هناك منظمات ثورية فيتنامية (١٩٢٥) ثم سعى إلى تأسيس الحزب الشيوعى فى داخل فيتنام. وسرت الفكرة الشيوعية - بسبب قسوة الاستعمار الفرنسى - بسرعة فى البلاد، حتى لقد تكونت ثلاث منظمات شيوعية متنازعة، ولكن استطاع هوشى منه أن يؤلف منها جميعا حزبا شيوعيا واحدا (١٩٣٠).

وضع الحزب الشيوعى الفيتنامى برنامجا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا لفيتنام يقوم على الأسس الرئيسية التالية:

١- إقامة حكومة عمالية - فلاحية - عسكرية.

٢- تنظيم جيش من الفلاحين والعمال.

٣- مصادرة كل المؤسسات الرأسمالية.

٤- مصادرة الأراضى الزراعية وتحويلها إلى ملكية الدولة ليعاود توزيعها على الفلاحين.

ولكن جهود الحزب لم تكن مثمرة خلال الفترة قبيل الحرب العالمية الثانية. ولما وقعت الحرب كانت الأمور تسير من موقف إلى موقف وكان هوشى منه يحاول دائما أن يكسب الفرص لصالح استقلال وتحرير بلاده.

والمعروف أن فرنسا لم تصمد طويلا فى الحرب، وسقطت فى يد الجيوش النازية، بينما ظهرت حكومة فيشى المتعاونة مع النازى، ولكن المعاملة كذلك على المحافظة على استمرار السيطرة الفرنسية على المستعمرات وكانت لفرنسا سياسة خطيرة على المستعمرات، إذ كانت مستعدة للتنازل عن مكاسب للخصوم فى سبيل الاحتفاظ بأكبر قدر من المستعمرات. ولهذا أرضت فرنسا الأطماع اليابانية فى الهند الصينية على حساب فيتنام اقتصاديا وأقطعوا أرضا فيتنامية وقدموها لسيام. وأصبح شعب فيتنام تحت نير مزدوج: اليابان وفرنسا.

لقد رأى هوشى منه أن الدعوى التى رددها الفرنسيون من أنهم مسئولون عن حماية فيتنام، قد أصبحت واهية للغاية. وبسقوط فرنسا فى يد النازى، وبفتحها البلاد أمام اليابانيين لم يعد لها حق فى البقاء فى البلاد. وأصبح على الفيتناميين أن يحرروا بلادهم من الفرنسيين (فيشى) ومن اليابانيين كذلك. وفى هذا يقول هوشى منه:

«إن فرنسا نفسها لم تعد قادرة على حكم بلادنا، أما بالنسبة لليابانيين لهم من جهة، قد تورطوا فى الصين، وهم من جهة أخرى تعرقلهم القوات الأمريكية والبريطانية، وليس بمقدورهم على التأكيد، أن يستخدموا كل قواتهم ضدنا. فإذا اتحد شعبنا كله وعمل بعقل واحد، فيقينا سنتمكن من سحق جيوش الفرنسيين واليابانيين».

ولا شك أن الفرنسيين - فى فترة الهزيمة والضعف وتدهور مكانتهم الدولية وقوة خصومهم - خانوا الأمانة التى كانوا دائما يتخذونها وسيلة لتوطيد الاستعمار

الفرنسى فى الشرق الأقصى وفى الشرق الأوسط، وهى مهمة الحفاظ على البلاد من الخطر الخارجى، ومن جموده ونقلها إلى مستويات العصر الحديث. هذه الأمانة خانوها، ووضعوا المستعمرات فى خدمة فرنسا لا أكثر ولا أقل، ويتمثل هذا فى أنهم كانوا مستعدين لتوسيع مشاكلهم مع الدول الأخرى على حساب المستعمرات. فعملوا فى هذا سوريا عندما تنازلوا - وهم ليسوا أصحاب الأرض - عن لواء الإسكندرونة لتركيا، وفعلوا مثله عندما أرضت اليابان على حساب فيتنام، وأرضت سيام كذلك على حساب فيتنام عام ١٩٤١.

وهذه فى الواقع سياسة عامة للدول الاستعمارية، التى كانت ترضى الخصوم على حساب المستعمرات. فعلت هذا بريطانيا مع إيطاليا فى الصومال، ومع ألمانيا فى زنجبار، ونتائج تلك التنازلات الاستعمارية هى أفدح ثمن كانت تدفعه المستعمرات حتى إذا ما حصلت على استقلالها تجد نفسها منقوصة الاستقلال أو مضطرة إلى الصدام مع القوى الأخرى.

وعلى أية حال، فلقد أصبح العمل الفيتنامى موجها ضد قوتين: الفرنسية واليابانية، والأمر يحتاج إلى تنظيمات أوسع وأدق وأكثر فاعلية من كافة الجوانب، ونجح هوشى منه فى تكوين (الفيتنمة). وكانت الأهداف الرئيسية لها:

١- متابعة حرب العصابات حتى تتحرر البلاد من الفرنسيين أم اليابانيين.

٢- إقامة جمهورية ديمقراطية على أساس الفكر الشيوعى.

وفى هذه المرحلة من الكفاح وضحت له أن إمكانيات الكفاح المتواصل مستمرة، ولكن إمكانيات النصر النهائى تتوقف على أمرين:

١- انتصار الحلفاء على اليابان، وهذا أمر خارج عن إمكانيات هوشى منه وإنما كان يريده رغم أنه انتصار مشترك للرأسمالية والشيوعية وليس انتصارا خالصا للشيوعية أو التحررية الاستقلالية للمستعمرات.

٢- أن الصين بزعامة شان كاى شيك، رغم عداوته المستمرة للحزب الشيوعى - كانت القوة الكبرى المقاتلة لليابانيين على مقربة من فيتنام. ومن ثم فإنه يمكن استخدام هذا الاتفاق المشترك فى الهدف (هزيمة

اليـابان) فى كسب مـعـونات الصيـن للثورة فى فـيـتنام، خاصـة وأن الضرورات الاستراتيچية الصينية تتطلب من حكومة الصين، أيا كانت، أن تضع بعين الاعتبار خطورة وجود قوى تهددها فى فيتنام.

هذه هى الظروف العـامة الـتى جعلت هوشى مـنه - اليسـارى المتطرف - يذهب إلى شان كاى شـيك عدو الحركة الشيـوعية. وهناك لم يجد ثقة مـتبادلة، وإنما أمر شان كـان شيك باعتقاله، ليظل حوالى العـام سجينا (١٩٤٢ - ١٩٤٣) وهى سنوات الحرب الحرجة، وأطلق سراحه ليعـاود نشاطه متصلا بالقوى الوطنية المناهضة للفرنسيين واليابانيين سواء فى داخل البلاد أم خارجها.

جاء إطلاق سراح هوشى منه والحـرب تتحول بسرعـة ضد اليابان، بل وقع الصدام بين اليابانيين والفرنسيين فى فـيتنام، ودارت حرب العصابات بعنف متزايد حتى استطاعت أن تفرض نفسها وأدركـت حركة التحرير أن العدو أصبح فى هذه الظروف الجديدة هو اليابانيين فقط، وأن الفرنسيين أصبحوا مقلوبين على أنفسهم، ولذلك كانت حركة التحـرير تحت الفرنسيين باستمرار على أن يتعـاونوا معها ضد اليابانيين العدو المشترك. ومع أن الفرنسـيـين رفضوا ذلك، إلا أن الثوار الفيتناميين لم يبخلوا بجدهم من أجل إنقاذ الفـرنسيين من قبضة اليابانيين، وعـلى حد تعبير هوشى منه:

«لم يعد فيتنام مستعمرة فرنسية، وإنما أصبحت مستعمرة يابانية» ولهذا أعلن هوشى منه إلغاء كل علاقة ذات طبيعة استعمارية مع فرنسا».

فى هذه الظروف لم تكن هنـاك قوى فى صف الحلفـاء قـادرة على توجيـه ضربة إلى الفيتنمـة، لعدة أسباب أولها أنها تعمل ضـد اليابان. والسبب الثانى أن الاتحاد السـوفيتى كان الحليـف الكبير للدول الرأسمـالية الغربيـة، وكان على دول الغرب أن تراعى المشاعر لحكومة الكرملين خاصة وأن فرصة اليابان وألمانيا الأخيرة فى عام ١٩٤٤ / ١٩٤٥ للوصول إلى صلح معقـول مع الحلفاء هو وقوع فرقة أو أزمة شديدة بين دول الحلفاء.

وفى أغسطس عام ١٩٤٥ أعلنت الثـورة الفيتنامية، وهو الشهـر نفسه الذى ضـربت فيـه اليابان بالقنـبلة الذرية واستـسلمت فيـه اليـابان، وأعلن هوشى منه استقلال فيتنام جمهورية ديمقراطية فى أيلول (سبتمبر ١٩٤٥).

ولقد أشار قـرار إعلان الاستقلال إلى حـقائق تاريخية هامـة يجدر الإشارة إليها:

١- ارتباط هذا الإعـلان بمفهـوم الحركة الـتحررية العـسكرية فى الولايات المتحدة الأمريكية بشأن حرية الفرد.

٢- ارتباط هذا الإعلان أيضا بمفهوم حقوق الإنسان التى أعلنت عنها الثورة الفرنسية الكبرى.

٣- انتقاد الفرنسيين بأنهم هم الذين لم يتـجنبوا تطبيق هذه المبادئ الإنسانية السامية.

٤- اتهام الفرنسيـين فى فيتنام بأنهم أساءوا كل الإساءة إلى مسـتقبل وحدة البلاد الفيتناميـة، عندما وضعوا ثلاثة أنظمة سياسية مـختلفة فى شمال البلاد، وجنوبها ووسطها.

٥- اتهام الفرنسيين بأنهم أجبروا أهل فـيتنام على «تعاطى الكحول والأفيون لأضعاف أمتنا».

والجدير بالذكـر أن إعلان اسـتقلال فـيتنام كـان يعنى كذلك انهـيار النظام الإمبراطورى القديم. فلقد تنازل الإمبراطور نفسه عن العرش.

ولكن كانت هناك مـحاولة قوية ضد فكرة اسـتقلال فيـتنام على يد الحزب الشيوعى الفيتنامى، فـبينما كان اليابانيون وهم يهمون بمغادرة البلاد الفـيتنامية بعد استسلامـهم بلا قيد ولا شرط فى أغسطس عام ١٩٤٥، كـان الحلفاء يدبرون أمرا آخر لفيتنام. ففى مـؤتمر بوتسدام كان قد تقرر تقسيم فيتنـام إلى منطقتين أحدهما شمالية تحتلها الصين (شاى كان تشيك) وتحتل القوات الإنجليزية القسم الجنوبى من فيتنام (سبتمبر ١٩٤٥). وكان إعـلان هوشى منه لاستقلال فيتنام محاولة لإنقاذها من أن يحدد الصينيون أو الإنجليـز مستقبلها لكل منهـما أهداف فى فيتنام. ولكن

المشكلة أصبحت معـقدة أمام حركة التحرير الوطنى، حـيث إن الإنجليز فى فيتنام انتهجوا سيـاسة خطرة، إذ تركوا البلاد ليحتلها الفرنسـيين على اعتبار أنهم - من وجهة نظر الإنجليز - أصحاب الحق فى التصرف فيها.

وهكذا، بينمـا أعلن الإنجليز أنه لا حق للفرنسـيين فى العـودة أو فى إعادة سياستهم واحـتلالهم الاستعمارى لسوريا ولبنان فى أعقـاب الحرب العالمية، تركوا فيتنام للفرنسيين؛ لأن مصلحتهم كانت تقتضى إبعاد الفرنسيين عن سوريا ولبنان، كما كانت تقتضى عودة الحكم الاستعمارى الفرنسى إلى فيتنام.

وكانت المهـمة شاقة أمـام الفرنسيـين كى يعيدوا سـيطرتهم على كل أجزاء فيتنام، بل لقـد أصبح عليهم أن يعودوا إلى حملات الفـتح والإخضاع، إذا أرادوا أن يعودوا سادة الإقليم مرة أخرى.

وكان الموقف كذلك عصـبيا أمام الوطنيين الفيتنامـيين، كانوا مطحونين بين الصينيين والفرنسـيين. فهل كان فى استطاعتهم أن يقـاتلوا الطرفين؟ لقد كان من المستحيل ذلك. ومن ثم كـانت السياسة التى اتبعها الـثوار بزعامة هوشى منه هى استخدام قوة ضد أخرى. فمع من يتـحالف أولا؟ مع الفرنسيين لإبعاد الصينيين؟ أم مع هؤلاء لإبعاد الفرنسيين؟.

لقد كـان لكل اتجاه مـحاسنه وأخطاره التى قد تصـل إلى وضع البلاد تحت احتـلال جديد، ولمـدة طويلة. ووجد هوشى منه أن الجـانب الصينى هو الجـانب الأضعـف؛ وذلك لأن شاى كـاى تشيك كـان يعانى حـربا ضروسـا يشنها علـيه الشيـوعيون بـقيادة مـاوتسى تونغ الذى كان يحـصل على التأييد الـكامل للاتحاد السوفيتى. وكانت أنظار كاى تشيك صوب الشمال لا إلى الجنوب.

وفوق هذا وذاك، كان على الـصينيين أن يسلموا ما تحت يـدهم - بمقتضى اتفاقية بوتسدام - إلى الفرنسيين.

ومن ناحـية أخـرى، فـإن التحـالف مع الصـينيـين قد يؤدى إلى خـروج الفرنسيـين من البلاد، ولكن من المستبعـد جدا أن يخرج الصينيون من فـيتنام بعد الوصول إلى النصر النهـائى. ولذلك قرر هوشى منه الاتفاق مع الفرنسيـين وعقد اتفاقـية مع الجنرال (لوكلريك) فى ٦ مـايو (آيار) سنة ١٩٤٦، وبمقتضـاها عادت

القوات الفرنسية إلى فيتنام الشمالية، على أن يتقرر مستقبل البلاد النهائى فى مفاوضات تعقد فيما بعد. وفعلا انسحب الصينيون من شمال فيتنام وأصبح على الثوار أن يجدوا طريقة للتخلص من الفرنسيين وإعلان استقلال البلاد استقلالا كاملا.

دارت مفاوضات معقدة طويلة بين الطرفين الفيتنامى والفرنسى، وحاول الفرنسيون أن يقنعوا الفيتناميين بجدوى الارتباط المستمر بفرنسا. وكانت فرنسا تصدر حينذاك مجموعات من القوانين التى تهدف إلى احتواء الحركات التحررية فى المستعمرات فى منظمات فرنسية كبرى تجعل المستعمرات تحت التوجيه الفرنسى مع رفع مكانة المستعمرة بشكل من الأشكال السياسية، ولكن الفيتناميين رفضوا كافة القوانين الفرنسية من هذا القبيل وأصروا على الاستقلال الكامل. وكانت هناك موجة كبرى من الحركات التحررية الناجحة تجتاح آسيا حينذاك. فى الهند حركة كبرى أصبحت على وشك النجاح النهائى بزعامة المهاتما غاندى ومحمد على جناح، وحصلت الهند وباكستان فعلا على الاستقلال فى عام ١٨٤٧، وفى أندونسيا حركة مقاومة كبرى ضد الاستعمار بقيادة أحمد سوكارنوا ضد الاستعمار الهولندى والتقدم الشيوعى فى الصين ضد شأن كاى تشيك مطرد.

لقد كانت الفترة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى فترة هبت فيها شعوب المستعمرات الآسيوية وشعوب الأمة العربية ضد الاستعمار الأوربى.

شجع كل هذا رجال الثورة الفيتنامية على رفض أية قيود تريد فرنسا أو تفرضها على البلاد. وكان هذا يعنى أن الحرب لابد وأن تستأنف وهذه المرة بين الفيتناميين والفرنسيين. وكان هوشى منه قد حل الحزب الشيوعى فى نوفمبر عام ١٩٤٥ وأعلن عن تأليف «الجيش الشعبى لحكومة فيتنام الديمقراطية»، واحتكم الطرفان إلى السلاح، فكان ذلك بداية لمعارك مع الفرنسيين لم تتوقف إلا فى عام ١٩٤٥.

ففى ١٩ كانون أول (ديسمبر) ١٩٤٦ قاد الجنرال جياب هجوما كبيرا على القوات الفرنسية. وكانت المناوشات والمعارك الصغيرة التى دارت خلال الفترة الواقعة بين ١٩٤٦ - ١٩٤٩ لا تؤكد أن مؤشر الفوز فى اتجاه الثورة الفيتنامية، بل

كانت تشير إلى أن الفرنسيين سيسحقون الثورة بعد وقت ليس بالطويل. وأن مصادر التأييد الخارجي للثورة ضعيفة للغاية. كذلك كان هناك اعتقاد آخر هو أن الثورة لا جذور لها فى فيتنام. ولكن فى هذه الأمور أخطأ السياسيون والعسكريون الفرنسيون على السواء.

فقد حدث تطور خطير فى الشرق الأقصى، بل وفى ميزان القوى فى أواخر عام ١٩٤٨ وأوائل عام ١٩٤٩، ففى يناير ١٩٤٩ طلب شأن كاى تشيك عقدالهدنة وانتهى الأمر بخروجه هو ومن ظل مواليا له من الصين إلى فورموزا (تايوان) لتصبح الصين الشعبية أكبر دولة شيوعية بعد الاتحاد السوفيتى، وكان طبيعيا أن تمد الصين الشعبية الشيوعية الثورة الفيتنامية التى يتزعمها هوشى منه - بكل الإمكانيات اللازمة لنجاحها دون الرجال حتى تظل أمور الحرب والتحرير فيتنامية تأكيد المهمة الفيتناميين من جهة فى تحرير بلادهم من جهة، وعدم توسيع نطاق الحرب هناك بشكل يلقى الصين الشعبية، وهى فى أيام تكوينها الأولى، فى حرب كبرى ضد حلفاء فرنسا فى فيتنام وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التى كانت هزيمة تشان كاى تشيك - فى نظر كثير من السياسيين فى العالمين الشرقى والغربى - هزيمة للولايات المتحدة الأمريكية، خاصة وأن الأزمة الكورية (يونيو ١٩٥٠) كان قد اتسع نطاقها، وأصبحت تمثل صراعا بين المعسكرين الشيوعى والأمريكى، وكان الدور الذى يجب أن يلعبه الصينيون الشيوعيون فى أوربا خطيرا، ويجب ألا يورطوا أنفسهم فى جبهة جديدة فى فيتنام.

لقد كانت المساعدات الصينية لثوار فيتنام مادية عسكرية فقط، بعكس الدور الذى لعبه الجيش الصينى فى كوريا، ولكن الفارق بين الاثنين هو أن كوريا الشمالية - التى كادت أن توحد كوريا الجنوبية معها - هى التى تعرضت لهجوم كبير أمريكى - بعد الحصول على موافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة - وظلت القوات الأمريكية المتفوقة تفوقا ضخما تدفع أمامها القوات الكورية حتى تدخل الجيش الصينى ليطرد الجيش الأمريكى من كوريا الشمالية.

أما فى فيتنام، فقد كان الفرنسيون هم الذين يفقدون الأرض والمعاقل يوما بعد يوم، ولم يبد أنهم سيسحقون الثورة الفيتنامية.

وحاول الفرنسيون فى أول الأمر أن يثبتوا أنهم بأنفسهم قادرون على إخماد الثورة الفيتنامية دون أية معونة خارجية. وكانت فرنسا تشعر بعد الحرب العالمية الثانية بمركب نقص خطير، حيث إن التقييم العام لقوى العالم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية كان على النحو التالى:

أ- دولتان كبيرتان عملاقتان هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى.

ب- دول كانت إمبراطوريات وبدأت تتحول إلى مجرد أمم من المرتبة الثانية وهى بريطانيا وفرنسا.

ولكن فرنسا كانت تتمسك بأنها دولة عظمى، وأخذت تمارس سياستها الخارجية على هذا الأساس، على عكس بريطانيا التى عزمت على أن تنحنى للعاصفة، فأعلنت انسحابها من المستعمرات القوية قبل أن تضطر إلى مغادرة تلك المستعمرات بقوة الكفاح الوطنى فيها.

ولكن كانت العمليات العسكرية ترهق اقتصاديات فرنسا وكان تدفق الأسلحة من الصين يدفع بالفرنسيين إلى الاعتراف شيئا فشيئا بأن الأمر أكثر من قدراتهم. وكان من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية بالذات أن تعين فرنسا فى حربها على اعتبار أن هناك - من وجهة النظر الأمريكية - حربا شبه عامة ضد الصينيين فى كوريا وفيتنام. وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية فى إرسال المساعدات الحربية على هيئة أسلحة وتمويل وبعثات استشارية عسكرية.

وبذلك بدأ التغلغل الأمريكى فى المشكلة والتورط فيها ولا تزال حتى الآن متورطة فيها. لقد أرسلت أمريكا مساعدات لا من الأسلحة العادية فقط، بل كذلك أرسلت طائرات بطياريها الأمريكيين.

وحيث إن إرسال هذه الطائرات كان يحتاج - أحيانا - إلى أن تهبط - وهى فى طريقها إلى فيتنام - فى مطارات تشرف عليها حكومة الهند فى سيلان. وهنا ظهر جانب هام من سياسة جواهر لال نهرو - رئيس حكومة الهند - فقد رفض هبوط تلك الطائرات فى تلك المطارات. لاشك أن الدافع إلى هذا هو مشاعر نهرو

العادلة نحـو مساعى شعب للتـخلص من استعمـار ذاقت منه الهند الأمرين طوال أربعة قرون مضت. ونهرو لا يهمه كثيـرا إذا كان التحرر على يد هيئة تحرير يمنية أو يسارية، وإنما يريد أن يرى فيتنام مـتحدة مستقلة. ففيتنام المسـتقل المتحد يعطى اسـتقـرارا لجنوب شرق آسـيـا، بعكس فيـتنام المتـفكك المتـقاتل أو الذى يقـاتل الأمريكيين. ثم إن فـيتنام ليست أول ولا آخر دولة شيوعـية تظهر وإنما هناك دولة شيـوعية ظهرت فى أوربا نـفسها دون أن تتـمكن الولايات المتحدة الأمـريكية من منعها مـن الظهور. الواقع أن مشاعر نـهرو هنا هى مشاعر الآسـيوى الذى يحب الخير للاسـيوى أيا كانت أيديولوچية هذا الخير. وهى نفـس النظرة التى ينظر إليها الأمريكيون إلى شيوعى أوربا. فهم أوربيون على أية حال، ويوما ما سيسعون إلى حظيرة الرأسمالية أو التعايش مع الرأسمالية.

إن هذا يقـودنا إلى حـقيـقة هامـة، وهى أن الدول الغـربيـة وعلى رأسهـا الولايات المتحدة الأمريكية لا تقاوم بقوة السلاح ظهـور حزب أو حكومة مشيوعية فى أوربا أو فى أمريكا، وإنما هى مستعدة لأن تمتشق حسام ضد شعب لم يكن من طبيعته الفكر اليسارى بقدر ما خلقه الضغط الأمريكى فيه. وكانت هذه وجهة نظر عدد من سـياسى بريطانيـا، الذين كانوا أسرع من سـياسى الولايات المتـحدة فى تعديل أسلوب التعامل مع الصين الشيوعـية عندما اعترفت بريطانيا بها عام ١٩٥٠ فى الوقت الذى لا تزال فيه الولايات المتحدة الأمريكية متمسكة بعدم الاعتراف بها إلى الآن.

ومما أوقع السيـاسة الأمريكية فى هـوة الخطأ أن كفاح الشيـوعية دفعـها إلى التعاون مع الأساليب الاسـتعمارية (فرنسا) والمرجعيـة فى فيتنام الأمر الذى أعطى الشيوعيون مادة قوية للتشهير بالفرنسيين والأمريكيين وتحويل الحرب فى فيتنام إلى حرب باسم إنقاذ الشرق من عدوان الغرب، ومن سـيطرة وتحكم الرجعية المتعاونة مع المسعكر الغربى. وفقدت الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا الغالبية العظمى من الوطنيـين والمثقفـين، حيث أصـبحت شخـصيـة الفيتـنامى تكتمل بالكفـاح ضد الاستعمار الأوربى الأمـريكى. فكان ذلك خطأ كبيرا استغلته الحركـة الشيوعية فى الشرق الأقصى إلى أقصى طاقة.

وباستمرار الحرب، ظهر بوضوح عجز الجيش الفرنسى أمام الضغط الفيتنامى المتواصل حتى تحولت الحرب إلى حصار الجيش الفيتنامى للقوات الفرنسية فى «ديان بيان فو». وفى نفس الوقت كانت المشاكل الكبرى العالمية الملحة تحت الدول الكبرى على عقد مؤتمر دولى للنظر فى المشكلات العالمية الكبرى وعلى رأسها المشكلة الألمانية، والمشكلة الفيتنامية.

ويهمنا هنا ما دار بشأن هذه المشكلة الأخيرة. وعقد المؤتمر فى جنيف ابتداء من ٢٦ أبريل إلى ٢١ يوليو ١٩٥٤، وقد حضره مندوبون عن الدول الكبرى المعنية بالموضوع، الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفيتى، فرنسا، إنجلترا، الصين الشعبية ويمثلون عن فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية.

وفى المحادثات الأولى فى مؤتمر جنيف بدا واضحا أن الفجوة سحيقة بين فيتنام الشمالية والولايات المتحدة الأمريكية، وفى نفس الوقت وقعت الكارثة النهائية بالنسبة للجيش الفرنسى فى فيتنام، فقد استسلمت القوات الفرنسية فى ديان بيان فو فى ٦ مايو عام ١٩٥٤، أى بعد أسبوع فقط من تولى منديس فرانس الحكم فى فرنسا. ومع هذا كان الرجل شجاعا فى مواجهة هذا الموقف الدقيق، ولكن دون أن يتخلى عن سياسته الاستعمارية.

فقد أعلن استقلال لاوس وكمبوديا، كما أعلن استقلال فيتنام ولكن تحت حكم الإمبراطور الفيتنامى باو داى نه وتولى نجودنه ديام رئاسة الحكومية فى يونيو ١٩٥٤.

أما الولايات المتحدة الأمريكية، وكان وزير خارجيتها حينذاك جون فوستر دلاس، فقد اتخذت موقفا مليئا بالطيش والدعوة إلى تصعيد القتال بعكس سياسة الحكومة البريطانية. حتى لقد بلغ بالسياسة الأمريكية أن فكرت فى استخدام الأسلحة الذرية وعبر دلاس عن ذلك بقوله أن الولايات قد تتخذ «إجراءات ثأرية وعنيفة وسريعة.. فى أماكن وبوسائل نختارها نحن» ولم تكن ديان بيان فو قد سقطت بعد، ولذلك سرى اعتقاد أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تختار ديان بيان فو هدفا لأسلحتها الذرية. فهل أصبحت آسيا ميدان تجارب أسلحة الولايات المتحدة الأمريكية الذرية؟ وكانت الولايات المتحدة الأمريكية حينذاك هى الدولة

الذرية الوحيدة، ولعل هذا الشعور كان عاملا رئيسيا فى منع تطور طيش دلاس والاكتفاء باستخدام أساليب الحرب التقليدية فى تصفية قضية فيتنام بشكل ما.

وفى مؤتمر جنيف كان موقف الولايات المتحدة الأمريكية، فضلا عن موقف فرنسا، حرجا جدا لا بسبب القضية الفيتنامية فقط، وإنما بسبب قضايا متعددة تفرعت عنها أو ارتبطت بها بشكل لم تكن تتوقعه حكومة الولايات المتحدة الأمريكية.

فقد كان من بين المشتركين فى مؤتمر جنيف مدنوبين عن الصين الشيوعية. وكان هؤلاء يريدون إحراج الولايات المتحدة الأمريكية بطريقة أو بأخرى حتى تضطر إلى الاعتراف بالصين الشعبية، بأن يجلس معهم المندوبون الأمريكيون على مائدة مفاوضات واحدة مثلما حدث بالنسبة لألمانيا الشرقية عندما جلس مندوبوها فى أحد الاجتماعات مع مفاوضين أمريكيين. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية من جانبها تخشى هذا الاعتراف بالضمنى؛ وذلك لأن هذا الاعتراف الضمنى لا يمكن التنكر له، وإنما الاعتراف الكامل هوالذى يمكن التخلص منه عن طريق إلغائه أو سحبه.

وفى ذلك الوقت تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية لأزمة بدت بسيطة، ولكنها كانت تثير مخاوف الكثيرين وأعنى بها قيام حكومة شيوعية فى جواتيمالا التى تقع على مقربة مستديرة من الولايات المتحدة الأمريكية. حقيقة لم تعمر هذه الحكومة الشيوعية، ولكنها كانت سابقة مثيرة للقلق فى وقت مشحون بالقضايا الكبرى والصغرى المعقدة.

ثم هناك ثورة الجزائر فى الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤، حقيقة بدأت هذه الثورة بعد انتهاء مؤتمر جنيف، ولكن صورة القلق الداخلى المتصاعد فى تونس والجزائر والمغرب، كانت كلها إنذارات حقيقية بأن هناك معارك تحرير أخرى تواجه فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية كانت فى حاجة إلى استمرار فرنسا فى الحلف الذى تشكل منذ عام ١٩٤٧ باسم حلف الأطلنطى.

هذه الصورة المعقدة من العلاقات الدولية كانت جد مثيرة جدا لمقترحات إيجابية وسلبية بعضها لمجرد جس النبض، وبعضها لمحاولة الوصول إلى حل معقول لمشكلة فيتنام فى مؤتمر جنيف.

وافق مؤتمر جنيف على مقررات أساسية هى:

١- وقف إطلاق النار.

٢- اتخاذ خط عرض ١٧ حدا فاصلا بين الطرفين.

٣- السماح للسكان بالتنقل عبر الخط خلال ٣٠٠ يوم بعد توفيق الاتفاق.

٤-تأليف لجنة رقابة دولية لتنفيذ المقررات تتألف من كنديين وهولنديين وهنود.

٥- عدم استقدام قوات إلى مراكز أى من الطرفين.

٦- استقلال لاوس، وقد أعلن حيادها.

وفى ٢١ يوليو أصدر رئيسا لجنة الرقابة الدولية وهما بريطانيا والاتحاد السوفيتى وكذلك مندوبو الصين وكمبوديا ولاوس، وفرنسا فقط بيانا بأن النية يجب أن تتجه نحو التوحيد وليس تثبيت خطوط الهدنة.

ومن الأساليب التى اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية لكى توجه أمور المؤتمر فى اتجاه ترضى عنه، قبل أن يسيطر عليه الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية بمقترحات جذابة، من تلك الأساليب أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية فى بيان مستقل أنها وافقت على وقف إطلاق النار بين الفيتناميين والفرنسيين، وأضافت إلى هذا أنها لن ترضى عن استئناف القتال. وبذلك تكون الولايات المتحدة الأمريكية - بالتعاون مع فرنسا - قد وطدت حدود المستقبل بين فيتنام الشمالية (الشيوعية) والجنوبية. حقيقة أيدت الولايات المتحدة الأمريكية مقررات جنيف بشأن إجراء استفتاء أو انتخاب بمهد لتوحيد الشمالية والجنوبية. ولكن شرعت الولايات المتحدة الأمريكية منذ البداية بالتعاون مع حكومة فيتنام التى تعمدت أن تكون غير ملزومة بإجراء انتخابات.

بعودة السلام بعد مؤتمر جنيف سعت فيتنام الشمالية إلى تقوية اقتصادياتها، وحيث إن المساعدات العسكرية الصينية هى فى حقيقة الأمر التى أكسبت فيتنام الشمالية تلك الجولة من الحرب، فكان طبيعيا أن تكون أيديولوجية الإصلاح الشيوعى فى فيتنام الشمالية على نسق أو متقارب مع الأيديولوجية الصينية. ولذلك نفذ الفيتناميون الشماليون الإصلاح الزراعى بشدة واضحة تحت إشراف

الصينيين، وأدخلت نظام المزارع الجماعية، رغم أن الفلاح الفيتنامى لا يميل إلى هذا النوع من الزراعة الجماعية.

وحيث إن التطوير الاقتصادى القائم على الزراعة لا يكفى دولة ذات أهداف كبرى فى توحيد شطريها، وفى أن تلعب دورا كبيرا دوليا، فكان لابد من الاتجاه نحو الاتحاد السوفيتى، حيث إنه أكثر تقدما من الصين فى المجال الصناعى. ومنذ عام ١٩٥٧ أخذت المساعدات السوفيتية والواردة من دول أوربا الشرقية تزداد عن تلك التى تقدمها الصين. وفى تلك السنة وقعت زيارة فورشيلوف - الرئيس السوفيتى لفيتنام الشمالية.

هذا الموقف التنافسى بين الصين والاتحاد السوفيتى هو الذى سيتطور إلى أزمة كبرى بين الطرفين، ولكن هوشى منه سيحاول أن يقف بين الطرفين دون إحراج لأى منهما، ودون أن يتخلى عن هدف محدد وضعه وهو توحيد فيتنام. وحيث إن فيتنام الجنوبية أصرت على موقفها من عدم إجراء استفتاء، وحيث إن نمو المساعدات الأمريكية قد أصبح خطرا على الشمالية، فقد أصبحت الأمور لا تحسم مرة أخرى إلا بالسلاح.

ولكن الوضع الداخلى فى فيتنام الجنوبية نفسها هو الذى ساعد تماما على اشتعال نيران الحرب مرة ثانية.

فقد كان ديام يرى أن فيتنام غير مهيأة للنظام الديمقراطى واعتمد على الكاثوليك وعلى الأمريكيين فى توطيد حكمه ولو بأساليب غير شرعية. وكان إن شاع الفساد فى حكومته، وكان أن اضطهدت حكومته الكاثوليك والبوذيين وكانوا قوة لها مكانتها وإن لم يكونوا أغلبية. ونصح مستشاروه الأمريكيين بأن يعدل من سياسته دون جدوى، الأمر الذى أدى إلى انقلاب أطاح به وقتله فى عام ١٩٦٣. ومنذ ذلك الوقت والانقلاب تتوالى فى فيتنام الجنوبية بحثا عن حكومة مستقرة. واشتدت ثورة الشعب على هذه الحكومات تغذيها حكومة الشمال (هوشى منه). واعتمد الثوار على الشعب وأصبح من الصعب التمييز بين المقاتل الثورى والفلاح العادى فى فيتنام الجنوبية، حتى لقد أصبح حوالى ٨٠٪ من أرض فيتنام الجنوبية قد يد الثوار. وعندما تحرج موقف حكومة الجنوب افتعل الأمريكيون المعاذير

لضرب فيتنام الشمالية بالقنابل (٧ شباط ١٩٦٥)، على اعتبار أن الثورة فى فيتنام الجنوبية إنما هى غزو شمالى لها. وتصاعدت عمليات القصف ومعها كان يتصاعد كره العالم لهذه الحرب، وخاصة بين طوائف المفكرين من أمثال الفيلسوف رسل وطلبة الجامعات ودول عدم الانحياز.

لقد كسب الفيتناميون الجولة الثانية إلى حد ما ، ولكنهم لم يكسبوا بعد وحدهم. وبالتالى فإن البديل لاستمرار الحرب خاسرة بين الطرفين هى مؤتمرات ومناقشات، أخذت تدور فى باريس، ومعها ظهرت استعدادات أمريكية لإعادة تضييق نطاق الحرب بوقف القصف الجوى، وتصريحات حكومة نيكسون بالانسحاب من فيتنام ولكن بينما كانت هذه التطورات مستمرة وقعت أخيرا حوادث معقدة فى سهل الجرار (الجارز) فى لاوس، الأمر الذى سيؤدى إلى أزمات قوية إن لم تتدارك الدول الموقف.

وبينما كان موقف الولايات المتحدة الأمريكية سيئا للغاية - بسبب تدخلها العسكرى - أمام الرأى العامل العالمى - فيما عدا عدد قليل من الدول - فإن موقف الاتحاد السوفيتى، وقد تنازع مع الصين الشعبية نزاعا أيديولوجيا ونزاعا على الحدود، وموقف الصين هو الآخر موقفا سيئا للغاية.

وترجع الخلافات الصينية - السوفيتية إلى عهد خرشوف فى الاتحاد السوفيتى وإلى اختلاف وجهات الرأى فى موضوع التعايش السلمى، فوجهة نظر خروشوف عام ١٩٦١ هى:

«إن الهدف من منع الحرب من المجتمع البشرى أصبح أمرا ممكنا».

ولكن الصين عارضت هذا الاتجاه، حيث إن الإبقاء على الوضع الراهن هو تنفيذ للسياسة الأمريكية التى من مطالبها عدم تغيير فى أوضاع الدول حفاظا على التوازن الدولة ومنعا من انتشار الحركات الثورية.

وتجدر الإشارة هنا أن مبدأ التعايش السلمى هو مبدأ قديم فى العلاقات الدولية، ولكنه أصبح من جوهر السياسات المؤيدة والمعارضة له عندما أصبح من المتعذر على أى من الدولتين الكبيرتين (الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية، إنزال هزيمة كبرى ساحقة بالخصم. أو بنظامه، ولكن هذا لا يعنى أن

كلا من الطرفين تخلى عن سياسة هدم الآخر من الداخل. وفى الصين نفسها وفى ٢٨ يونيو عام ١٩٥٤، وفى ظروف عـقد مؤتمر جنيف لتسوية مـشكلة فيتنام أعلن جواهر لال نهرو وشواين لأى مبادئ التعايش السلمى وهى:

«احتـرام كل من الدولتـين لسيـادة الأخرى وعدم الاعـتداء أو التـدخل فى الشئـون الداخلية للدولة الأخـرى، مع تبادل المنفعـة العامـة فى إطار من المساواة والعدل والتعايش السلمى».

ونضيف إلى هذا أن التعايش السلمى على هذا النحو كان لابد أن يسير وفق مضمون ميثاق الأمم المتحدة.

وبذلك تكون قد انهارت نظرية ستالين الـقائلة بأن الرأسمالية يجب أن تولد الحرب، ويجب القـضاء على الاستعـمار بالقوة، والحـرب ضد الرأسماليـة حتى يقضى عليـها كنظام استعـبد الشعـوب، وكان إعلان خروشـوف فى المؤتمر الثانى والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى، إن الحروب أصبحت من الأمور التى يمكن منعها وأن بذلك يستطيع إرغام الغرب على التعايش مع دول أوربا الشرقية التى لا يعترف بها.

وأيد الفيلسوف برتراند راسل هذا الاتجاه بقوله:

«ينبغى على الجانبين، حـتى يعيشا معا، لضمان التعـايش السلمى أن يعترفا بما يسـميه السياسيون الأمر الواقع.

وقد أكـدت هذه السيـاسات فى مـؤتمر باندونج عام ١٩٥٩ الذى أكـد تبنى سياسة عدم الانحياز وسياسة التعايش السلمى.

ومن ثم فـالأســاس العـام هو الوصـول إلى سـلام دائـم عن طريق حل المشكلات بالحلول السلمـية، ونبـذ التحـالفات العـدوانية والدعـوة إلى المجالات الحيوية لكل دولة لأنها تؤدى إلى الحرب.

وإذا كان من الممكن أن يكون هناك تعايشا سلميـا فى المجالات الاقتصادية، فإنه من المتعـذر خلق تعايش سلمى وطيد فى المجال الأيديولوجى، وبهـذا اعترف كل من خروشوف وجون كندى.

ولكن فى دول عدم الانحياز مظهر آخر، هو محاولة للوقوف بين الطرفين فى كل المجالات دون صدام بمعنى تعايش سلمى بين القوى الاقتصادية وبين الدول وبين الأيديولوجيا نفسها أيضا.

وكان هذا من الأسباب التى أدت إلى تعايش سلمى فى العلاقات البريطانية مع أوربا الشرقية والاعتراف بالصين الشيوعية فى وقت مبكر عام ١٩٥٠.

وفى الولايات المتحدة الأمريكية اتجاهات نمو جاءت بسبب عجز أجهزة الدفاع عن صد الهجوم النووى، وبالتالى تفضيل السلام عن حرب كونية مدمرة غير معروفة النتائج.

وقوى هذا الاتجاه بعد أن ثبت أن جهاز حلف الأطلنطى عام ١٩٤٩ ليس هو الواقع الحقيقى للغرب. خاصة وأن ظهور بادرة التعايش السلمى من جانب الاتحاد السوفيتى - وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تتهمه باستمرار بالعدوانية، فى وقت كانت فيه القوات الأمريكية هى النشطة فى شرق آسيا، والجيوش الفرنسية والإنجليزية والإسرائيلية تغزو مصر فى عام ١٩٥٦ - إضعافا لدعوى السلام التى كانت تتبناها الولايات المتحدة الأمريكية والتقاطا لغصن الزيتون من يد الولايات المتحدة الأمريكية.

أما موقف الصين الشيوعية فكان مغايرا ومعقدا إلى حد ما. فهناك اتهام يكاد يكون عاما لدى دول الغرب والاتحاد السوفيتى بأنها دولة عدوانية ضد مبادئ التعايش السلمى، والواقع أن هذا أليس بصحيح، حيث إن أقوال الساسة الصينيين فسرت على هذا النحو؛ لأنها تضمنت اتجاهات قوية نحو متابعة الثورة من داخل الدول الرأسمالية لتقويضها.

فشواين لاى يرى أنه يمكن إقامة تعايش سلمى مع الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، ولكن هناك نقاطا رئيسية يختلف فيها ساسة الصين عن ساسة الاتحاد السوفيتى فى مفهم ومضمون التعايش السلمى، وهذه النقط الرئيسية هى:

١- يجب عدم الخلط بين السياسة الخارجية السليمة للدول الاشتراكية وكفاح الشعوب ضد الاستعمار وضد حكوماتها الرأسمالية وضد الاستبداد الطبقى.

٢- أن الولايات المتحدة الأمريكية تستعد لحرب ثالثة.

٣- يجب معاونة حركة التحرر فى داخل الدول غير الاشتراكية وهذا لا يعنى التخلى عن التعايش السلمى.

واتهمت الصين حليفتها الاتحاد السوفيتى بأنها تخلت عن الخط السياسى الضنضالى وفضلت التفاهم مع الحكومات الرأسمالية الاستعمارية على حساب الشعوب المكافحة، وتركت الشعوب الاشتراكية، كل على حدة، يدبر أمره فى مواجهة عدوان إمبريالى ضخم. وتطورت بسرعة الأزمة بين الطرفين، من مطالبة من جانب الاتحاد السوفيتى بديونه (٢٠٠٠ مليون دولار) إلى سحب لخبرائه من الصين إلى صدام دموى فى منطقة الحدود عند منغوليا، وأن الاتحاد السوفيتى تخاذل أمام الولايات المتحدة الأمريكية عندما استعاد - صاغرا - صواريخه من كوبا ويرد الاتحاد السوفيتى على ذلك بقوله أنه لم يفعل ذلك إلا بعد أن حصل من الولايات المتحدة الأمريكية على تعهد بعدم غزو كوبا ورفع الحصار عنها عام (١٩٦٢)، هذا فضلا عن أن الصواريخ يمكن أن تطلق من أرض السوفييت إلى أى مكان. فلن يخسر السوفييت شيئا فى الأزمة وإنما ربحت دولة شيوعية هو كوبا. كذلك يتهم الصينيون الاتحاد السوفيتى بأنه تفاهم مع الولايات المتحدة الأمريكية قبل عقد اتفاقية موسكو لتحريم التجارب النووية جزئيا فى ٢٥ يوليو عام ١٩٦٣، على احتكار هاتين الدولتين للقوى النووية من دون الصين.

اشتدت هذه الخلافات، فى وقت كانت فيه حكومة الثورة فى فيتنام الشمالية فى حاجة إلى الاثنين: الصين الشعبية،والاتحاد السوفيتى، خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية وجدتها فرصة ثمينة لتصعيد الحرب ضد فيتنام الشمالية فى ظروف هذا الانقسام الشديد بين صفوف المعسكر الشيوعى.

إن ڤيينام من بين الدول الصـغيرة التـى أحدثت أزمات دوليـة طويلة. وهى مسألة تحـتاج إلى نظر من حيث مدى تطابق الدور الذى تـقوم به دولة مع قدرات هذه الدولة.

وفيتنام ذات قدرات محدودة، وأثارت مشكلات دولية ووضعت العالم على شفى مـواجهات كـبيرة جـدا بين الولايات المتحدة والصـين بصفة خـاصة، وهى مواجهـة لو وقعت لكانت النتائج مروعة إذا وصل الأمـر إلى حد الضرب بالقنابل الذرية مثلا.

وفـيتنام مـثلهـا فى ذلك مثل دول أخـرى محـدودة القـدرات ولكن تثيـر معضلات عالمية مثلا: إسرائيل ومصر.

ولكن بأدنى ذى بدء فإن فيتنام ومصر كانتا تطرحـان قضية عادلة وهى قضية التحرر من التسلط الأجـنبى (فرنسا بالنسبة لفيتنام ثم الولايـات المتحدة) وبريطانيا وفرنسا وإسرائيل بالنسبة لمصر.

وإنه لمن الأمور التى يجب أن تؤخـذ فى الاعتبـار هى أن الدول الكبرى هى التى كانت تدفع فيـتنام ومصر ـــ مثلا ـــ إلى رفع مسـتويات المواجهة، وذلك لأن الدول الكبرى هى التى كانت متشبثه باحتلال أراضى الغير دون وجه حق.

أما إذا استبـعدنا العامل الوطنى الوحدوى الفيتنامى واعـتبرناه (عدوانا) على حقوق الغرب الاستعمـارى، فإننا نكون شديدى التطرف فى تحليل أسباب الصراع بين الشعوب الواقعة تحت نير الاستعمـار من جهة والشعوب الاستعمارية. إن من حق فـيتنام ـ ومن حق غـيرها ـــ أن تسـعى إلى تخليص التـراب الوطنى ذرة من تدنيس أية قوة أجنبية له. وهذه هى الرؤية الأمريكية لاتجاهات فيتنام نحو التحرر، فالتحـرر من وجهة النظر الأمريكية يجب أن يكون على الطريقـة الأمريكية وليس على أية طريقة أخرى، وبخاصة يجب أن لا يكون على الطريقة الشيوعية.

ومع أننا نتفق مـع رؤية أمريكية تقـول: إن التحرر على الطريقـة الشيوعـية يعنى الانتقال من ربقة الاستعمار الفرنسى (مثلا) إلى ربقة الاستبدادية الشيوعية.

وفى اعتقادنا إن حق كل شعب فى أن يقيس حرا بعيدا عن أى تسلط عليه أمر تتفق فيه الدول الكبرى والدول الصغرى على حد سواء ولكن المشكلة الحقيقية هى فى المصالح المتضاربة بين الدول الكبرى نفسها فى كل بقعة هامة من بقاع العالم.

فالمعروف أن كل الدول التى تورطت فى الحرب الكورية فى خمسينيات القرن العشرين، وفى الحرب الفيتنامية فى خمسينيات حتى سبعينيات القرن العشرين كل الدول المتطورة كانت تعلن أنها تسعى إلى تحرير الشعوب من الاستعباد وتهيئها للحياة الحرة الديمقراطية. هكذا قالت فرنسا عندما رفضت الانسحاب من فيتنام فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حتى دار الصراع الدموى بين هوشيه (الزعيم الفيتنامى الشيوعى) وفرنسا. وهكذا قالت أيضا الولايات المتحدة عندما خلفت فرنسا فى فيتنام فى قتال الشيوعيين الفيتناميين.

الجميع أعلنوا أنهم لا يهدفون إلى أى توسع أرضى على حساب أى شعب، والجميع كانوا لا يستطيعون إدارة الحرب ضد الأطراف الأخرى إلا إذا وضع يده على (أرض) ليبنى فقوها قدراته العسكرية المقاتلة.

ففى حالة الحرب الكورية تقدمت القوات الكورية الشمالية، المدعمة بالصين حتى بوزان فى أقصى جنوب شبه الجزيرة الكورية وردتها بالقوات الأمريكية حتى دخلت القوات الأمريكية أراضى كوريا الشمالية.

إن دواعى الحرب خلال العصور السابقة كلها كانت فوق أى مبدأ من مبادئ العدل أو أى مبدأ من مبادئ حقوق الإنسان.

لقد دعت الصين إلى حق فيتنام فى التحرر من الاستعمار الفرنسى، وأيدت هوشيه منه حتى نكب الفرنسيين نكبات مروعة كانت ذروتها فى هزيمة الفرنسيين أمام الفيتناميين فى معركة ديان بيان فو (١٩٥٤)، وهى السنة التى أعلنت فيها الثورة الجزائرية ـــ بدعم من مصر ـــ على الاستعمار الفرنسى.

ولكن دعوة الصين هذه تتضمن فيما تتضمنه مصالح صينية تجعل هذه الدولة مستعدة لأن تضحى ـــ بما تراه مناسبا ـــ لدعم شعب فيتنام فى كفاحه من الاستقلال.

كذلك لم يقف الاتحاد السوفيتى إلى جانب فيتنام دعما لحركة تحررية، وإنما لأن دعمه لهذه الحركة يحقق للأتحاد السوفيتى أهدافا تستحق أن يضحى السوفييت من أجلها.

والولايات المتحدة الأمريكية كذلك. أقدمت على خوض الحرب الكورية بعدة سنوات لأنها حرب تدافع بها على مصالح الولايات المتحدة قبل أن يكون دخولها الحزب من أجل تحرير كوريا الشمالية من الشيوعية ومن أجل إقامة دولة ديمقراطية مكانها.

إنه صراع أيديولوچى بين الديمقراطية على الطريقة الشيوعية والديمقراطية على غرب ـ أوربا / أمريكا.

فما كانت الولايات المتحدة لتخوض حربا ضد يوجوسلافيا (الشيوعية)، بل كانت الولايات المتحدة تدعم يوجوسلافيا لأنها بمثابة خط دفاعى أمامى بالنسبة لأوربا والولايات المتحدة ضد الأتحاد السوفيتى. ومن ثم يكون العامل الإستراتيچى أقوى من المبادئ حتى إنه لأقوى من المبادئ السامية نفسها فى بعض الأحيان لدى الفكر السياسى العربى.

وفيتنام الشمالية (هانوى) عندما عرفت عزمت أكيدا على توحيد الشمال الواقع تحت الحكم الشيوعى مع الجنوب (الواقع تحت سيطرة الولايات المتحدة)، إنما كانت تضع مصالحها القومية أولا وقبل كل شىء. وهو أمر كان لدى الزعامات الشيوعية، وغير الشيوعية فالاستقلالية مبدأ وطنى يتبناه كافة أصحاب الأيديولوچيات السياسية / الاجتماعية مادام أنها تقوم على أساس حق الشعب فى أن يحكم نفسه بنفسه.

لقد كانت الدول الكبرى التى تورطت فى الحرب الفيتنامية تضع نصب عينيها منع أى طرف آخر من تفوق عقيدته فى فيتنام أو كسب فيتنام إلى جانبه حفاظا على نوع من التوازن الدولى فى المنطقة وعلى المستوى العالمى.

فمع أن فيتنام فى حد ذاتها دولة صغيرة (بشقيها الشمالى والجنوبى)، فإن تفوق إحدى الدول الكبرى الثلاث المتنافسة على فيتنام يؤدى إلى فتح أبواب جديدة

ومجالات للتفوق جديـدة بشكل يضع الدول الكبرى الأخرى فى موقف ضعف لا يحمد عقباه.

فالتفـوق الـذى أحرزه هـومشى فيه عـلى فـرنسا بعد انتصاره فى مـعركة ديان بنان فو ١٩٥٤ فتح أمام هو شىء منه الطريق نحو العمل على توحيد شطرى فيتنام الشمالى مع الجنوبى.

وعندما ينجـح الشيوعـيون فى توحيـد فيتنام سـيتطلعـون إلى تحويل الدول المجاورة لفيـتنام فى (الأوس) و (تايلاند) و(كمبوديا) إلى الشيوعـية، وهكذا الأمر الذى يشكل تطورات لا يمكن تصورها ويشكل خطر شـديدا على المعسكر الغربى الذى كانت تتزعمـه الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتى وأتبـاعه، وضد الصين كذلك.

ومن ثم فإن الردع الأمريكى لفيتنام الشـمالية ما هو إلا ردع للصين، بل هو أيضا ردع للاتحاد السوفيتى، بمعنى آخر هو ردع للقطبين الشيوعيين.

كان ريتـشارد نيكسون ـ الرئيـس الأمريكى بعيـد النظر مقدرا تمام التـقدير للموقف العالمى وما طرأ عليه من تغيرات خلال عقود الحرب الفيتنامية (الخمسينات والستـينات) من القرن العـشرين. وكـان من الحنكة السيـاسية لأن يـؤكد على أن الوقت قد حـان عند مطلع السبـعينات لأن تغيـر الولايات المتحدة الأمـريكية من سياستها إزاء المشكلة الفيتنامية. وما كانت رؤية ريتشارد نيكسون للمشكلة الفيتنامية إلا من حيث إن هذه المشكلة ليـست سوى واحدة من الأزمات الدوليـة التى تحتاج إلى مرونة وتعـديلات فى السياسـة الأمريكية عند مـطلع العقد الســابع من القرن العشرين.

ومصداق ذلك أن السـياسة الأمريكية تعـدلت نحو فيتنام بعـد زيادة قام بها ريتشارد نيكسون ووزير خارجيته كيسنجر للصين أولا ثم للاتحاد السوفيتى ثانيا فى ١٩٧١ / ١٩٧٢. واسـتطاع ريتـشـارد نيكسـون أن يتـوصل مـع هذين القطبـين الشيـوعيين المتعـدين إلى مبادئ لتهـدئة الصراعات بين الولايات المتحـدة والصين وتهدئة الصـراعات فى جنوب شـرق آسيا بـالطريقة التى ترضى الولايات المتـحدة

الأمريكية بصفة خاصة دون إحراج للقطبين الكبيرين الشيوعيين ودون منع الفيتناميين من أن يعيشوا فى فيتنام موحدة.

وإنها لمعادلة صعبة لكافة الأطراف الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والصين وفيتنام. ولكن المهارة السياسية التى كانت لدى أقطاب هذه الدول الكبرى استطاعت أن تصل إلى تسويات مقبولة.

ومن ثم يكون رفض فيتنام لأسس هذه التسويات الأمريكية ـ الصينية ـ السوفيتية من العوامل التى تجعل كلا من هذه الأقطاب الثلاثة ـ نحو فيتنام ـ يتخذ السياسة التى تحافظ على مصالحة دون المساس بالقطبين الآخرين. ودون أن يتحرك أى من هذين القطبين لدعم الموقف الفيتنامى المرفوض من الأقطاب الثلاثة. وقد تجلى ذلك عندما أصرت فيتنام على المواجهة ضد الولايات المتحدة لتحقيق إهدام الشيوعية الفيتنامية بالقوة. فما كان من الولايات المتحدة أن كثفت قصف فيتنام من الجو تكثيفا شديدا دون أن تجد الولايات المتحدة معارضة من جانب الصين أو الاتحاد السوفيتى إلا من حيث الشجب ومن حيث المقالات الصحفية الطنانة التى لا تفيد فيتنام الشيوعية فى شىء.

لقد كان هذا الموقف الأمريكى واضحا من فيتنام فى مطلع السبعينات ونعنى به فرض (التهدئة) على فيتنام، على نحو مشابه لما كان عليه موقف الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية من مصر السادات عندما فرضت عليه حالة اللاسلم واللاحرب وحاله (الاسترخاء العسكرى) وهى ضد مصلحة مصر.

ولقد كانت هانوى مثل القاهرة رافضته لأن تخضع لا للصديق ولا للعدو.

فقد كانت فيتنام مثل مصر، تسعى إلى تحرير أرضها، ولم تكن جهودها فى هذا بتوجيه من الاتحاد السوفيتى ولا من الصين، وفضلا عن رفض المنطق العسكرى الغاشم الأمريكى.

ولا شك أن مما ساعد فيتنام على ذلك أن أعظم دولة عسكرية فى العالم (الولايات المتحدة) كانت أعجز من أن تسيطر سيطرة مباشرة هادئة على مساحات واسعة من ميادين الحرب بسبب انتشار مزارع الأرض والغابات التى تعطى تغطية

شبه كاملة للمقاتلين الفيتناميين وهو أمـر غير متوفر لمصر؛ لأن سينا مكشوفة تماما أمام أعين العدو. لقلة السكان فى سيناء ولأنها صحراء فى معظمها.

وقد وقعت الحـركة الوطنية الفيتنـامية بين أكثر من فك مـفترس: الولايات المتحـدة والاتحاد السوفـيتى والولايات المتحـدة الأمريكيـة. وتكشف هذا بوضوح خلال منتصف الستينات وخلال السبعينات.

فقد كان المعسكر الشيوعى قد انقـسم على نفسه المعسكر السوفيتى والمعسكر الصينى وكـان الاتحاد السوفـيتى دائما يوصف بأنه هو القطب العـالمى الثانى الذى يتحدى القب العـالمى الأول وهو الولايات المتحدة الأمريكيـة، أما الصين فلم تكن قطبا وإن كـانت هى ترى فى نفسـها قطبا. فـقد كانت كل من الولايات المتـحدة والدول الأوربيـة واليابان فـضلا عن الاتحـاد السـوفيـتى يخشـون من «العمـلاق الأصغر».

حقيقة كـانت قدراته فى أعقاب الحرب العالمية الثانية محـدودة، وحقيقة أنه عجـز عن هزيمة الولايات المتـحدة الأمـريكية فى الحرب الكـورية، إلا أن حجم الصين الهائل من حيث العدد من حيث المساحة ومن حيث ما يمكن اقتصاد الصين وفكر الصيـن فى المستقـبل، كان كل هذا يقنع الدول الكبـرى بأن هناك «عمـلاقا أصغر» على وشك الانطلاق، وأن من مبادئ العلوم السياسية أن تعمل هذه الدول الكبرى ــ على اختلافها ــ على تحجيم هذا العملاق الأصغر.

ولقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية فى تحـجيم الصين، باستخدام القوة العسكرية التقليدية فـمثلما استطاعت الجيوش الصيـنية ــ الكورية أن تدفع الجيوش الأمـريكية إلى التـراجع حـتى إلى أقـصى جنوب كوريا حـتى أنه لم يتـبق تحت السـيطرة العسكرية الأمـريكيـة فى كوريا سـوى مسـاحة ضـئيلة حـول (بوزان)، استطاعت الجيوش الأمريكية أن تدفع الجيوش الصينية من الجنوب إلى الشمال حتى طردت الجيـوش الصينيـة من كل كوريا الجنوبيـة واستولت علـى بعض أجزاء من كوريا الشمالية، كما أن سلاح الطيران الأمـريكى كان يقصف يوميا تقريبا الجيوش الصينية حتى نهر يالو الفاصل بين الصين وكوريا الشمالية دون أن تستطيع طائرات

الصين الحربية أن تظهر فى سماء كوريا الشمالية أو الجنوبية، الأمر الذى كان يكشف حقيقة ضعف قدرات الصين العسكرية.

ثم إن الأسطول الأمريكى ظل لعدة سنوات يقصف جزيرة كيموى الصينية وما حولها دولة أن تستطيع الصين الشيوعية أن ترد ردا عسكريا على هذا القصف الصينى، واكتفت بأن كانت ـ أى الصين ـ تصدر البيانات التحذيرية للولايات المتحدة، البيان تلو البيان، حتى بلغ عدد هذه البيانات بالمئات فكان هذا دليل ضعف من جانب الصين يفقد ثقة الآخرين فى إمكانياتها عند الوقوف إلى جانبهم ضد الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت الصين الشيوعية فى حقيقة الأمر لا تستطيع أن تتفرغ للولايات المتحدة حيث أن جهاتها الشرقية والجنوبية والشمالية كانت محاطة بالأعداء. فقد كان الاتحاد السوفيتى لا يقل خطرا على الصين من الولايات المتحدة وكانت اليابان دولة تسير فى ركاب الولايات المتحدة، وكانت الأساطيل الأمريكية تسيطر على المياه الصينية من شرق وجنوب، ولم يكن لدى الصين الشيوعى أسطول بحرى يذكر.

فإذا أضفنا إلى ذلك التطرف فى الفكر الشيوعى الذى كان لدى ماوتسى تونج ـ الزعيم الأوحد للصين ـ لتبين لنا أن صورة الصين لدى دول العالم لم تكن مقبوله عند الغرب، وعند العديد من الدول الأخرى، حتى إن الصين لم تكسب إلى جانبها من الدول والشعوب الأوربية سوى (ألبانيا) ذات الفكر الشيوعى المتطرف حينذاك.

وكان مفكرو الاتحاد السوفيتى ينظرون إلى الصين الشيوعية على اعتبار أنها تفتح أبواب الشرق الأقصى أمام الولايات المتحدة والأمريكية بسبب سياستها (الخرقاء) وأيديولوچيتها الشيوعية المتطرفة. وفوق هذا وذلك كان مفكرو الاتحاد السوفيتى يتهمون قيادات الصين الشيوعية بخلق الأزمة الكبرى بينها وبين الاتحاد السوفيتى فى أواخر خمسينيات القرن العشرين. تلك الأزمة التى أدت إلى القطيعة بين أكبر دولتين شيوعيتين فى العالم: الاتحاد السوفيتى والصين.

وحمل مفكرو الاتحاد السوفيتى القيادات الصينية بأحداث هذه القطيعة فى الوقت الذى كان فيه حلف الأطلنطى ـ الموجه بصفة خاصة ضد الاتحاد السوفيتى ـ يزداد قوة.

كانت هذه العلاقات السوفيتية الصينية المتردية خلال فترة الحرب الفيستنساريه فى ستينيات هذا القرن من العوامل الجوهرية التى وضعت الفيتناميين فى موقف شديد الحروجة أمام القوات الضاربة الأمريكية المتكاثفة فى فيتنام الجنوبية. وإننا لنعتقد أن تصاعد القصف الأمريكى الجوى لفيتنام خلال ١٩٦٥ كان مرجعه اطمئنان الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن القطبين الشيوعيين (الاتحاد السوفيتى والصين) لن يتحركا من أجل إنقاذ فيتنام.

وزادت الأزمة تعقيدا أمام الفيتناميين ليس بسبب تصاعد القصف الجوى الأمريكى، ولكن بسبب صعوبة التعامل مع القطبين الشيوعين اللازمين تماما للمقاومة الفيتنامية إذا ما أرادت هذه المقاومة أن تستمر.

فمن الوجهة النظرية كانت فيتنام فى حاجة ماسة إليهما الاثنين معا؛ لأنها أعجز من أن تقف وحدها أمام العملاق الأمريكى؛ ولأن التضامن بين الشعوب الشيوعية هو أقوى سلاح يمكن أن تستخدمه فيتنام الصغيرة فى مواجهتها للعملاق الأمريكى.

والصين الشيوعية هى الأقدر على أن تقدم الدعم الكبير مباشرة إلى فيتنام بسبب قرب المسافة بينهما وتفتح المسالك أمام النقل العسكرى الصينى البرى إلى فيتنام. ومن ثم فإن المساعدات الصينية العسكرية لها خاصية الوصول المباشر والسريع إلى فيتنام، وهذا ما لم يكن متوفرا للاتحاد السوفيتى.

ومن ناحية ثانية فإن الصينيين أقرب نفسيا إلى الفيتنام، حتى أنه يمكن القول بأنهم أبناء عمومة، ومن المعروف أن فيتنام كانت جزءا من إقليم سياسى كان يعرف باسم «الهند الصينية» ولا شك أن هذه (القربى) تجعل التفاهم بين الفيتنامى والصينى أسرع من التفاهم بين فيتنامى وروسى.

ثم إن الصين ـ بالقياس إلى الاتحاد السوفيتى كانت تنظر إلى جنوب شرق أسيا على اعتبار أنه منطقة نفوذ للصين وليس من حق أى دولة أخرى أن تمد نفوذها إلى هذه المنطقة سواء أكانت شيوعية أم غير شيوعية سواء أكانت سوفيتية أم أمريكية ولا شك أن (الفيتنامى منه) كانوا يدركون ذلك تمام الإدراك. ويدركون قدرات الصين الهائلة على دعم كفاحهم ضد الاستعمار الجديد الأمريكى ويدركون أيضا تمام الإدراك تطلعات الصين التاريخية والاجتماعية ليس فقط إلى فيتنام بل إلى (الهند الصينية) وإلى الشرق الأقصى كله.

كذلك كان يدرك الفيتناميون أن الصين الشيوعية ـ رغم ضخامة الدعم الذى قدمته لهم ـ لن تستطيع أن تزور حركة الكفاح المسلح الفيتنامى بالأسلحة الحديثة المتطورة الأقدر على إحراج المركز العسكرى الأمريكى فى فيتنام. وكان الفييت منه على دراية واسعة بما تنتجه مصانع الاتحاد السوفيتى من أسلحة جديدة أكثر فعالية بكثير من الأسلحة الصينية. ولكن كان فى طلبى الفييت منه السلاح من أى من هاتين الدولتين الشيوعيين خطورة شديدة على علاقة فيتنام بالدولة الأخرى.

فقد كان كل من الاتحاد السوفيتى والصين تريد من فيتنام أن تستورد السلاح منها فقط دون الأخرى. وكان من العسير جدا على فيتنام أن ترضى كلا من الطرفين فى هذه الظروف. ولذلك كانت (هانوى) تحاول إرضاء كل من الاثنين حتى وصل الأمر إلى مفترق الطرق وهو تطور طبيعى فى مثل هذه الأحوال.

فقد أدى توتر العلاقات بين (هانوى) و(بكين) فى أعقاب القصف الأمريكى المتصاعد فى منتصف الستينات إلى أن تتجه فيتنام إلى طلب السلاح المتطور من الاتحاد السوفيتى.

وكان انشغال الصين الشيوعية بإحداث الثورة الثقافية فيها من العوامل التى هيأت المناخ لفيتنام كما تتجه إلى الاتحاد السوفيتى طلبا للسلاح المتطور. وفعلا حصلت فيتنام على السلاح المتطور من الاتحاد السوفيتى (١٩٧١).

ولكن تطور العلاقات العالمية بين الدول الكبرى القطبية أصاب فيتنام بنكسه جديدة على يد الدبلوماسية الأمريكية، أو بمعنى آخر بسبب الرؤية الجديدة

للعلاقات الدولية التى تبنتها إدارة الرئيس الأمريكى الجديد ريتشارد نيكسون ووزير خارجيته هنرى كيسنجر.

فقد كان نيكسون ــ كينجسر يريان أن الوقت قد حان (مطلع السبعينات) للتوصل إلى نوع من التفاهم مع أطراف النزاع الأخرى مع الولايات المتحدة الأمريكية ويعنى بذلك: الاتحاد السوفيتى والصين. على أن يكون هذا التفاهم لصالح الولايات المتحدة وليس على حسابها، وإنما ليكن على حساب العدوين الشيوعين: الاتحاد السوفيتى والصين.

ويردد الغالبية العظمى من المفكرين الذين تناولوا هذه الفترة بالدراسة أن السبب الرئيسى الذى دفع بنيكسون ــ كينسنجر إلى العمل على الوصول إلى تفاهم مع الاتحاد السوفيتى والصين هو الرأى العام الأمريكى الذى كان معارضا معارضة شديدة لاستمرارية الحرب الفيتنامية ــ الأمريكية، حتى لقد بلغ الأمر بآلاف الشباب من الأمريكيين إلى الدعوة إلى رفض الدخول فى الجندية لإرغام حكومة الولايات المتحدة على البحث عن مخرج للأمريكيين من المستنقع الفيتنامى.

لقد طالت الحرب الفيتنامية ــ الأمريكية أكثر بكثير جدا مما توقعه الأمريكيون. وما أكثر ما كان يردده القائدة العسكريون والسياسيون الأمريكيون من أن القوة الضاربة الأمريكية قادرة على القضاء على المقاومة الفيتنامية، فإذا بهذه المقاومة الفيتنامية تشتد ضراوة على مر السنين، وإذا بالألوف من شباب الولايات المتحدة الأمريكية يساق إلى خضعه فى حرب هو غير مقتنع بها.

والحق أن الأهداف الإستراتيچية العليا التى تبنتها الإدارات الأمريكية خلال الخمسينيات والستينات إزاء المشكلة الفيتنامية كانت بعيدة من وجهة نظر المصلحة الأمريكية العليا. فإن الرؤية الأمريكية لمنع ظهور دول قوية شيوعية مطلة على المحيط الباسيفيكى ومياه جنوب شرق آسيا هى التى أدت إلى دخول الولايات المتحدة الحرب ضد كوريا الشمالية وحليفتها الصين الشيوعية، وهى التى قررت استمرار قصف جزيرة كيموى واستمرار حماية تايوان من الصين ومن ثم قام فإن نفس هذا القرار ينسحب على المشكلة الفيتنامية.

فالولايات المتحدة الأمـريكية كانت قد قررت منع انطلاقة صـينية أو انطلاقة أية دولة متحالفة معها مثل كوريا الشمالية وفيتنام الشمالية.

هذه السياسة العليـا للإدارات الأمريكية فى الخمسينيـات والستينيات لم تكن مثال معارضة شديدة من الرأى العام الأمريكى. ولكن مع طول مدة الحرب، ومع الخسائر البشرية والمادة الباهظة التى تكبدها الشعب الأمريكى، ولعدم وضوح رؤية للطريقـة التى يمكن أن تنتـهى بهـا تلك الحـرب، ولسأم الشـعب الأمـريكى من الحروب لكل هذا تناقـض الهدف الإستراتـيجى للإدارة الأمريكيـة مع الرأى العام الأمريكى، الأمر الذى تطلب من نيكسون ـ كيسنجر إعادة النظر فى العلاقات بين الولايات المتحدة والدولتين الشيوعيـتين: الاتحاد السوفيتى والصين، ليس من أجل المسألة الفـيتنامية فـقط ولكن أيضا من أجل مسائل أخـرى أكثر أهميـة من المسألة الفيتنامية.

أدى كل هذا إلى زيادة نيكسون ــ كـسينجر لكل من بكين (فـبراير ١٩٧١) وموسكو (ربيع ١٩٧٢). وتوصلت هذه الأطراف الثلاثة إلى تفاهم يؤدى إلى نوع من الأستقرار العالمى يخدم مصالح هذه الدول الكبرى الثلاث كل من وجهة نظره. وهذا هو مـا عـرف بـ Derant تميـيزا له عـن الوفاق الودى الإنجليـزى الفـرنسى ١٩٠٤.

والوفاق الإنجليزى الروسى ١٩٠٧.

ويهمنا هنا أن نشيـر لأهم مواد الاتفاق التى توصل إليهـا الطرفين الأمريكى. والصينى فى أعقاب زيارة نيكسون لبكين (فبراير ١٩٧١):

١ ــ من حق كل دولة أن تعتنق أيديولوچيتها وليس من حق أى دولة أخرى أن تناصبـها العداء بسـبب اعتناق أيديولوچيـة مخالفـة. ومعنى هذا أن الولايات المتحدة والصين تبنـت كل منهما النظرية التى دعا إليها من قبـل الرئيس السوفيتى خروشـوف المعروفة باسم (التـعايش السلمى). وقد تأكـدت هذه النظرية فى المبدأ التالى.

٢ ــ أنه ليس من حق أى دولة أن تفرض سـيطرتها على جنوب شرق آسـيا وأنه ليس من حق أى دولة عظمى أيا كانت أن تفعل ذلك.

إن النتيجة الهامة التى ترتبت عن زيارة نيكسون ـ كيسنجر للصين الشيوعية هى أن الولايات المتحدة ـ وبالتالى العالم الغربى ـ اعترف بالصين دولة عظمى.

ولقد فسر البعض هذا الفاهم الأمريكى الصينى بأنه لم يكن موجها فقط ضد السوفييت وأنما كان موجها كذلك ضد فيتنام (هانوى).

انزعجت (هانوى) لدى وصول أبناء هذه التطورات، حيث إنها بلا شك كانت أكبر الخاسرين ـ مثل مصر ـ من وراء هذا (الوفاق). وكان طبيعيا أن توترت العلاقات الفيتنامية الصينية، والعلاقات الفيتنامية ـ السوفيتية، حيث إن الاتجاه العام لدى هذه الدول الكبرى الثلاث هو (الاسترخاء العسكرى)، وهو استرخاء ضار ضررا بليغا بجهود فيتنام لتحرير البلاد الفيتنامية وتوحيدها تحت حكومة وطنية، كما كان هذا الاسترخاء العسكرى يضر ضررا بليغا. بجهود مصر لتحرير أرضها من الاحتلال الإسرائيلى لسيناء ولغيرها من الأراضى العربية التى احتلتها إسرائيل فى أعقاب عدوان ١٩٦٧.

الملاحق

ملحق رقم (١)

تاريخ

الولايات المتحدة الأمريكية

JOIN, or DIE

الدستور

دستور الولايات المتحدة الأمريكية

مع ملاحظات توضيحية

فيما يلى النص الكامل لدستور الولايات المتحدة الأمريكية مطبوع بالبنط الأسود. وتشير الأقواس إلى الأجزاء التى غيرتها أو أبطلتها التعديلات التى أدخلت على الدستور. أما الفقرات المطبوعة بالبنط الأبيض فهى ليست جزءا من الدستور. إنما تفسر معانى مقاطع معينة أو تصف كيفية تطبيق بعض المقاطع المعينة عمليا.

نحن شعب الولايات المتحدة،

المقدمة

رغبة منا فى إنشاء اتحاد أكثر كمالا، وفى إقامة العدالة، وضمان الاستقرار الداخلى، وتوفير سبل الدفاع المشترك، وتعزيز الخير العام وتأمين نعم الحرية لنا ولأجيالنا القادمة، نرسم ونضع هذا الدستور للولايات المتحدة الأمريكية.

المادة الأولى

الفقرة الأولى

الفرع التشريعى

تناط جميع السلطات التشريعية الممنوحة هنا بكونغرس للولايات المتحدة يتألف من مجلس للشيوخ ومجلس للنواب.

توزع مواد الدستور الثلاث الأولى سلطات حكومة الولايات المتحدة بين ثلاثة فروع منفصلة: (١) الفرع التشريعى، الذى يمثله الكونجرس؛ (٢) الفرع التنفيذى، الذى يمثله الرئيس؛ و(٣) الفرع القضائى، الذى تمثله المحكمة العليا. وقد صمم هذا التوزيع المسمى بـ **فصل السلطات** للحيلولة دون تمتع أى فرع من هذه الفروع بسلطات مفرطة، وتنص المادة الأولى على أن للكونجرس وحدة سلطة سن القوانين. ولايستطيع الكونجرس أن يعطى هذه السلطات لأية هيئة أخرى. ومع ذلك، فقد أنشأ الكونجرس عبر السنين وكالات ومصالح اتحادية مختلفة لوضع الأنظمة ووضع سياسته موضوع التطبيق. ومن هذه الوكالات لجنة التجارة الاتحادية ولجنة سلامة المنتجات للمستهلكين ولجنة التجارة بين الولايات.

وكان الكونجرس المكون من مجلسين أحد أهم تسويات المؤتمر الدستورى. فقد أيدت الولايات الصغيرة مشروع نيوجيرسى، الذى يقضى بأن يكون لكل ولاية نفس عدد النواب. بينما أيدت

الولايات الكبيرة مشروع فرجينيا، الذى اشترط أن يكون التمثيل متناسبا وعدد السكان. وكحل وسط تم الاتفاق على مجلسين يختار أحدهما وفق المشروع الأول والآخر وفق المشروع الثانى.

المادة الأولى
الفقرة الثانية
مجلس النواب

١- يتألف مجلس النواب من أعضاء يختارون كل سنتين من قبل الشعب فى مختلف الولايات، ويجب أن تتوفر فى الناخبين فى كل ولاية نفس المؤهلات التى يتوجب توافرها فى ناخبى أعضاء أكثر مجلسى الهيئة التشريعية فى تلك الولاية، عددا.

ينتخب أعضاء مجلس النواب لدورات مدة الواحدة منها سنتان. وإذا كان شخص ما مؤهلا لانتخاب أعضاء «الفرع الأكثرعددا» من الهيئة التشريعية فى ولايته، يكون مؤهلا لانتخاب أعضاء الكونجرس. و«الفرع الأكثر عددا» هو المجلس الذى يضم العدد الأكبر من الأعضاء. ولدى جميع الولايات، باستثناء نبراسكا، هيئات تشريعية مكونة من مجلسين. ومسألة أهلية انتخاب أعضاء الهيئة التشريعية لولاية ما متروكة كليا لتلك الولاية، إنما خاضعة لقيود الدستور والقانون الفيدرالى كقانون حقوق الاقتراع لعام ١٩٦٥. ويمنع الدستور فى تعديلاته رقم ١٥ و ١٩ و٢٤ و ٢٦، الولايات المتحدة من حرمان المواطن من حق الاقتراع، أو تقييد هذا الحق، بسبب العرق أو الجنس أو التقصير عن دفع ضريبة ما أو السن إذا كان سنة ١٨ سنة على الأقل.

٢- لا يصبح أى شخص نائبا ما لم يكن قد بلغ سن الخامسة والعشرين وما لم تكن مضت عليه سبع سنوات وهو من مواطنى الولايات المتحدة، وما لم يكن لدى انتخابه، من سكان الولاية التى يتم اختياره فيها.

تقرر كل ولاية لنفسها متطلبات الإقامة الشرعية ضمن حدود أحكام الدستور. ويسكن أكثر النواب لا فى الولاية وحسب، بل وفى المقاطعة التى ينتخبون عنها.

٣- يوزع عدد النواب والضرائب المباشرة بين مختلف الولايات (التى قد يضمها هذا الاتحاد بنسبة عدد سكان كل منها وهو العدد الذى يحدد بأن يضاف إلى مجموع عدد السكان الأحرار، بمن فيهم أولئك المرتبطون بالخدمة لعدد من السنين، وباستثناء الهنود الذين لا تفرض عليهم ضرائب، ثلاثة أخماس من عداهم من الناس). ويجرى الإحصاء الفعلى للسكان فى غضون ثلاث سنوات بعد انعقاد أول اجتماع لكونجرس الولايات المتحدة، وبعد ذلك فى غضون كل فترة عشر سنوات لاحقة، وذلك بالكيفية التى يحددها القانون. ويجب ألا يزيد عدد النواب عن نائب واحد لكل ثلاثين ألف نسمة، ولكن يجب أن يكون لكل ولاية نائب واحد على الأقل. وإلى أن يتم مثل هذا الإحصاء يكون لولاية نيوهامبشير الحق فى انتخاب ثلاثة نواب، وولاية مساشوستس ثمانية، وولاية رود أيلاند وبروفيدنس بلانتيشن واحد، وولاية كونيتيكت خمسة، وولاية نيويورك ستة، وولاية نيوجيرسى أربعة، وولاية بنسيلفانيا ثمانية، وولاية ديلاوير واحد، وولاية ماريلاند ستة، وولاية فرجينيا عشرة، وولاية نورث كارولينا خمسة، وولاية ساوث كارولينا خمسة، وولاية جورجيا ثلاثة.

لقد تغير تأثير هذه الفقرة إلى حد بعيد جدا بفعل التعديلات الدستورية والأحوال المستجدة. وهى تشترط الآن ثلاثة أشياء فقط: (١) يجب أن يعتمد عدد النواب المخصص لكل ولاية على عدد سكانها؛ (٢) يجب أن يتأكد الكونجرس من أن سكان الولايات المتحدة يحصون كل عشرة سنوات و(٣) أن يكون لكل ولاية نائب واحد على الأقل.

وتعنى كلمتا «الضرائب المباشرة» ضرائب الرأس والممتلكات. ويمنح التعديل السادس عشر الكونجرس حق فرض الضريبة على الفرد تبعا لمقدار دخله، لاتبعا لعدد سكان الولاية التى يصدف أن يكون مقيما فيها. ولكن الجملة تمنع الكونجرس فى نفس الوقت من جباية أى نوع من الضريبة المباشرة إلا بتقسيمها من الولايات تبعا لعدد سكانها.

وبالنسبة إلى تعبير «ثلاثة أخماس جميع الأفراد الآخرين» فإن «الأشخاص الآخرين» عنى بهم العبيد الزنوج. وبما أنه لا يوجد الآن أى عبيد، فإن هذا الجزء من الفقرة لم يعد له أى معنى.

ولم يعد شروط وجوب ألا يكون لكل ٣٠,٠٠٠ شخص أكثر من ممثل واحد قائما عمليا، إذ إن هناك الآن ممثل عن كل ٥١٩,٠٠٠ شخص تقريبا. وفى سنة ١٩٢٩ حدد الكونجرس عدد الممثلين بأربعمائة وخمسة وثلاثين.

٤- عندما يشغر مقعد أو أكثر من مقاعد النواب فى أى ولاية، تدعو السلطة التنفيذية فيها إلى إجراء انتخاب لملء هذا المقعد أو المقاعد الشاغرة.

وإذا شغر أحد مقاعد مجلس النواب، فإنه يتوجب على حاكم الولاية أن يجرى انتخابا خاصا لملئه. ولكن إذا كان موعد

الانتخابات العامة الدورية قريبا، يجـوز للحاكم إبقاء المقعد شاغرا بدلا من إجراء انتخابات خاصة.

٥- يختـار مـجلس النواب رئيسـه وسائر مـسئولية، وتكون لـهذا المجلس وحده سلطة توجيه الاتهام النيابى.

يختار مجلس النواب من أعضائـه مسئولا يسمى رئيس مجلس النواب الذى يقوم بإدارة الجلسات. وللمجلس النواب وحده صلاحية توجيه الاتهـام النيابى لأحد المسئـولين. أما صلاحية المحـاكمة فى هذه القضايا فمحصورة بمجلس الشيوخ.

المادة الأولى

الفقرة الثالثة

مجلس الشيوخ

١- يتـألف مجلس الشيوخ من شـيخـين عن كل ولاية (تختـارها الهيـئة التشـريعيـة فى تلك الولاية) لمدة ست سنوات. ويكون لكل شيخ صوت واحد.

نص الدسـتور فى بادئ الأمـر على أنه يتـوجب على الهـيئـة التشريعـية فى كل ولاية انتخاب عضـوين لمجلس الشيوخ. ولكن التعديل السابع عشر غير هذه القاعدة بجعله الناخبين فى كل ولاية ينتخبون ممثلى الولاية فى مجلس الشيوخ.

٢- عقب اجتماع أعـضاء مجلس الشيوخ مباشرة نتـيجة الانتخاب الأول، يتم تقـسيـمـهم إلى ثلاث فئـات متـسـاوية قدر المسـتطاع. وتشغر مقاعـد شيوخ الفئة الأولى عند انتهاء السنة الثـانية، ومقاعد شيـوخ الفئة الثـانية عند انتهاء السـنة الرابعة، ومقـاعد شيـوخ الفـئة الثالثـة عند انتهاء السنة السادسـة، بحيث يمكن اختيـار الثلث مرة كل سنتين. (وإذا شـغر مقعد أو أكـثر بسبب الاسـتقالة أو سواها، خلال عطلة الهـيئة التشريعـية لولاية ما، جاز للسلطة التنـفيذية فى تلك الولاية أن تجرى تعيـينات مؤقتة ريثـما يعقد الاجتـماع التالى للمجلس التشريعى الذى يقوم عندئذ بملء المقاعد الشاغرة).

ينتــخب الشــيوخ لدورات مــدة الواحــدة منهــا ست سنوات. وينتخب ثلث الشيوخ مرة كل سنتــين. ويكون ثلثا مجلس الشيوخ من المتبقــين. ويضمن هذا الترتيب أن يكون مجلس الشيــوخ هيئة مســتمرة خــلافا لمجلس النواب الذى ينتــخب جميع أعــضائه كل سنتين. وقد غير التعديل السابع عشر طريقة ملء الشواغر، بحيث أصبح حاكم الولاية يعين من يشغل المقــعد الشاغر إلى حين إجراء انتخابات.

٣- لا يصبح أى شخص عضوا فى مــجلس الشيوخ ما لم يكن قد بلغ الثلاثــين من العمر ومــا لم تكن مضت عليــه تسع سنوات وهو من مواطنى الولايات المتــحدة. وما لم يكن لدى انتــخابه من سكان الولاية التى يتم اختياره عنها.

فى سنة ١٨٠٦، عين هنرى كــلاى من كنتاكى لتكملة دورة لم تنته فى مــجلس الشيوخ. وكــان عمره ٢٩ سنة، أى أصغــر بعدة شهور من السن الدنيا، ولكن أحــدا لم يطعن بذلك التعيين. وفى ١٧٩٣ انتخب البــرت غلاتين لعضــوية مجلس الشــيوخ عن ولاية بنسلفــانيا. ولكنه منع من تولى المنصب؛ لأنه لم يكــن مواطنا لمدة تسع سنوات لدى انتخابه.

٤- يكون نائب رئيس الولايات المتــحــدة رئيســا لمجلس الشيــوخ، ولكنه لا يدلى بصوته ما لم تتعادل الأصوات.

يتولى نائب رئيس الولايات المتحدة رئاسة مجلس الشيوخ. ولا يدلى بصوته إلا عند تعادل الأصوات. وكثيرا ما كانت سلطة نائب الرئيس فى ترجيح الكفــة لدى تعادل الأصوات مهمــة جدا، ففى سنة ١٧٨٩ مثــلا، أدلى نائب الرئيس جون آدامز بصــوته الذى أقر سلطة الرئيس فــى إقالة أعــضــاء الحكومــة دون مــوافقــة مــجلس الشيوخ.

٥- يختار مجلس الشيوخ مسئولية الآخرين كما يختار رئيسا مؤقتا فى غياب نائب الرئيس أو عند توليه مهام رئيس الولايات المتحدة.

ينتخب مجلس الشيوخ مسئولا من أعضائه يسمى بالرئيس المؤقت ليرأس الاجتماعات فى غياب نائب الرئيس.

٦- لمجلس الشيوخ وحده سلطة إجراء المحاكمة فى جميع قضايا الاتهام النيابى. وعندما ينعقد ملجس الشيوخ لهذا الغرض يقسم جميع أعضائه اليمين أو يدلون بالإقرار. وعندما تتناول المحاكمة رئيس الولايات المتحدة، يترأس رئيس المحكمة العليا الجلسات. ولايدان أى شخص بدون موافقة ثلثى الأعضاء الحاضرين.

قد يكون النص القائل بأن رئيس المحكمة العليا وليس نائب الرئيس، هو الذى يرأس مجلس الشيوخ عندما يكون الرئيس قيد المحاكمة؛ ناجما عن واقع أن الإدانة تجعل الرئيس رئيسا. وتعنى الجملة «تحت اليمين أو الإقرار» أن الشيوخ يؤدون اليمين عند النظر فى حالات الاتهام النيابى، تماما كما يكون المحلفون فى محكمة عادية.

٧- لا تتعدى الأحكام فى حالات الاتهام البرلمانى حد العزل من المنصب، وتقرير عدم الأهلية لتولى منصب شرفى أو يقتضى ثقة أو يدر ربحا لدى الولايات المتحدة، والتمتع به. ولكن الشخص المدان يبقى مع ذلك عرضة وقابلا للاتهام والمحاكمة والحكم عليه ومعاقبته وفقا للقانون.

إذا أدين شخص فى محاكمة نشأت عن اتهام نيابى. تمكن إقالته من منصبه كما يمكن منعه من أشغال وظيفية فى الحكومة الفيدرالية مرة أخرى. ولا يحق لمجلس الشيوخ فرض أية عقوبة أخرى، إنما تجوز محاكمة الشخص أيضا فى المحاكم العادية. وقد حكم ملجس الشيوخ على أربعة أشخاص فقط حتى الآن،

وجميعهم قضاة. وقد أقيل هؤلاء من مناصبهم، ولكن لم يحاكم أى منهم فى أية محكمة أخرى.

المادة الأولى
الفقرة الرابعة
تنظيم الكونجرس

١- مواعيد وأماكن وطريقة انتخابات الشيوخ والنواب تحددها فى كل ولاية هيئتها التشريعية، ولكن يمكن للكونجرس، فى أى وقت، أن يسن قانونا يحدد فيه مثل هذه الأنظمة أو يعدلها، (إلا فى ما يتعلق بدوائر اختيار الشيوخ).

ما دامت هيئات الولايات التشريعية تقوم باختيار الشيوخ، فإنه لا يصح السماح للكونجرس بتحديد مكان الاختيار. إذ إن ذلك يعنى إعطاء مجلس الشيوخ سلطة فرض تحديد مكان العاصمة على كل ولاية. وقد ألغى التعديل السابع عشر الكلمات «باستثناء ما يتعلق بأمكنة اختيار الشيوخ».

٢- يجتمع الكونجرس مرة على الأقل كل عام، (ويكون موعد هذا الاجتماع أول يوم اثنين من شهر كانون الأول/ ديسمبر) ما لم يحدد الكونجرس، بقانون، موعدا آخر.

كان الملوك فى أوربا يستطيعون منع البرلمانات من عقد الجلسات، وفى بعض الأحيان لسنوات عديدة، وذلك بمجرد عدم توجيه الدعوة لعقد هذه الجلسات. وهذا هو سبب شرط وجود اجتماع كونجرس الولايات المتحدة مرة واحدة فى السنة على الأقل. وقد غيرالتعديل العشرون تاريخ افتتاح الدورة إلى ٣ كانون الثانى/ يناير، إلا إذا حدد الكونجرس، بقانون، تاريخا آخر.

المادة الأولى

الفقرة الخامسة

١- كل من المجلسين هو الحكم فى انتخابات أعضائه ونتائجها ومؤهلاته. وتشكل الأغلبية فى كل من المجلسين النصاب القانونى لقيامه بأعماله، ولكن يمكن لعدد أصغر أن يؤجل الجلسات من يوم إلى يوم، وقد يخول كل من المجلسين سلطة إجبار الأعضاء المتغيبين على الحضور بالطريقة التى يراها وبمقتضى العقوبات التى يرتأى فرضها.

يفصل كل مجلس من المجلسين بأهلية أعضائه وصحة انتخابهم. وفى الحكم على مؤهلات الأعضاء لايحق لأى مجلس النظر إلا فى متطلبات العمر والجنسية والإقامة المحددة فى الدستور. ولكن فى حالة النظر باقتراحات طرد عضو ما فإنه يحق لأى من المجلسين اعتبار أمور أخرى تمت إلى كفاءة العضو لتولى منصبه. والنصاب هو مجموعة الأعضاء الذين يكفى عددهم لتسيير أعمال المجلس. ويمكن الاستمرار فى البحث والمناقشة سواء توفر نصاب أم لا ما دام النصاب يتوفر لدى التصويت.

٢- يمكن لكل من المجلسين أن يضع قواعد نظامه الداخلى وأن يعاقب أعضاءه على سلوكهم غير النظامى، كما يمكنه بموافقة الثلثين، طرد أحد الأعضاء.

يستطيع أى من المجلسين طرد أحد أعضائه بأكثرية ثلثى الأصوات. ويقرر كل مجلس قواعد وأنظمة عمله، فمثلا يفرض مجلس النواب مهلا زمنية محددة للمناقشات وذلك من أجل الإسراع فى العمل. ولكنها إنهاء النقاش فى مجلس الشيوخ أصعب من ذلك بكثير، فإنه يجوز لعضو مجلس الشيوخ الكلام بقدر ما يشاء، إلا إذا صوت المجلس على **إقفال باب**

المناقشة. وفى أكثر الحالات يتطلب إقفال بـاب المناقشة ستين صوتا أو ثلاثة أخماس عضوية مجلس الشيوخ.

٣- يحتـفظ كل من المجلسيـن بمحاضر لجلسـاته ينشرها مـن حين لآخر، باستثناء تلك الأجزاء التى يرى أنهـا تستلزم السرية، كما أن تصويت أعضاء أى من المجلسين بالموافقة أو الرفض فى أى مسألة، ينبـغى أن يـسـجل فى المحـاضـر إذا رغب فى ذلـك خـمس عـدد الأعضاء الحاضرين.

ينشـر سجل أعـمـال مجلس النواب وسـجل أعـمال مـجلس الشـيوخ فى آخـر كل دورة للكونجـرس. وهمـا يدرجـان جمـيع المشاريع والـقرارات التى نظر فـيها ودرست أثناء الجـلسات، وكل تصويت جرى ونتائجه. وتدرج فى هذين السجلين جميع الرسائل الواردة من الرئيس إلى الكونجرس. وهذه السجلات هى المنشورات الوحيـدة التى يتطلبهـا الدستور، وهى تعـتبر المـستندات الرسمـية لإجراءات الكونجرس.

٤-لا يجـوز أى من المجلسين، أثناء انعـقاد دورة الكونجـرس، رفع جلسـاته لأكثـر من ثلاثة أيام دون موافـقة المجلس الآخـر. كمـا لا يجـوز لأى منهمـا نقل جلسـاته إلى أى مكان خـلاف المكان الذى يلتئم فيه المجلسان.

المادة الأولى

الفقرة السادسة

١- يتقاضى الشـيوخ والنواب لقاء خدماتـهم بدلا يحدده القانون، ويدفع من خزانة الولايات المتحدة. ولهم فى جميع الحالات، ماعدا حالات الخيانة والجنايات والإخلال بالأمن، أن يتمتعوا بامتياز عدم اعتقالهم أثناء حضورهـم جلسات مجلسهم، وفى ذهابهم إلى ذلك المجلس وعـودتهم منه، وأى خطاب يلقى أو مناقـشة تجـرى فى أى من المجلسين لا يسألون عنها فى أى مكان آخر.

أهميـة امتياز الحـصانة (عدم جواز إلقـاء القبض) أثناء الذهاب والإياب لقضاء أعمال الكونجرس قليلة فى الوقت الحاضر. ويمكن إلقاء القـبض على أعضاء الكونجرس لخـرقهم القانون تماما كـإلقاء القبض على أى شخص آخر. وتمكن محاكمتهم وإدانتهم وإيداعهم السجن.

أما الحصـانة الخاصة بأعضـاء الكونجرس ضد اتهامـات الافتراء والتشهـير فتبقى هامـة. والافتراء هو بيان أو تصريح مكتـوب غير صحيح يضر بسمـعة الشخص. أما التشهير فـهو كلام منطوق غير صحيح يضر بالسمعة. والحصانة تعنى أنه يحق لأعضاء الكونجرس أن يقولوا ما يشاءون فى ما يتعلق بأعمال الكونجرس دون خشية من المقاضـاة. وتمتد هذه الحـصانة إلى أى شىء يـقوله الأعضـاء أثناء المناقشة أو فى تقرير رسمى أو أثناء التصويت.

٢- لا يجوز لأى شيخ أو نائب أن يعين، خـلال الفترة التى انتخب لها، فى أى منصب مـدنى خاضع لسلطة الولايات المتـحدة، يكون قد أنشئ، أو تكون تعويـضاته قد زيدت خلال تلك الفتـرة، كما لا يجـوز لأى شـخص يشغـل أى منصب خاضـع لسلطان الولايات المتحـدة، أن يكون عضـوا فى أى من المجلسـين أثناء استـمراره فى منصبه.

هذه الشروط تمنع أعـضاء الكونجرس من إيـجاد وظائف يمكن تعيينهم فيها فيما بعد، أو من رفع رواتب الوظائف التى يأملون فى شغلها فى المسـتقبل. أو من شغل منصب فى فـرع آخر من فروع الحكومة.

وفى سنـة ١٩٠٩ اسـتـقـال السناتور فـيـلاندرسى نوكس من مـجلس الشيـوخ ليصـبح وزيرا للخـارجـيـة. ولكن راتب وزير الخـارجيـة كان قـد زيـد خلال مـدة دورتـه كسناتور. ولتـمكـين

نوكس من قبول المنصب سحب الكونجرس زيادة الراتب للمدة المتبقية من دورة نوكس.

المادة الأولى

الفقرة السابعة

١- جميع مشاريع القوانين الخاصة بتحصيل دخل تطرح في مجلس النواب، ولكن المجلس الشيوخ أن يقترح أو يوافق على تعديلات، كما في مشاريع القوانين الأخرى.

يجب أن تنشأ مشاريع الضريبة في مجلس النواب. وقد جاء تقليد نشوء مشاريع الضريبة في مجلس الهيئة التشريعية الأدنى من إنجلترا. فهناك، من الأرجح أن يعكس المجلس الأدنى - مجلس العموم - رغبات الشعب؛ لأن الشعب هو الذى ينتخب أعضاء ذلك المجلس. والشعب لا ينتخب أعضاء المجلس الأعلى، مجلس اللوردات. وفى الولايات المتحدة، هذه القاعدة قليلة الأهمية؛ لأن الشعب ينتخب مجلس الشيوخ ومجلس النواب. وبالإضافة إلى ذلك. فإن مجلس الشيوخ يستطيع تعديل مشروع ضريبة إلى حد إعادة صياغة الإجراء برمته.

٢- كل مشروع قانون ينال موافقة مجلس النواب ومجلس الشيوخ يجب، قبل أن يصبح قانونا، أن يقدم إلى رئيس الولايات المتحدة، فإذا وافق عليه، وقعه، ولكن إذا لم يوافق عليه أعاده، مقرونا باعتراضاته إلى المجلس الذى طرح فيه، وعلى المجلس أن يسجل الاعتراضات بمجملها فى محاضره، ثم يباشر إعادة درس المشروع، فإذا وافق أعضاء ذلك المجلس، بعد إعادة الدرس على إقرار مشروع القانون، أرسل مع الاعتراضات إلى المجلس الآخر، حيث يعاد درسه كذلك، فإذا أقره ثلثا أعضاء ذلك المجلس أصبح قانونا.

ولكن فى جميع مثل هذه الحالات يجب أن تحدد أصوات أعضاء المجلسين بنعم أو لا، وتدرج أسماء المصوتين بالموافقة على المشروع ومعارضته فى محاضر كل من المجلسين على حدة. وإذا لم يعد الرئيس أى مشروع قانون فى غضون عشرة أيام (تستثنى منها أيام الأحد) من تقديمه له، أصبح مشروع القانون ذاك قانونا كما لو أنه وقعه، ما لم يحل الكونجرس، بسبب رفعه لجلساته، دون إعادة المشروع إليه، وفى مثل هذه الحالة لا يصبح المشروع قانونا.

يحال مشروع القانون الذى يقره الكونجرس إلى الرئيس للتوقيع. وإذا لم يوافق الرئيس على المشروع، تتوجب إعادته إلى الكونجرس مع بيان الاعتراضات عليه خلال مهلة عشرة أيام لا تحسب فيها أيام الأحد. ويسمى هذا الإجراء **بالفيتو** . ويستطيع الكونجرس إصدار قانون رده الرئيس إذا صوت ثلثا الأعضاء الحاضرين فى كل من المجلسين بالموافقة عليه. ويستطيع الرئيس السماح لمشروع القانون بأن يصبح قانونا دون توقيعه بمجرد السماح بمرور مهلة العشرة أيام عليه. ولكن مشروع القانون الذى يحال إلى الرئيس خلال العشرة أيام الأخيرة من دورة انعقاد الكونجرس لا يمكن أن يصبح قانونا إلا وقعه الرئيس. وإذا أحيل إلى الرئيس. فى وقت قريب من نهاية انعقاد الدورة، مشروع قانون لا يستسيغه، يمكنه الاحتفاظ بمشروع القانون ذاك دون توقيع. وعندما تنتهى دورة الكونجرس يصبح مشروع القانون المحال لاغيا. وتعرف هذه الممارسة **بالفيتو الجيبى**. ويستعمله الرؤوساء الذين يرون أن مشروع قانون ما غير مرض ولكنهم لا يرغبون فى معارضته بالفيتو علانية.

٢- كل أمر أو قرار أو تصويت يستلزم موافقة مجلس الشيوخ والنواب (باستثناء موضوع رفع الجلسات) ينبغى تقديمه لرئيس الولايات المتحدة. وقبل أن يصبح نافذا، يجب أن ينال موافقته، أو إذا لم يوافق عليه، تتعين إعادة إقراره من قبل ثلثى أعضاء مجلس الشيوخ والنواب وفقا للقواعد والقيود المحددة فى حالة مشروع القانون.

المادة الأولى

الفقرة الثامنة

السلطات الممنوحة للكونجرس

تكون للكونجرس سلطة:

١ - فرض الضرائب والرسوم والعوائد والمكوس وجبايتها، لدفع الديون، وتوفير سبل الدفاع المشترك، والخير العام للولايات المتحدة، إنما يجب أن تكون جميع الرسوم والعوائد والمكوس موحدة فى جميع أنحاء الولايات المتحدة.

الرسوم هى الضرائب المفروضة على البضائع الواردة إلى الولايات المتحدة. والمكوس هى الضرائب المفروضة على المبيعات أو الاستعمالات أو الإنتاج، وأحيانا على إجراءات الأعمال وامتيازاتها، فضرائب الشركات وضرائب السجاير وضرائب الترفيه مثلا، تعتبرمكوسا، والعوائد تعبير ضريبى عام يشمل الرسوم والمكوس.

٢- استدانة الأموال لحساب الولايات المتحدة.

٣- تنظيم التجارة مع الدول الأجنبية، وبين مختلف الولايات، ومع قبائل الهنود.

هذه الفقرة المسماة بـ: فقرة التجارة، تعطى الكونجرس بعض أهم سلطاته. وقد فسرت المحكمة العليا التجارة بأنها تعنى لا مجرد الاتجار فحسب بل جميع أنواع النشاط التجارى أيضا. والتجارة «بين مختلف الولايات» تدعى عادة التجارة بين الولايات المتحدة. وقد جاء فى حكم للمحكمة العليا أن

التجـارة بين الولايات لا تشـمل العمليـات التجـارية عبـر حدود الولايات فحسب بل تشمل كـذلك أى نشاط يؤثر على التجارة فى أكثـر من ولاية واحدة. وقد فسرت المحكمة كلمـة «تنظيم» بأنها تعنى «يشجع» «يروج» «يحمى» «يحظر» أو «يقيد». وكنتيجة لهذا. فإن الكونجـرس يستطيع سن الـقوانين وتوفيـر التمـويل لتحـسين الممرات المائية وتـطبيق إجراءات سلامة الطيـران ومنع شحن بعض البـضائع بين الولايات. ويسـتطيع الكونجـرس تنظيم أعمـال تنقل وانتـقال النـاس والقطارات والأسهم والسـندات وحتى الإشـارات التلفزيونية. وقد جعل الكونجرس من الهرب عبر حدود الولاية من شرطتهـا أو من الشرطة المحلية جـريمة فيدرالية. وقـد حظر أيضا على الأفراد الذين يشغلون المرافـق بين الولايات أو الذين يخدمون الركـاب المتنقلين بين الولايات من مـعـاملة زبائنهم دون أنصـاف بسبب أعراقهم.

٤- وضع نظام مـوحد للتجنس، وقـوانين موحـدة بشأن مـوضوع الإفلاسات فى جميع أنحاء الولايات المتحدة.

٥- سك وطبع العملة،وتنـظيم قيمتـها وقيـمة العملات الأجنبـية، وتحديد معايير الموازين والمقاييس.

يستمـد الكونجرس من هذا البند الذى يسمح له بتنظيـم التجارة واستـدانة المال، الحق فى وضع الأنظمة الأسـاسية للبـنوك تأسيس نظام الاحتياط الفيدرالى.

٦- وضع أحكام للمـعاقبة علـى تزوير سندات الولايات المتحـدة المالية وعملتها.

المقصود بالسندات هنا هو سندات الحكومة.

٧- إنشاء مكاتب وطرق للبريد.

٨- تعزيز تقدم العلوم والفنون المفيدة بأن يحفظ لمدد محددة للمؤلفين والمخترعين الحق المطلق فى كتاباتهم واكتشافاتهم.

يمكن حفظ حقوق الصور الفوتوغرافية والأفلام بموجب هذه القاعدة.

٩- إنشاء محاكم أدنى درجة من المحكمة العليا.

من أمثلة المحاكم الفيدرالية الـ «أدنى فى مرتبتها من المحكمة العليا» محاكم الولايات المتحدة المحلية الابتدائية ومحكمة الولايات المتحدة للاستئناف.

١٠- تعريف أعمال القرصنة، والجنايات التى ترتكب فى عرض البحر، والجرائم الموجهة ضد القانون الدولى، والمعاقبة عليها.

الكونجرس، لا الولايات، هو من يملك صلاحية النظر فى الجرائم المرتكبة فى البحر.

١١- إعلان الحرب، والتفويض برد الاعتداء والاستيلاء على السفن والبضائع، ووضع قواعد تتعلق بالاستيلاء على غنائم فى البر والبحر.

الكونجرس وحده يستطيع إعلان الحرب، ولكن الرئيس القائد العام، أدخل الولايات المتحدة فى حروب دون أن يعلنها الكونجرس. وتشمل الحروب غير المعلنة الحرب الكورية (١٩٥٠ - ١٩٥٣) وحرب فيتنام (١٩٥٧ - ١٩٧٥). وتفويضات رد الاعتداء هى وثائق ترخص للسفن الخاصة بمهاجمة سفن العدو.

١٢- إنشاء الجيوش وتأمين نفقاتها، ولكن الاعتمادات المالية المخصصة لذلك الغرض يجب ألا تكون لفترة تزيد على سنتين.

١٣- تكوين قوة بحرية والتكفل بها.

١٤- وضع قواعد لإدارة وتنظيم القوات البرية والبحرية.

١٥- وضع أحكام لدعوة المليشيا إلى تنفيذ قوانين الاتحاد، وقمع التمرد وصد الغزو.

منح الكونجرس الرئيس صلاحية تقرير قيام حالة غزو أوعصيان (تمرد). وفي تلك الحالات، يستطيع الرئيس استدعاء الحرس الوطني.

١٦ ـ وضع أحكام لتنظيم وتسليح وتدريب المليشيا، وإدارة أقسامها التي قد تكون عاملة في خدمة الولايات المتحدة، محتفظا للولايات، كل علي حدة، بحق تعيين الضباط وسلطة تدريب المليشيا وفقا للنظام الذي يضعه الكونجرس.

تساعد الحكومة الفيدرالية الولايات المتحدة في الاحتفاظ بفرق مليشيا تعرف أيضا بالحرس الوطني. وقد تحكمت الولايات بفرق المليشيا كليا حتى سنة ١٩١٦. وفي تلك السنة صدر قانون الدفاع الوطنى الذي ينص علي تمويل الحكومة الفيدرالية للحرس الوطنى وعلى تجنيده لخدمة البلاد فى بعض الظروف.

١٧- الاستئثار بحق التشريع في جميع القضايا أيا كانت، في مقاطعة (لا تزيد مساحتها علي عشرة أميال مربعة) قد تصبح، بفعل تنازل ولايات معينة عنها وموافقة الكونجرس مقر محكومة الولايات المتحدة، وممارسة سلطة مماثلة علي جميع الأماكن التي تشتري بموافقة الهيئة التشريعية للولاية الكائنة فيها، لغرض إقامة حصون ومخازن ذخيرة وترسانات وأحواض سفن ومبان أخرى لازمة.

يجعل هذا البند الكونجرس الهيئة التشريعية، لا فى ما يتعلق بمقاطعة كولومبيا فحسب، بل أيضا بالأملاك الفيدرالية التى تقوم عليها الحصون والقواعد البحرية ومستودعات الأسلحة والمشاغل والمبانى الفيدرالية أيضا.

١٨- سن جميع القوانين التى تكون ضرورية ومناسبة لكى توضع موضع التنفيذ، السلطات آنفة الذكر وجميع السلطات الأخرى التى ينيطها هذا الدستور بحكومة الولايات المتحدة أو بأية إدارة أو موظف تابع لها.

يجيز هذا البند، بعبارة «ضرورية ومناسبة» المشهورة، للكونجرس معالجة أمور عديدة غير مذكورة بصورة محددة فى الدستور. ومع تغير الأزمان. استطاع الكونجرس سن قوانين ضرورية دون أن يعدل كثيرا فى الدستور، وتساعد هذه المرونة على شرح سبب كون الدستور واحد من أقدم الدساتير المكتوبة.

المادة الأولى

الفقرة التاسعة

السلطات المحظرة على الكونجرس

١- إن هجرة أو استقدام أولئك الأشخاص الذين تعتقد أى من الولايات المتحدة الموجودة حاليا أن من المناسب دخولهم، لا يجوز للكونجرس أن يحظرهما قبل عام ألف وثمانمائة وثمانية، ولكن يمكن فرض ضريبة، أو رسم، على مثل هذا الاستقدام، لا يتجاوز أى منهما عشرة دولارات عن كل شخص.

يشير هذا المقطع إلى تجارة الرقيق. فقد أراد تجار الرقيق، كما أراد المحتفظون بالعبيد، ضمان ألا يستطيع الكونجرس منع أحد من إحضار العبيد الأفريقيين إلى البلاد قبل سنة ١٨٠٨. وفى تلك السنة حظر الكونجرس استيراد العبيد.

٢- إن امتياز أمـر استحضار أمام القـضاء لا يجوز أن يعلق إلا عندما تستدعى السـلامة العامـة ذلك فى حالات العصـيان أو الغزو.

الأمر القضائى بالإحـضار للتحقيق والمحاكمـة: هو أمر قضائى يأمر الذين يحـتجزون شـخصا بإحـضاره إلى المحكمـة، ويتوجب عليـهم شرح سـببهم فى احـتجـاز هذا الشـخص. وإذا لم يكن تبريرهم مقبولا فإن القاضى يستطيع الأمر بإطلاق سراح المعتقل.

٣- لا يجوز إصدار قانون يقضى بالإدانة والعقاب بالإعدام أو التجريد من كافـة الحقوق دون محاكمة، كـما لا يجوز إصدار قانون جزائى ذى مفعول رجعى.

قانون الإدانة والعقاب: هو قانون تصدره الهيئة التشريعية لمعاقبة شخص دون مـحاكمة، والقـانون الجزائى ذو المفعـول الرجعى هو قانون ينص على معاقبة فعل لم يكن غير مشروع عند اقترافه.

٤- لا يجـوز فرض ضـرائب (أفـراد أو أية ضـرائب مـباشـرة أخرى)، ما لـم تكن مـتناسبة مع الإحصاء أوالتـعداد الذى سبق النص على وجوب إجرائه.

ضريبة الأفراد هى ضريبـة تجبى من كل فرد بالتساوى، وتدعى أيضا بضـريبة الرأس. وقد رأت المحكمة العـليا أن هذا البند يمنع فرض ضريبـة على الدخل، ولكن التعديل السادس عشـر للدستور ألغى قرار المحكمة العليا هذا.

٥- لا يجـوز فرض ضـرائب أو رسوم على سلع تصـدرها أية ولاية.

فى هذه الجملة تعنى كلمة تصـدرها إرسالها إلى ولايات أخرى أو إلى دول أجنبـية. وقـد خـشيت الولايات الجـنوبية أن تفـرض الحكومة الجديدة الضـرائب على صادراتها وأن تتضرر اقتـصادياتها

نتيجة ذلك. وهذه الجملة تحظر فرض مثل هذه الضريبة. ومع ذلك، فإن الكونجرس يستطيع منع شحن بعض الأصناف أو تنظيم شروط شحنها.

٦- لا يجوز منح أفضلية أية أنظمة تجارية أو أخرى خاصة بالعائدات، لموانئ ولاية ما على موانئ ولاية أخرى، كما لا يجوز إجبار السفن المتوجهة إلى ولاية ما أو القادمة منها؛ على دخول ولاية أخرى أو تفريغ حمولتها أو دفع رسوم فيها.

لا يجوز للكونجرس سن قوانين متعلقة بالتجارة تمنح ولاية ما أفضلية على أخرى. ولا يتوجب على السفن المبحرة من ولاية إلى أخرى دفع ضرائب لتفعل ذلك.

٧- لا يجوز أن تسحب أموال من الخزينة إلا تبعا لاعتمادات يحددها القانون. وتنشر من حين لآخر، بيانات دورية بإيرادات ونفقات جميع الأموال العامة وبحسابها.

لا يجوز صرف الأموال الحكومية دون موافقة الكونجرس. ويجب على الكونجرس أن يصدر بيانا ماليا من حين لآخر.

ويرخص الكونجرس بصرف اعتمادات أكثر البرامج الحكومية فى مبالغ إجمالية، إذ إن الترخيص بإنفاق كل بند على حدة يستنزف وقتا طويلا.

٨- لا تمنح الولايات المتحدة أى لقب من ألقاب الشرف. ولا يجوز لأى شخص يشغل لديها منصبا يدر ربحا أو يقتضى ثقة، أن يقبل، دون موافقة الكونجرس، أية هدية أو أجر أو منصب أو لقب من أى نوع كان، من أى ملك أو أمير أو دولة أجنبية.

لا يستطيع الكونجرس منح أى شخص لقب شرف، مثل

كونتيسة أو دوق، ولا يجوز للمسئولين الفيدراليين قبول هدية أو منصب أو أموال أو لقب من دولة أجنبية دون موافقة الكونجرس.

المادة الأولى
الفقرة العاشرة
السلطات المحظورة على الولايات

١- لا يجوز لأية ولاية أن تعقد أية معاهدة، أو أن تدخل فى أى حلف أو اتحاد، أو تفوض برد الاعتداء والاستيلاء على السفن والبضائع أو تسك عملة أو تصدر سندات حكومية، أو تعتمد أى شيء خلاف العملة الذهبية والفضية وسيلة لوفاء الديون، أو تصدر أى قانون يقضى بالإدانة والعقوبة بدون محاكمة، أو أى قانون جزائى ذى مفعول رجعى، أو أى قانون ينقص من قوة التزامات العقود، أو تمنح أى لقب من ألقاب الشرف.

٢- لا يجوز لأية ولاية، دون موافقة الكونجرس، أن تفرض أية رسوم أو عوائد على الواردات أو الصادرات، إلا ما كان منها ضروريا ضرورة قصوى لقيامها بتنفيذ قوانينها الخاصة بالتفتيش، يكون صافى إيرادات جميع الرسوم والعوائد التى تفرضها أية ولاية على الواردات أو الصادرات، لمنفعة خزانة الولايات المتحدة، وجميع أمثال هذه القوانين تكون خاضعة لمراجعة وإشراف الكونجرس.

لا تستطيع الولاية، دون موافقة الكونجرس، فرض ضريبة على البضائع الداخلة أو الخارجة منها باستثناء الرسوم البسيطة لتغطية نفقات الكشف أو الفحص، أما الأرباح الناجمة عن ضرائب التجارة بين الولايات فهى من نصيب الحكومة الفيدرالية.

٣- لا يجوز لأية ولاية، دون موافقة الكونجرس، أن تفرض أية رسوم على حمولة السفن، أو تحتفظ بقوات عسكرية أو سفن حربية فى وقت السلم، أو تعقد أى اتفاق أو ميثاق مع ولاية أخرى أو دولة أجنبية، أو تشتبك فى حرب إلا إذا غزيت فعلا، أو إذا كان هناك خطر داهم لا يسمح بالتأخير.

الحكومة الفيدرالية فقط هى التى تملك سلطة عقد المعاهدات والقيام بإجراءات الدفاع الوطنى.

المادة الثانية

الفقرة الأولى

الفرع التنفيذى

١- تناط السلطة التنفيذية برئيس للولايات المتحدة الأمريكية ويشغل الرئيس منصبه مدة أربع سنوات، ويتم انتخابه مع نائب الرئيس، الذى يختار لنفس المدة، على النحو التالى:

٢- تعين كل ولاية، بالكيفية التى تحددها هيئتها التشريعية، عددا من الناخبين مساويا لمجموع عدد الشيوخ والنواب الذين يحق للولاية أن يمثلوها فى الكونجرس. ولكن لا يجوز لأى عضو فى مجلس الشيوخ أو فى مجلس النواب، أو لأى شخص يشغل لدى الولايات المتحدة منصبا يقتضى ثقة أو يدر ربحا، أن يعين ناخبا.

يضع هذا البند أسس «الهيئة الانتخابية»، وهى مجموعة من الناس يختارها الناخبون من كل ولاية لتختار رئيسا ونائبا للرئيس.

٣- يجتمع الناخبون كل منهم فى ولايته ويصوتون بالاقتراع السرى لشخصين، يكون أحدهما على الأقل من غير سكان الولاية نفسها. ويضعون لائحة بأسماء جميع الأشخاص الذين اقترع لهم، وبعدد الأصوات التى نالها كل منهم، ويوقعون اللائحة ويصادقون على صحتها ويحيلونها مختومة إلى مقر حكومة الولايات المتحدة، موجهة إلى رئيس مجلس الشيوخ. ويقوم رئيس مجلس الشيوخ، بحضور أعضاء مجلسى الشيوخ

ويقوم رئيس مجلس الشيوخ، بحضور أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب، بفض جميع مظاريف اللوائح ثم تحصى الأصوات. والشخص الذى ينال أكبر عدد من الأصوات يصبح هو الرئيس، إذا كان هذا العدد أكثرية مجموع عدد الناخبين المعينين وإذا كان نال أكثر من شخص مثل هذه الأكثرية، وكان عدد الأصوات التى نالوها متساويا، عندها يقوم مجلس النواب فورا، وعن طريق الاقتراع السرى، باختيار واحد منهم رئيسا. وإذا لم يحصل أى شخص على أكثرية، عندها يقوم مجلس النواب، بالكيفية عينها، باختيار الرئيس من بين الخمسة الفائزين بأكبر عدد من الأصوات فى اللائحة. ولكن عند اختيار الرئيس، تحسب الأصوات على أساس الولايات بحيث يكون لممثلى كل ولاية صوت واحد، ويتشكل النصاب لهذا الغرض من عضو أو أعضاء من ثلثى الولايات، وتكون أكثرية جميع الولايات ضرورية ليتم الاختيار. وفى كل حالة، بعد اختيار الرئيس، يصبح الشخص الحائز على أكبر عدد من أصوات الناخبين نائب الرئيس. وإذا بقى، شخصان أو أكثر لديهما عدد متساو من الأصوات، تعين على مجلس الشيوخ أن يختار من بينهما أو من بينهم بالاقتراع السرى نائب الرئيس).

غير التعديل الثانى عشر هذا الإجراء لانتخاب الرئيس ونائب الرئيس.

٤- يجوز للكونجرس أن يحدد موعد اختيار الناخبين واليوم الذى يدلون فيه بأصواتهم، وهو يوم يجب أن يكون واحدا فى جميع أنحاء الولايات المتحدة.

٥- لا يكون أى شخص سوى المواطن بالولادة أو من يكون من مواطنى الولايات المتحدة وقت إقرار هذا الدستور، مؤهلا

لمنصب الرئيس، كما لا يكون مؤهلا لذلك المنصب أى شخص لم يبلغ سن الخامسة والثلاثين ولم يكن مقيما فى الولايات المتحدة مدة أربعة عشر عاما.

٦- فى حال عزل الرئيس من مصبه، أو وفاته، أو استقالته، أو عجزه عن القيام بسلطات ومهام المنصب المذكور، يؤول المنصب إلى نائب الرئيس، ويمكن للكونجرس أن يحدد بقانون أحكام حالات عزل أو وفاة أو استقالة أو عجز الرئيس ونائب الرئيس كليهما، معلنا من هو المسئول الذى يتولى عند ذلك مهام الرئاسة. ويبقى مثل ذلك المسئول قائما بمهام الرئاسة إلى أن تزول حالة العجز أو يتم انتخاب رئيس.

فى ٩ آب/ أغسطس استقال الرئيس ريتشارد نيكسون من منصبه كرئيس للبلاد، وخلفه نائب الرئيس جيرالدفورد. وحتى ذلك الوقت كانت الوفاة هى السبب الوحيد الذى اختصر ولاية أى رئيس للولايات المتحدة. وقد نص التعديل الخامس والعشرون على أن نائب الرئيس يخلف الرئيس فى منصب الرئاسة إذا أصبح الرئيس عاجزا عن تولى مهام منصبه ويحدد الشروط الواجب توافرها للخلافة.

٧- يتقاضى الرئيس، فى مواعيد محددة، تعويضا عن خدماته لا يزاد ولا ينقص خلال الفترة التى ينتخب لها، ولا يجوز له أن يتلقى خلال تلك الفترة أية مرتبات أخرى من الولايات المتحدة أو من أية ولاية منها.

جعل الدستور من الممكن للشخص الفقير أن يصبح رئيسا بتوفيره راتبا لذلك المنصب. ولا يجوز رفع أو خفض راتب الرئيس خلال مدة توليه ذلك المنصب. ولا يجوز للرئيس قبول أى راتب إضافى من الحكومة الفيدرالية أو من الولايات.

٨- على الرئيس قبل أن يشرع فى تنفيذ مهام منصبه، أن يؤدى القسم أو التوكيد التالى: «أقسم جازما (أو أؤكد) بأننى سأقوم بإخلاص بمهام منصب رئيس الولايات المتحدة وبأننى سأبذل أقصى ما فى وسعى لأصون وأحمى وأدافع عن دستور الولايات المتحدة.»

لا يحدد الدستور الشخص الذى يقيم مراسم الرئيس المنتخب اليمين الدستورية. وقد أقام روبرت آر. لفنغستون، الذى كان مسئولا بحكومة ولاية نيويورك، بمراسم تحليف الرئيس جورج واشنطن. وبعد ذلك أصبحت العادة أن يقوم رئيس المحكمة العليا فى الولايات المتحدة بمراسم تأدية اليمين. وقد قام بمراسم تحليف الرئيس كالفن كولدج والده الذى كان قاضى صلح فى بلدته فى فيرمونت. وحلف كولدج اليمين مرة أخرى أمام القاضى أدولف آى. هولنغ، القاضى بالمحكمة العليا فى مقاطعة كولومبيا.

المادة الثانية
الفقرة الثانى‌ة

١- يكون الرئيس قائدا أعلى للجيش وبحرية الولايات المتحدة، وللميليشيات مختلف الولايات عندما تدعى إلى الخدمة الفعلية لدى الولايات المتحدة. وله أن يطلب الرأى الخطى للموظف الرئيسى فى كل من الوزارات التنفيذية حول أى موضوع يتعلق بمهام وزارة كل منهم، كما تكون له سلطة إرجاء تنفيذ الأحكام، ومنح العفو عن جرائم تركب ضد الولايات المتحدة، ما عدا فى حالات الاتهام النيابى.

سلطات الرئيس بصفته قائدا أعلى للقوات المسلحة واسعة جدا. ولكن يتوجب على الرئيس إطاعة قوانين البلاد حتى فى زمن الحرب.

٢- تكون له السلطة، بمشورة مجلس الشيوخ وموافقته، لعقد معاهدات، شرط أن يوافق عليها ثلثا عدد أعضاء المجلس الحاضرين، كما له أن يرشح، وبمشورة مجلس الشيوخ وموافقته، أن يعين، سفراء ووزراء مفوضين آخرين وقناصل وقضاة للمحكمة العليا وسائر موظفى الولايات المتحدة الآخرين، الذين لا ينص هنا على أحكام تعييناتهم والتى سيتم إحداثها بقانون. ولكن يمكن للكونجرس أن ينيط بواسطة قانون، حسبما يرتأى، تعيين مثل هؤلاء الموظفين الأدنى رتبة، بالرئيس وحده، أو بالمحاكم، أو بالوزارات.

أراد واضعو الدستور أن يقوم مجلس الشيوخ فى بعض الأمور بدور الهيئة الاستشارية للرئيس، على غرار مشورة مجلس اللوردات للملك أو الملكة فى بريطانيا العظمى.

ويمكن للرئيس عقد معاهدات وتعيين مختلف المسئولين الحكوميين. إنما ينبغى أن يصوت ثلثا أعضاء مجلس الشيوخ الحاضرين بالموافقة على المعاهدة لتصبح نافذة. كما أن تعيين كبار المسئولين يستوجب موافقة أكثر من نصف عدد أعضاء مجلس الشيوخ الحاضرين.

٣- للرئيس سلطة ملء جميع المناصب الشاغرة التى قد تحدث أثناء عطلة مجلس الشيوخ، وذلك عن طريق منح تفويضات ينتهى أجلها بنهاية الدورة التالية للمجلس.

يعنى هذا أن الرئيس يستطيع القيام بتعيينات مؤقتة لمراكز تتطلب تثبيت مجلس الشيوخ عندما لا يكون المجلس منعقدا.

المادة الثانية
الفقرة الثالثة

يزود الرئيس الكونجرس من وقت لآخر، بمعلومات عن حال الاتحاد، ويقدم له للدراسة، توصيات بتلك الإجراءات التى

يعتقد أنها ضرورية وملائمة. وله فى ظروف استثنائية، أن يدعو كلا المجلسين، أو أيا منهما، إلى الانعقاد. وفى حال حدوث خلاف بينهما بالنسبة إلى موعد إرجاء الجلسات، فله أن يرجئها إلى الموعد الذى يراه ملائما. وعليه أن يستقبل السفراء والوزراء المفوضين الآخرين، كما عليه أن يراعى بأن تنفذ القوانين بإخلاص وأن يشمل بتكليفه جميع موظفى الولايات المتحدة.

يوجه الرئيس رسالة عن حال الاتحاد للكونجرس كل سنة. وقد قام الرئيسان جورج واشنطن وجون أدامز بإبلاغ تلك الرسالة شخصيا على شكل خطاب. ولأكثر من مائة سنة بعد ذلك، أرسل معظم الرؤساء رسائلهم إلى الكونجرس مكتوبة وتمت تلاوتها هناك. أما الرئيس وودرو ولسون فقام شخصيا بتوجيه تلك الرسالة خطابة، كما فعل الرئيس فرانكلين روزفلت وجميع الرؤساء الذين خلفوه، وكثيرا ما يكون لخطابات الرئيس وقع كبير على الرأى العام. وبالتالى على الكونجرس ومن الخطابات المشهورة التى ألقاها رؤساء فى الكونجرس تلك التى تضمنت مبدأ منرو ونقاط الرئيس ولسون «الأربع عشرة».

وفى القرن التاسع عشر، كثيرا ما دعا الرؤساء الكونجرس إلى الانعقاد، أما الآن، فإن الكونجرس منعقد أكثر الوقت. ولم يسبق لرئيس أن اضطر إلى رفع جلسات الكونجرس.

وتضع مسئولية «أن يراعى بأن تنفذ القوانين بإخلاص» الرئيس على رأس سلطة تنفيذ القانون فى الحكومة الوطنية. ويستمد كل مسئول، مدنيا كان أم عسكريا، سلطته من الرئيس.

المادة الثانية **الفقرة الرابعة**	**يعزل الرئيس ونائب الرئيس وجميع موظفى الولايات المتحدة الرسميين المدنيين من مناصبهم إذا وجه لهم اتهام نيابى بالخيانة**

أو الرشـوة أو أية جـرائم أو جنح خطيـرة أخـرى، وأدينوا بمثل هذه التهم.

المادة الثالثة
الفقرة الأولى
الفرع القضائى

تناط السلطة القضائية فى الولايات المتحدة بمحكمة عليا واحدة وبمحاكـم أدنى درجة كمـا يرتأى الكونجـرس وينشئه مـن حين لآخـر. ويبقى قـضـاة كل من المحكمة الـعليا والمحـاكم الأدنى درجة شاغلين مناصـبهم ما داموا حسنى السلوك، ويتـقاضون، فى أوقات محددة، لقاء خدماتهم، تعويضات لا يجوز إنقاصها أثناء استمرارهم فى مناصبهم.

يبذل الدستـور كل جهد للحفاظ على المحاكم مـستقلة عن كل من الهيئـة التشريعيـة والرئيس. ويعنى ضمان أن يبقـى القضاة فى مناصبـهم ما داموا «حـسنى السلوك»، إنهم يستطيـعون الاحتـفاظ بمناصبــهم مدى الحياة، مـا لم يوجه إليهم اتهام نيـابى ويصدر فى حقهم حكم تبـعا لذلك. وهذا الأمر يحمى القـضاة من أى تهديد بالطرد من قـبل الرئيس الذى عينهم أو رئيس آخـر أثناء حيـاتهم. وتحمى قاعدة عدم السماح بتخفيض رواتب القاضى، هؤلاء القضاة من ضغوط الكونجرس، الذى يستطيع، إذا كان الأمر خلاف ذلك، التهديد بتخفيض الراتب إلى حد يجبر فيه القاضى على الاستقالة.

المادة الثالثة
الفقرة الثالثة

١- تشمل السلطـة القضائيـة جميع القـضايا المتعلقـة بالقانون والعــدل التى تنشــأ فى ظل أحكام هذا الدســتـور وقــوانين الولايات المتحدة والمعـاهدات المعقودة أو التى ستـعقد بموجب سلطتـها، كـمـا تشمـل جمـيع القـضايا التى تـتناول السفـراء والوزراء المفوضين الآخرين والقناصل وجميع القضايا الداخلة فى اختصاص الأميرالية والملاحة البحرية والمنازعات التى تكون

الولايات المتـحـدة ومـواطنى ولاية أخرى)، وبيـن مـواطنى ولايات مختلفة، وبين مـواطنى نفس الولاية ممن يدعون ملكية أراض بموجب مـنح من ولايات مـخـتلفـة، وبـين ولاية أو مـواطنيـهـا ودول أجنبـية (أو مـواطنى دول أجنبـيـة أو رعـايا أجانب).

إن حق المحاكم الفـيدراليـة فى نظر القضايا «التـى تنشأ فى ظل أحكام هذا الدسـتور» هو أسـاس حق المحكمة العليـا فى إعلان عدم دستورية قوانين يصدرها الكونجرس. وقد وطد حق «المراجعة القضائية» هذا قرار رئيس المحكمة العليا جون مارشال التاريخى فى قضية ماربرى ضد ماديسون عام ١٨٠٣.

وقد ألغى التعـديل الحادى عشر عـبارة بين إحدى الولايات ومواطنى ولاية أخرى. فلا يستطيع مواطن ولاية مقاضاة ولاية أخرى أمام محكمة فيدرالية.

٢- تكون للمـحكمة العليـا صلاحية النظر أسـاسا فى جـميع القـضـايا التى تتناول السـفـراء والوزراء المفـوضـين الآخـرين والقناصل، وتلك التى تكون فيهـا إحدى الولايات طرفا. وفى جمـيع القضايا الأخرى المذكـورة آنفا، تكون للمحكمـة العليا صلاحية النظر فـيها استئنافا، من ناحيـتى الوقائع والقانون، مع مراعاة الاستثناءات والأنظمة التى يضعها الكونجرس.

هذه العبارة التى تفيد أن المحكمة لهـا صلاحية النظر أساسا فى القضايا التى تتناول ممثلى الدول الأجنبـية وفى القضايا التى تكون فيها إحدى الولايات طرفـا تعنى أن قضايا كتلك هى من اختـصاص المحكمـة العليا المبـاشر. أمـا فى القضـايا الأخرى فيكـون للمنحكمـة صلاحيـة استـئنافيـة، ويعنى هذا أن تلك القضايا ينظر فيها محـاكم دنيا وتقوم المحكمة العليا بمراجعة إذا

سـمح الكونجـرس بالاستئناف. ولا يسـتطيع الكونجـرس أن يسحب أو يعدل صلاحيـة المحكمة العليا فى النظر فى القضايا فى الأساس، إنما يمكنـه أن يسحب حق الاستئناف أمام تلك المحكمة أو يحدد الـشروط التى يجب على الجهة المسـتأنفة أن تفى بها قبل تقديم طلب الاستئناف.

٣- تتم المحاكـمات فى جميع الجـرائم، ما عدا قضـايا الاتهام النيابى، أمـام هيئة مـحلفين. وتجـرى مثل هذه المحاكـمات فى الولاية، حيث تكون تلك الجـرائم قد اقتـرفت. ولكن عندما لا تقترف تلك الجرائم داخل حـدود أية ولاية، تجرى المحاكمة فى المكان أو الأماكن التى يحددها الكونجرس بقانون.

المادة الثالثة

الفقرة الثالثة

١- جـريمـة الخـيانـة بحق الولايات المتـحـدة لا تكون إلا بشن حـرب عليـهـا، أو بالانضـمـام إلى أعـدائهـا وتقـديم العـون والمسـاعدة لهم. ولا يدان أحـد بتـهمـة الخـيانة إلا اسـتنادا إلى شهادة شاهدين يشهـدان على وقوع نفس العمل الواضح النية، أو استنادا إلى اعتراف فى محكمة علنية.

لا تمكن إدانة شخص بجريمة الخـيانة ضد الولايات المتحدة إلا إذا اعتـرف ذلك الشخص بذلك فى محكمـة علنية، أو إذا شهـد شاهدان أن ذلك الشـخص اقتـرف جريمـة خيـانة. أما الحديث أو التفكير باقتراف عمل خيانة فليس جرم خيانة.

٢- للكونجـرس سلطة تحديد عـقوبة جـريمة الخيـانة. ولكن لا يجـوز الاقـتـصـاص من نسل أو أقـارب المتـهم أو تجـريده من حقوقه المدنية أو مصادرة أمواله وممتلكاته إلا أثناء حياته.

إن عبارة «لا يجـوز الاقتصاص من نسل أو أقـارب المتهم»

تعنى أن ذنب الشخص لا يشمل أسرته. وفى السابق كانت أسرة المذنب أيضا عرضة للقصاص.

اقتبس جزء كبير من هذه المادة حرفيا من «فقرات الاتحاد» الكونفدرالية.

المادة الرابعة
الفقرة الأولى
علاقة الولايات بعضها ببعض

تحترم كل ولاية وتعتد اعتدادا كاملا ومخلصا بقوانين كل ولاية أخرى وسجلاتها الرسمية وإجراءاتها القضائية، ويجوز للكونجرس أن يحدد، بقوانين عامة، قواعد الكيفية التى يتم فيها إثبات مثل هذه القوانين والسجلات والإجراءات، ونتائج ذلك.

يستلزم هذا البند أن تحترم الولايات قوانين وسجلات وأحكام محاكم بعضها بعضا. وتحول هذه القاعدة دون تهرب أى شخص من العدالة بمغادرته ولاية إلى ولاية أخرى.

المادة الرابعة
الفقرة الثانية

١- لمواطنى كل ولاية حق التمتع بجميع الامتيازات والحصانات التى يتمتع بها المواطنون فى مختلف الولايات.

يعنى هذا أن المواطنين الذين ينتقلون من ولاية إلى أخرى يتمتعون بالحقوق والحصانات التى يتمتع بها تلقائيا مواطنو تلك الولايات. وبعض هذه الامتيازات كحق الانتخاب لا يقترن تلقائيا بالمواطنية بل يستلزم فترة إقامة معينة وربما مؤهلات أخرى. وكلمة «مواطن» الواردة فى هذا البند لا تشمل الشركات.

٢- الشخص المتهم فى أية ولاية بالخيانة أو بارتكاب جناية أو أية جريمة أخرى، الذى يفر من وجه العدالة، ويعثر عليه فى ولاية أخرى، يسلم، بناء على طلب السلطة التنفيذية للولاية التى فر منها، لينتقل إلى الولاية التى لها صلاحية النظر فى جريمته.

إذا اقترف جريمة فى ولاية وفر إلى ولاية أخرى، فإن حاكم الولاية التى اقترفت فيها الجريمة يستطيع أن يطلب تسليم الهارب من العدالة إلى ولايته. وفى حالات قليلة رفض الحاكم طلب تسليم المتهم وبإمكانه أن يفعل ذلك إذا كانت الجريمة قد اقترفت قبل سنوات عديدة، أو إذا كان يعتقد أن المتهم لن يلقى محاكمة عادلة فى الولاية الأخرى. وفى حالة كتلك فإنه من غير الواضح كيف يمكن للحكومة الفيدرالية فرض تنفيذ أحكام هذا البند.

٣- (أى شخص ملزم بالخدمة أو العمل فى إحدى الولايات طبقا لقوانينها، ويفر إلى ولاية أخرى، لا يجوز أن يعفى من تأدية مثل تلك الخدمة أو ذلك العمل بموجب أى قانون أو إجراء لدى هذه الولاية، بل يتوجب تسليمه عند طلب الجهة التى تؤدى هذه الخدمات والأشغال لمصلحتها).

إن «الشخص الملزم بالخدمة أو العمل» كان عبدا أو خادما بموجب عقد استخدام (أى شخص يلتزم بعقد لخدمة شخص آخر لعدد من السنوات). وحاليا لا يوجد أى شخص ملزم بالخدمة على هذا النحو فى الولايات المتحدة، ولذلك فإن هذا البند من الدستور لم يعد له أى مفعول.

المادة الرابعة الفقرة الثالثة علاقات الحكومة الفدرالية بالولايات	**١- يمكن للكونجرس أن يدخل الولايات المتحدة إلى الاتحاد. ولكن لا يجوز إنشاء أو إقامة أية ولاية جديدة داخل حدود أية ولاية أخرى، كما لا يجوز إنشاء أية ولاية عن طريق اندماج ولايتين أو أكثر أو أجزاء ولايات، دون موافقة الهيئات التشريعية للولايات المعينة، فضلا عن موافقة الكونجرس.**

لا يمكن تشكيل ولايات جديدة بتقسيم أو ضم ولايات حالية دون موافقة الهيئات التشريعية فى تلك الولايات المتحدة والكونجرس. وخلال الحرب الأهلية (١٨٦١ - ١٨٦٥)، حاربت فرجينيا من أجل الكونفدرالية لكن أهالى الجزء الغربى من تلك الولاية ساندوا الاتحاد. وبعد أن انفصلت ولاية فرجينيا الغربية (وست فرجينيا) عن فرجينيا قبل الكونجرس الولاية الجديدة على أساس أن فرجينيا ثارت على الاتحاد.

٢- تكون للكونجرس سلطة التصرف ب ووضع جميع القواعد والأنظمة اللازمة الخاصة بأراض أو ممتلكات أخرى عائدة للولايات المتحدة. ولا يفسر أى نص فى هذا الدستور على نحو يضر بأية حقوق للولايات المتحدة أو لأية معينة.

المادة الرابعة الفقرة الرابعة	**تضمن الولايات المتحدة لكل ولاية فى هذا الاتحاد حكومة ذات نظام جمهورى وتحمى كلا منها من الغزو، كما تحميها، بناء على طلب الهيئة التشريعية، أو السلطة التنفيذية (فى حال تعذر انعقاد الهيئة التشريعية) من أعمال العنف الداخلية.**

يستلزم هذا البند من الدستور من الحكومة الفيدرالية أن تضمن أن يكون لكل ولاية «نظام حكم جمهورى» والحكم الجمهورى هو ذلك الذى ينتخب الشعب فيه ممثلين عنه ليمارسوا الحكم. وقد قضت المحكمة العليا بأن الكونجرس، لا

المحاكم، هو من يقـرر ما إذا كانت حـكومة الولاية ذات نظام جمـهورى أم لا. وطبقا للمـحكمة العليا، إذ قـبل الكونجرس ممثلى الولاية من الشيوخ والنواب أعضاء فيه، فإن هذا الإجراء يشـير إلى الكونجـرس يعـتبـر حكومـة تلك الولاية ذات نظام جمهورى.

ويمكن للهيئة الـتشريعية فى ولاية ما أو لحاكـمها أن يطلبا مساعدة الحكومـة الفيدرالية فى معالجـة الاضطرابات أو أعمال العنف الداخلـية الأخـرى. وخـلال إضـراب بولمان فى عـام ١٨٩٤ ، أرسلت الحكومة الفيـدرالية، قوات إلى ولاية ايلينوى رغم أن حاكمها أعلن أنه لايريد تلك المساعدة.

المادة الخامسة
تعديل الدستور

يقـترح الكونجـرس، كلما رأى ثلثـا أعضـاء المجلسين ضـرورة لذلك، تعـديلات لهـذا الدسـتـور، أو يدعـو، بـناء على طلب الهيـئات التـشريعيـة لثلثى مخـتلف الولايات، إلى عقـد مؤتمر لاقتـراح تعديلات، تصبح فى كلتـا الحالتين، قانونيـة من حيث جـميع المقـاصـد والغايات، كـجـزء من هذا الدسـتور، عندمـا تصادق عليها الهيئات التشريعية لثلاثة أرباع مختلف الولايات، أو مـؤتمرات تعـقـد فى ثلاثة أرباع الولايات أيا كـانت وسـيلة المصادقـة التى يقتـرحهـا الكونجرس من بين هاتـين، شرط (ألا يؤثر أى تعديل يتم ويقر قبل سنة ألف وثمانمائة وثمانية ١٨٠٨ فى أية صورة كـانت على العبارتين الأولى والرابعة من الـفقرة التاسعة من المادة الأولى)، وألا تحرم أية ولاية، دون رضاها، من حيث تساوى الأصوات فى مجلس الشيوخ.

يمكن اقتـراح إدخال تعديلات على الـدستور بأغلبـية ثلثى الأصـوات فى كل من مـجلسى الكونجـرس أو بواسطة مـؤتمر

قومى يدعو الكونجرس إلى عقده بناء على طلب ثلثى عدد الولايات. ومن أجل أن يصبح تعديل ما جزءا من الدستور تنبغى المصادقة عليه من قبل الهيئات التشريعية فى ثلاثة أرباع الولايات أو من قبل مؤتمرات تعقد فى ثلاثة أرباع الولايات.

وقد تعمد واضعو الدستور جعل إدخال التعديلات صعبا. وقد درس الكونجرس أكثر من سبعة آلاف اقتراح تعديل لكنه لم يعتمد سوى ثلاثة وثلاثين منها فقط وإحالها إلى الولايات. ومن أصل هذا العدد لم تتم المصادقة إلا على ستة وعشرين منها فقط. وقد تمت المصادقة على تعديل واحد، وهو التعديل واحد، وهو التعديل الحادى والعشرين، من قبل مؤتمرات عقدت فى الولايات، بينما تمت المصادقة على التعديلات الأخرى من قبل الهيئات التشريعية فى الولايات.

ولا يحدد الدستور مهلة زمنية ينبغى على الولايات خلالها أن تصادق على تعديل مقترح. لكن المحاكم قضت بأن تتم المصادقة على التعديلات خلال «فترة زمنية معقولة»، وأن الكونجرس هو من يقرر ما هو «المعقول». ومنذ أوائل القرن الحالى، تضمن معظم التعديلات المقترحة شرطا يقول: إن المصادقة اللازمة يجب أن يتم فى غضون سبع سنوات.

المادة السادسة

الديون القومية

١- جميع الديون المعقودة والارتباطات المتفق عليها قبل إقرار هذا الدستور، تكون قانونية أمام الولايات المتحدة طبقا لهذا الدستور كما هى قانونية طبقا للاتحاد.

يتعهد هذا البند، بأن تحترم الولايات المتحدة الديون والموجبات التى ترتبت عليها قبل تبنى الدستور.

سمو الحكومة القومية

٢- هذا الدستور، وقوانين الولايات المتحدة التى تصدر تبعا له، وجميع المعاهدات المعقودة أو التى تعقد تحت سلطة الولايات المتحدة ، تكون القانون الأعلى للبلاد. ويكون القضاة فى جميع الولايات ملزمين به، ولايعتد بأى نص فى دستور أو قوانين أية ولاية يكون مخالفا لذلك.

يوصف هذا البند، بأنه عماد الدستور، أى الجزء الذى يحول دون انهيار كامل بنية الحكم. وهو يعنى بكل بساطة أنه عندما تتعارض قوانين الولايات مع القوانين العامة للبلاد فإن القوانين العامة للبلاد هى التى تعتمد، كما يعنى أن القوانين العامة يجب أن تكون منسجمة مع الدستور.

٣- يكون الشيوخ والنواب المشار إليهم آنفا، وأعضاء المجالس التشريعية لمختلف الولايات، وجميع الموظفين التنفيذيين والقضائيين التابعين للولايات المتحدة ولمختلف الولايات، ملزمين بموجب قسم أو إقرار بتأييد هذا الدستور. ولكن لا يجوز أبدا اشتراط امتحان دينى كمؤهل لتولى أى منصب رسمى أو مسئولية عامة فى الولايات المتحدة.

يستلزم هذا البند من الرسميين فى الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات أن يكون ولائهم الأساسى لدستور الولايات المتحدة وليس لدستور أى ولاية معينة. ويحظر هذا البند إجراء أى امتحان دينى لتولى منصب فيدرالى. وينطبق هذا على الحكومة القومية فقط، إلا أن التعديل الرابع عشر يطبق القاعدة نفسها على حكومات الولايات والحكومات المحلية.

المادة السابعة
المصادقة على الدستور

تكون مصادقة مؤتمرات تسع ولايات كافية لإقامة هذا الدستور بين الولايات التى تقره. ثم وضع هذا الدستور بالموافقة الإجماعية للولايات الحاضرة هذا اليوم السابع عشر من أيلول/ سبتمبر من عام ألف وسبعمائة وسبعة وثمانين للميلاد، وفى السنة الثانية عشرة لاستقلال الولايات المتحدة. وقد أدرجنا أسماءنا هنا شهادة على ذلك.

(يتضمن هذا التصريح تصحيحات الناسخ للمستند الأصلى).

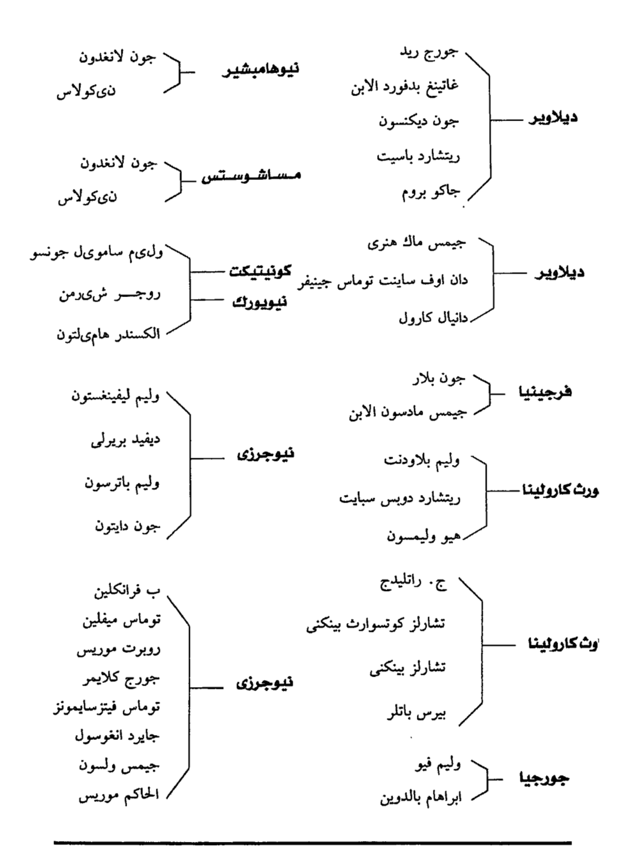
الكلمة (The) أدخلت بين السطرين السابع والثامن من الصفحة الأولى، وكلمة «ثلاثين» مكتوبة بين السطر الخامس عشر من الصفحة الأولى، وكلمة «يحاكم» مكتوبة بين السطرين الثانى والثلاثين والثالث والثلاثين من الصفحة الأولى و(The) مكتوبة بين السطرين الثالث والأربعين والرابع والأربعين من الصفحة الثانية.

للشهادة على صحة ذلك. وليم جاكسون أمين السر

الحاضرون مندوبو ولايات.

چورچ واشنطن

الرئيس والنائب عن ولاية فرجينيا



ديلاوير
جورج ريد
غاتينغ بدفورد الابن
جون ديكنسون
ريتشارد باسيت
جاكو بروم
نيوهامبشير
جون لانغدون
نىكولاس
مساشوستس
جون لانغدون
نىكولاس
ديلاوير
جيمس ماك هنرى
دان اوف ساينت توماس جينيفر
دانيال كارول
كونيتيكت
نيويورك
ولىم ساموىل جونسو
روجر شىرمن
الكسندر هامىلتون
فرجينيا
جون بلار
جيمس مادسون الابن
ورث كارولينا
وليم بلاودنت
ريتشارد دوبس سبايت
هيو وليمسون
نيوجرزى
وليم ليفينغستون
ديفيد بريرلى
وليم باترسون
جون دايتون
وث كارولينا
ج. راتليدج
تشارلز كوتسوارث بينكنى
تشارلز بينكنى
بيرس باتلر
نيوجرزى
ب فرانكلين
توماس ميفلين
روبرت موريس
جورج كلايمر
توماس فيتزسايمونز
جايرد انغوسول
جيمس ولسون
الحاكم موريس
جورجيا
وليم فيو
ابراهام بالدوين

تواقيع ممثلى الولايات:

إن التعديلات التالية لدستور الولايات المتحدة اقترحها الكونجرس وصادقت عليها الهيئات التشريعية لمختلف الولايات وفقا للمادة الخامسة من الدستور الأساسى.

وثيقة الحقوق

التعديل الأول

حرية العبادة، والكلام، والصحافة وحق الاجتماع والمطالبة برفع الجور

لا يصدر الكونجرس أى قانون خاص بإقامة دين من الأديان أو يمنع حرية ممارسته، أو يحد من حرية الكلام أو الصحافة، أو من حق الناس فى الاجتماع سلميا، وفى مطالبة الحكومة بإنصافهم من الأجحاف.

قامت دول عديدة بإعلان أحد الأديان دينا (رسميا) معتمد البلاد ودعمته بأموال الحكومة. لكن هذا التعديل يمنع الكونجرس من إقامة دين ما أو اعتماد رسميا فى الولايات المتحدة. وقد فسر على أنه يمنع تأييد الحكومة أو دعمها للمعتقدات الدينية. وبالإضافة إلى ذلك. لا يجوز للكونجرس إقرار قوانين تحد من العبادة وحرية الكلام والصحافة. أو تمنع الناس من الاجتماع بشكل سلمى. كما لا يحق للكونجرس منع الناس من مطالبة الحكومة برفع الجور الذى يلحقهم من معاملتها غير المنصفة. وقد فسرت المحكمة العليا التعديل الرابع عشر على أنه يعنى تطبيق التعديل الأول على الولايات فضلا عن الحكومة الفيدرالية.

وجميع الحقوق التى يوفر لها هذا التعديل حماية لها حدود. فضمان حرية العبادة، مثلا، لا يعنى على أن الحكومة السماح بجميع الممارسات الدينية، ففى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، كان بعض أعضاء طائفة «المورمون» يعتقدون أنه من واجبات الرجل الدينية أن يكون له أكثر من زوجة واحدة. وقد قضت

المحكمة العليـا بأن على أعضاء هذه الـطائفة أن ينصاعـوا للقوانين التى تحرم تلك الممارسة.

وثيقة الحقوق
التعديل الثانى
حق اقتناء الأسلحة

حيث إن وجـود مليشيا حـسنة التنظيم ضرورى لأمن أية ولاية حرة، لا يجوز التعرض لحق الناس فى اقتناء أسلحة وحملها.

يمنع هذا التعـديل الحكومة القوميـة فقط من تقييـد حق حمل السلاح. وقـد اعتـمد هذا التعـديل لا يتمكن الكـونجرس من نزع سلاح المليشيات التابعة للولايات.

وثيقة الحقوق
التعديل الثالث
إيواء الجنود

لا يجـوز لأى جنـدى، فى وقت السلم، أن يقـيم فى أى منزل دون رضى المالك، كـما لا يجوز له ذلك فـى وقت الحرب، إلا بالكيفية التى يحددها القانون.

نجم هذا التعديل مباشرة عن شكوى قديمة من البريطانيين الذين كانوا يجبرون الناس على استضافة الجنود فى منازلهم.

وثيقة الحقوق
التعديل الرابع
مذكرات التـفتيش والاعتقال

لا يجـــوز المســـاس بحـق الناس فـى أن يكونـوا آمنيـن فى أشخاصهم ومنازلهم ومستنداتهم ومقتنياتهم من أى تفتيش أو احتجاز غـير معقول، ولا يجوز إصدار مذكـرة بهذا الخصوص إلا فى حال وجـود سبب مـعقول، مـعزز باليمـين أو التوكـيد، وتبيـن بالتحديد المـكان المراد تفتيـشه والأشـخاص أو الأشـياء المراد احتجازها.

لا يمنع هذا الإجراء السلطات الشـرعية من التفتـيش ومصادرة مـواد واعتـقال الناس لكنه يسـتلزم أن تحـصل السلطات فى أغلب الحالات على إذن رسـمى بالتفـتيش أو الاعتـقال من أحد القـضاة وذلك لتبـيان الحاجـة لذلك الإذن. وقد قررت المحكمـة العليا أن

الأدلة التى يتم الحصول عليها بخرق التعديل الرابع يمكن عدم قبولها فى محاكمة جزائية.

وثيقة الحقوق

التعديل الخامس

حقوق المتهمين فى القضايا الجزائية

لا يجوز اعتقال أى شخص لاستجوابه بشأن جناية أو جريمة شائنة أخرى، إلا تبعا لصدور قرار اتهامى أو مضبطة اتهام عن هيئة محلفين كبرى، باستثناء القضايا الحاصلة فى القوات البرية أو البحرية، أو فى المليشيا، عندما تكون هذه القوات فى الخدمة الفعلية فى وقت الحرب أو الخطر العام. ولا يجوز اتهام أى شخص فى أية دعوى جنائية على أن يكون شاهدا ضد نفسه، ولا أن يحرم من الحياة أو الحرية أو الممتلكات دون اتباع الإجراءات القانونية الأصولية كما لا يجوز نزع أية ملكية خاصة لاستخدامها فى سبيل المنفعة العامة بدون تعويض عادل.

إن الجناية الخطيرة هى تلك التى عقوبتها الإعدام، أما الجريمة الشائنة فعقوبتها الموت أو السجن. ويضمن هذا التعديل بأن لا يحاكم شخص ما بجريمة فيدرالية إلا إذا وجه له اتهام من قبل هيئة محلفين كبرى. وهيئة المحلفين الكبرى هى مجموعة خاصة من الناس يختارون لتقرير ما إذا كانت تتوفر أدلة كافية ضد أى شخص لإحالته إلى المحكمة. ولا يمكن اتهام أى شخص بنفس الجرم مرتين من قبل نفس الحكومة. لكن يمكن محاكمته مرة ثانية إذا لم يتفق أعضاء هيئة المحلفين على حكم ما، أو إذا أعلن بطلان المحاكمة بسبب آخر، أو إذا طالب المتهم بمحاكمة جديدة. ويكفل هذا التعديل عدم إمكان إجبار شخص ما على الإدلاء بشهادة تضره.

إن عبارة أنه لا يمكن حرمان أى إنسان من الحياة والحرية والممتلكات «دون اتباع الإجراءات القانونية الأصولية» تعبر عن

واحدة من أهم القـواعد التى يتضـمنها الدستـور. والعبارة نفسـها واردة فى التعـديل الرابع عشـر كتـقييـد لسلطات الولايات. وهذه العبـارة تعبر عن الفكرة القـائلة أن حياة الإنسـان وحريته وملكيـته ليست خاضعـة لسلطان الحكومة المطلق. ويمكن تقصى أصل هذه الفكرة فى وثيـقـة «الماغنا كـارتا» التى أعلنت أنه لا يجـوز للملك سجن أو إيذاء شخص ما «إلا عن طريق حكم قانونى يصدره أناس من أقرانه، سندا لما ينص عليـه قانون البلاد» وقـاعدة «الإجراءات القانونية الأصولية» غامضة، وقـد طبقتها المحكمة العليا فى حالات مختـلفة كثيـرا. وحتى منتصف القرن التـاسع عشر، استـخدمت المحكمة العليا قانون «الإجراءات القـانونية الأصولية» لإلغاء قوانين كانت تمنع المواطنين من اسـتخدام ممتلكاتهم كـما يرغبون. ومـثلا على ذلك، رفضت المحكمـة «تسوية ميسـورى» التى حرمت الرقى فى أراضى الولايات المتحدة. وقد قالت المحكمة: إن التسوية منعت مالكى العـبيد بشكل غـير عادل من أخـذ عبيـدهم، أى ممتلكاتهم الخـاصة إلى هذه المناطق. وحـاليا تسـتخـدم المحاكم الإجـراءات القانونية الأصولية لإلغاء قوانين تتعرض للحريات الشخصية.

ويمنع هذا التعـديل أيضا المحكمة من مصـادرة أملاك المواطن، بهدف استخدامها للمنفعة العامة، من دون تعويض عادل. ويسمى حق الحكومة فى مصادرة الأملاك لأجل استخـدامها للمنفعة العامة حق نزع الملكية. وتستخدم الحكومات هذا الحق لاستملاك الأراضى لبناء الطرق والمدارس والمرافق الحكومية الأخرى.

وثيقة الحقوق

التعديل السادس — **فى جميع المحاكمات الجنائية، للمتعم الحق بأن يحاكم محاكمة سريعة وعلنية بواسطة هيئة محلفين غير متحيزة تابعة للولاية**

حق المتـهم بمحاكمة عادلة

أو المقاطعة التى تكون الجريمة قد ارتكبت فيها، وتكون المقاطعة قد سبق للقانون تحديدها. وله الحق فى أن يبلغ سبب الاتهام وطبيعته، وفى أن يواجه الشهود الذين يشهدون ضده. وفى أن تتوافر له التسهيلات القانونية الإرغامية لاستدعاء شهود لمصلحته، وفى أن يستعين بمحام للدفاع عنه.

إن الشخص الذى يتهم باقتراف جرم يجب أن يحاكم محاكمة علنية وسريعة بواسطة هيئة محلفين منفتحى العقل. وقد نبع مستلزم المحاكمة العلنية والسريعة هذا من واقع أن بعض المحاكمات السياسية فى إنجلترا كان يؤجل لسنوات ثم يجرى فى سرية. وينبغى إبلاغ الأشخاص المتهمين بالتهم الموجهة إليهم، ويجب السماح لهم بمقابلة الشهود الذين يشهدون ضدهم، وإلا فإن الأبرياء قد يعاقبون إذا سمحت المحكمة باستخدام شهادات شهود غير معروفين كأدلة. ويضمن هذا التعديل أن يتاح للأشخاص الذين يحاكمون مواجهة واستجواب أولئك الذين يتهمون. وبإمكان المتهمين أن يبينوا أن متهميهم يكذبون أو أنهم على خطأ. وأخيراً، يجب أن يتوافر للشخص المتهم محام للدفاع عنه إذا أراد ذلك. وإذا تعذر على الشخص المتهم توفير محام، فقد قررت المحكمة العليا وجوب تعيين محام لتمثيل الشخص المتهم.

وثيقة الحقوق

التعديل السابع

حقوق المدعين فى قضايا مدنية

فى الدعاوى المدنية حيث تزيد القيمة المتنازع عليها على عشرين دولارا يكون حق التقاضى أمام هيئة محلفين مصانا، وأية واقعة تكون قد بتت بها هيئة محلفين، لا يجوز خلافا لذلك أن يعاد النظر فيها فى أية محكمة من محاكم الولايات المتحدة إلا وفقا لقواعد القانون العام.

اعتبر واضعو الدستور حق المحاكمة هيئة محلفين ذا أهمية

بالغة، ففى التعديل السادس، أوجبوا إجراء محاكمات بواسطة محلفين فى القضايا الجزائية. وفى التعديل السابع أوجبوا عقد محاكمات كتلك فى القضايا المدنية التى تتجاوز فيها المبالغ المالية المتداعى بها ٢٠ دولارا. وينطبق هذا التعديل على المحاكم الفيدرالية فقط، لكن أغلب دساتير الولايات ينص على إجراء محاكمات بواسطة محلفين فى القضايا المدنية.

وثيقة الحقوق
التعديل الثامن

لا يجوز طلب دفع كفالات باهظة ولا فرض غرامات باهظة ولا إنزال عقوبات قاسية وغير مألوفة.

الكفالات، الغرامات والعقوبات

يجب أن تكون الكفالات والغرامات والعقوبات منصفة وإنسانية. وفى دعوى فورمان ضد ولاية جورجيا، قضت المحكمة العليا فى عام ١٩٧٢ أن عقوبة الإعدام كما كانت تطبق وقتئذ، تخالف أحكام هذا التعديل. وقد أعلنت المحكمة أن عقوبة الإعدام قصاص قاس وغير مألوف؛ لأنها لم تكن تطبق فى صورة منصفة ومنتظمة. وفى أعقاب قرار المحكمة هذا، تبنت ولايات عديدة قوانين جديدة تتعلق بعقوبة الإعدام تتماشى مع اعتراضات المحكمة العليا. وقررت المحكمة أن عقوبة الإعدام يمكن فرضها إذا توفرت معايير معينة وذلك تفاديا لنتائج تعسفية فى قضايا كبرى.

وثيقة الحقوق
التعديل التاسع

إن تعداد الدستور لحقوق معينة لا يجوز أن يفسر على أنه إنكار لحقول أخرى يتمتع بها الشعب، أو انتقاصا منها.

الحقوق التى يحتفظ بها الشعب

خشى بعض المواطنين من أن يفسر إدراج بعض الحقوق فى وثيقة الحقوق على أن حقوقا أخرى لم تأت الوثيقة على ذكرها إلا يحميها الدستور. وقد أقر هذا التعديل لتجنب هذا التفسير.

وثيقة الحقوق
التعديل العاشر
السلطات التى تحتفظ بها الولايات المتحدة

إن السلطات التى لا يوليها الدستور للولايات المتحدة ككل ولا يحجبها عن الولايات (إفراديا) تحفظ لكل من هذه الولايات أو للشعب.

اعتمد هذا التعديل بهدف طمأنة الناس إلى أن الحكومة القومية (الحكومة الفيدرالية) لن تبتلع الولايات، وتؤكد أيضا أن الولايات أو الشعب يحتفظون بجميع السلطات التى لم تمنح لتلك الحكومة. ومثالا على ذلك، تتمتع الولايات بسلطات تتعلق بأمور الزواج والطلاق. لكن الدستور ينص على أن بإمكان الحكومة الفيدرالية أن تسن أية قوانين «ضرورية وملائمة» لتنفيذ صلاحياتها المحددة. وتجعل تلك القاعدة تحديد حقوق الولايات بالضبط أمرا صعبا.

التعديل الحادى عشر
الدعاوى ضد الولايات
اقترح هذا التعديل فى ٤ آذار/ مارس ١٧٩٤ وتمت المصادقة عليه فى ٧ شباط/ فبراير ١٧٩٥.

لا تعتبر الصلاحية القضائية التى تتمتع بها الولايات المتحدة على أنها تمتد إلى أية دعوى قانونية أو دعوى تطبق فيها مبادئ العدل والإنصاف، سبق أن شرع فى إقامتها أو الادعاء فيها، ضد إحدى الولايات المتحدة، مواطنون من ولاية أخرى أو مواطنو أو رعايا أية دولة أجنبية.

يجعل هذا التعديل من غير الممكن لمواطن إحدى الولايات أن يقاضى ولاية أخرى فى محكمة فيدرالية. وقد جاء هذا التعديل نتيجة دعوى شيشولم ضد ولاية جورجيا فى عام ١٧٩٣، حيث ادعى شخص من ولاية ساوث كارولينا على ولاية جورجيا فى قضية أرث. وأدلت ولاية جورجيا بعدم جواز مقاضاتها فى محكمة فيدرالية، لكن المحكمة العليا قضت بجواز ذلك. وقامت ولاية جورجيا بعد ذلك بتزعم حركة لإضافة هذا التعديل إلى الدستور. إنما لا يزال بإمكان الأفراد أن يقاضوا سلطات الولايات فى المحاكم الفيدرالية إذا كان الموضوع حرمانهم من حقوقهم الدستورية.

التعديل الثانى عشر
انتخاب الرئيس ونائب الرئيس
اقترح هذا التعديل فى ٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٨٠٢، وتمت المصادقة عليه فى ٢٧ تموز/ يوليو ١٨٠٤.

يجتمع الناخبون، كل فى ولايته، ويصوتون بالاقتراع السرى لرئيس ونائب رئيس ويتعين أن يكون أحدهما على الأقل من غير سكان الولاية نفسها، ويذكرون فى أوراق اقتراعهم اسم الشخص الذى ينتخبونه رئيسا، ويذكرون فى أوراق اقتراع مستقلة اسم الشخص الذى ينتخبونه نائبا للرئيس، ويعدون لوائح مستقلة بأسماء جميع الأشخاص الذين اقترع لانتخابهم لمنصب الرئيس وأسماء جميع الأشخاص الذين اقترع لانتخابهم لمنصب نائب الرئيس، وبعدد الأصوات التى نالها كل منهم، ثم يوقعون هذه اللوائح ويصدقون عليها ويحيلونها مختومة إلى مقر حكومة الولايات المتحدة موجهة إلى رئيس مجلس الشيوخ. ويقوم رئيس مجلس الشيوخ بحضور أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب، بفض جميع مظاريف اللوائح ثم يحصى عدد الأصوات، والشخص الذى ينال العدد الأكبر من أصوات المقترعين للرئيس يصبح رئيسا، إذا كان هذا العدد يشكل أكثرية مجموع الناخبين المعينين. وإذا لم يحصل أى شخص على مثل هذه الأكثرية، يقوم مجلس النواب على الفور، بالاقتراع السرى، باختيار الرئيس من بين الأشخاص الحائزين على أكبر عدد من الأصوات فى لائحة الذين اقترع لهم لمنصب الرئيس على ألا يتجاوز عدد هؤلاء الثلاثة. ولكن فى اختيار الرئيس على هذا النحو يتم حساب الأصوات على أساس الولايات بحيث يكون لممثلى كل ولاية صوت واحد، ويتشكل النصاب لهذا الغرض من عضو أو أعضاء عن ثلثى الولايات وتكون أكثرية جميع الولايات ضرورية ليتم الاختيار. وإذا لم يختر مجلس النواب، رئيسا عندما يئول إليه

حق الاختيار، قبل الرابع من شهر آذار/ مارس التالى، فحيئذ يتولى نائب الرئيس منصب الرئاسة كما فى حالة وفاة الرئيس أو حالات عجزه التى ينص عليها الدستور. ويصبح نائبا للرئيس الشخص الذى يحصل على أكبر عدد من أصوات المقترعين لنائب الرئيس، إذا كان هذا العدد يشكل أكثرية مجموع عدد الناخبين المعينين. وإذا لم يحصل أى شخص على مثل هذه الأكثرية فحيئذ يقوم مجلس الشيوخ باختيار نائب رئيس من بين الشخصين اللذين فازا بأكبر عدد من الأصوات اللذين فى اللائحة والنصاب اللازم لهذا الغرض يتألف من ثلثى العدد الإجمالى للشيوخ، وسيكون الحصول على أكثرية العدد الإجمالى لازما لهذا الاختيار. ولكن كل شخث غير مؤهل دستوريا لتولى منصب الرئيس فهو ليس مؤهلا لمنصب نائب رئيس الولايات المتحدة.

يدعو هذا التعديل إلى تصويت أعضاء الهيئة الانتخابية (ويسمون ناخبين) لشخص واحد لمنصب الرئيس وشخص آخر لمنصب نائب الرئيس. وقد نشأ هذا التعديل من انتخابات عام ١٨٠٠ عندما صوت كل ناخب لشخصين دون ذكر من من الشخصين يريده رئيسا، على أن يصبح المرشح الذى ينال أكثرية الأصوات رئيسا، والشخص الذى يليه فى عدد الأصوات نائبا للرئيس. وقد نال توماس جيفيرسون المرشح للرئاسة وآرون بور المرشح لنيابة الرئاسة نفس عدد الأصوات. ونتيجة لهذا التعادل أحيلت القضية إلى مجلس النواب الذى اختار جيفرسون رئيسا. لكن اختيار مجلس النواب هذا استغرق وقتا طويلا خشى معه الشعب من أن لايختار المجلس رئيسا قبل يوم التنصيب. وقد اختار

المجلس رئيسا آخر هو جون كوينسى آدامس فى عام ١٨٢٥.

التعديل الثالث عشر
الفقرة الأول
إلغاء الرق

يحرم الرق والتشغيل الإكراهى فى الولايات المتحدة وفى أى مكان خاضع لسلطانها إلا كعقاب على جرم حكم على مقترفه بذلك حسب الأصول.

اقترح هذا التعديل فى ٣١ كانون الثانى/ يناير ١٨٦٥ وتمت المصادقة عليه فى ٦ كانون الأول. ديسمير ١٨٦٥.

تناول إعلان الرئيس لينكولن تحرير العبيد فى عام ١٨٦٣ تحرير العبيد فى الولايات الكونفدرالية التى كانت ما زالت ثائرة فى ذلك الوقت. وقد أكمل هذا التعديل عملية إلغاء العبودية فى الولايات المتحدة ككل.

التعديل الثالث عشر
الفقرة الثانية

للكونجرس سلطة تطبيق أحكام هذه المادة بالتشريع المناسب.

التعديل الرابع عشر
الفقرة الأولى
الحقوق المدنية

جميع الأشخاص المولودين فى الولايات المتحدة أو المتجنسين والخاضعين لسلطانها يعتبرون من مواطنى الولايات المتحدة ومواطنى الولاية التى يقيمون فيها. ولا يجوز لأية ولاية أن تضع أو تطبق أى قانون ينتقص من امتيازات أو حصانات مواطنى الولايات المتحدة. كما لا يجوز لأية ولاية أن تحرم أى شخص من الحياة أو الحرية أو الممتلكات دون مراعاة الإجراءات القانونية الأصولية. ولا أن تحرم أى شخص خاضع لسلطانها من المساواة فى حماية القوانين.

اقترح هذا التعديل فى ١٣ حزيران/ يونيو ١٨٦٦، وتمت المصادقة عليه فى ٩ تيموز/ يوليو ١٨٦٨.

كانت الغاية الرئيسية من هذا التعديل جعل العبيد

السابقين مواطنين فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى الولايات التى كانوا يعيشون فيها. ويمنع التعديل أيضا من حرمان أى شخص من التساوى فى الحقوق مع الآخرين. وتوضح بنود هذا التعديل كيفية الحصول على الجنسية، فالمواطنية فى كل ولاية هى حصيلة للمواطنية القومية. فكل مواطن أمريكى يصبح تلقائيا مواطنا فى الولاية التى يقيم فيها، كما أن جميع الأشخاص المتجنسين هم مواطنون أمريكيون طبقا للقانون، وكل شخص يولد فى الولايات المتحدة يصبح أيضا مواطنا مهما كانت جنسية والديه، إلا إذا كانا ممثلين دبلوماسيين لدولة أخرى أو من الأعداء أثناء احتلال فى زمن الحرب. وتعتبر هذه الحالات حالات استثنائية؛ لأن الوالدين «لا تشملهما الصلاحية القانونية» للولايات المتحدة. ولا يمنح التعديل المواطنية للهنود الحمر فى مناطقهم الخاصة، لكن الكونجرس أصدر قانونا بمنح المواطنية لهم.

«الإجراءات القانونية الأصولية» تمنع الولايات المتحدة من انتهاك معظم الحقوق التى تحميها وثيقة الحقوق وفسرت أيضا بأنها تحمى حقوقا أخرى. وإن العبارة التى تفيد أنه لا يمكن للولاية أن تنكر على أى شخص «المساواة فى حماية القوانين» وفرت الأساس لأحكام عديدة صدرت عن المحكمة العليا حول الحقوق المدنية. ومثال على ذلك، حرمت المحكمة التمييز العنصرى فى المدارس الحكومية. وقد أعلن قضاة المحكمة أن «المساواة فى حماية» تعنى أن على الولاية أن تضمن توفر فرص متساوية للتعليم لكل الأطفال فيها مهما كان عرقهم.

التعديل الرابع عشر
الفقرة الثانية

يقسم النواب بين مختلف الولايات وفقا لعدد سكان كل منها الذى يتكون من مجموع عدد الأشخاص فى كل ولاية (باستثناء الهنود الذين لا يدفعون ضرائب). ولكن إذا حرم من حق الاقتراع فى أى انتخاب لاختيار ناخبين لرئيس ونائب رئيس الولايات المتحدة أو لاختيار ممثلين فى الكونجرس أو مسئولين تنفيذيين وعدليين فى ولاية ما، أو أعضاء هيئتها التشريعية، أى من الذكور منسكان مثل هذه الولاية البالغين الواحدة والعشرين من العمر والذين هم من مواطنى الولايات المتحدة، أو إذا انتقص من ذلك الحق بأن شكل كان، فيما عدا أن يكون السبب الاشتراك فى تمرد أو جرائم أخرى، فإن أساس التمثيل فى هذه الولاية يخفض بما يتناسب مع نسبة عدد هؤلاء المواطنين الذكور إلى مجموع عدد المواطنين الذكور البالغين الواحدة والعشرين فى مثل هذه الولاية.

يقترح هذا البند عقوبة على الولايات التى ترفض منح حق الاقتراع فى الانتخابات الفيدرالية لجميع المواطنين البالغين من الذكور. والولايات المتحدة التى تضع قيولا على التصويت يمكن أن تخفض نسبة تمثيلها فى الكونجرس. ولم تطبق هذه العقوبة قط. وقد ألغى التعديلان التاسع عشر والسادس والعشرون هذا البند.

التعديل الرابع عشر
الفقرة الثالثة

لا يجوز لأى شخص أن يصبح شيخا أو نائبا فى الكونجرس، أو ناخبا للرئيس ونائب الرئيس أو أن يشغل أى منصب، مدنيا كان أو عسكريا، تابعا للولايات المتحدة أو تابعا لأية ولاية، إذا سبق له أن قسم اليمين كعضو فى الكونجرس أو كموظف لدى الولايات المتحدة أو كعضو فى مجلس تشريعى لأية ولاية أو

كموظف تنفيذى أو عدلى فى أية ولاية، بتأييد دستور الولايات المتحدة واشترك بعد ذلك فى أى تمرد أوعصيان ضدها، أو قدم عونـا ومسـاعدة لأعدائـها. ولكن يمكن للكونجرس، بأكثرية ثلثى الأصوات فى كل من المجلسين أن يزيل مثل هذا المانع.

لهذا البنـد أهمية تاريخـية فقـط. وكانت غايتـه منع مسـئولين فيـدراليين كـانوا قد انضـموا إلى الكونفـيدرالية (تجـمع الولايات الجنوبية) من أن يصـبحوا مسئـولين فيدراليين مـرة ثانية. وبإمكان الكونجرس أن يصوت على تجاوز مثل هذا الأمر.

التـعـــديل الرابع عشر
الفقرة الرابعة

لا يجوز الطعن فى صحة دين عام على الولايات المتحدة أجازه القانون، بما فى ذلك الديون الناشئة عن دفع معاشات ومكافآت عن خـدمـات قـدمت لقـمع تمرد أو عـصـيـان، لكن لا يجـوز للولايات أو لأية ولايـة أن تتـحـمل أوتدفـع أى دين أو التـزام ناشئ عن تقديم عون لتـمرد أوعصيان ضـد الولايات المتحدة، أو تواجـه أية دعـوى بشأن خـسـارة أى عبـد أو تحـريره، إذ إن جمـيع هذه الديون والالتزامـات والمطالب تعتبر غيـر شرعـية وباطلة.

أكد هذا البـند أن دين الاتحاد الناجم عن الحـرب الأهلية سـيتم تسـديده، لكنـه أبطل جـمـيع الديون التى ترتبـت على الولايات الكونفيـدرالية خلال اشتـراكها فى الحـرب. وبنص هذا البند أيضا على عدم تـعويض مالكى العـبيـد السابقـين عن العبـيد الذين تم تحريرهم.

التـعـــديل الرابع عشر
الفقرة الخامسة

تكون للكـونجـرس سلطة تنفـيـذ أحكام هذه المـادة بالتـشـريع المناسب.

التعديل الخامس عشر
الفقرة الأولى

لا يجوز للولايات المتحدة ولا لأية ولاية منها حرمان مواطنى الولايات المتحدة من حقهم فى الانتخاب، أو الانتقاص لهم من هذا الحق بسبب العرق أو اللون أو حالة رق سابقة.

منح الزنوج حق الانتخاب

أصبح السود الذين كانوا عبيدا مواطنين بموجب فقرات التعديل الرابع عشر. ولا يذكر التعديل الخامس عشر بصورة محددة أنه يجب السماح للسود بأن يقترعوا فى الانتخابات. وتتمتع الولايات بحرية تحديد مؤهلات الناخبين، لكن التعديل نفسه يقول أنه لا يجوز حرمان أى شخص من الاقتراع بسبب عرقه. وقد حاولت بعض الولايات اللجوء إلى ذلك بطريقة غير مباشرة، لكن قرارات المحكمة العليا أبطلت تلك الإجراءات. وكذلك فعلت القوانين الفيدرالية والمحلية والتعديل الرابع والعشرون.

التعديل الخامس عشر
الفقرة الثانية

تكون للكونجرس سلطة تنفيذ هذه المادة بالتشريع المناسب.

التعديل السادس عشر
ضرائب الدخل

تكون للكونجرس سلطة فرض وجباية ضرائب على الدخل، أيا كان مصدره، وذلك دون توزيع نسبى بين مختلف الولايات، ودون أى اعتابر لأى إحصاء أوتعداد للسكان.

اقترح هذا التعديل فى ١٢ تموز/ ١٩٠٩، وتمت المصادقة عليه فى ٣ شباط/ فبراير ١٩١٣.

أصدر الكونجرس فى عام ١٨٩٤ قانونا لضريبة الدخل لكن المحكمة العليا أعلنت أن ذلك القانون غير دستورى. وقد خول التعديل السادس عشر الكونجرس فرض ضريبة كتلك.

التعديل السابع عشر

ضرائب الدخل

انتخاب أعضاء مجلس الشيوخ من الشعب مباشرة

اقترح هذا التعديل فى ١٣ آيار/ مايو ١٩١٢، وتم التصديق عليه فى ٨ نيسان/ أبريل ١٩١٣.

١- يألف مجلس شيوخ الولايات المتحدة من شيخين عن كل ولاى ينتخبهما سكان تلك الولاية لمدة ست سنوات. ويكون لكل شيخ صوت واحد. ويجب أن تتوافر فى ناخبى الشيوخ فى كل ولاية نفس المؤهلات التى ينبغى توافرها فى ناخبى أكثر مجلسى الهيئة التشريعية فى تلك الولاية عددا.

٢- عندما تحدث شواغر فى تمثيل أية ولاية فى مجلس الشيوخ، تعلن السلطة التنفيذية فى تلك الولاية عن إجراءات انتخابات لملء مثل تلك الشواغر سوى أن المجلس التشريعى فى أية ولاية يمكنه أن يفوض السلطة التنفيذية فيها إجرءات تعيينات موقتة ريثما يملأ سكان الولاية هذه الشواغر عن طريق الانتخاب طبقا لما تقضى به هيئتها التشريعية.

٣- لا يفسر هذا التعديل على نحو يجعله يؤثر على انتخاب أو مدة عضوية أى شيخ تم انتخابه قبل أن يصبح هذا التعديل نافذ المفعول كجزء من الدستور.

ينقل هذا التعديل صلاحية انتخاب أعضاء مجلس الشيوخ من الهيئات التشريعية فى الولايات إلى مواطنى تلك الولايات.

التعديل الثامن عشر

تحظير المشروبات الكحولية اقترح هذا التعديل فى ١٨ كانون الأول/ ديسمير ١٩١٧

(بعد عام واحد من المصادقة على هذه المادة، يحظر إنتاج أو بيع أو نقل المشروبات الكحولية المسكرة داخل الولايات المتحدة وجميع المناطق الخاضعة لسلطانها، أو تصديرها منها أواستيرادها إليها لغرض تعاطيها للشرب.

وتمت المصادقة عليه ١٦ كانون الثانى/ يناير ١٩١٩.

التعديل الثامن عشر
الفقرة الثانية

تكون للكونجرس ولمختلف الولايات سلطة مشتركة لتنفيذ هذه المادة بالتشريع المناسب.

التعديل الثامن عشر
الفقرة الثالثة

تصبح هذه المادة باطلة ما لم تصادق عليها كتعديل للدستور الهيئات التشريعية لمختلف الولايات، كما نص على ذلك الدستور، وذلك فى غضون سبع سنوات من تاريخ إحالة الكونجرس هذا التعديل إلى الولايات).

يحظر هذا التعديل على الناس صنع وبيع ونقل المشروبات الكحولية المسكرة. وقد ألغى التعديل الحادى والعشرون فى عام ١٩٣٣ هذا النص.

التعديل التاسع عشر
الفقرة الثانية
منح المرأة حق الانتخاب
اقترح هذا التعديل فى حزيران/ يونيو ١٩١٩ وتمت المصادقة عليه فى ١٨ آب/ أغسطس ١٩٢٠.

لا يجوز للولايات المتحدة ولا لأية فيها حرمان مواطنى الولايات المتحدة حق الانتخاب، أو الانتقاص لهم من هذا الحق لعلة الجنس. (الذكورة أو الأنوثة).

التعديل التاسع عشر
الفقرة الثانية

تكون للكونجرس سلطة تنفيذ أحكام هذه المادة بالتشريع المناسب.

تم تقديم اقتراحات التعديلات التى تمنح المرأة حق الانتخاب فى الكونجرس الواحد تلو الآخر لأكثر من أربعين عاما قبل إقرار هذا التعديل فى نهاية المطاف.

التعديل العشرون
الفقرة الأولى
فترة ولاية كل من الرئيس والكونجرس
اقترح هذا التعديل فى ٢ آذار/ مارس ١٩٣٢ وتمت المصادقة عليه فى ٢٣ كانون الثانى/ يناير ١٩٣٣

تنتهى مدة ولاية كل من الرئيس ونائب الرئيس ظهر يوم العشرين من كانون الثانى (يناير)، وتنتهى مدة ولاية الشيوخ والنواب ظهر يوم الثالث من كانون الثانى (يناير) من السنوات التى كانت ستنتهى فيها هذه الولايات لو لم يقر هذه المادة. وتبدأ عندئذ مدد ولاية خلفائهم.

التعديل العشرون
الفقرة الثانية

يجتمع الكونجرس مرة على الأقل كل سنة، ويبدأ مثل هذا الاجتماع ظهر يوم الثالث من كانون الثانى (يناير) ما لم يحدد الكونجرس، بقانون، موعدا آخر.

التعديل العشرون
الفقرة الثالثة

إذا حدث أن توفى الرئيس المنتخب فى الموعد المحدد لبدء ولايته، يصبح نائب الرئيس المنتخب، رئيسا، وإذا لم يكن قد تم اختيار رئيس قبل الموعد المقرر لبدء ولايته، أو إذا كان ثمة ما يحول دستوريا دون تولى

الرئيس المنتـخب منصبـه، عندئذ يتولى نائب الرئيس المنـتخب منصب الرئـيس إلى أن يزول الحـائل. ويمكـن للكونجـرس أن يحدد بقـانون الحالة التى يحول فـيها مانع دسـتورى دون تولى أى من الرئـيس المنتـخب أو نائب الـرئيس المنتـخب مـنصب الرئاسة، مـعينا الشخص الذى يتـولى عندئذ منصب الرئيس أو الكيفيـة التى يتم فيها اخـتيار الشخص الذى سيـتولى المنصب، ويتصرف مثل ذلك الشـخص كرئيس طبقا لذلك إلى أن يزول المانع الذى يحول دون تولى رئيس أو نائب منصب الرئاسة.

لتعديل العشرون
الفقرة الرابعة

للكـونجـرس أن يـحـدد بـقـانـون أحكام حـالة وفـاة أى من الأشخاص الذين قـد يختار منهم مجلس النواب رئيـسا عندما يئول لهذا المجلس حق الاختيار، وحالة وفاة أى من الأشخاص الذين يختار منهم مجلس الشيوخ نائبا للرئيس عندما يئول لهذا المجلس حق الاختيار.

التعديل العشرون
الفقرة الرابعة

تصبح الفقرتان الأولى والثانية من هذه المادة نافذتى المفعول فى اليوم الخامس عـشر من شهر تشريـن الأول (أكتوبر) الذى يلى تاريخ إقرار هذه المادة.

التعديل العشرون
الفقرة الخامسة

تصبح هذه المادة غير نافذة المفعول إلا إذا صودق عليها كتعديل للدسـتور من قبل الهـيئـات التشـريعيـة لثلاث أرباع مخـتلف الولايات فى غضون سبع سنوات من تاريخ تقديمها.

يقرب هذا التـعديل، الذى يتناول فـترة التسلم والتـسليم، التى تعـرف بفـترة «البطـة العرجـاء» مـوعـد تسلم الرؤسـاء وأعضـاء الكونجـرس المنتـخبـين مهـامـهم، من وقت إجـراء الانتخـابات.

ويوصف المسئول بـ«البطة العرجـاء» عندما يوصل القيام بأعباء منصبه رغم عدم تجـديد انتخابه، إلى حين يتسلم المسئول المنتخب منصبه. وقبل تطبيق هذا التعديل، كان أعضـاء الكونجرس الذين لا يجـدد انتخـابهم يواصلون شغل مناسبهم مدة أربع شهور؟

التعديل الحادى والعشرون
الفقرة الثانية

يلغى هذا التـعديل التـعديل الثـامن عشـر لدسـتور الولايات المتحدة.

إلغاء تـعديل تحريم المـشروبات الكحولية، اقتـرح هذا التعديل فى ٢٠ شباط/ فـبراير ١٩٢٣ وتمت المصـادقــة عليـه فى ٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٣٣

يحظر نقل مشروبات مسكرة فى أية ولاية أو منطقة تابعـــة للولايات المتـحـــدة أو أراضى داخـلة فى حيازتها، كما يحظر استيرادها إليها لغاية توزيعها أو استعمالها فيها بما يخالف قوانينها.

التعديل الحادى والعشرون
الفقرة الثانية
التعديل الحادى و العشرون
الفقرة الثالثة

لا تصبح هـذه المادة نافـذة المفعــول إلا إذا أقـرت كـتعـديل للدستـور من قبل مـؤتمرات فى مختلف الولايات، حسبما نص عليه فى الدستور، وذلك،فى غـضون سـبع سنوات من تاريخ إحالة الكونجـرس هذا التعديل إلى الولايات.

يلغى هذا التعديل الثامن عـشر ويعد البند الثانى من هذا التعديل بمساعدة الحكومـة الفيدرالية الولايات التى تحـرم المشروبات المسكرة فى تنـفيـذ قوانينهـا الخاصـة بتحريم هذه المشروبات.

التعديل الثاني والعشرون

الفقرة الأولى

تحديد الرئاسة بفترة ولايتين

اقترح هذا التعديل في ٢٤ آذار/ مارس ١٩٤٧ وتمت المصادقة عليه في ٢٧ شباط/ فبراير ١٩٥١

لا يجوز انتخاب أي شخص لمنصب الرئيس لأكثر من دورتين، كما لا يجوز لأي شخص تقلد منصب الرئيس أو قام بمهام الرئيس لأكثر من سنتين من أصل مدة ولاية انتخب لها شخص آخر رئيسا، أن ينتخب لمنصب الرئيس لأكثر من دورة واحدة. ولكن هذه المادة لا تطبق على أي شخص كان يشغل منصب الرئيس لدى اقتراح الكونجرس هذه المادة، ولا تمنع أي شخص يكون شاغلا منصب الرئيس أو قائما بأعمال الرئيس خلال فترة الولاية التي تصبح فيها هذه المادة نافذة المفعول، من تولي منصب الرئيس أو القيام بأعمال الرئيس حتى نهاية هذه الولاية.

التعديل الثاني العشرون

الفقرة الثانية

لا تصبح هذه المادة نافذة ومعمولا بها إلا إذا أقرت كتعديل للدستور من قبل الهيئات التشريعية لثلاثة أرباع مختلف الولايات، وذلك في غضون سبع سنوات من إحالة الكونجرس هذا التعديل إلى الولايات.

يمنع هذا التعديل انتخاب أي مواطن رئيسا أكثر من مرتين. ولا يمكن لأحد يتولى منصب الرئيس لأكثر من عامين من ولاية رئيس آخر أن ينتخب أكثر من مرة واحدة للرئاسة. ولا يمكن لرئيس أن يتولى مهام الرئاسة أكثر من عشر سنوات. وقد دعم هذا التعديل أولئك الذين اعتقدوا أن من غير الجائز أن يتولى الرئيس

فرانكلين روزفلت الرئاسة لأربع دورات. ولم يرشح أى رئيس آخر نفسه للرئاسة لأكثر من دورتين متتاليتين.

التعديل الثالث والعشرون الفقرة الأولى

حق الاقتراع فى مقاطعة كولومبيا اقترح هذا التعديل فى ١٦ حريزان/ يونيو ١٩٦٠، وتمت المصادقة عليه فى ٢٩ آذار/ مارس ١٩٦١.

تعين المقاطعة التى تشكل مقر حكومة الولايات، وبالطريقة التى يحددها الكونجرس: عدد من ناخبى الرئيس ونائب الرئيس يكون مساويا لكامل عدد الشيوخ والنواب فى الكونجرس الذين يحق لهذه المقاطعة بهم لو كانت ولاية، ولكن لا يجوز أن يزيد ذلك العدد بأية حال من عدد الناخبين الذين تعينهم أقل الولايات سكانا. وسيكون هؤلاء إضافة إلى أولئك الذين تعينهم الولايات إنما سيعتبرون، لغاية انتخاب الرئيس ونائب الرئيس، ناخبين معينين من قبل ولاية وسيجتمعون فى «المقاطعة» ويؤدون المهام التى ينص عليها التعديل الثانى عشر للدستور.

التعديل الثالث العشرون الفقرة الثانية

تكون للكونجرس سلطة تطبيق أحكام هذه المادة وبالتشريع المناسب.

يسمح هذا التعديل لمواطنى مقاطعة كولومبيا بأن يقترعوا فى الانتخابات الرئاسية، إنما ليس فى إمكان هؤلاء انتخاب أعضاء فى الكونجرس.

التعديل الرابع والعشرون الفقرة الأولى

لا يجوز للولايات المتحدة ولا لأية ولاية فيها أن تحرم مواطنى الولايات المتحدة، أو تنتقص لهم من حقهم فى الاقتراع فى أية انتخابات أو سواها لانتخاب رئيس أو نائب رئيس، أو انتخاب

ضرائب الأشخاص
اقترح هذا التعديل فى ٢٧ آب/ أغسطس ١٩٦٢ وتمت المصادقة عليه فى ٢٣ كانون الثانى/ يناير ١٩٦٤.

ناخبين للرئيس أو نائب الرئيس، أو انتخاب شيخ أو نائب فى الكونجرس، لا يجوز أن تمنعه أو تنقص منه الولايات المتحدة أو أية ولاية، بسبب عدم دفع ضريبة اقتراع أو أية ضريبة أخرى.

التعديل الرابع والعشرون
الفقرة الثانية

تكون للكونجرس سلطة تطبيق هذه المادة بالتشريع المناسب.

يحظر هذا التعديل إجبار المقترعين على دفع ضريبة الرؤوس قبل تمكنهم من التصويت فى انتخابات عامة. وتستوفى ضريبة الرؤوس من كل شخص بالغ بالتساوى. وقد عمدت بعض الولايات فى السابق إلى فرض ضرائب كتلك لاستبعاد الفقراء والسود من الانتخاب. وضريبة الرؤس لا تعنى ضريبة اقتراع وقد فسرت المحكمة العليا الفقرات المتعلقة بالحماية المتساوية كما وردت فى التعديل الرابع عشر، على أنها تمنع فرض ضريبة اقتراع فى انتخابات الولايات.

التعديل الخامس والعشرون
الفقرة الأولى

فى حالة عز الرئيس من مصبه أو وفاته أواستقالته، يصبح نائب الرئيس رئيسا

أحكام عجز الرئيس وخلافته
اقترح هذا التعديل فى ٦ تموز/ يوليو ١٩٦٥، وتمت المصادقة عليه فى ١٠ شباط/ فبراير

عندما يشغر منصب نائب الرئيس، يرشح نائب رئيس يتولى هذا المنصب لدى تصويت أكثرية

١٩٦٧.	**مجلسى الشيوخ والنواب بالموافقة على تعيينه.**
التعديل الخامس والعشرون الفقرة الثانية	يتعلق هذا البند بتولى منصب نائب الرئيس لدى شغوره. ففى عام ١٩٧٣ أصبح جيرالد فورد أول شخص يختار لمنصب الرئاسة بموجب هذا التعديل وقد رشحه الرئيس ريتشارد نيكسون بعد أن استقال سبيرو اغنيو نائب الرئيس وقتئذ. وفى عام ١٩٧٤ استقال نيكسون من الرئاسة وأصبح فورد رئيسا. وطبقا للإجراءات الجديدة أصبح نلسون روكفلر نائبا للرئيس. ولأول مرة، تولى منصبى رئيس ونائب رئيس الولايات المتحدة شخصان غير منتخبين لهذين المنصبين من قبل الشعب. وقبل تطبيق هذا التعديل، كان منصب نائب الرئيس يبقى شاغرا حتى إجراء الانتخابات الرئاسية التالية.
التعديل الخامس والعشرون الفقرة الثالثة	**عندما يبلغ الرئيس كلا من الرئيس المؤقت لمجلسى الشيوخ ورئيس مجلس النواب تصريحه الخطى بعجزه عن القيام بسلطات وواجبات منصبه، وإلى أن يبلغهما خطيا تصريحا بعكس ذلك، يتولى نائب الرئيس القيام بهذه السلطات والمهام كرئيس بالوكالة.** ينص هذا البند على أن يخلف نائب الرئيس الرئيس فى منصب الرئاسة إذا أصبح الأخير عاجزا.
التعديل الخامس والعشرون الفقرة الرابعة	**عندما يبلغ نائب الرئيس وغالبية الموظفين الرئيسيين فى الوزارات التنفيذية أو أعضاء هيئة أخرى، يحددها الكونجرس بقانون، رئيس مجلس الشيوخ المؤقت ورئيس مجلس النواب تصريحهم الخطى بأن الرئيس عاجز عن القيام بسلطات ومهام منصبه، يتولى نائب الرئيس فورا سلطات ومهام المنصب كرئيس بالوكالة.**

وبعد ذلك، عندما يبلغ الرئيس رئيس الشيوخ المؤقت ورئيس مجلس النواب تصريحه الخطى بعدم وجود حالة عجز لديه، ستأنف القيام بسلطات ومهام منصبه مالم يبلغ نائب الرئيس وغالبية الموظفين الرئيسيين فى الوزارات التنفيذية أو أعضاء هيئة أخرى يحددها الكونجرس بقانون، وفى غضون أربعة أيام، رئيس مجلس الشيوخ المؤقت ورئيس مجلس النواب تصريحهم الخطى بأن الرئيس عاجز عن القيام بسلطات ومهام منصبه. عند ذلك يبت الكونجرس فى القضية فى اجتماع يعقده فى غضون ٤٨ ساعة لذلك الغرض إذا لم يكن فى دورة انعقاد. وإذا قرر الكونجرس، فى غضون ٢١ يوما من تسلمه التصريح الخطى الثانى، أو فى غضون ٢١ يوما من الموعد الذى يتوجب فيه انعقاد المجلس، إذا لم يكن فى دورة انعقاد، وبأكثرية ثلثى أصوات مجلسى الشيوخ والنواب أن الرئيس عاجز عن القيام بسلطات ومهام منصبه، يستمر نائب الرئيس فى تولى هذه السلطات والواجبات كرئيس بالوكالة. أما إذا كان الأمر خلاف ذلك فيستأنف الرئيس القيام بسلطات وواجبات منصبه.

التعديل السادس والعشرون
الفقرة الأولى
منح البالغين سن ١٨ سنة حق الانتخاب
اقترح هذا

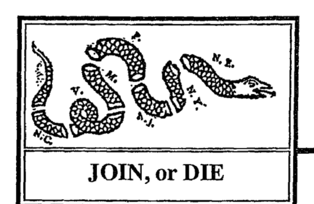
لا يجوز للولايات ولا لأية فيها أن تحرم مواطنى الولايات المتحدة، ممن بلغوا سن الثامنة عشرة وما فوق، من حق الانتخاب، أو تنتقص لهم منه بسبب السن.

التعديل في ٢٣ آذار/ مارس ١٩٧١ وتمت المصادقة على في ١ تموز/ يوليو ١٩٧١.

التعديل السادس والعشرون الفقرة الثانية

تكون للكونجرس سلطة تنفيذ هذه المادة بالتشريع المناسب.

يمنح هذا التعديل حق الاقتراع للمواطنين البالغين من العمر ١٨ عام وما فوق.



المراجع

فيما يلى قائمة مختارة من أهم المراجع التى تغطى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك من حيث التطورات الفكرية التى طرأت على هذا المجتمع الإمريكى منذ بداية استقرار المستعمرين فى الولايات المتحدة الإمريكية حتى القرن العشرين.

Adams, H:

History of the U.S. during the administration of Jefferson and Madison 1884 - 9.

Adams E.

American Policy in Asia, west Asia and Pacific

Simen and Shuster. N. Y. 1970.

Adams, J.T. and orthers:

The dictionary of the American History 1940 (5 vols).

Allen, Louis:

The End of the War in Asia . London. 1976.

Ambrose, S.E.

Rise to Globalism. American foreign Policy Since 1938. London pinguin pr. 1971.

Angell, N. Others:

Ameria and the New world New York: 1945.

AndreWs, C.M.:

the Colonial Period of American History.

Barnds, William J., (Ed),

China and America: the search For a New Relationship (New York: New York University press, 1977).

Barnett, A.Doak,

A-New U.S. Policy Toward China (Washington, D.C.: the Bookings Institution, 1971)

Bator, Victor,

Vietnam: A Diplomatic Tragedy, Origins Of U.S. Involvement (London: Faber & Faber Ltd., 1967).

Beal, John Robinson,

John Foster Dulles 1888 - 1959 (New York: Harper & Brothers, 1959)

Beaufre, André,

An Introduction to Strategy (London: Faber & Faber, 1965).

Bell, Coral,

the Diplomacy of Détente: The Kissinger Era (New York: St. Martin's Press, 1977)

Berkowitz, Morton & Others,

the Politics of American Foreign Policy: The social Context of Decisions (New Jersey: prentice - Hall, Inc., Englewood Cliffs, 1977).

Black, Eugene R.,

Alternative In Southeast Asia (London: Pall Mall Press, 1969).

Black, Joseph E. & Kenneth W. Thompson, (Eds),

Foreign Policies in a World Of Change (New York: Harper & Row, 1963).

Boettiger, John R., (Ed.),

Vietnam and American Foreign Policy (Boston: D.C. Heath & Company, 1968).

Borisov, O.B. 7 B.F. Koloskov,

Sino - Soviet relations 1945 - 1973: A Brief History (Moscow: Progress Publeshers, 1975).

Boyd, R.G.,

Communist China's Foreign Policy (New York:Frederick A. Praeger, 1962).

Brezinski,Z:

Power and Principle. Memoirs & the National Secrity Adviser 1977 - 1981. N.Y. 1983.

Brown, Seymon,

New Forces in International Politics (Washington: The Brookings Instution, 1974).

Buchan, Alastair,

The Wnd of Postwer Era: A New Balance Of World Power (London: Weiden Feld & Nicolson, 1974).

Bueler, William M.

U.S. policy and the Problem of Taiwan (Colorado: Colarado Associated University Press, 1971).

Buss, C.A,

Asia in The Modern World: AHistory of China, Japan, South and Southeast Asia (New York: The Macmillan Company, 1964).

The United States and the Philippine: Background For Policy

(Washington, D.C.: American Enterprise Institute For Public Policy Research, 1978).

Buttinger, J,:

Vrietnam: A political History London 1968.

Cameron, Meribeth E.& Others,

China, Japan and the Qowers: A History of the Modern Far East (New York: the Powers Press Company, 1960).

Caridi, Ronald, H.

20 th Century American Foreign Policy; Security and Self Interest (New Jersey: Prentice - Hall, Inc., Englewood Cliffs, 1974).

Carman, H.J. and others:

Ahistory of the American Peple 2 ed- the(Knop F) 1969.

Carleton, William G.

The Revolution in American Foreige Policy: Its Global Range (New York: Random House, 1963).

Charles A. And other:

the Rise of American Civilization lizahan 2 vols (Macmillan) 1927.

Chawla, Sudershan & D.R. Sardesai, (Eds.),

Changing Patterns of Security and Stability in Asia (New York: Praeger Publishers, 1980).

Chay, John, (Ed.),

The Problems and prospects of American - East Asian Relations (Boulder: Westview press, 1977).

Chee, Chan Heng,

Singapore: The Politics of Survival 1965 - 1967 (Kuala Lumpur, Oxford University Press, 1971).

Chen, King C., (Ed.),

China and the three Worlds:

A Foreign Policy Reader (London: The Macmillan Press Ltd., 1979).

Choudhury, G.W.,

Chinese Perception of the World (Washington: University Press Of America, 1977).

Clemens, Jr., Walter C.,

The Arms Race and Sino Soviet Relattions (Stanford University: The Hoover Institution on War, Revolution and Peace, 1968).

Donald Richard, Kenneth A. Oye & Robert J. Leiber, (Eds.),

Eagle Entangled: U.S.Foreing Policy in A Complex World (New York: Longman, 19/79).

Donelan, M.D. & Others,

International Disputes: Case Histories 1945 - 1970 (London: Europa Publicaties, 1973).

Draper, Theodore,

Abuse of Power (London: Penguin Books, 1969).

Draper, Thomas, (Ed.),

Emerging China (New York: the H.W.Wilson Company, 1980).

Duchacek, Ivo D.,

Conflict and Cooperation Among Nations (New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1960).

Duloles, John Foster,

War or Peace (New York: The Macmillan Company, 1957).

Dutt, Vidya Parakash,

China,s Foreign Policy 1958 - 62 (London: Asia Pulishing House, 1964).

East, W. Gordon & Others, (Eds.),

the Changing Map of Asia: A political Geography (London: Methuen & Co. Ltd., 1971).

Elliott, David,

Thailand: Origins of Military Rule (London: Zed Press Ltd., 1978).

Fall, Bernard B.,

Hell in A Very Small Place: The Siege of Dien Bien Phu (London: Pall Mall Press, 1966).

Emerson, C:

Japan and United States in The 1970, N.Y. 1971.

Ferrell, Robert H., (Ed.),

America in A Divided World 1945 - 1972 (South Carolina:

University of South Carolina Press, 1975).

Fifield, Russell,

Americans in Southeast Asia: The Roots Of Containment (New York: Thomas Y Crowell Company, 1973).

Fineletter, Thomas K.,

Foreign Policy: The Next Phase 1960,s (New York: Frederick A. Praeger, 1960).

Fitzgerald, C.P.,

The Southern Expansion of the Chinese people (New York: Preager Praeger Publishers, 1972).

Fitzgerald, Frances,

Fire in the Lake: The Vietnameses and the Americans in Vietnam (New York: Vintage Books, 1972).

Frank, Thomas M. & Edward Weisband,

World Politics: Verbal Stratgy Among the Superpowers (New York: Oxord University Press, 1972).

Frankel, Joseph,

Contemporary International Theory and the Behavior of States (London: Oxhord University Press, 1973).

Fulbright, J. William,

The Arrogance of Power (London: Jonathan Cope, 1966).

Gardner, Lioyd C.,

Imperial America: American Foreign Policy Since 1898 (New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1976).

George, Alexander L. & Richard Smoke,

Deterrence in American Foreige Policy: Theory and Practice (New York: Columbia University Press, 1974).

Getteman, Marvin E., (Ed.),

Vietnam: History, Documents and Opinions on A Major World Crisis (New York: New American Liprary, 1970).

Ginsburg, Norton & Chester F. Roberts, Jr.,

Malysia (Seattle: University Of Washington Press, 1985).

Goldwin, Robert A.& Others, (Eds.),

Readings in World Politics (New York: Oxford University Press, 1959).

Goold - Adams, Richard,.

John Foster Dulles: A Reapprisal (New York: Applet - Century - Crofts, Inc., 1962).

Gordon, Bernard K.,

Toward Disengagement in Asia: Astrategy For American Foreign Policy (New Jersey: Prentice - Hall, Inc., Englewood Cliffs, 1962).

Graebner, Norman A.,

The Age of Global Power: The United States Since 1939 (New York: John Wiley & Sons, 1979).

Gold War Diplomacy: American Foreign Policy 1945 - 1975 (New York: D. Van Nostrand Company, Inc., 1977).

Griffith, William E.,

Gold War and Co - existence: Russia, China and the United States (New Jersey: Prentice - Hall, Inc., Englewood Cliffs, 1971).

Griffith, & Walt W. Rostow,

East - West Relations: Is Détente Possible? (Washington, D.C.: American Enter prise Institute For Public Policy Research, 1962).

The Sino - Soviet American Triangle: Causes, Developments and Regional Implications (Massachusetts: Center For International Studies Massachusetts Institute of Technology, 1972).

Gyrgy, Andrew & Hubert L. Gibbs, (Eds.),

Problems in International Relations (New Jersey: Prentice - Hall, Inc., Englewood Cliffs, 1970).

Hall, D.G.E.,

A Histiry of South - East Asia (London: Macmillan, 1962).

Hammond, Paul Y.,

The Cold War Years: American Foreign Policy Since 1945 (New York: Harcourt, Brace & World, Inc., 1969).

Hartmann, Frederick H.,

The Relations of Nations (New York: The Macmillan Company, 1962).

Hellmann, Donald C.,

Japan and East Asia: the New International Order (New York: Praeger Publishers, 1972).

Henderson, William, (Ed.),

Southeast Asia: Problems of United States Policy (Massachusetts: The M. I. T. Press, 1963).

Hers, john H.,

International Politics in the Atomic Age (New York : Columbia University Press, 1959).

Hickman, Martin B.,

Problems of American Foreign Policy (California : G;emcoe Press, 1975).

Hill, Norman, Contenporary World Politics (New York : Harper & Brothers , 1954).

Hilsman, Roger & Robert C. Good, (Eds.),

Foreign Policy in the Sixties : The Issues and the Instruments (Baltimmore: The Johns Hopkins Press, (1965).

Communist China in World Politics (London: Macmillan, 1966).

Hoffmann, Stanley, (Ed.),

Contemporary Theory in International Relations (New Jersey: Prentice - Hall , Inc., Englewood Cliffs, 1960).

Holsti, K. J. ,

International Politics: A Framework For Analysis (New Jersey: Prentice - Hall , Inc., Englewood Cliffs, 1977).

Hurowitz, David, (Ed.),

Containment and Revolution : Western Policy Towards Social Revolution 1917 to Vietnam (LondonL Anthony Blond Ltd., 1967).

Huck , Arthur,

The Security of China:

Approaches to Problems of War and Strategy (London : Chatto & Windus , 1970).

Iriye , Akira,

Across the Pacific: An Inner History Of American East Asian Relations (New york Harcourt, Brage & World , Inc. , 1967).

The Cold War in Asia: A Historical Introdution (New Jersey: Prentice - Hall, Inc. , Englewood Cliffs, 1974).

Isenberg, Irwin, (Ed.) ,

China : New Force in World Affairs (New York : Thsn. W. Wilson Company 1972).

Jensen, M.

The New Nation. Knopf 1950).

Jenkins, Robin,

Exploitaion: The World Power Structure and The Inequality

of Nations (London : Mac Gibbon &Kee Ltd. , 1970).

Kaplan, Morton A., (Ed.) ,

Great Issues of International Politics : The International System and national Policy (Chicago : Aldine Publishing Company , 1974).

Kennedy, Edward M. ,

Decisions For A Decade : Policies and Programs For the 1970 ` S (London : Micgael Joseph, 1968).

Kenndey , John F.,

TheStartegy of Peace (New York : Harper & Brothers, 1960).

Kissinger, H. ,

The dilmmaasg Detetternce in the necessity for choica N.Y. 1976 .

Kubo, Tokuya:

The meaning of the U . S . Nucleer Umbrella for Japan. Colorado 1977.

Kertesz, Steven D. , (Ed.) ,

American Diplomacy in A New Era (Indiana : University of Notre Dame Press, 1961).

Kissinger , Henry,

White House Years (Boston : Little, Brown & Company , 1979).

Knappen, Marshall,

An Introduction to American Foreign Policy (New York : Harper & Brothers, 1956).

Knoll , Erwin & Judith nies Mc Fadden, (Ed.) ,

War Crimes and the American Conscience (New York : Holt, Rinehart & Winston, 1970).

Lerner, Max:

America as a curbzation : life and therightin the U . S . Today (Simon an Schudter 1957).

Laird , Melvin R. ,

The Nexon Doctrine (Washington, D . C . : American Enterprise Institute For PublicPolicy Research, 1972).

Lake , Anthony , (Ed.) ,

The Vietnam Legacy : the War , American Society and the Future of American Foreign Policy (New York : New York University Press, 1976).

Landau , David , Kissinger :

The Uses of Power (London: Robson Books, 1974).

Latourette , Kenneth Scott ,

A Short History of the Far East (New York : the Macmillan Company, 1975).

Lawrance , Allan ,

China's Foreign Relations Since 1949 (London : Routledge & Kegan Pall , 1975).

Legg , Keith R. & James F . Morrison ,

Politics and the International System : An Introdution (New York : Harper & Row , 1971).

Lerche , Charles O . ,

Foreign Policy of the American People (New Jersey : Prentice - Hall , Inc., Englewood Cliffs, 1967).

Principles of International Politics (New York : Oxford Univesity Press, 1956).

Lewy , Guenter ,

Amenica in Vietnam (New York : Oxford Univesity Press, 1978).

Li - Wu , Yuan,

The Startegic Land Ridge : Peking`s Pelations with thailand , Malysia , Sigapore andIndonesia (Stanford : Hoover Institution Press , 1975).

Lijphart , Arend , (Ed.),

World Politics (Boston : Allyn & Bacon , Inc . , 1966).

Lobe , thomas,

United States National Security and Aid to the Thailand Police (colorado : University of Denver, 1977).

MacFarquhar , Roderick , (Ed.),

China Under Mao : Politics Taked Command (Cambridge : The M. I . T. Press, 1966).

Sino - American Relations 1949 - 71 (New York : Praeger Publishers, 1972).

MaCnair , Harley Farnsworth & Donald F . Lach ,

Modern Far Eastern International Relations (New York : D. Van Nostrand Company , Inc. , 1955).

Macridis , Roy C . , (Ed.) ,

Foreign Policy in World Politics (New Jersey : Prenice - Hall , Inc., Englewood Cliffs , 1962).

Maki , John M . ,

Conflict and tension in the Far East : Key Docflict 1894 - 1960 (Seattle : University of Washington Press, 1961).

Maki , J . A . C . ,

The Indonesian Malysia Dispute 1963 - 1966 (Kuala Lumpur : Oxford University Press, 1974).

Marshall, Charles Burton,

TheExercise of Sovereignty: Papers on Foreign Policy (Baltimore : The Johns Hopkins Press, 1965).

Martin , Edwin W. ,

Southeast Asia and China The End of Contanment (Boulder: Westview Press, 1977).

McAlister Jr . , John T . ,

Vietnam : The origins of Revolution (New York : Alfred A. Knopf, 1969).

Mcvy , Ruth T . , (Ed.) ,

Indonesia (New Haven : Hraf Press , 1963).

Michael , Franz H. & George E. Taylor ,

TheFarEast in the Modern World (New York : Holt , Rinehart & Winston , Inc . , 1964).

Morley , J. W.

Japan and Koree . N. Y. 1965).

Morgan , E. S. ,

TheBirth of the Republic 1763 1789 (Chicago) 1956.

Morison , S . E . & Commager , H. S. ,

Thelsrowth of the American Republic 5 th Ed (Oxford) 1962.

Nettls , C . P .

TheRoots of AmericanCuirlizadon (Applton) 1983.

Nills , Lennox A. & Associates ,

The New World of Southeast Asia (London : The University of Minesota Press , 1949).

Modelski , George , (Ed.) ,

Seato : Six Studies (Kanberra : F . W . Cheshire Pty Ltd . , 1962).

Morgan, Roger , (Ed.) ,

TheStudy of International Affairs (London : Oxford University Press, 1972).

Morgenthau, Hans J.,

A New Foreign Policy for the United States (New York : Frederick A. Praeger, 1969).

-----------------,

TheImpasse of American Foreign Policy (chicago : the University of Chicago Press, 1962).

-----------------,

ThePurpose of America`s Poltitcs (New York : Vintage Books, 1964).

-----------------,

The Restoration of American Politics (Chicago : The University of Chjcago Press, 1962).

Needler, Martin C.,

Understanding Foreign Policy (New York : Holt, Rinehart & Windton, Inc., 1966).

Neill, Wilfred,

Twentieth Century Indonesia (New York : Columbia University Press, 1973).

Newman, Bernard,

Danger Spots of the World (London : Robert Hale Ltd., 1959).

Ojha, I. C.,

Chinese Foreign Policy in An Age of Trandition : The Diplomacy of Cultural Despair (Boston Press, 1969).

Oskenberg , Michel & Robert B . Oxnam ,

China and America : Past and future " Head line Series 235" (New York : Foreign Policy Association Inc. , 1977).

Overholt , William H . , (Ed.) ;

Asia`d Nuclear Future (Colorado : Westview Press, 1977).

Padelford , Norman J . & George A . Lincoln ,

The Dynamics of International Politics (London : The Macmillan Company, 1967).

Pain, Chester A . ,

Vietnam : The Roots of Conflict (New Jerdey Prentice - Hall , Inc . , Englewood cliffs , 1967).

Payne , Robert ,

Red Storm over Asia (New York : The Macmillan Company , 1951).

Reigel, R . E . ,

Young America . 1830 - 1840 Okla Hema 1952.

Petersen, William, (Ed.),

The Realities of World Communism (New Jersey: Prentice - Hall, Inc., Englewood Cliffs, 1963).

Pettman, Ralph,

Human Behavior and World Politics (New York: St. Martin's Pr ess, 1975).

Pfaltgraff, Jr., Robert L.,

The Study of International Relations: A guide ti Informations

Sources (Michigan: Gale Research Company, 1977).

Pratt, Julius W.,

A History of United States Foreign Policy (New Jersey: Prentice - Hall, Inc., Englewood Cliffs, 1957).

Purcell, Victor,

China (London: Ernest Brnest Benn Ltd., 1975).

Quigley, Hrold S.,

China's Politics in Perspective (Minneapolis: The University of Minnesota Press, 1962)/

Romein, Jan,

The Asian Century: A History of Modern Nationalism in Asia (London: George Allen & Unwin Ltd., 1962).

Rosenbaum, Naomi, (Ed.),

Readings in The International Political System (New Jew Jersey: Prentice - Hall Inc., Englewood Cliffs, 1970).

Rummell, R.J.,

Understanding Conflict and War, Vol. II: The Conflict Helix (New York: Sage Publications Inc., 1976).

Rupen, Robert A. & Robert Farrell, (Eds.),

Vietnam and Sino- Soviet Dispute (New York: Frederick A. Praeger, 1967).

Ryan, William L. & Sam Summerlin,

The China Cloud: America's Tragic Blunder and China's Rise to Nuclear Power (London: Hut - Chinson of London, 1969).

Solisbury, Harrison E.,

Ordit of China (London: Secker & Warburg, 1967).

Sapin, Burton M.,

Contemporary American Foreign and Military Policy (Illinois: Scott, Foresman & Company, 1970).

Scalapino, Robert A.,

Implications For the International order (Washington, D.C.: American Enterprise Institute For Public Policy Research, 1977).

Sealapino, Robest A.:

The united Srotes and The lces Fasr H.T. 1965.

Schelling, Thomas C.,

The Strategy of Conflict (Harvard: Harvard University Press, 1960).

Schleicher, Charles P.,

International Relations: Cooperation And Conflict (New Jersey: Prentice - Hall, Unc., Englewood Cliffs, 1962).

Schuman, Frederick L.,

International Politics: Anarchy and Order in the world Society (New York: Mcgraw - Hill Book Company, 1969).

Schurmann, Franz,

The Logic of World Power: An Inquiry into the Origins, Currents and Contradictions of World Politics (New York: Pantheon Books, 1974).

Schurmann, Franz & Orville Schell, (Eds.),

Communist China: Revolutionary Reconstruction and International Confrontation 1949 to the Present (New York: Random House, 1967).

Serfaty, Simon,

The Elusive Enemy: American Foreign Policy Since World War II (Boston: Little, Brown & Company, 1972).

Shaplen, Robert,

The Lost Revolution: Vietnam 1945 - 1965 (London: André Deutsch, 1966).

Singh, Patwant,

The Struggle For Power in Asia (London: Hutchinson & Co., Ltd., 1971).

Smith, Gordon Connell,

Pattern of the Post - War World Penguin Books, 1957).

Smith, Roger M.,

Cambodia's Foreign Policy (New Yew York: Cornell University Press, 1965).

Snow, Edgar,

The Long Revolution (New York: Vintage Books, 1973).

Snyder, Glenn G., & Paul Diesing,

Coflict Among Nations: Bargaining, Decision Making and System Structure in International Crises (Princeton: Princeton University Press, 1977).

Spanier, John W.,

American Foreign Policy Since World War II (New York: Frederick A. Praeger, 1962).

Spanier, John w.,

Games Nations Play: Analysing Internatoonal Politics (London: Thomas Nelson & Sons Ltd., 1972).

Spiegel, Steven L. & Kenneth N. Waltz, (Wds.)

Conflict in World Politics (Cambridge: Winthrop Publishers, Inc., 1971).

Steel, Ronald,

Pax Americana (London: Hamish Hamilton, 1968).

Steiger, G.Nye,

Ahistory of the Far East (Boston: Ginn & Company, 1936).

Stevenson, Chearles A.,

The End of Nowhere: American Policy Toward Laos Since 1954 (Boston: Beacon Press, 1973).

Stillman, Edmund & William Peaff,

The New Politics: America and the End of the Postwar World (New York: Coward Mc Cann, Inc., 1961).

Stoessinger, John G.,

Henry kissinger: The Anguish of Power (New York: W. W. Norton & Company Inc., 1976).

Sulzberger, C. L.,

The Coldest War: Russia's Game in China (New York: Har-

court Brace Jovanovich, 1974).

Unfinished Revolution: America and the third World (New York: Atheneum, 1965).

Tanter, Raymond,

Modelling and Managing International Conflicts: The Berlin Crises (London: Sage Publications, 1974).

Tarr, David W.,

American Strategy in the Nuclear Age (New York: The Macmillan Company, 1966).

Taylor, George E.,

America in the New Pacific (New York: The Ma Cmillan Company, 1942).

Thorp, Willard L., (Ed.),

The United States and the Far East (New Jersey: Prentice - Hall, Inc., Englewood Cliffs, 1967).

Thornton, Richard C.,

China: The Struggle For Power 1917 - 1972 (Bloomington: Indiana University Press, 1973).

Voto, B. De:

The Coress of lmpise (Houghtron Mifflin) 1952.

Tsou, Tang,

America's failure in China 1941-1950 (Chicago: The University of Chicago Press, 1963).

Utley, Freda,

The China Story (Chicago: Henry Regnery Company, 1951).

Vanchi, Hoang,

From Colonialism to Communism: A Case Study of North Vietnam (New York: Frederick A. Praeger, 1964).

Van Der Mehden, Fred R.,

Southeast Asia 1930 - 1970: The Legacy of Colonialism and Nationalism (London: Thames & Hudson, 1974).

Van Ness, Peter,

Revolution and Chinese Foreign Policy: Peking'S Supprt For Wars of National Liberation (Berkeley: University of California Press, 1970).

Vasey, LIoyd R., (Ed.),

Pacific Asia and U.S. Policies: A Plitical Ecnomic and Strategic Assessment (Honolulu) 1978).

Waltz, Kenneth N., Man,

The State and War (New York: Columbia University Press, 1959).

Weinstein, Franklin B., (Ed.).

U.S. Japan Relations and The Security of East Asia: The Next Decade (Boulder: Westview Press, 1978).

Wilcox, Wayne Ayres,

Asia and United States Policy (New Jersey: Prentice - Hall, Inc., Englewood Cliffs, 1967).

Wilson., Dick,

Mao: The People's Emperor (London: Hutchinson & Co. Ltd., 1979).

Wilson, Richard, (Ed. & Comen.),

Setting the Course: The First Year Mayor Policy Statements by Presidend Richard Nixon (New York: Funk & Wagnalls, 1970).

Win, Kyaw W., (Ed.),

U N Saturday's Son (London: Yale University Press, 1975).

Wint, Guy,

Spotlight on Asia (London: Penguin Books, 1955).

Wolfers, Arnold, (Ed.),

Alliance Policy in the Cold War (Baltimore: the Johns Hopkins Press, 1959).

Yahuda, Michael B.,

China'S Role in World Affairs (London: Croom Helm, 1978).

Young, Kenneth T.,

Negociating With Chineses Communists: The United States Experience 1953-1967 (New York: Mcgraw-Hill Book Company, 1968).

محتويات الكتاب

رقم الإيداع	٩٨/١٣٥١٩
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 10 - 1176 - 6

فى هذا الكتاب

نشأت دول جديدة فى العصر الحديث، ومن بينها الولايات المتحدة الأمريكية التى تفوقت على الدول قاطبة اخيرا. وجذور هذا التفوق الأمريكى ترجع إلى الاستعمار الأوربى لأمريكا وظهور الشخصية الأمريكية القائمة بذاتها شعبا وأرضا وفكرا. وهذا ما يحاول الكتاب توضيحه عبر تاريخ الولايات المتحدة الذى يمتد من القرن السادس عشر إلى العشرين.

